

المملكة المغربية
جامعة محمد الخامس

منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 37

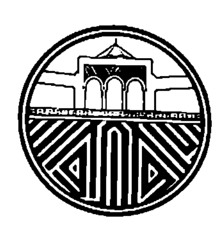
# الجيش المغربي وتطوره

## في القرن التاسع عشر

ثريا برادة

# الجيش المغربي وتطوره

بسم الله الرحمن الرحيم



منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط
سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 37

# الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر

ثريا برادة

1997

| | | |
|---|---|---|
| الكتاب | : | الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر. |
| المؤلف | : | ثريا برادة. |
| الناشر | : | منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. |
| سلسلة | : | رسائل وأطروحات رقم 37. |
| الغلاف | : | إعداد عمر أفا. |
| لوحة الغلاف | : | مأخوذة من كتاب "المغرب"، ترجمة هنري بيل. |
| الخطوط | : | بلعيد حميدي. |
| الحقوق | : | محفوظة لكلية الآداب بالرباط بمقتضى ظهير 1970/07/29 |
| التصفيف | : | من طرف المؤلفة. |
| الطبع | : | مطبعة النجاح الجديدة ـ الدار البيضاء. |
| ردمك | : | ISBN - 9981 - 825 - 88 - 3 |
| التصنيف الدولي | : | .1113/0334 |
| الإيداع القانوني | | .97/1224 |

طبع هذا الكتاب بدعم من برنامج التعاون
بين كلية الآداب ومؤسسة كونراد أدناور

# الإهداء

إلى زوجي وبناتي وابني

وإلى ياسين وهشام

أصل هــذا الكتـاب أطروحـة جامعيـة لنيـل دبلـوم الدّراسـات العليـا نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرّباط سنة 1984، تحت إشراف الأستاذ إبراهيم بو طالب عنوانها **الجيش المغربي وتطوّره في القـرن التّاسـع عشر، مساهمة في دراسـة "الإصلاحـات العسـكرية"**، وقـد قمنـا بتطعيـم النّـصّ الأصلـي باسـتمرار كلّمـا ظهـرت عنـاصر جديـدة.وقـد أتيـح لهــذه المساهمة المتواضعة في كتابـة التّـاريخ العسـكري أن تخـرج للوجـود بفضـل الجهود التي يقوم بها قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرّبـاط الأسـتاذ عبد الواحد بنـداود لتشـجيع البحـث العلمـي بنشـر الأطروحـات الجامعيـة وجعلها لدى متناول الطلبة والأساتذة الباحثين والمثقّفين المهتمّين في مختلـف الميـادين المعرفيـة مـن آداب وتـاريخ وعلـم الاجتمـاع ولسـانيات وغيرهــا، وكذلك بفضل قراءتها من طرف الأستاذ أحمـد التّوفيـق. ولا أغفـل جهـود مصلحة النّشر بنفس الكلّيّة وهي التي سهرت على الجانب التقني.

# الرموز المستعملة بالعربية

| | | |
|---|---|---|
| ب.ع.ف. =M.M.F. | : | البعثة العسكرية الفرنسية |
| ح.ع.ف.ج. | : | الحاكم العام الفرنسي في الجزائر |
| خ.ح. | : | الخزانة الحسنية، الرباط |
| خ.ع. | : | الخزانة العامة، الرباط |
| س.ذ. = op. cit. | : | سبق ذكره |
| مخ. | : | مخطوط |
| ن.م.س. | : | نفس المرجع السابق |
| و.خ. | : | وزير الخارجية |
| و.م.ف. | : | الوزير المفوض الفرنسي |
| و.و.ح.ف. = A.M.G.V. | : | وثائق وزارة الحربية الفرنسية، فانسين |
| و.و.خ. إ. = F.O. | : | وثائق وزارة الخارجية الإنجليزية، لندن |
| و.و.خ.ف. = A.E.P. | : | وثائق وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية |

# الرموز المستعملة بالأعجمية

| | |
|---|---|
| A.A.N. | Annuaire de l'Afrique du Nord. |
| A.B. | Archives berbères. |
| A.D.M., A.P. | Archives d'outre-mer, Aix en provence. |
| A.M. | Archives marocaines. |
| B.C.A.F. | Bulletin du comité de l'Afrique française. |
| B.E.S.M. | Bulletin économique et social du Maroc. |
| C.C.M | Correspondances consulaires, Maroc. |
| C.D.M. | Correspondances diplomatiques, Maroc. |
| C.P.C.M | Correspondances politiques et commerciales, Maroc. |
| C.P.M. | Correspondances politiques, Maroc. |
| C..N. R S. | Centre nationl de recherche scientifique. |
| F.L.S.H.R. | Faculté des lettres et des sciences humaines, Rabat. |
| H.T. | Hespèris Tamuda. |
| M.C.F. | Mission culturelle française. |
| M.D. | Mémoires et documents. |
| M.E.N. | Ministère des affaires étrangères. |
| M.G. | Ministère de la guerre. |
| N.S.M. | Nouvelle série, Maroc. |
| P.C. | Président du conseil. |
| R.F.S. | Revue française de sociologie. |
| R.H. | Revue historique. |
| R.H.D. | Revue d'histoire diplomatique. |
| R.M.M. | Revue du monde musulman. |
| S.I.H.M. | Sources inédites de l'histoire du Maroc. |
| V.T.D.M. | Villes et tribus du Maroc. |

# تقديم

ربما كان ما يدعو إلى التساؤل الآتي : أيّ إغراء يشكّله البحث في آلة القتال بالنسبة لباحثة لها إمكانات فائقة لتناول أيّ موضوع آخر أكثر طرافة ولطافة ! بيد أنّ العجب قد يبطل إذا ما عرفنا أنّ "قضية" الجيش بلورت كل ملابسات "تحرك" المغرب بإيقاعه الخاص للرد على الصدام الحضاري العنيف مع أوربا في القرن التاسع عشر. فالبحث في هذا الموضوع، موضوع الجيش الذي صار "قضية"، يكشف عن مواطن الضعف والخلل في ضوء تفوّق الآخر، ونمط مبادرات الرّد على التحديات، وتصوّرات الخلاص، كما يجلي محاولات الانتفاض بعد أن وضعت على محكّ الواقع، ويكشف على كلّ حال أنّ التفوّق الأوروبي كان مؤسّسا على سلوك جديد مبني على معرفة لم تعد تكفي في موازنتها ومواجهتها التقاليد العريقة والأخلاق الملتزمة والإرادة الخيرة. ومن جهة أخرى ينكشف الميدان العسكري ميدانا ممتازا للمؤامرات الأجنبية باسم الإعانة التقنية.

ومن مزايا عمل السيدة ثريا برداة أنها لم تكتف في بحثها بإيراد شواهد تزيّن انفعالا عاما وتقوي فكرة شائعة ببعض الأمثلة لتمرّ بالموضوع مرّ الكرام، بل إنّها لما اختارت مرآة هذا الموضوع للتفرس في وقائع الانهيار الأخير لبنى المغرب القديم، ذهبت بعيدا في استغلال الوثائق بكيفية تشريحية وفي إيراد التفاصيل المونوغرافية إلى حد يجعل القارئ يتشبع، وقد يستنكف من معرفة المزيد عن ذلك التدهور المفجع، وهذا الاستفزاز من فضائل البحث لأنه يباين مجاملة الذات، ولأنه جزء من الحقيقة التي تخدم التاريخ.

**أحمد التوفيق**

# مقدّمة

ظلّ النظام العسكري المغربي، يقوم بوظيفته في الداخل، ويحتفظ بسمعته في الخارج إلى حدود معركة إسلي، بالرغم ممّا أصابه من ضعف وانحلال، منذ الفتن العسكرية التي تلت وفاة مولاي إسماعيل . فقد كان النظام التقليدي لهذا الجيش، يجعله يتكيف مع المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي انبثق عنها، ويضمن انسجامه مع باقي المؤسسات المغربية . ولكن منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر في 1830م أصبحت المؤسسات المغربية تحت ضغط داخلي وخارجي مستمر مالبث أن أفقدها انسجامها.

فقد طرح احتلال "العدو الكافر" لأرض من دار الإسلام مواضيع حساسة وجوهرية في العلاقات التي تنظّم الحياة السياسية في البلدان الإسلامية بصفة عامّة، وفي المغرب بصفة خاصّة، وأهمّها مشروعية الحكم المرتبطة أساسا بدور الإمام الديني والسياسي والعسكري، تلك المشروعية التي من شروطها الأساسية، الجهاد لحماية "دار الإسلام".

وقد أصبحت المؤسسة العسكرية، تعيش في توتّر مستمر، إذ كانت تعكس بحكم تركيبتها القبلية والمخزنية مختلف التيارات التي صارت تتجاذب البلاد.فمن جهة، كان التحمّس الشعبي للجهاد، يدعو المخزن إلى رد فعل عسكري فوري، وهذا كان يعني استنفارا عاما لكل القوة العسكرية في البلاد، مع كل ما يحمله هذا الاستنفار من مخاطر الانزلاق، في حين كانت الحقائق الدولية والشعور بتغير موازين القوى العالمية، تدفع المخزن، إلى اعتماد اللغة الدبلوماسية مع الخارج، مع القيام بعمليات عسكرية محدودة يسهل التحكم فيها، كإرسال جيش إلى تلمسان، وتقديم إعانات للمجاهد عبد القادر والقيام بمناوشات على الحدود. وقد توّجت معركة إسلي هذا التوتر، وكانت المؤسّسة العسكرية المغربية أوّل الأجهزة التي لم تصمد أمام الاختبار، ممّا جعلها تتحمّل كل مسؤولية الضعف والهزيمة.

وهكذا سلّطت كلّ الأضواء من الداخل والخارج على الجيش ونظامه وظهرت للمخزن مزايا الجيش النظامي، وجعله شرطا لتقوية البلاد والقدرة على مقاومة الأطماع الخارجية وصار الجهاد مرتبطا بتأسيسه، اعتمادا على قاعدة "مقابلة الشيء بمثله".

ثم إن البلدان الأوروبية شجعت المغرب في هذا الميدان لأنها كانت تعرف بحكم تجربتها في بلدان أخرى كالإمبراطورية العثمانية والصين وتركيا أن "الإصلاح" إذا لم ينطلق من معطيات داخلية و لم يكن جذريا ومتكاملا و لم توفّر له الوسائل المعنوية والمادّية لإنجازه إلى النهاية يقود في آخر المطاف إلى هدم ما يراد إصلاحه دون تعويضه بشيء آخر. وتقويض جهاز أساسي كالجيش بنواته المخزنية وجيشه القبلي، كان معناه تقويض دعائم المخزن وزعزعة البلاد والقضاء على ميكانيزمات الدفاع التي تحرّكها البلورة بين القوتين.

كما أنّ تكوين جيش نظامي كان يفتح أمام تلك الدول الأروبية أبوابا متعددة للتغلغل داخل البلاد. وقد شرع المخزن منذ سنة 1844م في اتخاد مجموعة من التدابير في الميدان العسكري لم تأخذ شكلا واضحا ومتسلسلا إلا في عهد مولاي الحسن.

وإذا كان الأوروبيون الذين تتبعوا هذه السياسة قد عبرّوا عنها "بالإصلاح العسكري" فإن المصطلح لم يستعمل في الوسط المغربي لا من طرف المخزن ولا من طرف العلماء ولا التجار ولاالمؤرّخين كما يدلّ على ذلك غيابه من الوثائق سواءا منها المخزنية المتعلقة بالجيش من فتاو ورسائل وظهائر وسجلات أو كتابات تلك الفترة التاريخية منها وغيرها.

فالوثائق المغربية تستعمل مصطلحات مثل "النظام" و"النزام" وعسكر الصف، والزحف والعساكر الجهادية وعساكر المشاة الجهادية في سبيل الله، والعسكر، وتقوية الجيش بالعدّة والعتاد.

و لم يظهر مصطلح "الإصلاح" إلاّ في أوائل القرن العشرين، في عهد مولاي عبد العزيز، حينما أصبح إصلاح الجيش كما كانت تراه وتلحّ عليه فرنسا، مرادفا للتنازل عن السيادة المغربية، وللرضوخ إلى ما تمليه إرادة الدول الغربية، وتسليمها زمام الأمور، وحينما أصبح الإصلاح العسكري، يتصدر الصراع الحاد بين المتأثرين

بالتيار السلفي الذين كانوا يريدون الإصلاح بمعناه الإسلامي، ويدعون المخزن للجوء للدولة العثمانية لتدريب جيشه وعصرنته وتقويته، وبين الراضخين لحقيقة ضغط الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية، التي لم تعد تترك للمخزن أي هامش للتصرف.

ولعلّ غياب مصطلح الإصلاح أواخر القرن التاسع عشر في فترة كان فيها الإصلاح بمفهومه الغربي والإسلامي السلفي متداولا في الشرق الإسلامي وموضوع الساعة هناك لا يدلّ فقط على بطء وصول وانتشار التيارات الفكرية سواء منها الشرقية أو الغربية في المغرب في تلك الفترة، بل يدلّ على الخصوص على حساسية الموضوع . وهذا الاحتمال يجد ما يزكّيه في ما يلاحظ في الحرص على إقحام كلمة الجهاد كلما تعلّق الأمر بالكلام عن التدابير الجديدة، كما يلاحظ في تعدّد الفتاوي التي لجأ إليها السلاطين في شأن موضوع الجيش، الشيء الذي لا يدلّ فقط على حرصهم على تحرّي الشريعة في مسألة جديدة قد تعتبر بدعة، ولكن يدلّ كذلك وعلى الخصوص على أنّ المخزن كان في حاجة لتبرير شرعي للتغلّب على صعوبة تغيير نظام المؤسسة العسكرية التقليدية التي كانت لها جذور تاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية عميقة، مما كان يجعل الكلام عن "إصلاح" الجيش يعني ضمنيا الاعتراف بفساد النظام القائم مع ما في ذلك من مس بقبائل الجيش التي كانت تمثل الركيزة الأساسية للمخزن، وبالقبائل التي كانت ذات تقاليد عسكرية عريقة . ومما يؤكّد هذا نهج سياسة تقديم رجل وتأخير أخرى في سياسة المخزن العسكرية منذ 1844م، إلى أن فقد زمام الأمور نهائيا في عام 1912م، وهذا يدلّ على شعوره بأنه كان يسير في طريق ملغوم.

وهذه السياسة المترددة المتقطعة، وغير الواضحة، شكلت الصعوبة الأساسية في إنجاز هذا البحث إذ أنها انعكست على الوثائق المغربية المتعلقة بالجيش. إذ تكاد هذه الوثائق على غزارتها، أن تنحصر في وثائق مخزنية ذات طابع إداري، تتكلم عن صوائر الجيش والعسكر في فترات متفرقة، وسجلات عسكر بعض المدن والقبائل بأوصافهم وأسمائهم، وفي مراسلات سلطانية في شأن بعض الحركات، وكنانيش الحسابات من شراء العدة والماكينات، وكنانيش تتضمن القوانين العسكرية، وسجلات بعض السجون، وفتاو في شأن جيش النظام، ونصائح في

الميدان العسكري، وكتب تتعلق بالجيش أرسلها من مصر محمد علي مثلا، ومراسلات في شأن أشخاص أرسلوا للخارج في فترات متقطعة، للتدريب، وتعلّم بعض أنواع الفنون العسكرية، كالزنايدية، والطبجية، وصناعة المفرقعات. وهذه الوثائق، على أهميتها، وغناها بالمعلومات التقنية، فإن عدم تسلسلها وتشتتها وانعدام الخط الرابط بينها، تترك ثغرات عديدة وتوسّع هامش الوقوع في الغلط.

فزيادة على غياب مصطلح عام أو تعريف، يسمح بتحديد نوع السياسة التي اتخذت في إطارها هذه الإجرائات، فإنّ هذه الوثائق لاتسمح لنا حتى بالتوصل إلى أرقام ثابتة فيما يخص المنخرطين، أو في ما يخص الأسلحة التي اقتناها المخزن في هذه الفترة.

من ذلك أنه بالرغم من وجود سجلات لعسكر عدد من المدن والقبائل في عهد مولاي الحسن فإننا لا نستطيع تحديد العدد الإجمالي لهذا العسكر لجهلنا بعدد المدن والقبائل التي كان يفرض عليها التجنيد، ومقاييسه وحينما نعثر على كناش يذكر فيه عسكر الصويرة مثلا فإنه يذكر هؤلاء العسكر بأسمائهم وأوصافهم وعددهم في سنة معينة، ولكننا حينما نريد تتبع نفس العسكر وتطوره ومعرفة السنين التي كان يستمر فيها الجنود في الخدمة العسكرية مثلا، فإننا نعجز عن ذلك لعدم وجود أثر لنفس العسكر سواء قبل التاريخ المسجل أو بعده.

ونصادف نفس الصعوبة حينما نحاول معرفة قيمة المقادير المالية التي أنفقت على شراء الأسلحة، وهذا بالرغم من وجود عدة كنانيش تسجل ثمنها، بسبب تفرّقها، وتعدد العملات التي أديت بها، وصعوبة تحديد قيمة الريال بالنسبة لهذه العملات وقت عقد الصفقة، نظرا للتدهور السريع للعملة المغربية في هذه الفترة. كما أنّ هذه الوثائق لاتشير لكثير من الجوانب التنظيمية الأساسية، كقوانين التجنيد، والقوانين الداخلية للجيش والمقاييس المعتبرة في الترقية.

أما الجوانب الأخرى الخارجة عن هذه التقنيات فهي غائبة تماما من هذه الوثائق، فهي مثلا تسكت عن ردود فعل الرعية على هذه السياسة، وخصوصا ردّ فعل قبائل "الجيش" ونوع علاقاتها بالعسكر الجديد.

وحتى الفتاوي التي جاءت في شأن هذه السياسة فالمتوفّر منها حاليا ينحصر في نمط واحد هو فتاوي العلماء الذين ساروا في الاتجاه الذي اختاره المخزن،

وأكّدوا على ضرورة "اتخاذ الإمام" لجيش "النظام" وأنه يجب الاستعداد بالعدة والمدافع لمواجهة "العدوّ الكافر".

لهذا كلّه فالوثائق الأجنبية كانت ضرورية لمثل هذه الدراسة لسدّ كثير من هذه الثغرات، لارتباط السياسة العسكرية ارتباطا وثيقا بالدول الأجنبية سواءا فيما يخص السلاح أو تأطير العسكر وتدريبه، أو بخصوص الطلبة المغاربة الذين أرسلوا لمختلف الدول الأوربية في إطار تحديث الجيش، أو في ما يخص التخطيطات الأجنبية، لاستغلال هذه التبعية، في ميدان حيوي. فالتقاليد الإدارية الأروبية، جعلت حصيلة المراسلات المتعددة والمختلفة في شأن الجيش المغربي، ترسم بتسلسل تطوّر كثير من جوانب هذا الجيش، كالمراسلات بين القناصل ووزارات خارجيتهم، والمراسلات بين مختلف البعثات العسكرية، ووزارات حربية بلدانهم، والمراسلات بين الحكومة العامة في الجزائر وبين وزارة المستعمرات، الخ... كما أن اهتمام البعثات القنصلية والعسكرية بالحياة السياسية المغربية، ووجود المدربين الأجانب داخل "المخزن المتنقل" تجعل من هذه المراسلات خزانا غنيا بأنواع من المعلومات يتعذّر استخراجها من الوثائق المغربية.

وقد حاولنا قدر المستطاع تتبّع تطورالجيش المغربي، في القرن التاسع عشر بالرجوع إلى جذوره التاريخية، والتركيز على التغييرات التي بدأت تطرأ عليه منذ انفتاح المغرب تحت الضغط على العالم الخارجي وذلك بالاعتماد على النوعين من الوثائق، بمقارنتها تارة، وبتكميل أو نسخ بعضها ببعض تارة أخرى، للوصول إلى فهم منطقي ومنسجم للموضوع، كما لجأنا إلى الكتابات التاريخية المغربية والأجنبية، ولجمع معلومات عسكرية مشتتة في كتابات لا تتطرق للجيش إلا بصفة عابرة، ولمجلات صدرت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، تطرّقت للموضوع إما بصفة هامشية أو في دراسات تحليلية ذات أغراض استعمارية، ولصحف أوربية تناولت موضوع الجيش المغربي في إطار تعرّضها للسياسة الداخلية لحكوماتها، إما في إطار المعارضة أو في إطار التأييد.

وقد حاولنا جهد المستطاع وضع هذه الوثائق في إطارها الظرفي، وتجريدها من الأحكام المسبقة، حتى نتجنب السقوط في استنتاجات سهلة قد تكون خاطئة. وقد كانت هذه المهمّة، في أغلب الأحيان صعبة ومعقّدة، إذ كثيرا ماكنّا نجد

أنفسنا أمام وثائق متناقضة، بحكم اختلاف المقاييس التي كانت تتحكم في هذه الوثائق. فالوثائق الأجنبية تتحكّم فيها المقاييس الغربية للحضارة والتقدّم والقانون والحقوق والحريات مع كل التناقضات التي كانت تتخبّط فيها هذه المفاهيم، في إطار السياسة الاستعمارية التوسعية، التي أخضع لها الغرب العلاقات الدولية.

في حين كانت الوثائق المغربية تعكس نظرة بلد تفتّح فجأة تحت ضغوط خارجية وداخلية، على عالم خارجي، خضعت فيه العلاقات لمنطق القوة والحداثة، يجد نفسه يخوض رغما عنه معركة صعبة، أعزل من كلّ سلاح، إلّا من بنيات وسيطية، حاول أن يتشبّث بها كصمامة أمان، مع إعطائها مسحة من الحداثة، لمواجهة التحديات.

لهذا فكثير من هذه الوثائق، تعكس نظرة مبنية على هذه التناقضات، مما طرح باستمرار مشكل الموضوعية خصوصا عندما يتعلق الأمر بتقارير أجنبية تتطرق لمسائل مغربية، لما فيها من أحكام مسبقة، ولكنها قد لاتكون كلها خاطئة، ممالايسمح بتجاهلها تماما، أو بمراسلات رسمية لما فيها من ازدواج في اللغة، ممايحتّم مقابلتها، أو توضيحها أوتكميلتها بوثائق أخرى، قبل الاعتماد عليها في التحليل.
وفي بعض الأحيان، تفرض بعض الوثائق، خصوصا منها السرية، أو التي تتناول مسائل بسيطة مرتبطة بالسير العادي للأمور، استنتاجات مشروعة.

فحينما نجد مثلا مراسلة في شأن مدافع متجاوزة تقنيا وتجاريا، تبيعها فرنسا للمغرب لتصدها عن شراء مدافع "كروب" الألمانية فإننا نأخذ نظرة عن فعالية الأسلحة التي اقتناها المغرب ضمن سياسة "تقوية الجيش لمواجهة العدوّ الكافر"،وحينما نعثر على مراسلات بين البعثة العسكرية الفرنسية وبين وزارة الحربية الفرنسية تتكلم عن مواطن ضعف الجيش المغربي وعن حالة التحصينات، وتطور الحالة السياسية في البلاد وكيفية استغلالها لفائدة النفوذ الفرنسي فإنه من الجائز أن نفترض أنّ الدول الغربية التي تسارعت لإرسال هذه البعثات التي أحضرها المخزن لتدريب "العساكر الجهادية" لم تكن ترمي إلى إعانة المغرب على تحقيق هذه الغاية، وهذا يسمح لنا بالشك في مصداقية التقارير الأجنبية التي كانت تفسّر كل سلبيات السياسة العسكرية المغربية بتأخر النظام السياسي الداخلي وفساده.

ولكن، حينما نطلع على مراسلات مخزنية متعدّدة حول الإهمال والإتلاف الذى كان يعم عدة منشآت أسّست في إطار سياسة "التحديث" ممّا كان يوقف سير هذه المنشآت، وحول تفشّي "الغش" وارتفاع المصاريف ك"الخنطقرة والقمار" وتعسّفات الولاة، تتكوّن لنا فكرة عن المشاكل البنيوية التي كانت من بين أسباب عرقلة تحديث أجهزة الجيش.

كما أن إشارة أغلبية الفتاوي التي جاءت في إطار استشارة السلاطين للعلماء في موضوع اتخاذ جيش نظامي، إلى ضرورة العدل لنجاح الجيش في مهمته، تسمح بافتراض أن هذه الاستشارة، كانت فرصة للعلماء للتعبير عن مفهومهم للإصلاح الحقيقي الذي كان يطمح إليه من خلال "الإصلاح" العسكري، وأن عمليّة إعادة النظر في نظام الجيش، قد أثارت معها الانتباه إلى نقط ضعف أخرى في الجهاز المخزني.

واعتمادا على ما استطعنا جمعه واستنتاجه من معلومات في هذا البحث حول "الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر تحت الضغط الأجنبي" حاولنا قدر المستطاع تتبع تطور الجيش المغربي، وإعطاء نظرة متسلسلة عن هذا التطور في أربعة أقسام :

- رصد الرواسب التاريخية التي تراكمت في الجيش المغربي والتي أعطته طابعه في القرن التاسع عشر.

- تحليل الجهاز العسكري المغربي في أوائل القرن التاسع عشر بعناصره التقليدية ونظامه وسلاحه.

- إبراز المقاييس الجديدة التي أوجبت إعادة النظر في هذا الهيكل التقليدي و"الإصلاحات" والظروف الداخلية والخارجية التي واكبتها.

- إبراز نتائج هذه "الإصلاحات" سواء من الناحية التقنية أو من الناحية السياسية.

# القسم الأول:

# الإرث التاريخي

# الإرث التاريخي

## أولا - الجيش في النظام السياسي المغربي : أهميته وحدوده

### 1 - اندماج الجيش في التشكيلة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

من الصعب على الباحث في الجيش المغربي، أن يحدد إطار هذا الجيش سواء الإطار العضوي أو الوظيفي. فأين يبدأ الجيش وأين ينتهي، في بلاد كان كلّ سكّانها من الذكور يتدرّبون على حمل السلاح وركوب الخيل منذ الطفولة، وتختلط فيها مظاهر الحياة المدنية بمظاهر الحياة العسكرية سواء في اللباس، أو في الغناء حيث تمتزج تعابير الحب والحرب في العيطات وإزلان[1] أو في الرّقص حيث تمتزج ضربات السيوف وطلقات البنادق مع دقّات الدّفوف، وحركات الرقص مع حركات ميدان القتال[2].

كان الامتزاج وليد النظام السّياسي القبلي الذي يرتكز توازنه على تكافؤ القوى بين القبائل، مما يقتضي أن تكون كل قبيلة وحدة عسكرية على أتمّ الاستعداد لمواجهة أيّ هجوم أو اعتداء، وكلّ فرد في القبيلة جنديّا مكلّفا بالدّفاع عن قبيلته، فلم يكن هناك على العموم فئة تختصّ بالأعمال المدنية دون العسكرية، أو العكس كما كان عليه الأمر في بعض المجتمعات المبنية على تقسيم الوظائف[3].

كما أن المخزن لم تكن توكل له حماية الجميع، ولا كان له حقّ احتكار القوّة العسكرية. "فأمغار" القبيلة وقت السّلم، هو "أمغار تيريت"(شيخ الاستنفار) في

---

(1) V. Piquet, *Le peuple marocain berbère*, Librairie Emile Larose, Paris, 1925, p. 55.

(2) حول الرقص المغربي من أحيدوس وأهدرت وأرسال وأسكا وأحواش وأكوال.
G. Biarnay, « Notes sur les chants populaires du Rif », *A.B.*, T.I, pp. 101-109.

(3) كان عبد الله بن ياسين والمهدي بن تومرت على احتكارهما الشؤون الدينية يشاركان في جميع الحركات العسكرية وكانت وفاة عبد الله بن ياسين في إحدى هذه العمليات.

وقت الحرب، ونفس الفرد الذي يحمل الفأس والمعول، وينتقل للبحث عن الماء والمرعى في الحياة العادية، هو الذي يحمل السّيف والخنجر في وقت الحرب[4]، والطبقة الموسرة في القبيلة هي التي تشكّل الفرسان لامتلاكها الخيل، والفقيرة هي تشكل المشاة (الرّجلية).

كما أن القوّة العسكريّة للقبيلة كان لها ارتباط وثيق بمستواها الاقتصادي فكلّما اتّسع إشعاعها الاقتصادي ارتفعت قوّتها العسكريّة والعكس كذلك صحيح[5].

كما أن قسما من اقتصادها كان يرتكز على النشاط العسكري كصناعة الأسلحةوالتحكّم في نقط المرور حيث "لا يضمن سكّان المناطق الجبلية الوصول إلى موارد المناطق السّهلية إلّا بضربات البنادق"[6].

---

(4) لعل أحسن تعبير عن هذه الازدواجية هو ما جاء في رد لأهل زاوية الدلاء على رسالة لمحمد الشيخ السعدي الذي عيرهم بأنهم لم يكونوا من أهل الحرب إنما "حسرهم العياشي"، "فتقلدتم بلا حياء السيوف" وذلك على إثر زيارة قام بها وصيفه مبارك السوسي لبلادهم. فكان جوابهم "ولا شك أن حال مطالعته هي التي أرخصت لنا في سوق خواطركم الأسعار. فقد وجد قبائلنا متبددة على ضم حبوب الصيف وأعيانهم مغتدين على الخيول بدون رمح ولا مدفع ولا سيف فخالهم على غرة غنيمة باردة وما علم أنهم أغوال الغيل صادرة وواردة".
الرسالة وردت في الضعيف: **تاريخ الدولة السعدية**، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986، ص 41.

(5) وهذا ما يفسر لجوء المخزن في حركاته ضد القبائل "العاصية" إلى حرق الزرع والمداشر ونهب المطامير، ونزع الخيل حتى يضعف شوكتها العسكرية وهي نفس الوسائل التي كانت القبائل تستعملها في الحروب بينها حيث كان الغالب يقضي على كلّ وسائل الإنتاج.
Augustin Bernard, *Le Maroc*, Librairie Felix Alcan, Paris, 1915, p. 223.

(6) حول نشاط صناعة السّلاح، V. Piquet, *op.cit.*, p. 35.
حول الاعتماد على القوّة للتّحكّم في المواصلات :
Georges Hardy, *Le Maroc*, Laurens éditeur, Paris, 1930, p.32.

## 2 ـ الجيش كعنصر أساسي في نشأة الدّولة واستمراريتها وإشعاعها

فهذا الاندماج التام بين الحياة المدنية والعسكرية داخل النظام القبلي كان يجعل من كلّ القبائل في المغرب قاعدة الجيش ومستودعا للجنود والسّلاح ويجعل المشكل العسكري الأساسي للدّول التي تعاقبت على الحكم لا يكمن في صعوبة تكوين جيش وتدريبه عسكريا وتسليحه بقدر ما يكمن في كيفية استغلال هذه الطاقة العسكرية الجاهزة واستخدامها لتدعيم أسس الدولة وضبطها وتوحيدها أو تشتيتها حسب مصلحة السّاعة والاحتفاظ من بينها بقوّة عسكريّة دائمة وكافية لتدعيم سلطة مركزية في بلد يمتاز بهياكله القبليّة.

وبما أنّ كلّ الدّول في المغرب، قامت على حدّ السيف، إذ كان على كلّ دولة أن تستعمل القوّة للقضاء على الدّولة السّابقة، ثم لتفرض نفوذها على مختلف القبائل، فإنّ العنصر العسكري لعب دورا أساسيا في نشأتها واستمراريتها وإشعاعها ثمّ تدهورها، حتى يكاد منحنى تطوّر قوّتها العسكرية أن يعكس منحنى سيرورتها ومآلها.

فالحركات المعارضة التي أصبحت بصفة عامة ترتكز منذ اعتناق المغاربة الإسلام، على دعوة دينية، لم تتطوّر إلى حركات ناجحة تصل إلى الحكم إلا بعد نجاحها في تحويل بعض أتباعها الدّينيين أو القبليّين إلى نواة جيش تفرض بالقوّة العسكرية وجهة نظرها ا لدينية أو نفوذها القبلي وتجمع بها الزكوات والأعشار لتبني سلطة مركزيّة. وتتعدّد الأمثلة في تاريخ المغرب فإدريس الأوّل ظلّ بعد لجوءه للمغرب سنتين في طنجة مخفيا أمره مع أنّه من سلالة النبي، و لم يشرع في وضع اللبنات الأولى لدولته إلاّ بعد أن آوته قبيلة أوربة وعاضدته ومهّدت له مساندة قوّة القبائل الأخرى[7]، وصارت تؤدي له الزكاة والأعشار[8].

---

(7) أبو زرع القرطاس، **في أخبار ملوك المغرب وبناء مدينة فاس**، مخ.خ.ع.، رقم 31 : يقول "أوربة أعظم قبائل المغرب وأكثرها عددا وأشدها قوة" ثم يقول "ثم بعد ذلك أتت قبائل زناتة وأصناف قبائل المغرب من البربر والأعراب زواغة زواوة، غياثة، نفزاوة، عمارة ومكناسة... فقوت أموره وتمكن سلطانه". ص. 4 ـ 5.

(8) أحمد بن محمد التلمساني الفقري، **زهرة الأخبار في تعريف أنساب البيت المختار**، طبعة بدون تاريخ، ص. 30.

وعبد الله بن ياسّين الجزولي السّوسي الذي بقي عدة سنوات يدعو إلى مذهبه الديني الجديد لم يمر إلى الطور السياسي إلاّ بعد أن رحل إلى السودان واعتزل واجتمع حوله ألف رجل من أعيان صنهاجة اتخذهم جيشا بدأ يخضع به القبائل من كدالة ولمتونة ومسوفة الخ... ويرغمها به على دفع الضرائب[9] .

والمهدي بن تومرت[10] لم تبدأ دعوته الدينية ونهيه عن المنكر يشكل خطرا على المرابطين إلاّ حينما استقرّ في تنملل بجبل درن معقل قبائل مصمودة، حيث نظّم أتباعه تنظيما عسكريا. وحول هذه النواة التفت قبائل مصمودة إما عن طريق الإقناع الديني أوبدافع العصبيّة القبليّة أو الخضوع للقوة لتواجه اللمتونيّين[11] .

وإذا كانت الدّعوة الدّينية قد هيمنت على انطلاقة الأدارسة والمرابطين والموحدين وأخفت ملامحها العسكرية، فالطابع العسكري على العكس من هذا واضح بالنسبة للمرينيين أكبر القبائل الزناتية[12] الذين حاولوا إحداث دولة جديدة دون تقديم أيّ مشروع ديني، و لم يكونوا معروفين من قبل على المسرح السياسي المغربي إلا حينما دخلوا الجيوش الموحدية، فشاركوا في واقعة الأرك 591هـ -

---

(9) أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدارالبيضاء، 1954 : يذكر أن محمد بن ياسين حينما جاء بهَ يحيى بن إبراهيم الكدالي ليعلم أصول الدين لقبائل كدالة ولمتونه "جعل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فأطرحوه واستصعبوا علمه... فعزم للرحيل لبلاده السودان... فكثر الواردون عليهم فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن... حتى تمكن حبه في قلوبهم فلم تمر مدة يسيرة حتى احتمع به من التلامذة نحو ألف رجل... ثم نذبهم إلى جهاد من خالفهم.

(10) محمد بن عبد الله وتمورت بن وجليد بن باخضال بن حمزة بن عيسى لقب بالمهدي وكان يلقب في صغره بالأمغار ويردع بأصله إلى الحسين بن علي.

عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب للبناني، بيروت 1968، الجزء السادس، ص. 464.

(11) حول مسار دعوة المهدي : ابن خلدون، **س.ذ.**، ص. 464 - 472.

(12) حول أصل بني مرين وعصبيتهم القبلية :

ابن خلدون، **ن.م.س.**، ج. 7، ص. 127 - 130.

1195م [13] والعقاب 509هـ – 1212م وفي الحروب الداخلية بين أبناء المنصور، واكتسبوا تفوّقهم العسكري النهائي الذي قادهم للحكم حينما استنجد بهم السّلطان سعيد في حركته ضد يغمراسن في المغرب الأوسط فاستولوا على محلّته (محلّة السلطان سعيد) بعد انهزامه، وعزّزوا جيشهم القبلي بالسّلاح، وبفرقة الفرنج والأغزاز "الغزّ" (الأتراك) التي انضمّت إليهم ممّا سهّل على أبي بكر المريني أن يستولي على مكناس وحصون ملوية ثم فاس وتازة، الخ...[14].

وهذا الأمر صحيح أيضا بالنّسبة لأبناء عمومتهم الوطّاسيين الذين استعملوا قوّتهم العسكرية التي اكتسبوها داخل الحكم والجيش المريني للوصول إلى السّلطة.

والشريف محمّد الذي كان من أهل "العلم والدين والخمول"، ولم يكن من بين ذوي الرّياسة[15] لم يظهر دوره السّياسي إلا حينما شرع هو وابنه أحمد بأمر من السّلطان الوطّاسي أبي عبد الله البرتغالي في تأسيس جيش للجهاد، وفي جمع الزّكوات والأعشار من القبائل السّوسية للنّفقة عليه، وكانت هذه بداية مسيرة السّعديين نحو الحكم[16].

وما قيل عن السّعديين يمكن تطبيقه إلى حدّ ما، على الشرفاء العلويين : فبالرّغم من أنّهم كانوا يتمتّعون بنفوذ ديني في سجلماسة وتافلالت وتعدّت سمعتهم حدود المغرب إلى أهل الأندلس الذين عرضوا عليهم الإمارة، مقابل رفع

---

(13) في هذه الواقعة قتل محيو بن أبي بكر بن حمامة المريني، انظر : علي بن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، أو الذخيرة السنية في تاريخ الدولة العبداحقية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص. 23.

(14) **ن.م.س.**، ص. 72.

(15) أحمد بن خالد الناصري، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 8 ـ 9.

(16) لم يكن السلاطين السعديون يقبلون هذه التسمية ولم يكونوا يوقعون ظهائرهم بها ولا توجد هذه التسمية لا في سجلاتهم ولا في رسائلهم وكان لا يسميهم بالسعديين إلا من يقدح في نسبهم وشرفهم إذ ينسبهم لبني سعد بن بكر.

راية الجهاد[17] ، فإنه لم يكن في وسعهم الوصول للحكم قبل تدعيم هذه السمعة و"البركة"، بجيش يفرضون به الضرائب على القبائل الأخرى، ويخضعونها لنفوذهم، كمرحلة أولى لنشر سلطتهم على باقي البلاد، كغيرهم من رؤساء الحركات الأخرى التي تصارعت لاحتلال السّاحة السياسية بعد ضعف الدولة السعدية، وتشتّت قوّتها العسكرية، فقد كان الصّراع بين أهل الدّلاء[18] ،

---

(17) من مظاهر تقديس أهل سجلماسة لمولاي الحسن الداخل جد العلويين أنه لما توفي في سجلماسة تنازع السكان حول محل دفنه حتى "كادوا يتقاتلون ثم اتفقوا على أن يدفنوه بمحل وسط، فمسحوا أرض سجلماسة بالحبال وقسموها أرباعا ودفنوه بمكان سوي يتوسط جميع النواحي"، الناصري، **س.ذ.**، ج. 7، ص. 6 ـ 7.

حول نسب العلويين : **الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية**، خ.ع.ر.، 1463، ص. 29.

الناصري، **س.ذ.**، ج 7، ص. 9.

(18) أهل الدلاء : من برابرة مجاط من صنهاجة منشأ الزاوية هو أبو بكر بن محمد المعروف بحمى بن سعيد بن أحمد المجاطي استقرت الزاوية في عهده في ناحية خنيفرة سنة 1566 اشتهر بالعلم والصلاح وكذلك ولده محمد الذي توفي سنة 1046 هـ/1637م واشتهر أمر زاوية الدلاء في عهد ابنه أبي عبد الله محمد الملقب بالحاج الذي استغل النفوذ الروحي لزاويته والامتيازات الاقتصادية التي اكتسبها في عهد السعديين فعارض السلطان السعدي الشيخ بن زيدان وانتصر عليه في وقعة أبي عقبة في وادي العبيد سنة 1048هـ/1638م، وفي سنة 1641م، تغلّب على العياشي واستولى على مكناس وفاس والغرب ثم سلا في 1651م، ولم يقض على نفوذهم إلا مولاي رشيد ثم مولاي إسماعيل الذي قضى على معالم زاويتهم.

كانت طريقتهم الشاذلية، ودرس في زاويتهم علماء مشهورون من بينهم أبو العباس بن يوسف الفاسي والإمام محمد بن عاشر وأبو عبد الله محمد ميارة، والشيخ اليوسي.

الناصري، **س.ذ.**، ج. 6، ص. 96 ـ 102.

وكذلك: عبد الودود بن عمر التازي الأندلسي، **نزهة الأخبار في مناقب الدلاء** من مخ. **مناهل الصفا**، خ.ع.ر.، رقم 2581، د.، ص. 2 ـ 33.

والعياشي[19] ، وأبي حسون[20] ، وأبي محلى[21] ، والمورسكيين[22] ، حول الطرق التجارية والمنافذ البحرية لتوفير المال والسّلاح واكتساب دعم القبائل، أي كلّ ما هو ضروري لتكوين جيش يضمن التفوق على الأطراف الأخرى.

---

(19) أبو عبد الله محمد بن أحمد المالكي الزياني المعروف بالمجاهد العياشي من بني مالك بن زغبة الهلاليين من العرب، كان يسكن سلا انتقل إلى أزمور سنة 1013هـ/1615م وقاد الجهاد ضد الإسبان واشتهر في حصاره للجديدة ولاه السلطان زيدان عاملا على أزمور. ولما ذاع صيته، خاف السلطان من نفوذه، فأمر بالقبض عليه وقتله. ولكن القائد محمد السنوسي الذي كلف بالمهمة أخبره ونصحه بالفرار فعاذ إلى سلا، واستقر بها. ومن هنا انطلق لمحاربة الإسبان، مستعينا بأهل الأندلس الذين طردهم فليب الثالث، واستقروا في مصب أبي رقراق فيما كان يسمى بسلا الجديدة وقد استطاع بفضل قيادته للجهاد أن يبسط نفوذه على سلا والغرب وسايس وفاس ما عدا فاس الجديد. ولكن الصراع بينه وبين أهل الأندلس الذين اتهمهم بموالاتهم للمسيحيين، وقاتلهم إلى أن فر العديد منهم إلى وهران، وتونس، وأوربا، وبينه وبين زاوية الدلاء، وبينه وبين عرب الغرب، كان في بعض الأحيان يقوده إلى مهادنة العدو للتفرغ للخصم الداخلي. وانتهى الأمر باغتيال العياشي من طرف الخلط أثناء رجوعه من حصار طنجة سنة 1641م.

الناصري، **س.ذ.**، ج. 6، ص. 24 - 25 وص. 73 - 77 وص. 84 - 89 - 95 وكذلك :
*Histoire du Maroc, op. cit.*, pp. 222 - 223.

(20) أبو حسون: أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العباس أحمد بن موسى السملالي المعروف بأبي دميعة من الذين اغتنموا ضعف الدولة السعدية للدعوة لأنفسهم. ظهر في سوس وانظمت إليه قبائل جزولة وأغلبية القبائل السوسية واستولى على تارودانت ونواحيها ودرعة وسجلماسة ونواحيها وصارت زاوية إليغ مملكة حقيقية منذ 1626م لتحكمه في طريق الذهب والملح وقد استبدت بالمنطقة وأخضعت أهل سجلماسة لكل أنواع الغرامات حتى أنها كانت تفرض الخراج على "من يجدونه في الشّمس زمن الشّتاء وفي الظّل زمن الصيف". وقد قامت بينه وبين زاوية الدّلاء ومولاي الشّريف أحلاف وحروب سجن فيها أبو حسون مولاي الشريف سنة 1046هـ 1638م ثم ثار أهل سجلماسة على أبي حسون وبايعوا مولاي محمد 1050هـ/1638م.

الناصري، ن.م.س.، ج. 6، ص. 60، وكذلك :

*L'histoire du Maroc, op. cit.*, p. 227.

(21) أبو محلى : أحمد بن عبد الله ولد سنة 967هـ 1560م، كانت عائلته تعرف في سجلماسة بأولاد ابن اليسع أهل زاوية القاضي كان يدعى الانتساب للعباس عبد المطلب درس الفقه في فاس، اغتنم ضعف السعديين وسقوط مشروعيتهم بعد تسليم المامون سبتة للمسيحيين لتقوية نفوذه مدعيا المهدوية والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انتصر على جيوش زيدان في سجلماسة وعلى جيوش أخيه عبد الله بن المنصور في درعة واحتل مراكش سنة 611م حيث اتخذ مظل الملك وضرب السكة باسمه "ودبت في رأسه نشوة الملك" استعان عليه زيدان بالفقيه أبي زكريا الحاحي الذي هزمه وقتله في جبل جليز بالقرب من مراكش سنة 1614م قال عنه الشييخ أبو العباس أحمد المريني المراكشي : "قام طيشا ومات كبشا"، ترك مؤلفات متعددة "الوضاح" و"القسطاس" و"الأصليت" و"الهودج" و"منجنيق الصخور في الرّد على أهل الفجور".

الناصري، س.ذ.، ج. 6، ص. 26 - 34.

(22) من الإسبانية موريسكوس منذ 1478هـ بعد زواج فردناندوإزابيل الكاثوليكية، ووحدة أركونة وقشتالة تأكدت سياسة التطهير العرقي ضد يهود ومسلمي الأندلس الذين أرغموا على إنكار دينهم وكل مظاهر حضارتهم من لغة ولباس إلخ. وكلف الملكان الكاردينال Cisneros بالإشراف على هذه المهمّة. وتسببت هذه السياسة العنيفة، ومحاكم التفتيش، في ثورات متعددة وحركات قمع، بلغت أوجها في عهد جان الحمقاء. وبعد ثورة المورسكيين سنة 1569م جمع كل المورسكيين في شمال ووسط إسبانيا في منطقة إسطامدور وغاليسيا، وقشتالة القديمة، إلى أن أخرجهم فيليب الثالث بين 1609م و1612م.بإصدار عدّة قرارات. ففي1609م طرد مسلمو ويهود قشتال، والإسترمادور. وفي 1610م سكان الأندلس وأركونة، وفي 1611م سكان كاتالونيا، وفي 1614م سكان مورسيا. وذهب اليهود على الخصوص إلى المنطقة الأوروبية من تركيا بينما توجّه المسلمون نحو شمال إفريقيا. واستقر النازحون منهم للمغرب في تطوان، والعرائش وعلى ضفتي أبي قراق. وكان من بين من استقر هناك الهرنلشيروس "نسبة إلى هورناتشو مدينة في الإستمادور" وكانوا محاربين اشتروا من فيليب الثالث حق حمل السلاح وحملوا معهم للمغرب رؤوس أموال مهمة، واستقروا في القصبة التي بناها يعقوب المنصور والتحق بهم عدد من أهل الأندلس السفلى. وأسّسوا على ضفتي أبي رقراق ماسمي

وهذا ما حقّقه المولى الرشيد بتوجهه نحو الشّمال الشّرقي بفضل دعم الشيخ اللّواتي وبفضل المال الذي استولى عليه مـن دار ابـن مشـعل سـنة 1664م[23] حيـث أمكنه جمع جيش وتسليحه[24] ممّا سمح لـه بـالتغلّب علـى أخيـه في نفـس السـنة، ومحاربة القوات السياسية والدينية الأخرى ثم إخضاع فاس سنة 1666م وكانت قـد أغلقت أبوابها أمامه سنة 1660م.

---

بسلا الجديدة التي أعطوها طابعا أوربيا، وقد لقـي المورسـكيون ترحيبـا مـن العياشـي والملـك السعدي مولاي زيدان اللذين كانا يتنازعان النفوذ في هذه المنطقـة. فـالأوّل كـان يـرى فيهـم قوات عسكرية للجهاد، والثاني كان يـأمل اسـتغلال درايتهـم باسـتعمال الأسـلحة النّاريـة في جيشه، واقتطاع قسط من مداخيل القرصنة، لأن الهورناشروس تعاطوا منـذ وصولهـم للنشـاط البحري، مدفوعين بإرادة الانتقام من المسيحيين الذين اضطهدوهم. واعتمــدوا علـى العلـوج، والقراصنة من كل الجنسيات. وأخذت حركة القرصنة حجمـا كبـيرا خصوصـا بعـد احتـلال الإسبان للمعمورة سنة 1614م. وصار نشاطهم يصل إلى عرض إسـلاندا والكـاندا. وكـانت السفن المستعملة تصنع إما في سلا، أو تكترى بقراصنتها. وبعد فترة من الانسجام مع المخـزن السعدي ثـار المورسـكيون علـى مـولاي زيـدان حينمـا أراد اسـتعمالهم في حربـه ضـد أبـي حسون، واستقلوا بسلا الجديـدة سـنة 1614م. وبقيـت "الجمهوريـة" المورسـكية تعيـش حيـاة مضطربة بسبب النّزاعات الداخلية بين الهرناشيروس والأندلسيين، والنّزاعات مع مختلف القوّات الجهويّة وخصوصا مع العياشي الذي استطاع أن يحصل على فتوى من العلماء بتكفيرهم. وأن يستولي على سلا الجديدة. وبعد مقتله سنة 1641م مرّت تحت سيطرة الدلائيين.

Henri Terrasse, *Histoire du Maroc,* E. Atlantide, Casablanca, 1950, pp. 217 - 223.

(23) حول مـولاي رشـيد وابـن مشـعل الزيـاني أبـو قاسـم : **البسـتان الظريـف في دولـة مـولاي الشريف**، م. خ. ع.، د.، 1577م، ص. 22 ـ 23.

J. Caillé, *La petite historie du Maroc,* 1ère série, Casablanca, 1950, pp. 177-179.
P.Cenital, *La légende du Juif Ibn Méchal et la fêtre du Sultan des talbas* à Fés, in *H.T.*, 1925.

(24) يذكر رولان فريجوس الذي أسس في 1663م شركة تجاريـة تقـوم بنشـاط في البحـر الأبيـض المتوسط، أن مولاي رشيد طلب منه أن يأتيه بالسلاح دون أن ينظر في ثمنه بعد استيلاءه علـى دار ابن مشعل.

J. Caillé, *op. cit,* p. 183.

وكما أنّ الجيش يلعب دورا مهما في تأسيس الدولة، فهو يلعب كذلك دورا مهما في الحياة العامّة بعد تمكّن الدولة، حيث تصعب التفرقة بين الشؤون الإدارية والعسكرية، فالرؤساء العسكريون اللمتونيون في جيش المرابطين مثلا، كانوا في نفس الوقت الرؤساء الإداريين للبلاد: فيوسف بنَ تاشفين 452-497هـ/1060م - 1106م قسّم المغرب إلى أربع مناطق، أعطى قيادتها لقوّاد لمتونة : مكناسة وبلاد مللاتة وفازاز وأعطى قيادتها لسيرين أبي بكر اللمتوني، ثم فاس وأحوازها تحت رئاسة عمر بن سليمان سجلماسة ودرعة تحت رئاسة داوود بن عائشة ومدينة مراكش وأغمات وبلاد السوس والمصامدة تامسنا تادلا تحت رئاسة ابنه تميم بن يوسف والمغرب الأوسط تحت رئاسة محمد بن تنخمر المسوفي[25] .

اتبع يوسف في الأندلس سياسة مماثلة، وعلى ذلك سار بعده الموحدون، ففي رسالة كتبها يوسف بن تاشفين إلى سيرين أبي بكر اللمتوني الذي تركه في عدد من الجيوش المرابطية في المنطقة المفتوحة من الأندلس : يقول : "كل بلد أخذته فولّ عليه أميرا من عسكرك"[26] .

تلعب النواة الأولى للجيش دور الحارس للدولة، فهي ا لتي تكوّن الحاميات المرابطة في المناطق الاستراتيجية للبلاد عند قدم الجبال، وضدّ التحرّكات القبلية، وفي المدن، وفي الثغور ضد التحركات الأجنبية. كما أنها كانت طرفا من السلطة المركزية : فرؤساء القبائل الذين كانوا في نفس الوقت أمراء الجيش وقواده كانوا يشكّلون حاشية السّلطان وأهل المشورة ويعتبرون طرفا من المخزن ويشاركون في البيعة.

## 3 ـ حدود دور الجيش في الحياة السياسية

وإذا كانت النواة العسكرية قد لعبت دورا أساسيا في تأسيس الدّول واستمراريتها، فهي لعبت دورا سلبيا في وقت ضعف السلطة المركزية. ففي كل الفترات التي تأرجح فيها النفوذ بين قوتين أو شخصين أو حدث فيها فراغ سياسي

---

(25) الناصري، س.ذ.، ج. 2، ص. 50.

(26) ن.م.س.، ص. 51.

وحاول الجيش أن يحتلّ الصدارة على مسرح الأحداث السياسية، فإنّ دوره يتحول إلى تغذية النزاعات والمنافسات القائمة على الحكم، والمساهمة في الفوضى التي تعمّ البلاد في هذه الأثناء[27].

وقد نجد بعض القوّاد العسكريين الذين استطاعوا في بعض فترات الفراغ السياسي، أن يخضعوا بعض المناطق لحكمهم كبعض المدن التي كانت محلا لحامياتهم وأن يعطوها نوعا من الاستقرار النسبي كما وقع في فاس مثلا في أواخر عهد المرينيين[28] وكما جرى في مراكش في أواخر عهد السعديين حيث استقلّ بها كرّوم الحاج[29]. ولكن نفوذ هؤلاء القوّاد العسكريين بقي محدودا بوضوح في الفترات التي اكتسب فيها الجيش نفوذا وقوة، إذا ضعفت فيها شخصية السلاطين وضعف نفوذ الأطراف السياسية الأخرى، من قوات حضرية وقبليّة، ومع ذلك لم يستطع قوّاد الجيش ممارسة الحكم مباشرة، بل ظلوا يبحثون عن "الواجهة الشرعية" التي هي الأسرة الحاكمة، ليحكموا باسمها مستغلين في ذلك انعدام الوضوح في كيفية انتقال الحكم داخل الأسرة، هل عن طريق الوراثة، أو الوصاية، هل ينتقل عموديا أم أفقيا، هل هو لأكبر الابناء أم لأكفئهم وما هي ا لكفاءة وما هي مسقطات البيعة الخ... فكانوا يختارون أضعف الأفراد المتنازعين ليفرضوه بالقوة وليبدّلوه فيما بعد، إن اقتضت الضرورة بمن هو أضعف تاركين للعلماء مهمّة إيجاد المبّررات الشرعية للبيعة ولسقوطها.

وقد ظهرت حاجة الجيش مهما بلغت قوّته إلى الواجهة الشرعية مهما ضعفت، في كلّ المراحل الانتقالية، ويمكن لمسها بوضوح في فترد انهيار الدولة المرينية، من خلال اختيار الجيش للأفراد الصغار السن أو المعتوهين، وكذلك بعد وفاة مولاي إسماعيل، من خلال حركة الذهاب والإياب لمختلف فئات الجيش،

---

(27) انظر الوصف الذي جاء به الفشتالي للفوضى العسكرية في أواخر عهد الموحّدين. ميكرو فيلم، خ.ع.ر.، رقم 977، عدد الأوراق 250، ص. 6.

(28) انظر الهامش 62.

(29) حول كروم الحاج، 1659م - 1668م :

E. Michaux-Bellaire , V.T.D.M., T. III, pp. 326-328.

بين سجلماسة وفاس ومراكش ومكناس للبحث عن الشريف الملائم لمصلحتها من بين أبناء السلطان الرّاحل.

وقد يجد هذا تفسيره في الحياة السياسية العسكرية المغربية التي كانت صراعا مستمرّا بين القوّات الجهوية والسّلطة المركزية[30] التي كان الجيش مرتبطا بها ارتباطا عضويا، ولا يستمدّ مشروعيته داخل المجتمع إلا من مشروعيتها، مما كان يجعل كل تحوّل في الحكم، يعني وصول قوة جهوية جديدة بقوّات عسكرية جديدة.

## 4 ـ النواة العسكرية كمبلور للقوّات الجهوية

وإذا كانت النواة العسكرية المركزية تلعب دورا في قيام الدولة وفي عهد السلم ودورا سلبيا في عهد ضعفها فهي لم تكن تشكّل في وقت الحرب إلا العنصر المحرّك، إذ مهما بلغت أهميتها من ناحية العدد ومن ناحية القيمة التقنية فإن الدّولة لم تكن تعتمد عليها لوحدها سواء كانت الحرب داخليّة ضدّ القبائل أو خارجية ضدّ الأجنبي كالجهاد في الأندلس أو ضدّ الغزوالمسيحي حينما انتقل مسرح المعارك من إسبانيا إلى المغرب. ففي هذه الحالات كانت تدخل عناصر عسكريّة خارجة عن نطاق النواة المركزية.

### أ ـ العمليّات الداخلية

كانت القوات القبليّة تلعب دورا أساسيا في العمليات العسكرية الداخلية حيث يتكون الجيش من الجيش المخزني وتلتف حوله القبائل التي ترتبط به إمّا عن طريق العصبيّة القبليّة أو التي تخضع للسّلطة المركزية والتي من بين عناصر الطاعة المطالبة بها تجنيد قسم من رجالها لمساندة هذه السّلطة. وهذه القبائل التي أطلق عليها قبائل النايبة[31] تمتد جغرافيا حسب الامتداد السياسي للدولة فحينما يمتد نفوذ الدولة إلى أطراف البلاد تصبح كل القبائل مهما بلغ بعدها الجغرافي على

(30) يوضّح العروي هذا الصراع الذي بقي قارا منذ القرن XIII بين الدولة والمجتمع في :
*L'histoire du Maghreb*, petite collection Maspero, Paris, 1975, T.II, p. 32.

(31) ظلّت القبائل تعتبر تصنيفها بين قبائل النايبة نقصا من عزّها : انظر رسالة **أهل الدلاء السابقة**، الضعيف، **س.ذ.**، ج. 2، ص. 41.

السلطة المركزية ــ عناصر عسكرية احتياطية تستعملها الدولة بعضها ضدّ الآخر وتعّين من بينها من هي في حاجة إليه حسب أهميّة القبيلة أو القبائل المتمرّدة التي تريد إخضاعها أو تأديبها وحسب موقعها الجغرافي، وهذا التعيين يلزم القبيلة على الحركة مع المخزن وإلا عدّت من القبائل الخارجة من الطّاعة والتي يجب تأديبها.

### ب ـ الجهاد

وفي الحروب ضدّ الأجنبي كانت كل القوى العسكرية القبليّة مستنفرة وتشكّل جيش المجاهدين حيث ينضوي أفراد كل قبيلة تحت قيادة رئيسها وتحت رايتها ويلتفّون حول تكرّارات" إسم محلّة السلطان،" ويمكن أخد فكرة عن درجة مشاركة كل القوات الحية في البلاد في هذا النوع من الحروب إذا عرفنا الأعداد الهائلة التي كانت تجتمع للعبور إلى الأندلس كلّما نودي للجهاد. فمثلا الجيوش التي جمعها طارق بن زياد للعبور للأندلس سنة 92هـ/711م بلغت إثني عشرألف مقاتل والتي اجتمعت ليوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة سنة 479هـ/1086م بلغت عددا وصف بأنه غصّت به الجزيرة(32) والجيوش التي اجتمعت ليعقوب المنصور 580هـ ـ 595هـ / 1184م ـ 1199م في موقعة الأرك شعبان 591هـ/18 يوليوز 1195م ثلاثين ألف فارس وثمانين ألف راجل(33) . والتي اجتمعت في وقعة وادي المخازن 986هـ / 4 غشت 1578م كانت تساوي أربعين ألف. وهذه الأعداد الهائلة لم يكن في استطاعة أي قائد أو سلطان مهما بلغت سلطته المركزية وقوّته العسكرية أن يجمعها باسم هدف آخر غير الجهاد. لأنه إذا كانت الأحكام الإسلامية غير مجمع عليها في حقّ الإمام في تكوين جيش دائم وفي فرض ضرائب خارجة عن الزكوات والأعشار، فإنها بعكس ذلك واضحة في حكم الجهاد والمجاهدين والمتخلّفين عن الجهاد.

---

(32) حول عدد جيوش طارق بن زياد : أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها ابن الخطيب**، طبعة الجزائر، 1862م، ج. 1، ص. 216.

(33) عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، طبعة سعيد العريان، القاهرة، 1956م، ص. 132ـ 135.

فالجهاد عند الأئمّة الأربعة فرض كفاية في كلّ وقت وحين، ويصير فرض عين إذا كانت دار الإسلام في خطر. ويرتكز الأئمّة على الآيات الصريحة المتعدّدة الموجودة في سور مختلفة كسورتي الأنفال والتوبة. كما تتعدّد الأحاديث النبوية في هذا الباب. وبما أن الجهاد يكون "بالنفس والمال" فالسّلاطين لم يكونوا يجدون صعوبة في جمع الجيوش وما يحتاجون للنفقة عليها، حينما ينادون للجهاد ضد "العدوّ الكافر"، في حين ترتفع مقاومة السّكان حينما يتعلّق الأمر بفرض المكوس للنفقة على الجيش في الأوقات العادية، ممّا يفسّر اللجوء المستمرّ إلى لقب المجاهد وإلى استفتاء العلماء كلّما احتاجوا إلى الرّفع من مداخيل الضرائب، وربطها بالحاجة للجيش لحماية دار الإسلام . كما أن "الجهاد كان في بعض الاحيان مبرّرا لتدخّلات عسكرية ذات أهداف اقتصادية وسياسية محضة كفرض المنصور الضّريبة على مناجم الملح الصّحراوية ،ثمّ غزوه للسّودان(34).

وباسم التفرّغ للجهاد يحق للقائد القضاء على المقاومة الداخلية وعلى منافسيه، فالمنصور السعدي مثلا في رسالة إلى الإمامين أبي عبد الله محمد زين العابدين البكري وأبي عبد الله محمّد بن بدر الدين القرافي برّر قتل ابن أخيه الناصر الذي ثار ضدّه بحاجته إلى القضاء على "الفتنة" للتفرّغ للجهاد(35).

(34) انظر رسالة المنصور السعدي إلى كبير كاغو حينما فرض ضريبة الملح "وقصدنا بما يحصل من ذلك ظرفه إن شاء الله في سبيل الغزو والجهاد... وهي جنود الله التي لولاها ما حجزت بينكم وبين طواغيت... ولفاض عليكم طوفانه السائل". الرّسالة جاء بها الفشتالي، **مناهل الصفا**، طبع تطوان، ص. 57.

(35) انظر رسالة المنصور إلى الإمام محمد زين العابدين البكري، ومحمد بدر الدين القرافي، ومن بين ما يقوله : "إنّ عدو الدّين طاغية قشتالة، الذي هو اليوم العدو الأكبر للإسلام، وعميد ملل التثليت وعبدة الأصنام لما أنس من تلقاء جنابنا نار العزم تلتهب التهابا، وبحر الاحتفال تضطرب أمواجه الزاخرة بكلّ عدّة اضطرابا، وهممنا قد همت بتجديد الأسطول، والاستكثار من المراكب المتكلفة للجهاد إن شاء الله بقضاء كل دين ممطول، وعلم أن الحديث إليه يساق، وإلى أرضه بالخسف والتّدمير بحول الله يهفو كل لواء خفّاق، رام خدله الله مكافاتنا أن يفتّ من عضدنا الأقوى، وعزمنا الذي بعناية الله يزداد ويقوى، فرمى بمخذول من أبناء أخينا عبد الله كان ربي لديه".. إلى أن يقول بعد أن يذكر قتل ابنه المامون.

وقد حاولت أطراف القوّات السّياسية المتصارعة على الحكم وقت ضعف السّلطة المركزيّة أن تجعل من الجهاد مبلورا يعطيها المشروعية وتقوي به جيشها على الحركات الأخرى، وهذا كان في كثير من الأحيان يضعف حركة الجهاد بل ويعرقلها، لأن كلاّ من الأطراف، كانت تسعى للإحراز على انتصار ضد "الأجنبي الكافر" وتحرير "دار الإسلام" ومنع الطّرف الآخر من تحقيق هذا الانتصار مما يفسّر عدد المعارك التي قامت في فترة المدّ البرتغالي على السّواحل المغربيّة في القرن 14 بين الوطاسيين تارة وبينهم وبين السّعديين تارة أخرى وبين أبي العبّاس أحمد الأعرج وأخيه محمد الشّيخ كلّما أوشك أحد الأطراف أن يحرّر ثغرا من الثغور لأن معنى الإحراز على انتصار ضدّ الأجنبي كان يعني اكتساب المشروعية والوصول للحكم.

ويظهر هذا بوضوح كذلك في أواخر عهد الدّولة السّعدية حين نشطت حركة الجهاد حيث أصبحت حروب "المجاهدين" تدور بينهم في معظم الحالات وكثيرا ما كانوا يعطون هدنة للكفار حتى يسوّوا خلافاتهم الداخلية[36] وفي عهد العلويين ظل البحث عن المشروعية من وراء الجهاد يدفع عددا من أبناء مولاي إسماعيل المتصارعين على الحكم إلى حصار مليلية وسبتة.

ولكن، إذا كان الجهاد يكسب قائده مشروعية الحكم وحق تكوين الجيش وفرض الضرائب وحق القضاء على منافسيه، فتركه يسقط هذه المشروعية. ورسالة أهل فاس للسلطان السعدي أبي عبد الله محمد بن عبد الله الملقب بالمسلوخ الذي خلعوا بيعته لانهزامه في عدة حروب ضدّ منافسيه ولاستنجاده بالبرتغال مثل لذلك فقد جاء فيها :

---

لابن أخيه "وقد تمّ إليكم التعريف لتمدونا إن شاء الله بأدعيتكم الصالحة، أن يؤيدنا الله على عدو الدّين بفضله، ويسهّل علينا بفضله فتح الأندلس".

الناصري، س.ذ.، ج. 5، ص. 148 ـ 149.

(36) في سنة 1524م، عقد السّعديون هدنة مع البرتغال ليديروا وجههم لملوك فاس وفي 1538م، وقّعوا صلحا مع يوحنا الثالث Jean لنفس الغاية.

R. Ricard, *L'occupation portuguaise d'Agadir*, 1505 - 1541, in *H. T.*, 1946, p. 98.

"كنت سلطانا بما عهد لك والدك من البيعة وترك لك من الأموال والعدد والحصون مما لم يتهيأ لمثله لأحد من أسلافكم الكرام، رضوان الله عليهم فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك في سبيل الله حق جهاد حتى استخلصوا من أيدي الكفار فيا لله ويالرسول لهذه المصيبة التي أحدثها وعلى المسلمين فتحتها[...] ولما أفتى العلماء رضوان الله عليهم بردة من استنصر بالنصارى من المسلمين فهو نصّ جلي في وجوب خلعك وسقوط بيعتك فلم يبق لك إلا متنازعا للحق سبحانه في حكمه"[37].

ثم إنّ الجيوش التي تجمع باسم الجهاد ما تلبث أن تنفضّ من حول صاحبها حينما يظهر فتوره في الجهاد أو فشله، كما وقع لدولة السعديين ولعدد من المجاهدين الذين اقتسموا البلاد بعدها.

كان الجهاد يعطي للقبائل حقّ إعطاء المشروعية وحقّ نزعها كما أنه يعيد لها قوتها وشوكتها العسكرية ويكون في كثير من الأحيان مصدرا للاغتناء، فلها الحقّ الشرعي في أربع اخماس الغنائم، بل إن بعض السلاطين كانوا في بعض الغزوات يتنازلون للمشاركين في الجهاد على كلّ الغنائم، وقع ذلك في الأرك وفي المعركة التي انتصر فيها عبد الحق المريني على الموحّدين في رباط تازة [38] ووادي المخازن وفي تحرير المهدية على يد مولاي إسماعيل.

فتشبّث المغاربة بالجهاد إذا كان قد أنقذ المغرب من المآل الذي سقطت فيه بلدان إسلامية بعيدة ومجاورة عاشت نفس الظروف التي عاشها المغرب حينما تقوت أوربا المسيحية. فهو كذلك كان يعطي نفسا جديدا للقبائل لتتخلّص به من حين لآخر من استبداد السلطة المركزية القائمةوتجديد القوات السياسية والعسكرية في البلاد.

## ثانيا ـ تطوّر الجيش داخل معادلة القوّة والخضوع

كان النظام العسكري المزدوج يضمن الحفاظ على توازن سياسي بين الجيش المخزني والقبائل، ويقلّل من فرص استبداد كليهما، كما كان يقلّص حجم

(37) الرّسالة جاء بها الناصري، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 70 ـ 78.

(38) علي بن أبي زرع، **الذخيرة**، **س.ذ.**، ص. 32.

النفقات القارّة اللآزمة لجيش نظامي كبير العدد قادر في نفس الوقت على مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، ويجعل القبائل تتحمّل جزئا من النفقات العسكرية.

وإذا تتّبعنا السياسة العسكرية لمختلف الدّول التي تعاقبت على حكم المغرب سواء منها ذات الأصل الديني كالأدارسة، أو ذات الأصل القبلي المرتكز على دعوة دينية كالمرابطين والموحّدين أو ذات الطابع القبلي كالمرينيين أو العسكري كالوطّاسيين، أو ذات الأصل الشريف الذي لم يرتكز على قاعدة قبلية مهمّة كالسّعديين والعلويّين وجدنا أنها تخضع لمعادلة واحدة هي تقوية النواة العسكرية المخزنية لتصبح فعّالة أمام قوّات القبائل مع الحرص على أن تبقى هذه النواة خاضعة للسّلطة السّياسية وجعل وجودها مرهونا بوجودها. وهذا ما يفسّر التغييرات المستمرّة التي تعرّض لها الجيش المخزني سواء فيما يخصّ الأصل العرقي والاجتماعي للعناصر المكونة له أو فيما يخصّ عدده ونفوذه.

## 1 ـ تطوّر التركيبة العرقية والاجتماعية للجيش

حرصت كل الدول المغربية على أن تتخد جيشا يرتبط بها بروابط متينة تضمن إخلاصه وطاعته، وهكذا نجد أن التركيبة العرقية والاجتماعية تتغيّر حسب نوع الدولة ومراحل تطوّرها.

### أ ـ من العصبيّة القبليّة كأساس الجيش إلى الارتزاق

إنّ نظريّة "فعالية القوة العسكرية النظامية المتولّدة عن قوّة شعبيّة في المعارك الثّورية" التي ارتكزت على أمثلة متعدّدة في الحروب القديمة والحديثة[39] تجد تأكيدا لها في نشأة الدولة في المغرب. فبتنظيم قبيلة أو مجموعة من القبائل المعارضة في شكل نواة عسكرية استطاع رؤساء سياسيّون دينيّون، كما تقدّم، أن يتغلّبوا على الدّول القائمة وأن يمهّدوا طريقهم للحكم، وهذه النواة العسكرية الأولى كثيرا ما تكون مرتبطة بمؤسّسها ارتباطا عضويا، فالنواة الأولى مثلا لجيش المرابطين كانت من قبائل مصمودة التي ينتمي إلى إحداها عبد الله بن ياسين وأبو بكر اللمتوني،

(39) هذه النظرية من النظريات العسكرية التي حلّلها :

F. Foch, *Principes de la guerre*, Paris, 1930.

ونواة جيش الموحدين كانت من قبائل مصمودة ا لتي ينتمي إليها ابن تومرت ونواة جيش المرينيين من إحدى القبائل الزناتية وهم بنو مرين، وحينما تنعدم هذه الرابطة العرقية في الأوّل فهي تنعقد فيما بعد عن طريق المصاهرة كما وقع في دولة الأدارسة حيث تزوّج المولى إدريس الأوّل من قبيلة أوربة التي كانت عماده العسكري.

ولكن بانتهاء مرحلة "المهدوية" أو الفترة "الثورية" وابتداء ما سمّاه ابن خلدون بعهد"الاستبداد"، تسعى الدّولة للتخلص من نفوذ العنصر القبلي في الجيش وتسعى إلى تهميشه بالاعتماد على عناصر أخرى أكثر خضوعا وطاعة، لتصبح العلاقة بين الجيش والسلطان مبنية على "مصلحة متبادلة بين تابع ومتبوع" عوض أن تظل مبنية "على التوازن والتحكيم من أجل توزيع المجال لا احتكاره"(40) كما تقتضيه العلاقة العصبية القبلية.

فالأدارسة مثلا تخلّصوا من سلطة أوربة بتحويل إدريس الثاني قاعدة حكمه من وسطها إلى فاس وبإدخاله العرب البدو من ناحية القيروان داخل جيشه(41). ويحقّ التساؤل عن مدى دور سياسة الإضعاف هذه ا لتي نهجها الأدارسة منذ فجر دولتهم، وقبل أن تتمركز تمركزا سياسيا وعسكريا في تلاشي وتفكّك هذه الدولة قبل أن تصل طور النمو رغم ما كان يتمتّع به الأدارسة من رصيد ديني.

كما أنّ سلاطين دولة المرابطين بعدما استندوا على القوّة العسكريّة لقبائل صنهاجة التي شكّلت النواة الأولى لجيشهم والذي كان يرأسه مباشرة قواد صنهاجيون يحملون لقب أمير ويشكّلون في نفس الوقت الطبقة الحاكمة والمسّيرة لأمور الدولة، صاروا حينما تمركز حكمهم ووصل إلى "مرحلة الاستبداد" واتسع مجال نفوذهم ليشمل الأندلس والمغرب الأوسط وأعماق ا لصحراء ينهجون نفس

---

(40) العبارتان للأستاذ القبلي : **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار التوبقال للنشر، 1987م، ص. 104.

M. Kabli, *Variations islamistes et i dentité du Maroc médiéval*, Maisonneuve et Larose, 1989, p. 7.

(41) اتخذ المولى إدريس بطانته من قيس والأزد ومذحج وزبدة وأدخلهم لجيشه، ابن أبي زرع، **س.ذ.**، ص. 7.

سياسة سلخ الجيش عن القاعدة القبليّة الصنهاجية بإعطاء الأولوية في الجيش لعناصر غريبة عن القبائل التي كانت أساس سلطتهم .فأدخلوا العناصرالسودانية[42] والمسيحية والأغزاز (ترك) والعلوج حتى أن عليّا بن تاشفين 500هـ- 537هـ/ 1107م - 1143م كان يوكل لفرقة الموالي مهمّة جمع الضرائب (الخراج) من جبل درن كما أن تاشفين بن علي بن يوسف 537هـ - 539هـ/ 1143م - 1145م صار يعتمد في حروبه الداخلية على فرقة المسيحيين التي كان يقودها الروبرتور[43] وقد كان نظام هذه الفرقة المسيحية في الحرب الذي هو الزحف مقابل نظام الكرّ والفرّ التقليدي للجيوش العربية بصفة عامة، وتخصّصها في الرماية، يعطي لهذه الفرقة تفوّقا في المعارك بل إن تاشفين بن علي ذهب إلى حدّ بعيد في سلخ جيشه عن النفوذ القبلي حينما حوّل مقرّ قيادته من وسط القبائل الصنهاجية إلى وهران[44] .وهذه السّياسة أسخطت القواد الصنهاجيين فانضمّ كثير منهم للمصامدة ضد المرابطين.

كما أن سلاطين الموحّدين حاولوا التخلّص من التبعية العسكرية لقبائل مصمودة وسلطتها بإضا فة عناصر جديدة في الجيش. فقد قام عبد المومن الذي كان أجنبيا عن قبائل مصمودة[45] باتخاد جيشه الخاص من كومية وبإبعاد العناصر العسكرية المصمودية عن مناطق نفوذها بإرسالها للأندلس أو بجعلها تستقرّ في

---

(42) في معركة الزلاقة كان الحرس الخاص بيوسف بن تاشفين من السودانين فاق عددهم 4000، وكان استعمالهم الطبول، على العادة الإفريقية سببا في اضطراب فرسان الجيش الإسباني حيث جمحت بهم خيولهم.
عبد الواحد المراكشي، **س.ذ.**، ص. 136.

(43) الناصري، **س.ذ.**، ج. 2، ص. 70.

(44) **ن.م.س.**، ص. 71.

(45) كان عبد المومن من قبيلة بني عائد من كومية من تكرارت المدينة العسكرية التي بناها المرابطون بقرب تلمسان و لم يقدمه رؤساء قبائل مصمودة أميرا عليهم إلا بعد ثلاث سنوات من وفاة المهدي بن تومرت.

المناطق الشرقية بعد فتحه لإفريقية، كما قام بتصفية عناصرها الخطيرة(46) والرّفع من عدد العلوج وأهل الأندلس(47) والعنصر المسيحي في الجيش(48).

بدأ العنصر العربي يدخل الجيش الموحدي ويهمّش العنصر القبلي المصمودي خصوصا في عهد يعقوب المنصور الموحّدي الذي نقل في سنة 584هـ-1292م بني هلال وعددا من بني معقل وبني جشم من إفريقية حيث كانوا يشكّلون العنصر العسكري الذي يساند بني غانية وأنزلهم في السهول المغربية حيث أسكن عددا من بني معقل ببلاد الهبط بين القصرالكبير وأزغار (الغرب) ليزاحم بهم قبائل مصمودة التي كانت تسكن هذه الناحية ووطّن بني جشم وقبائل عربيّة

---

(46) قتل عبد المومن أخوي المهدي اللذين كانا رئيسين للجيش في الأندلس وقد تكون سياسته هذه هي التي دفعت العناصر المصمودية في الجيش إلى محاولة قتله أثناء رجوعه من فتح إفريقيا.

(47) يذكر ابن خلدون أن محمد بن أبي مهدي الهنتاتي وزير السلطان الصبي أبي عبد الله المنتصر "كان عظيما في قومه فآمل أن يستبد عليه لما كان من صغره" ولكنه " استصعب عليه حجز السلطان لما كان من الموالي العلوجيين والصنائع من بيوت الأندلس، فقد كان أبوه اصطنع منهم رجالا ورتبهم جندا أكثروا الموحدين وزاحموهم في مراكزهم من الدولة".
ابن خلدون، س.ذ.، ج. 6، ص. 267.

(48) في فتح باجة وتغلب السيد محمد بن يوسف القائد العام لجيوش الأندلس أدخل للجيش الموحدي ألف مسيحي. ولم يكن كل المسحيين الذين دخلوا الجيوش المرابطية والموحدية من الأسرى بل كان كثير منهم ممن التجأ إلى المغرب، فرارا من بلاده مثلا ولي عهد عرش البرتغال دون بدرو Don Pedro فرّ من أخيه ودخل المغرب مع خمسة من الإخوان الفرانسسكيين وصار من قواد جند يوسف المستنصر الموحدي. وكثير من هؤلاء المسيحيين كان من أصل نبيل وكانت الكنيسة والملوك المسيحيون لا يعارضون في هذا وكان لهؤلاء الجنود كنيستهم ورجال دين وقائد مسيحي وعلم مسيحي وكانوا يعتبرون موالي ويكونون نخبة عسكرية. وقد صار جيش المسيحين مؤسسة عسكرية قوية في القرن الثاني عشر وصار كل المتصارعين على الملك يحاول تكوين فرقة عسكرية من المسيحيين وقد شارك الجنود المسيحيون في كل الفتن في أواخر عهد المرابطين والموحدين خصوصا وأن كثيرا من الأمراء كانت أمهاتهم مسيحيات.
Augustin Bernard, *Le Maroc*, Librairie Felix Alain, 1915, pp. 277 - 278.

أخرى كالخلط ببلاد تامسنة بين سلا ومرّاكش لمواجهة زحف بني مرين[49] وفرض المنصور على كثير من هذه القبائل العربيّة الدخول في العسكر الموحّدي .فالعناصر العربيّة من بني هلال وبني معقل بني جشم لم تحتلّ السهول المغربية كغزاة بل كعناصر عسكرية رسمية دخلت المغرب في فترات متعدّدة لتخلّ بوزن القبائل البربرية في الميزان السياسي العسكري المغربي[50] وقد كان لهذه القبائل العربية التي كانت أغلبية عناصرها من الفرسان الرّحل المتعوّدين على التنقل وحرب الحركة، تفوّق عسكري على القبائل الأمزيغية المستقرّة[51].

ولعلّ من أهمّ الأسباب التي جعلت جيش الناصر الموحدي 595هـ/610هـ 1199م -1214م ينهزم في الأندلس في واقعة العقاب 609هـ/1212م التي تعتبر ابتداء التقهقر المغربي في الأندلس وفي حوض البحر الأبيض المتوسط بصفة عامّة، رغم أن الجيش الموحّدي في هذه الموقعة كان من أوفر الجيوش التي أرسلها الموحّدون للأندلس[52] وأكثرها عتادا وسلاحا -بسبب الغنائم التي كان الموحّدون قد استولوا عليها في انتصاراتهم السّابقة على الجيوش المسيحية - هو الخلاف الذي ظهر منذ

---

(49) حول دخول القبائل العربية المغرب :

الناصري، **س.ذ.**، ج. 2، ص. 161 - 176.

(50) Jean Le Coz, *Le Rharb, fellahs et colons,* Flamarion, Rabat, 1964, T.I, p. 236.

(51) تعوّدت هذه القبائل أن تلعب دور المرتزقة سواء في الجزيرة العربية حيث كان العرب الحضر الذين يشتغلون بالتجارة يستعملونها لحماية قوافلهم أو في الإمبراطورية الرومانية التي كانت تستعملهم في جيوشها.ويفسّر ابن خلدون التّفوّق العسكري لهذه القبائل بنمط العيش وبأنّهم كانوا"مستغلضين بخشونة البادية وصرامة العزّ وبسالة التّوحّش".

(52) كان الجيش المغربي حسب المؤرخين المغاربة يبلغ ستمائة ألف مقاتل قسموا إلى خمس فرق : فرقة من العرب وفرقة من زناتة وصنهاجة والمصامدة وغمارة وقبائل مغربية أخرى وفرقة من المتطوعة وفرقة من أهل الأندلس وفرقة من الموحدين. -وتعتبر واقعة العقاب سببا مباشرا في تقهقر حكم الموحّدين وفي تأخر المغرب وخرابه لمدّة طويلة "فقد أصبح خاليا قد باد أهله وفني خيله وحماته وقلّت قبائله، قد استشهد الجميع في غزوة العقاب فأقفرت بلادهم فعمّرها السّباع والذّئاب"، ابن أبي زرع، **س.ذ.**، ص. 26.

وقد صار المغاربة يلقّبون النّاصر بالمشؤوم بعد هذه الواقعة. انظر أكنسوس، **س.ذ.**، ص. 595.

الوهلة الأولى بين العناصر المختلفة في الجيش الموحّدي، كسخط أهل الأندلس وسخط العنصر الموحّدي، لكون الناصر لم يتخذ القائد العام للجيش من بين أشياخ الموحّدين كما جرت عليه العادة فيما قبل في عهد المرابطين والموحّدين حيث كان الجيش يقسّم إلى عدّة قيادات كلّ قائد يترأس مجموعة من القبائل التي ينتمي إليها وتعطي القيادة العامة بعد السلطان لرئيس أكبر القبائل الحاكمة.

ففي موقعة الأرك مثلا قسّم الجيش إلى عدة قيادات تحت رئاسة كبير الوزراء الشيخ أبي يحيى بن حفص فجعل قائد قبيلة هنتاتة القائد صناديد في جيش الأندلس ورحمون بن رياح على قبائل العرب ومنديل عبد الرحمان المغرواي على قبائل مغرواة وسيرين أبي بكر بن حمامة المريني على قبائل بني مرين وجابر بن يوسف العبد الوادي على قبائل بني عبد الواد وعباس بن عصية التوجيني على قبائل بني توجين وتاجين بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ومحمد بني هنغفاء على قبائل غمارة[53] أما في معركة العقاب فقد خالف الناصر هذه القاعدة وأعطى قيادة الجيش للوزير ابن جامع فظهرت الخلافات بين العناصر المصمودية والعناصر العربية واتخذت طابعا خطيرا خصوصا وأن الجيوش بقيت مجتمعة مدة طويلة، إذ دام حصار قلعة سليطرة ثمانية عشر شهرا، وقد أظهر الجيش النظامي سخطه حينما قامت المعركة فانفضّ من حول السلطان و لم يشارك بحماس إلا المتطوّعة والحرس الخاصّ من قبيلة كومية والعبيد (إذ لم يكن الحرس الخاص المسيحي يشارك في الغزوات في الأندلس).

كانت سياسة عبد المومن وأبنائه من بعده في إضعاف العنصر القبلي المصمودي في الجيش بإدخال العنصر الكومي والعربي والمسيحي والزناتي لخلق توزان بين مختلف هذه العناصر حتى يتسنّى للسلطة المركزية التحكّم فيها، سياسة ذات حدّين: فإذا كان عبد المومن قد استطاع بفضلها أن يفرض أبناءه كسلاطين من بعده على الموحّدين وأن يستعملها يعقوب المنصور في خدمة سلطة مركزية قوية، فإنّ هذه الفئات المتعددة والمتنافسة في الجيش بدأت كل واحدة منها تعمل لصالحها حينما ضعفت السلطة المركزية، مستغلّة تنازعات أبناء المنصور. فعبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني قائد جيوش الناصر في إفريقيا استقلّ بهذه

---

(53) الناصري، س.ذ.، ج.، ص. 188.

المنطقة عن سلطة الموحّدين. وجيش الموجّدين في مرّاكش قام بقتل السلطان عبد الواحد بن يوسف و لم يقض على نفوذهم إلا المأمون الذي دخل من الأندلس في جيش من المسيحيّين من اثني ألف مقاتل، مضعفا بذلك نهائيا العنصر الموحّدي تاركا الصراع بين الجيوش العربية وعلى رأسها جرمون السفياني والجيش المسيحي[54].

## ب ـ البوادر الأولى للعناصر الدائمة في الجيش

منذ عهد المرينيين صارت تظهر العناصر الدائمة في الجيش المخزني. فقد لجأ أبو بكر 654هـ - 656هـ/1257م - 1259م منذ البداية إلى اتخاد قسم مهمّ من جيشه من العناصر التي كانت في جيش الموحّدين، من أغزاز وعلوج ومسيحيين ومن قبائل بني سليم وبني هلال وبني معقل وجيش الأندلس[55] وأضاف إليها عناصر من بني عبد الواد وبني توجين من المغرب الأوسط.وصارت هذه العناصر تشكّل الحرس الخاصّ بالسلطان، والحاميات المرابطة في أطراف البلاد وداخل المدن. فحامية فاس مثلا كانت تتكوّن إلى جانب العنصر المريني من أكثر من مائتي نصراني يرأسهم المدعو شريد الفرنجي، وحاميات سوس وغمارة وبعض ثغور الأندلس، كانت تتكوّن من جيوش بني توجين وبني عبد الواد [56] أما العناصر

(54) أكنبوس، س.ذ.، ص. 29، يذكر أن إدريس المامون قتل من أشياخ الموحدين في يوم واحد 460 شيخا.

كما يقول الناصري، س.ذ.، ج. 2، ص. 239، "وهذه الفتكة التي ارتكبها المامون من الموحّدين هي التي استأصلت جمهورهم وأماتت نخوتهم".

(55) أبو زرع القرطاس، س.ذ.، ص.ص. 155 - 156.

بقيت عدّة قبائل ومنها قبيلة رياح تحارب المرينيين للامتيازات العديدة التي كانت لها داخل الجيش الموحّدي.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc,* p. 259.

(56) الناصري، س.ذ.، ج. 3، ص. 15.

العسكرية الزناتية فقد كان يتمّ إبعادها أكثر ما يمكن بإرسالها للجهاد في الأندلس والمغرب الأوسط[57].

ولكن سياسة أمراء بني مرين هذه في التحرّر من نفوذ القبائل الزناتية في الجيش بإبعادها وبالاعتماد على جيش مكوّن على الخصوص من العنصر العربي والأندلسي، لم تعط للسّلطة المركزية قوّة على حساب قوّة القبائل، بل جاءت النتائج بعكس ذلك. فزيادة على سخط شيوخ هذه القبائل [58] فإنّ الخلافات والتطاحنات الداخلية التي استمرّت بين مختلف القبائل الزناتية من بني عسكر وبني حمامة وبني عبد الحق والوطاسيين، وتعدّتها إلى الخلافات بين الأب والابن والأخ من أجل الملك، اعتمدت على مختلف العناصر المكوّنة للجيش وأدّت إلى إضعاف دولة بني مرين وإلى تقسيم المغرب سياسيا [59].

وكان تدخّل قوّاد الجيش في الصّراعات القبلية والعائليّة المرينيّة، وسيلة لهم لتقوية نفوذهم الخاص، حتى إنّ العهد الأخير من حكم المرينيين كان فترة حكم فيها، إلى جانب الوزراء والحجاب، رؤساء الجيوش كعمر بن عبد الله من رؤساء جيش بني مرين، ووزير تاشفين المدعو الموسوس، وأبي سالم سليمان بن ونصار، من بني مرين، وغرسية بن انطول قائد جند النصارى، وقائد جند الأندلس إبراهيم

(57) أصبحت عمليات الجهاد في الأندلس تناط تقريبا كلها بالأمراء المرينيين الثائرين أو الذين تخشى ثورتهم فمثلا يعقوب بن عبد الحق قام بإرسال ابن عمه عامر بن إدريس الذي كان قد ثار ضده على رأس ثلاث آلاف فارس، ونادرا ما بقي السلاطين المرينيون يترأسون حركة الجهاد خصوصا وأن حظوظ النّصر صارت محدودة، منذ سقوط الجزيرة الخضراء في يد المسيحين سنة 743هـ/1343م واستيلاء بني الأحمر على كل المدن التي كانت في يد المغاربة وكان الأمراء المرينيّون يلقبون بالغزاة وعلى علاقة حميمة مع الأمراء والملوك المسيحيين، انظر **رسائل الغزاة لملوك قشتالة وأركونة في الوثائق**، س.ذ.، ج. 1، ص. 290 - 326.

(58) حول سخط الأشياخ المرينيين على ذهابهم للمغرب الأوسط : M. Kabli, *op. cit.*, p. 74

(59) في بعض الأحيان كان هذا التقسيم يقوم باتفاق بين أفراد بني مرين فمثلا قسم المغرب بين الأمير عمر بن أبي بكر وعمه عبد الله بن عبد الحق حيث أخذ الأول فاس ومراكش ونواحيها فيما استقل الثاني بسلا ونواحيها.

البطروفي الذين كانوا يختارون ملوك بني مرين من بين الأمراء الصغار السنّ والمعتوهين حتى يمكنهم التحكّم فيهم(60) .

وزاد في هذه الفوضى العسكرية دخول القبائل العربيّة في كلّ الخلافات القبليّة الزناتية والقبلية المرينية(61) وهذا ما جعل من المستحيل على الملوك المرينيين أن يعتمدوا على الجيش المخزني ولا على الأحلاف القبليّة لإقرار النظام في الداخل أو لمواجهة تقدّم الغزو المسيحي. ولأوّل مرة في تاريخ المغرب الإسلامي انتقل مسرح المواجهة بين المسيحيين والمغاربة من الأندلس إلى المغرب، فالإسبانيّون احتلّوا سلا لمدة قصيرة، والبرتغاليون احتلّوا سبتة سنة 818هـ/1415م وجعلوا منها مركزا عسكريا لمهاجمة السّواحل المغربية فحاصروا طنجة سنة 841هـ/1437م، التي سقطت في يد الإسبان سنة 869هـ/1465م وكانت هذه هي الضّربة القاضية لمشروعية بني مرين التي كانت ضعيفة طوال حكمهم.

وقد ظهرت الدّولة الوطّاسية التي حاولت القيام على أنقاض المرينيّين، كدولة عسكرية منذ البداية، إذ لم تكن لها لا "مشروعية دينية"، فهي لم تأت بأي مشروع إصلاح ديني، ولم يكن لها أصل شريف، ولم تكن ترتكز على عصبية قبلية كبيرة، بل اعتمدت على قوة عسكرية لا غير(62).

---

(60) حول اختيار فئات الجيش الملوك من صغار السن والمعتوهين ونفوذ الحجاب ورؤساء الجيش لسان الدّين بن الخطيب، **أعلام الأعلام بمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام**، المطبعة الجديدة، الرّباط، 1934، ص. 347.

الناصري، **س.ذ.**، ج. 4، ص. 5 - 44 - 45 - 50 - 51 - 60 - 61 - 68 - 69 - 72 - 74.

(61) حول دخول العرب كل الصراعات، انظر الزياني، **البستان الظريف في أخبار دولة مولاي الشريف**، مخ. خ.ع.ر.د. 1577، ص. 30.

(62) كان محمد بن الشيخ الوطاسي أخا ليحيى الوزير وقائد جيوش بني مرين وقد عزز قوته العسكرية بقبائل الفحص للاستيلاء على الحكم. وكان أهل فاس قد خلعوا بيعة عبد الحق، وقتلوه. وبايعوا محله نقيب الشرفاء الأدراسة ابن عبد الله الحفيظ إلى أن استولى على فاس يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي أحد رؤساء بني مرين وسلم فاس لبنت أخته زهور الوطاسية ولقائد المسيحيين الذي حكمها إلى أن قام محمد الشيخ بأخذها في 1471م.

وتضعضع المشروعية هذه، بالإضافة إلى أنّ القوّة العسكرية للوطّاسيين 876هـ - 910هـ /1471م - 1504م كانت مؤقتة، من الأمور التي تفسّر قصر مدة حكم الوطاسيين، فالجيش الذي اعتمد عليه محمّد الشيخ الوطّاسي ما لبث أن أفقدته العناصر العربية فعاليته. فهي مرة تبيع خدماتها للسّلطة المركزية وتدخل في الجندية، وتارة أخرى تنفض عن الجيش السلطاني لتنضم لجيش خصومه، حتى أصبحت السهول المغربية حيث استقرت القبائل العربية التي أتى بها الموحدون والمرينيون، تغذي كل حركات المتسارعين للحكم وزخرت بالحركات الدينية والفقهاء والمتصوفة والداعين للجهاد الباحثين عن الأتباع. وحتى الحركات الجهادية التي تولدت في الجنوب كحركة أبي عبد الله القائم المؤذن التي كانت نواتها الأولى تتكوّن من قبائل سوس وبعض القبائل الجبلية مالبثت أن انضمت إليها قبائل العرب المعاقل وتوجّهت نحو قبائل كحاحة والشياظمة لتتزود بالعناصر العسكرية العربية، وهذا التشتت العسكري سواء ما كان منه على صعيد السلطة المركزية أو على صعيد القبائل، والضعف الذي صارت إليه العصبية القبلية لأكبر القبائل المغربية، صنهاجة ومصمودة وزناتة، ودخول القبائل العربية بكل ثقلها وخلافاتها الحياة السياسية والعسكرية وعجز الدولة الوطاسية عن جمع هذه القوى وتوجيهها، سهّل على البرتغاليين الذين كانوا في عزّ ازدهارهم وفي طور تكوين إمبراطورية استعمارية احتلال السّواحل المغربية، فقد احتلّوا أصيلا عام 876هـ/1471م والجديدة 907هـ/1503م والعرائش عام 910هـ/1505م وأكادير وما اتصل به من السّواحل السّوسية ثم آسفي 912هـ/1507م ثم أزمور 914هـ/1509م والمعمورة (المهدية) 920هـ/1514م.

وقد بلغ الضعف العسكري والسّياسي أقصاه حينما طلب أبو حسّون الوطّاسي 932 -942هـ /1526 - 1536م ثم 956 - 961هـ/1580 - 1583م إعانة عسكرية من الأمبراطور شارل كانت، ثم من البرتغاليين. وحينما لم يقبل أيّ منهما طلبه استنجد بأتراك الجزائر (63) الذين بعثوا معه جيشا استعان به على محمّد

(63) ذهب أبو حسون إلى الإمبراطور شارل كانت الذي كان يخوض حروبا في ألمانيا فلما طال به المقام هناك رجع للبرتغال فأعطاه ملكها 6 سفن حربية ولكنه لم يستطع النزول بالسواحل

الشيخ السعدي وأخضع به فاس سنة 956هـ/1550م[64] ولكنه كان انتصارا قصيرا حيث انقرضت دولة الوطاسيين خمس سنوات فيما بعد. وهكذا يكون الوطّاسيون قد أدخلوا عادة عسكرية جديدة وهي الاستعانة بقوّات دولة أجنبية مسلمة أو مسيحية للإحراز على انتصار داخلي وهذه العادة با لرغم من أنها لم تعط سوى انتصارا مؤقتا ولقيت استياء ومعارضة شديدة من المغاربة فإنها تكرّرت عدة مرات في تاريخ المغرب، فمثلا أبو مروان عبد الملك بن الشّيخ السعدي 983هـ – 986هـ/1576م – 1578م وأخوه أحمد الملقّب بالمنصور فيما بعد تغلّبا على ابن أخيهما محمد المتوكل بن الغا لب بجيش من الأتراك، ومحمد المتوكّل أبو عبد ا لله الملقب بالمسلوخ، قام ليتغلّب على عمّه أبي مروان بإدخال جيش من الصليبيين إلى المغرب حيث كان الجيش البرتغالي الذي عاضد المسلوخ في معركة وادي المخازن مكوّنا، ليس فقط من البرتغاليين الذين استنجد بهم بل من جنود من مختلف العالم المسيحي: إسبانيين وإيطاليين وألمانيين وعساكر تابعين للبابوية (4000 جندي). وقد كان هذا هو العنصر المبلور الذي قضى على كل الخلافات الداخلية وجمع من جديد شتات القوى العسكرية المغربية حول أبي مروان السّعدي 982 – 986هـ/1574 –1578م لأن الصراع تحوّل إلى صراع بين الإسلام والمسيحية، وقد ركّز مروان على هذا الطابع حينما جمع رايات الجيوش ا لتي التفت حوله داخل جامع المنصور"وختم عليها جملة القرآن مائة ختمة، وصحيح البخاري، وانطلقت جنوده من هناك ضاجة بالتهاليل والتكبير وبالبشير النذير"[65].

---

الريفية فتوجه للجزائر التي كان الأتراك قد احتلوها فوجه معه الباشا صالح رايس جيشا استعان به على محمد الشيخ السعدي.

C. Auguste, *Etablissement des dynasties des cherifs au Maroc*, Paris, 1880, p. 105.

(64) حول الصراع العسكري بين الوطاسيين ومحمد الشيخ السعدي :

ديبكو دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة محمد حجي والأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1988م، ص. 53 - 62 - 68 - 70 - 72 98 - 100 – 115 – 127 – 131 – 136 - 204.

(65) الناصري، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 78.

وقد أعطى انتصار الجيوش المغربية، وعلى رأسها الجيش السعدي في معركة وادي المخازن هذه 986هـ/1578م للمنصور السعدي الوسائل المادية والنفوذ الكافي لتقوية السّلطة المركزية والجيش السّعدي مخفيا وراء مظهر القوة العسكرية الحقائق الاقتصادية والجيوسياسية العالمية التي صارت آثارها تظهر على المجتمع المغربي وعلى مكانته العالمية والجهوية[66].

## 2 ـ اتّساع الفرق بين الجيش المخزني والقوات الجهوية

وقد سمحت الظروف الجديدة والمراحل التي مرّ بها تطوّر القوّات العسكرية السعدية لأحمد المنصور بإعطاء الجيش السعدي مظهر القوة والنظام الذي اشتهر به لدى المعاصرين وجعل الجيش المخزني يتفوّق على القوات الجهوية. وأهم ما تميز به الجيش السعدي هو :

ـ التحرّر منذ أوائل الدّولة من النفوذ القبلي في الجيش والاعتماد على عناصر محترفة، وهذا راجع من جهة إلى انعدام العصبية القبليّة في قيام دولة السّعديين، فهم جاءوا كسلاطين جهاد وشرفاء، ومن جهة أخرى إلى السياسة العسكرية التي اتبعها محمد الشيخ 1551م – 1554م والذي يمكن اعتباره المؤسّس الحقيقي للجيش السعدي حيث أعطاه طابعا حرفيا. فقد اكتشف محمد الشيخ في حربه التي انتصر فيها ضدّ أخيه أبي العباس محمد الأعرج في امسكرود وبولبارن، المزايا العسكرية لقبائل عرب معقل المكونة لجيشه والتي توجه بها من الصحراء لمواجهة جيش أخيه المكون في أغلبيته من عرب بني هلال، لهذا سعى منذ أن انتصر على أخيه ووحّد الجيش، أن يعطي لهذه القبائل طابعا حرفيا فعوضا عن أن يكتفي باتخاد عناصر منها في جيشه ويترك الباقي يبيع طاقاته العسكرية لكل أنواع الخصوم، كما كان الأمر في عهد الموحدين والمرينيين، قام بربط أغلبية هذه القبائل بالمخزن برابطة المصلحة، فقد خصص أراضي مخزنية تقطع لهذا الجيش لينتفع بها، كما أسقط عن القبائل المكوّنة لهذا الجيش ضريبة "النايبة" التي كان السعديون قد فرضوها على القبائل

(66) حول التحوّلات العالمية في هذه الفترة :

F. Braudel, *La Méditerranée et le monde méditerranéen sous Philippe II*, A.Colin,1949, pp. 723-760.

المغربية باسم الجهاد (67). وأعفاها من كل أنواع الغرامات، ولم يلزمها إلاّ بالضرائب الشرعية من زكوات وأعشار وهذا مقابل "ضريبة الدم" فقد كان عليها أن تجعل رهن إشارة المخزن عددا من الفرسان، يلتحقون بخدمة المخزن عند الحاجة وأن تقوم القبيلة كلها بالدفاع عن المنطقة التي يركزها المخزن فيها إما ضد الغزو الأجنبي، كما كان الأمر بالنسبة لقبائل كسيمة ومسكينة التي أتبثها الشيخ في الساقية جنوبي أكادير، أو ضد القبائل الأخرى كما كان الأمر بالنسبة للقبائل الصحراوية كبني معقل وأهل سوس وأولاد مطاع وزرارة التي أوطنها في حوز مراكش (68).

كما أن هذا السلطان قوى العنصر المسيحي في الجيش بعد فتحه حصن فونتي (أكادير). وبعد إخضاعه مكناس وفاس احتفظ بالعناصر التي كانت تكون الجيش الوطاسي (69) وأهل الأندلس والخلط وأهل فاس. وبعد غزو تلمسان سنة 1546م أدخل عناصر تركية وكوّن منها فرقة سماها اليكشارية ورأس عليها صالح باي وأعطاه لقبا تركيا هو لقب الكاهية. وهذه النّواة الدائمة أعطت للمخزن تفوقا على باقي القوات بما اكتسبته من خبرة داخل الجيش المريني والتركي وبما صارت تتوفر عليه من أسلحة حديثة لم تصل بعد للقبائل وهي الأسلحة النارية، سواء منها الخفيفة كالبنادق أو الثقيلة كالمدافع (70).

---

(67) كان محمّد الشيخ قد فرض على كلّ القبائل والزوايا النايبة وقدرها صحفة من شعير وعشرون مد ّمن قمح على كلّ كانون حسب عدد السّكان، وكانت الكوانين التي تؤدي أربع نائبات تؤدي عوض الشّعير والقمح صاعا من السّمن وكبشا وكانت تدفع عينا.

J. le Coz, *op. cit.*, p. 230.

(68) P. Pascon, *le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977, T.I, p. 157.

(69) حول سياسة محمد الشيخ في إدخال العناصر العسكرية الوطاسية لجيشه : دييكو دي طوريس، م.ذ.، ص. 101.

(70) بدأ استعمال البارود في المغرب منذ دولة المرينيين وكان دخوله للمغرب عن طريق الأندلس ويذكر ابن خلدون إن أوّل من استعمل البارود هو أبو يوسف المريني سنة 673هـ/ 1274م في حصاره لسبتة. ولكن الأسلحة النّارية لم يبدأ انتشارها إلا في عهد السعديين، حيث صارت تحتلّ مكانة مهمة في المبادلات التجارية بين أوربا والمغرب. ورغم أن بيع الأسلحة للدول

ـ تأرجح السلاطين السعديون بين الحفاظ على الطابع المغربي للجيش وبين إعطائه طابعا تركيا من ناحية التركيب والشكل: فمحمد الشيخ رغم تأثّره بنظام الجيش التركي لم يمكّن العنصر التركي من أن يطغى على الجيش. فهو قد حافظ

---

الإسلامية كان ممنوعا، إلا أن حاجة بعض دول أوربا لبعض المواد المغربية، كانت تجعلها تتجاهل هذا المنع. فإيلزابت الثانية ملكة إنجلترا التي كانت "لا تستهلك إلاّ السكر المغربي" الذي كان محتكرا من طرف المخزن السعدي، كانت تقتنيه مقابل السلاح. كما أن ملح البارود التي كانت موجودة بوفرة في المغرب، وذهب السّودان، كانا يبدلان بالسّلاح. ويمكن اعتبار دخول الأسلحة النّارية في الحروب، بداية تقهقر القوّة العسكرية المغربية بسبب التبعية التي أصبح عليها الجيش المغربي في سلاحه، خصوصا وأن المغرب لم يعد له منذ انقراض السّكر في أواخر عهد السّعديين، وتضاؤل تجارة الذّهب، وتضاؤل أهمية ملح البارود باكتشاف المعادلة الكيميائية لصنع البارود، أيّ وسيلة للتّحكّم في التجارة مع أوربا. كما أن هذا الاختراع كان نهاية تفوق الجندي المغربي في ميدان المعركة. إذ أن نسبة من هذا التفوق كانت راجعة للتاكتيك الحربي المغربي، المتمثل في الكر والفر، والذي كان يعتمد على خفة الحركة التي كان يضمنها العتاد الحربي المغربي من خيول خفيفة وصغيرة الحجم، ذات ركاب مرتفع، ودروع جلدية خفيفة، وخناجر مقوّسة خفيفة ـ كانت تسمّى الطاس أو الاطاس في عهد المرابطين ـ مما كان يضمن التّفوق على الجيوش المسيحية في الأندلس التي كانت تستعمل سيوفا ودروعا حديدية ثقيلة، وخيولا مدرّعة، ذات ركاب طويلة منخفضة. وقد حاول الإسبان أن يتكيفوا مع التاكتيك الحربي المغربي، فخلقوا وحدات عسكرية أطلقوا عليها إسم زنات zenetes "نسبة إلى زناتة" وتطوّرت الكلمة إلى Jinete بمعنى فارس. وقد لا يكون من باب الصدف أن تصادف بداية استعمال البارود في إسبانيا بداية التّقهقر العسكري المغربي في حوض البحر الأبيض المتوسط.

حول مقايضة السّلاح بالسّكر :

P.Bertier, *Les Anciennes sucreries du Maroc,* Rabat, 1940, pp. 221-265.

حول التاكتيك الحربي للجيوش المغربية : أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ، ص. 15.

**الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، مجهول، الرباط، 1936، ص. 48.

حول دخول البارود للمغرب : ابن خلدون، **س.ذ.**، ص. 388.

على نخوة ولقب أمغار أي الشيخ، وكان يظهر احتقاره للسلطان العثماني ويسمّيه بسلطان "الحواتة"[71] وبين سنة 1557م، وهي السنة التي قتل فيها محمد الشيخ على يد العناصر التركية في الجيش، وبين سنة 1576م وهي السنة التي توفي فيها محمد المتوكل بن عبد الله الغالب بن الشيخ، زاد ضعف العنصر التركي في الجيش، ولكنه تقوّى في عهد عبد المالك بن أبي عبد الله الشيخ.

فعبد الله الغالب 1574م – 1557م وابنه المتوكل 1576م – 1574م أضعفا العنصر التركي الذي أظهر في عدة مرات مناصرته لأتراك الجزائر. ولمواجهة هؤلاء أدخل هذا السلطان القبائل العربية الجزائرية التي نزحت من الجزائر بعد الغزو التركي وأسقط عنها النايبة مقابل الخدمة العسكرية وسدّ بها الطريق أمام التقدم التركي من الشرق، ولكن، في عهد عبد الملك أبي مروان الذي كان قد عمل داخل الجيش التركي هو وأخوه أحمد[72] ودخلا المغرب في جيش من الأتراك للتغلّب على عمّهما، غلب العنصر والطابع التركيّان في الجيش حيث ارتفع عدد الجنود والقواد الأتراك. ومن بين القواد الأتراك، رضوان العلج ورمضان العلج[73] وقد ظهر التأثير التركي على المخزن كلّه حيث كان السلطان يلبس اللباس التركي ويقلد الأتراك. وكان هذا التقليد مما وسّع الهوة بين الدولة والمجتمع[74] .

فلمّا تولّى أحمد بن الشيخ الملقب بالمنصور بعد انتصاره في موقعة وادي المخازن 1578م – 1603م حاول أن يؤلف في جيشه بين الطابع العربي، والطابع العجمي (تركي ومسيحي)، وهذا الوصف لجيش المنصور يعطينا فكرة عن هذه الازدواجية[75].

"فلما جاء المنصور ألف بين سيرتي العجم والعرب واصطفى من العجم موالي رباهم بنعمته وأشملهم درر إحسانه، منهم مصطفى باي ومعناه بلغة الترك : قائد القواد،

---

(71) الناصري، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 31.

(72) A. Laroui, *op. cit.*, p. 30.

(73) رمضان العلج هو الذي دس السم لمروان عبد الملك أثناء معركة وادي المخازن حسب رواية ابن القاضي.

(74) يقول الفشتالي : "فكره الناس ذلك وأنفوا منه".

(75) الفشتالي، **مناهيل الصفا، س.ذ.**، ص. 161 ـ 166.

ويختص به قائد الإصباحيةوكان برسم حراسة الباب العالي، ومنهم الباشا محمود، وهو صاحب خزائن الدار، بيده مفاتيح بيوت الأموال، ومنهم القائد علوج قائد جيش العلوج، والباشا جودر فاتح السودان، وقائد جيش الأندلس، وكان لأهل الأندلس جيش عظيم رماة، وعمار قائد جيش السوس، فهؤلاء أكابر العلوج وتليهم طائفة أخرى منها بختيار وبغا. ثم إن جيش العجم من الأتراك والعلوج قسمه إلى أقسام منها البياك وهم أهل القلانس الصفرية المذهبة ذوات الأعراف من ريش النعام الملون، يقفون سماطين أمام قبته أو فسطاطة، والسلاق أهل القلانس الطويلة البيض المرسلة على المناكب ويناط بها من أعلى الجباه جعاب صفر منهبة، ويضيفون إليها وقت الحزام أجنحة طوالا يؤلفونها أيضا من ريش النعام الباقي على أصل خلقته، ويركزونها في الجعاب المنوطة بالقلانس من أعلى الجباه ويرسلونها إلى الوراء، ويقف هؤلاء خلف البياك.وبلبدروش، وهم من أهل اللقاقيف، وهي رماح قصيرة غليظة العصي مغشاة بالحديد ومرصعة بالمسامير البيض، ركبت عليها أسنة عظام وزجاج هائلة ينبت من ريشتي كل سنان منها أضلاع مستقيمة ويقف هؤلاء خلف السلاق والشنشرية وهم أهل الطعام وضعا ورفعا لا غير، وقائدهم بختيار من سي وادي المخازن، والقبجية وهم أهل حفظ الأبواب وغلقها وفتحها وقائدهم مولود المشاوري، وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا وتطوف على مسايف السور المحيط بالدار. ومن وظيفة هؤلاء خدمة الكرسي والسرير اللذين يجلس عليهما السلطان بالإيوان وتعاهد أنماط الجيوش والشواش، وهم اللذين يتولون ضبط الجيوش في المصاف في حرب أو سلم ويراجع الأصلي وإنهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر. وهذا مازادت به دولته على سائر الدول. فإذا خرج في يوم عيد أو ملاقاة أو تهنئة خرجوا متزينين، وكل قائد يقف عند مبدإ انبعاث حبل جيشه تحت ألوية، محفوفا بجيش من رؤساء جنده أهل الخيل وهم الذين يدعون عندهم بالبكباشات، فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه خلفه. وهكذا يمتد إلى انبعاث الجيش من تلقاء أمير المؤمنين وكل يعرف مركزه ورتبته لا يتعداه إلى غيره، بتقدم أو تأخر، ولا يجد السبيل إلى ذلك. والترتيب الذي جرى به العمل في عساكر النار أنه يتقدم أولا جيش السوس ثم يردفه جيش شراكة، وكل منهما ينقسم حبلين ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالي من المعلوجين ومن انضاف إليهم وعسكر الأندلس ومن لبس ودخل في زمرتهم. وهذان يسيران صفين متساويين لاستواء مرتبتهما، وعند العطاء تارة، يتقدم هؤلاء، وتارة هؤلاء. غير أن الموالي يكونون في الميمنة لمزيّة الولاء، وكلاهما يحظى بموالاة ركاب السلطان، ويتقدم قائدهما محمود، قائد الموالي، وجؤذر قائد الأندلس، وترفع على رأس كل منهما الرايات ويحفه عسكر من البكباشات ثم يتصل بهذين العسكرين الدخلة العظيمة المؤلفة من السادة والبياك وبلبدوش، فتسير الفرق الثلاث أمام المنصور صفوفا متساوية فأما البياك فيلون ركابه

يحفون به يمينا وشمالا ويرفع البعض رماحه اليزنية المنصوبة أمامه، ومنهم صاحب المظل المرفوع على رأسه كالغمامة يحمله حالة ركوبه أقربهم درجة لقائدهم أبرويز. وإذا مشى المنصور إلى جامع المنصور من جهة قبور الأشراف أو للمشتهى وهو الروض المتصل بقصر البديع على رجليه حمله أبرويز بنفسه، ثم يسير عن يمينهم وشمالهم السلاق، ويسير عن يمين هؤلاء وشمالهم بلبدروش أهل اللقاقيف، وتتكيف من الجميع صورة تزرع الرعب في القلوب، وتسير الجنائب فيما بين سماطي هذه الدخلة مجنوبة صفا صفا إلى ألوية عساكر النار ومنبعث حبالها الممدودة يقودها صنف يدعون السراجة ركبانا، وكانت جنائب الخلفاء يقودها الرجل من الوزعة، وهذا أكمل مزية. وجيش الإصباحية الذي إلى نظر بيلارباي ينقسم كتيبتين عظيمتين تسير إحداهما ذات اليمين والأخرى ذات الشمال أمام الموكب الذي يرجع اللواء العظيم الأبيض المدعو باللواء المنصور علامة على شعار الدولة على رأس المنصور من خلفه. وهناك الوية كيثرة ذات ألوان مختلفة، وأمامه الطبل العظيم الذي يسمع دويه من مسافة بعيدة، ومن خلفه الطبول الأخرى، معها الغيطات ـ وأحدثها غيطة يتولى النفخ فيها قوم من العجم فتنبعث منها أصوات وتلاحين لا تحرك الطباع ولا تبعثها على شيء دون الحرب، فإنها تشجع الجبان وتقوي جأش الخائف، حكمة فيلسوفية. وهناك مزامير أخرى وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى الطرنباط مما أحدثه أيضا في دولته وزادت به دولته فخامة وضخامة. ثم يردف هذه الألوية والآلات من خلف أمير المؤمنين موكبه العظيم".

ويظهر من خلال هذا الوصف أن المنصور قلد في جيشه نظام الجيش التركي من حيث الشكل والأسماء والآلآت وأن قوّاد الجيش، حتى منهم قواد جيش سوس، كانوا يؤخذون من بين العلوج أو من الأتراك، ولكنه مع هذا لم يتخذ فرقة مستقلّة من الأتراك، خلافا لما كان عليه الأمر بالنسبة لأهل الأندلس [76] والعلوج،

---

(76) نزح كثير من الأندلسيين للمغرب بعد تغلّب المسيحيين ودخلوا الجيش المغربي خصوصا في عهد الغالب الذي كوّن منهم فرقة مختصة في الأسلحة النارية، وأقطعهم أراضي الجانب الغربي من الفحص. ومن بين رؤساء الجيش الأندلسي : سعيد بن فرج الدغالي وابن أخيه محمّد ومحمّد زرقون الملقّب بالكاهية وأبو الفضل الغرّي الذي دخل المغرب كجاسوس وعقد له المتوكّل على المدفعية. وقد قتلهم المنصور مباشرة بعد واقعة وادي المخازن لاكتشافه غدرهم وكان جيش الأندلس في الحروب يتقاضى قسما من الغنائم، والبقشيش ويعني بالتركية الهبة والعطية والجائزة. ابن أبي زرع، **الذخيرة**، س.ذ.، ص. 19.

كما أن جيش القبائل العربية أهل سوس وشراكة كان يحتلّ الصدارة في الجيش من الناحية البروتوكولية، ولكن يظهر أن عسكر الأندلس وعسكر المــوالي كانا أكـبرا عددا.

فالمنصور السعدي كان يعتمد في أغلبية المعـارك المهمّـة ا لـتي خاضها على قوّاد وجيش الأندلس والعلوج، فالجيش الذي غـزا بـه السّودان سنة 1590م كـان يتركب هكذا[77]:

| الاختصاص | الأصل | العدد |
|---|---|---|
| الرماة | علوج وأندلسيون | 2000 |
| فرسان | علوج في أغلبيتهم | 500 |
| مزاركية يحملون الرماح | عرب | 1500 |
| مدفعيون، وجنود بأسلحة نارية | مسيحيون | 70 |

وكان يقود الجيش القائد جـودر ومعـه عشـرة قـوّاد مـن جملتهـم مصطفـى التركي ومصطفى بـن عسـكر وعمـار الفتـى (مـن العلـوج أو المعلوجـين) وعلـي مصطفى بوشيبة الملقب ببوغيطة العمري. كما أن الجيش الثاني الذي أرسله لأخـذ محل جؤذر كان برئاسة الباشا محمود مع قوّاد علوج وأربعين من الحرس العلوج.

ومن جهة أخرى كان المنصـور يعتمـد علـى العلـوج في المهمّـات الداخليـة الصعبة، مـن ذلـك اعتمـادهم في حربـه ضـد ابنـه المـأمون الـذي كـان ولي عهـده وخليفته بفاس، إذ كلّف مولاه مسعود الدوري بقطع الطريق بـين مراكـش وسـلا حتى لا يصل خبر الحركة للمأمون ولا يضيع عنصر المفاجـأة، كمـا كلـف القـائد جؤدر في خمسمائة من الفرسان بمحاربته والقبض عليه في زاوية الشـيخ صـالح مـن بلاد فشتالة قرب نهر ورغة ناحية فاس ثم إن جؤدر هذا كان هـو المكلّـف بقبـض الغرامات من القبائل.

---

(77) الناصري، س.ذ.، ج. 5، ص. 121، وكذلك :

J. Caillé, *op. cit.*, p. 9.

ولعلّ هذه الأولويّة الـتي كـان المنصـور يعطيهـا للعلـوج والمسـيحيين وأهـل الأندلس في جيشه لم تكـن راجعـة إلى اقتناعـه بتفـوق هـذه العنـاصر في اسـتعمال الأسلحة النارية من بنادق ومدافع بقدر ما كانت راجعة لحرص المنصور علـى أن لا يتخذ الرماة على الخصوص من بين العناصر ا لتي لها رابطة قبلية وخصوصـا مـن أهل الجبال، حتى لا يزيدوا على تفوّقهـم الاسـتراتيجي تفوّقـا عسـكريا باسـتعمال الأسلحة النارية[78] كما كان يتلافى اتّخاذ ألرماة مـن بـين عـرب بـني هـلال الذيـن اشتهروا بتقلّباتهم وفوضاهم وخصوصا الخلط منهم[79] أما الرّمـاة فكـانوا يختـارون من بين العناصر ا لـتي لم تكـن لهـا عصبيّـة قبليّـة كـأهل المـدن، وأهـل سـوس مـن المغافرة.

ورغم قلّة ثقة المنصور السّعدي بالقبائل المستوطنة بالجهآت الشرقية وتسـمى "شراكة" بسبب حداثة مغربيتها وجذورها ا لتي كانت من الإيالة التركية فإن عـدد شراكة ودورها ارتفعا في الجيش السعدي خصوصا منذ عهد عبد ا لله بـن الشـيخ الذي أعطى لهم في ناحية فاس بل وحتى داخل فاس أراض شاسـعة مقـابل الخدمـة العسكرية[80].

وقد لعبت هاتان القبيلتان المخزنيتان، قبائل أهل سوس وقبائل شراكة، اللتان يمكن اعتبارهما أول العناصر الدائمة في الجيش المغربي، دورا كبيرا في الفوضى التي عمّت المغرب بعد وفاة المنصور خصوصا وأن التوازن الذي كان المنصور قد خلقـه بين مختلف العناصر العسكرية في البلاد اضمحل بضعف السّلطة المركزيـة السـعدية بعد وفاته. فقد اقتسم أبناؤه البلاد معتمدا كل واحد منهم على قسم مـن الجيش،

---

(78) من المسائل التي أخذها المنصور على ابنه المامون هو استخدامه "في الرّماية أهل الجبال من أهـل الصحفة والدينار" لأن ذلك كان يدفعهم إلى أن "لا يغرموا لكم ولا يعطوكـم شيئا" الرسـالة جاء بها السلطان مولاي حفيظ، **داء العطب قديم**، مخ.خ.ح.،رقم،12490،ص. 37.

(79) **ن.م.س.**، ص. 38.

(80) "حتى أعطاهم دور فاس وأجنتهم، فكان الرجل من أهـل فـاس يـأتي بسـتانه فيجـد الأعرابـي بخيمته فيقول : "أعطانيه السلطان".

الناصري، **س.ذ.**، ج. 6، ص. 52.

فجيش العلوج والمسيحيين[81] الذي كان قد فقد كثيرا من قوته وتفوّقه على بقية العناصر منذ حملة السودان، انقسم بين زيدان وأبي فارس، وشراكة عاضدوا الشيخ. ودخلت البلاد في فوضى سياسية وعسكرية، ولم تستطع أي فئة من قبائل الجيش أن تفرض سلطنها على الأطراف الأخرى، وصار الجيش عنصرا من عناصر الفوضى وا لضعف بعد ما كان أساس النظام والقوة.

فالعلوج قاموا بقتل ثلاثة من الملوك السعديين وهم أبو فارس وعبد الملك بن زيدان والوليد بن زيدان[82] والقائد مامون العلج كان ينهب دور فاس جهارا. وشراكة دخلوا كل نزاعات القصر وطغوا في ناحية فاس وداخلها حتى ثار أهل فاس عليهم وقاموا بإبادة عدد كبير منهم سنة 1020هـ ـ 1614م. وكان هذا مما أضعف نفوذ السلاطين السعديين بفاس وجعل هذه المدينة تستقلّ عدة مرات عن حكمهم تحت رئاسة أعيانها كالشريف أبي الربيع والفقيه المرس ومحمد بن سليمان المطي وأحمد بن الأشهب والحاج علي سوسان وأبا يعلى[83].

وجيش الشبانات كذلك قوي نفوذه في ناحية مراكش، حيث ثار قائده عبد الكريم بن القائد أبي بكر الشباني، الملقب بكرّوم الحاج، على السلطان أبي العباس أحمد بن محمد بن الشيخ 1064هـ ـ1654م/1069هـ–1659م وقتله وتولّى على مراكش ونواحيها التي بايعته سنة 1069هـ ـ1659م، وبقي مستقلا بتلك المناطق إلى أن قتله جنوده سنة 1079هـ ـ1669م حدث ذلك أربعين يوما قبل دخول المولى رشيد مراكش حيث قضى على دولة الشبانات وأخرج عبد الكريم من قبره وأحرقه.

---

(81) بعد واقعة وادي المخازن أو الملوك الثلاثة أو القصر أسر عدة فئات من النبلاء البرتغال والأروبيين الذين شاركوا في المعركة واستعملوا في الجيش ومنهم من أسلم.

J. Caillé, *op. cit.*, p. 88.

(82) الناصري، س.ذ.، ج. 6، ص. 17 ـ 22 ـ 82.

(83) ن.م.س.، ص. 53. وكذلك:

R. Le Tourneau, *Fès avant le protecterat*, éditions la Porte, Rabat, 1949, pp. 81 - 82.

يذكر أن التكبير من صومعة القرويين "توقّف عدّة آيام بسبب الفوضى كما هاجر كثير من سكان فاس بسبب الفوضى العسكرية إلى تونس ومصر والسودان.

كما أن الدريدي الذي كان من قبيلة الشبانات وعمل في جيش السعديين ثم في جيش الدلائيين استقل نهائيا بفاس و لم يقض عليه إلا المولى رشيد(84).

ومن المتعذّر تحديد العلاقة السببية الدقيقة بين تقهقر الجيش السعدي وضعف السلطة المركزية وبين تقهقر الاقتصاد في هذه الفترة ومدى تأثير كل منها على الآخر. لأن الإجابة عن تساؤلات من هذا النوع تتطلب معلومات حول مدى تبعية الجيش السعدي للتجارة الخارجية سواء فيما يخصّ تجهيزاته المستوردة أو فيما يخص النّسبة التي كانت تستهلكها نفقاته من مداخيل الدولة من تجارة الذهب والسكر وملح الكبريت (85) ومدى توقّف التّجارة الخارجية للسّعديين على القوّة العسكرية، وحول الدور السلبي أو الإيجابي لجيش نظامي مرتفع العدد والتّكاليف على الحياة السّياسية والاقتصادية.

ولكن هذا لا يمنع من القول بأن اختلال أمور الجيش ووحدته أفقد المخزن السعدي تفوّقه وسلطته على القوات الجهوية. كما أفقده موارده المالية المتمثلة في الضرائب وفوائد التحكّم في الطّرق التجارية ا لتي ضاعت بسبب الاضطرابات التي عمّت البلاد. فبدأت المقاومة والمنافسات القبلية التي كان جيش المنصور قد أخمدها تندلع من جديد، فالعصبيّة المصمودية انبعثت في زاوية الفقيه أبي زكرياء الحاحي والسوسية في شخص أبي الحسين علي بن محمد السملالي المعروف بأبي حسّون، والقبائل العربية من وراء أبي عبد الله العيّاشي. وقد غذّى هذه الحركات وقوّاها زيادة على ضعف الجيش السعدي وتقهقر موارده الاقتصادية فقد المخزن السعدي مشروعيته لإخلاله بشرطها الأساسي الذي هو الدفاع عن الإسلام ضد "الكفار". فالسلاطين السعديون في غمرة صراعهم من أجل الحكم لم يكتفوا بالاستعانة بالأتراك بل تعدّوا ذلك إلى التحالف مع الإسبانيين، فالشيخ ولد المنصور المدعو المامون، مثلا، تنازل لهم عن العرائش سنة 1022هـ - 1612م مقابل استرجاع عرشه من يد أخيه السلطان زيدان. وهذا الحدث هو الذي نزع الحرمة نهائيا عن المخزن

---

(84) حول الشبانات : الضعيف، س.ذ.، ص. 53.

(85) حول الأزمة الاقتصادية :

Groupe de professeurs, *l'historie du Maroc,* pp. 219 - 220.
A. Laroui, *op. cit.,* p. 36.
P. Berthier, *Les anciennes sucreries du Maroc,* Rabat, 1956, pp. 221 - 265.

السعدي حتى إن أشياخ قبائل الفحص قرّروا قتل السلطان الشيخ، وتركوه "مكشوف العورة دون دفن عدة أيام" سنة 1613م [86] وهذه أول مرة تتجرّأ فيها القبائل على قتل سلطان سعدي. إذ أنّ كل السلاطين السعديين الذين قتلوا قبله كانوا يقتلون من طرف العلوج بإيعاز من أفراد عائلتهم المتصارعين على الملك أو من طرف الأتراك.

وبفقدان المخزن السعدي القوة العسكرية والمشروعية الدينية، انفتح المجال لكلّ طامع في الملك وأصبح باب الحكم مفتوحا على مصراعيه، يرجو دخوله كل من شعر أنه قادر على إدّعاء أحد العنصرين الديني والعسكري، أو كلاهما، من رؤساء زوايا وشرفاء ومجاهدين وفقهاء ورؤساء جيوش. ومن المراسلات التي دارت بين مختلف العناصر المتصارعة في هذه الفترة الانتقالية يظهر أن مختلف الأطراف كانت تسعى إ مّا لتأكيد تفوقها العسكري أو مشروعيتها الدينية[87].

## 3 ـ محاولة الانفراد بالقوّة العسكرية

وقد استطاع الشرفاء العلويون بتافلالت أن يتفوّقوا على بقية المتنافسين حيث استطاعوا الجمع بين المشروعية، إذ هم الشرفاء حفدة النبي الذين لم يطعن أحد من الأطراف المتنازعة في شرفهم، والمجاهدون الذين استنجد بهم أهل الأندلس وجاهدوا في السودان، وبين القوة العسكرية التي شرع المولى محمد في جمعها، بغاراته على أطراف الإيالة التركية وانضمام العناصر العربية الساخطة على الحكم التركي إلى أتباعه. وزاد فيها المولى رشيد حينما انضم إليه عرب أنكاد وعدة قبائل شرقية بعضها من البربر كمديونة وهوارة وبني سوس وبعضها من العرب كشجع وبني عامر، خصوصا، وأن استيلاء المولى رشيد على أموال ابن مشعل سهّلت عليه اتخاد عناصر دائمة في جيشه من هذه القبائل التي أوطنها أولا بأحواز فاس وبنى لها القصبة الجديدة بديار لمتون وعرصة ابن صالح ثم قصبة باب الخميس حين نقلهم إلى بلاد صدينة وفشتالة بين نهر سبو ودرعة حيث أقطعهم تلك الأراضي مقابل الخدمة العسكرية. وقد رسّخ المولى إسماعيل الدولة العلوية حينما رسّخ قوته

(86) القادري، نشر المثاني، س.ذ.، ص. 95.

(87) انظر هذه المراسلات في الضعيف، س.ذ.، ص. 15 ـ 18.

العسكرية بخلق جيش نظامي ورسّخ المشروعية بترأسه الجهاد وتحرير الموانئ المغربية ما عـدا سبتة والجديـدة، فقضـى علـى القـوات المتناقسـة علـى الحكـم مـن زوايـا ومجاهدين وفقهاء وقبائل ومدن مستقلة.

وإذا أمعنا النظر في النظام العسكري الذي بدأ المولى إسماعيل في بنائه تدريجيا منذ أن تولى الملك وجدناه يخضع لنفس القاعدة ونفس الغاية التي كانت كلّ الدول المتعاقبة على المغرب تسعى لتحقيقها وهـي خلـق جيـش نظـامي وإبقائـه مـا يمكـن مستقلا عن النفوذ القبلي وجعله متفوّقا على القوات العسكرية الجهوية مع جعلـه في نفس الوقت خاضعا للسـطلة المركزيـة.إلّـا أنّ الوسـائل التـى استعملها مـولاى إسماعيل تدلّ على أنهّ بالإضافة لهذا كان يرمى إلى الانفراذ نهائيا بالقوّة العسكرية.

وقد استعمل لهذه الغاية وسائل تقليدية وأخرى مبتكرة أعطت بعـد خمسـين سنة من الحكم نتائج تفوق بكثير النتائج التي وصل إليها الذين سـبقوه، وخصوصـا فيما يتعلق بالتفوّق العسكري الداخلي وبتحرير الجيش من النفـوذ القبلـي، وفـرض السّلطة المركزية ،وبقيت آثار هــذه السياسـة بإيجابياتهـا وسـلبياتها تنعكـس علـى تاريخ المغرب إلى القرن التّاسع عشر.

## أ ـ الوسائل التقليدية

ففي أوائل عهد مولاي إسماعيل اعتمدت قوته العسكرية على أربعة عناصر:

* قبائل الجيش ا لتي ورثتها الدولة العلوية عن الدّولة السعدية، منها ما صـار يظهر كعناصر دائمة في الجيش المخزني منذ عهد المرينيين وقد اتبـع المـولى إسمـاعيل معها نفس النظام الذي اتخذه السعديون وهو الإعفاء من الغرا مات والضرائـب مـا عدا ا لضرائب الشرعية، الزكاة والأعشار وتمتيعها بالانتفاع بـأراض مخزنيـة مقـابل تجهيز عدد من الفرسان يكونون رهن إشارة المخـزن في أيّ وقـت. وهـذه القبـائل المخزنية زاد فيها المولى إسماعيل وغير مواطنها حسب مصلحة السّاعة.وأهمّها:

- جيش الودايا وكان مكوّنا من ثلاثة رحى :

• رحى أهل سوس، وهـو الجنـد الـذي احتفـظ بـه السـعديون مـن عرب معاقل. وقد قام المولى إسماعيل بنقلهم من الحـوز حيـث كـان نفوذهم قد تقوّى، إلى ناحية وجدة ليواجـه بهـم قبـائل بـني يزناسـن وبنى لهم ثلاث قلاع، ورأّس عليهم أبا ا! قــاء العياشـي بـن الزريفـي

الزّراري. وقد اختلطت هذه القبائل في تنقّلاتها بقبائل أخرى بربرية انصهرت فيها.

• رحى المغا فرة، كذلك من عرب معقل، وكانوا أخوال وأصهار مولاى إسماعيل، وقد انتقلوا إلى شمال المغرب معه سنة 1089هـ - 1678م حينما غزا الصحراء ووصل إلى شنكيط وتخوم السودان وأدخلهم في سجّل الجيش أو الديوان.

• رحى الودايا، وقد قدموا على المولى إسماعيل بعد دخوله مرّاكش للمرّة الثانية 1088هـ - 1677م، في ثلاث موجات، فأثبتهم في ديوان الجندية وأوطنهم بالرّباط بجوار قصبة مكناس، ثم أرسل فيما بعد جيشا منهم لفاس الجديد. وقد أطلق اسم الودايا على المجموعات الثلاث.

- جيش شراكة، وقد أبقاه المولى إسماعيل في أحواز فاس كما كان عليه الأمر في عهد مولاي رشيد كسيف فوق رأس المدينة التي اشتهرت بثوراتها المتعدّدة.

- جيش أيت يمور، وأنزلهم السّلطان بقلعة تغالين في وسط قبائل أيت أومالو.

وقد فرض المولى إسماعيل على قبائل الجيش هذه نوعا من النظام العسكري يضمن سرعة تدخلها عند الحاجة، كما أن توطينها في مناطق حسّاسة كوجدة على الحدود التركية المغربية وداخل القبائل الجبلية "العاصية" أو في نواحي العاصمة مكناس و نواحي فاس التي ثارت عدّة مرات يؤكد الطابع العسكري النظامي الحرفي الذي أضفى على هذه القبائل.

وقد قسّمت هذه القبائل إلى أقسام تسمى كل منها رحى. وتتكون كل رحى من ألف رجل يرأسها قائد رجي : وقسّمت كل رحى إلى مئين يرأس كلا منها قائد. وقسّمت كل مائة إلى أربعة أقسام أو رباع أوربايع يرأس كلا منها مقدّم. وكانت جيوش القبائل المخزنية تشكّل طليعة المحلة السلطانية أثناء الحركات وقد اشتهرت بعض فرق الجيش بشجاعتها، مثل أولاد جرار الذين كانوا تحت

رئاسة موسى الجراري، [88]وقد أطلق بعض المعاصرين على قبائل الجيش اسم "الإنكشارية"تشبّها بنظام الجيش التركي.

وكانت هذه الجيوش تعود إلى الحياة العادية بعد الحركة، ما عدا العناصر التي كانت دائمة في المخزن داخل الإدارة أو الحرس السلطاني أو في المدن، حيث كانت تعمل لدى ولاة المدن في بعض القبائل القليلة الطاعة وفي القصبات.

وقد احتلّ بعض قواد هذه الجيوش وظائف ممتازة في المخزن الإسماعيلي.

* عناصر عسكرية ظرفية يعّينها المخزن للقيام معه في بعض الحركات. فمثلا في الحركة التي قام بها السلطان سنة 1104هـ - 1693م لفزاز ضدّ قبائل أيت أومالو كان إلى جانب الجيوش المخزنية جيش أيت يدراسن يرأسهم علي بن بركات، وقبائل زمور وبني حكم يرأسهم علي بن يشي، وأهل تذغت وفركلة وغريس والصباح وأغلبية هذه القبائل التي شاركت إلى جانب المخزن في هذه الحركة كان المولى إسماعيل قد أخضعها فيما قبل، منها قبيلة أيت يدراسن، كان السلطان قد تغلب عليها سنة 1095هـ - 1684م ونزع منها خيلها وسلاحها وأعطاها عشرين ألفا من الغنم. فبالرغم من أن المولى إسماعيل سعى منذ أوائل عهده إلى القضاء على القوة العسكرية للقبائل بنزع سلاحها وخيلها وجعلها تنشغل فقط بالفلاحة، فإنه ظلّ يستعملها في بعض الأحيان، بعضها ضدّ الآخر، للقضاء على إمكانية أي تحالف بينها. فمثلا في الحركة المذكورة كلّف القائد علي بن يشي، قائد قبائل زمور وبني حكم والقائد علي بركات، قائد أيت يمور وأيت يدراسن بجمع رؤوس القتلى وجمع الخيل والسلاح[89] وهذا كان من شأنه ولا شك أن يرسّخ العدواة بين القبائل الغالبة والقبائل المغلوبة.

---

(88) حول قبائل الجيش :

Le Coz, « Les tribus ghiches du Maroc », *R.G.M.* , pp. 59 - 82.

كذلك: أكنسوس، **الجيش العرمرم**، خ.ع.ر.، د 965، ص. 55.

(89) أبوالقاسم الزياني، **الخبرعن أوّل دولة من دول الإشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي**، المطبعة الحجرية الجمهورية ،باريس، 1886، ص. 20.

ومن هذه العناصر الظرفية كذلك رماة المدن : كرماة فاس والرباط وسلا، وكذلك القبائل الرّحل التي كانت قد ساندت السلطان في بعض حركاته[90].

* قبائل المجاهدين : بعد ما كان الجهاد عامّا وموكولا لكلّ القبائل، قنّنه المولى إسماعيل وحصره في قبائل معيّنة أغلبها من قبائل الفحص، ورأّس عليها قوادا من بينهم، كان غالبا ما يختارهم من نفس العائلات كعائلة أعراس، وعائلة البطوئي، وعائلة الريفي. وكان المولى إسماعيل يوكل لهذه القبائل التي ترك لها خيلها وسلاحها كقبائل المخزن، مهمّة تحرير الثغور أينما وجدت، فهي التي قامت بتحرير المهدية سنة 1092هـ - 1681م[91] تحت قيادة عمّار بن حدو البطوئي

---

(90) Ch.Penz,*Les émerveillements parisiens d'un ambassadeur de Moulay Ismail*,éditions Sibaway, Casablanca, 1949, p. 32.

(91) كانت المهدية أو معمورة محتلة من طرف الإسبان منذ 1614م، أرسل مولاي إسماعيل لحصارها عشرة آلاف من المجاهدين ودارت المفاوضات بين قائد الجيش المغربي وقائد الحامية الإسباني الذي قرر الاستسلام مقابل إخلاء سبيله هو و7 ضباط وعائلاتهم ورجلي دين رغم معارضة رجال الدين الذين كانوا يحرضون الجنود الإسبان على المقاومة .وحينما وصل خبر قرار الاستسلام للسلطان قدم على رأس جيش من العبيد، وتسلم مفاتيح القصبة وأخلى سبيل القائد الإسباني، وأرسله لإسبانيا عبر العرائش حتى يقنع قائد الحامية هناك بإخلائها .ولكنه ألقي عليه القبض، ووجه سجينا إلى قادس. وبقي أغلبية الجنود الإسبان الذين كانوا يحتلون المهدية، وكان عددهم 2000 أسرى، منهم من استعمل في بناء القصور السلطانية ومنهم من أسلم وعمل في الجيش.

وكان تحرير مهدية يوم الجمعة 15 ربيع الثاني 1092هـ/1681م.

من التفسيرات التي أعطيت لاستسلام رئيس الحامية : انقطاع المؤونة عنها برا وبحرا لانشغال إسبانيا بمشاكلها الداخلية وإعلام بعض الجواسيس مولاي إسماعيل بالجوع والمرض الذي أضعف الحامية، وكذلك قطع الماء عن القصبة، ورفض الجنود الاستمرار في المقاومة بعد أن وعدهم القائد عمر بن حد البطيوي بعدم التعرض لهم بمكروه. في حين يذكر بعض المؤرخين المغاربة كاليافرني أنها أخذت عنوة وكانت المهدية محصنة بـ 104 مدفع وقد تكون تسميتها بالمهدية بعد تحريرها دليلا على كثرة الغنائم وسهولة تحريرها.

Défontin Maxangue, *Le grand Ismail*, Marpone et Compagnie éditeurs, Paris, 1920, pp.15 -63.

وحرّرت طنجة سنة 1095هـ – 1684م بقيادة علي بن عبد الله الريفي[92] والعرائش

P. Callautt de Villalain, « Déscription de la Mamora , Salé, Taza », in *SIM*, T.II, p. 578.

R. Coindreau, *Le port de Mehdia*, Paris, 1946, p. 61.

(92) احتل البرتغال طنجة سنة 1437م وسلّمها الملك البرتغالي ألفونش السادس Alphonse VI إلى ملك انجلترا شارل 2 كمهر لأخته سنة 1661م وقد قامت محاولة أولى لتحريرها سنة 1674م ولكن ثورة ابن أخ مولاي إسماعيل ابن محرز شغلت مولاي إسماعيل وفي 1678م حوصرت من جديد وقام القائد عمر بن حد البطيوي بهجوم على حصونها الخمسة Kendall, Henriette, Pont, Charles, Anne..

ووقع هجوم آخر في 1679م ثم في 1780م وفي أبريل 1780م أرسل مولاي إسماعيل فرقة من عبيد البخاري لتدعيم جيش المجاهدين مما جعل حاكم طنجة يطلب هدنة.

وقد أرسلت انجلترا حاكما جديدا لطنجة فيربون Colonel Fairborne و12 فرقة من Earl of Dunbarton وفرقا من المتطوعة على رأسها الكونت بليمونت Plymounth وفرقا من البحرية تابعة للأميرال إغبيغ Herbert.

ووقعت إسبانيا مع انجلترا معاهدة ضد مولاي إسماعيل. وبعد انتهاء الهدنة وقعت محاولة إنجليزية بفك الحصار ولكن فيربون Fairborne قتل أثناء محاولته الخروج على رأس فرسانه ووقعت هدنة أخرى بين الطرفين لمدة 6 أشهر ثم وقعت معاهدة لمدة أربع سنوات تبودلت أثناءها سفارات بين المغرب وإنجلترا.

وفي هذه الأثناء لعبت الأزمة السياسية الدينية والاقتصادية التي عاشتها انجلترا في آخر عهد شارل 2 دورا كبيرا في تغيير الموقف الإنجليزي، فالبرلمان رفض التصويت على الميزانية العسكرية لطنجة، واضطر شارل 2 للتفكير في التنازل عن المدينة للبرتغال ثم للإسبان ثم للويس الرابع عشر، الذي رفض. وفي 1683م، قرر هدم الحصن والميناء واسترجاع الحامية وترحيل السكان الإنجليز من طنجة، وقد تكلف بهذه المهمة اللورد درموت Darmmouthالذي لقب أميرالا واستغرقت عملية الهدم 3 أشهر ابتداء من 4 أكتوبر 1683م، وفي 15 فبراير 1984م رحل الإنجليز عن طنجة. و لم يعد التفكير في إعادة بناء الأبراج إلا بعد معركة إسلي.

سنة 1100هـ – 1689م[93] بقيادة أبي العباس أحمد بن حدو البطوئي، وأصيلا سنة

---

وقد استعمل المغاربة في الحصار الأول والثاني وفي الهجومات المفرقعات والمين وle Feu grégois والمدفعية وحجر المنجنيق مما جعل بعض المؤرخين الأوربيين يعتقدون أنه كان داخل الجيش المغربي المحاصر مرتزقة أتراك ويونان.

G. Salmon, « La Casbah de Tanger », *A. M.*, T.I, pp.126.

Défontin Maxandre, *op. cit.*, pp. 131-156.

(93) بقيت العرائش محتلّة من طرف الإسبان منذ أن سلّمها لهم الشيخ المامون السعدي مقابل إعانتهم لاسترجاع العرش من يد أخيه. وبعد تحرير طنجة أمر مولاي إسماعيل المجاهدين وكانوا يسمّون كذلك المحرّرين بحصارها ودام هذا الحصار 5 أشهر استسلم على إثرها حاكمها.واستعمل الجيش المغربي نفس الاستراتيجية التي استعملها في طنجة أي المين ومنع وصول الزاد والعتاد وساعدت بحرية لويس الرابع عشر مولاي إسماعيل على حصار العرائش من جهة البحر عدّة أيام ثم انصرفت ولعب الإخوان الفرانسسكيون دورا في استسلام العرائش حيث أقنعوا الجنود بأنهم سيطلق سراحهم كلّهم معتمدين على وعد أعطاه لهم أبو العباس أحمد بن حدو البطوئي من طرف السّلطان .ولكن بعد استفتاء قاضي مكناس أبي عبد الله محّد سيقوا أسرى إلى مكناس، وافتدى بعضهم فيما بعد بنسبة مسيحي مقابل عشرة مسلمين. وقد طلب المولى إسماعيل الكتب التي كانت أخذت لأبي زيدان مقابل الأسرى. وبعد تحرير العرائش منع السلطان لبس النعال السود على المسلمين وكانوا يلبسونها كعلامة على الحداد، منذ أن احتلّ الإسبان العرائش. وأسكنها مولاي إسماعيل أهل الريف.

عبد الرحمان بن زيدان،**المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل الشريف**، مطبعة إديال، الدار البيضاء،1993،ص،140

الناصري، **س.ذ.**، ج. 7، ص. 73 ـ 75.

الضعيف، **س.ذ.**، ص. 71.

الوثائق، ج. 1، ص. 416 ـ 419، رسالة مولاي إسماعيل مؤرخة بـ 6 ذي الحجة 1201هـ يطالب فيها الملك دون كارلوس ب "5000 كتب المثقفة بخزانتكم بإشبيلية، وقرطبة، وغرناطة، و500 أسير من المسلمين".

1102هـ - 1691م[94] وحاصرت سبتة عدة سنين دون أن تستطيع تحريرهـا رغـم أن السلطان ساندها بجيش من العبيد ومن أهل فاس[95] وإلى جانب الحروب التحريريـة التي كان المـولى إسماعيل يكلّفهـم بهـا، كـان المجاهدون يشـاركون في الحركـات السلطانية الأخرى التي لا علاقة لها بالجهاد، فمثلا في حصـاره الأول لمرّاكـش عـام 1085هـ - 1674م نجد من بين قوّاد الجيوش السطانية الرئيس أبا محمد بـن عبـد الله أعراس الذي كان قد ثار في الريف ضدّ السلطان مولاي رشـيد، ولمـا تغلـب عليـه

---

(94) حاصر المجاهدون أصيلا مدة سنة بين 1690م و1691م استسلم بعدها الإسبان، ورحلـوا عنهـا وملكت لأهل الريف.

(95) دام حصار سبتة الذي بـدأ منـذ تحريـر أصيـلا سـنة 1691م إلى أواخـر عهـد مـولاي إسمـاعيل وشارك في هذا الحصار بصفة متقطعة قسم من العبيد ورماة فاس الذين كانوا يتنـاوبون بمعـدل 600 رام كل 6 أشهر وبعض القبائل الجبلية التي كانت ترسل حصّتها كل سنة بالتناوب. وبلغ عدد المرابطين 25000،.واستعمل المغاربة والإسبان المفرقعـات. ووقعـت معـارك متعـددة ومـن الأسباب التي فسّر بها بعض المؤرخين صمود الإسبان في سبتة التحريض الذي كانت تقوم بـه الكنيسة الكاثوليكية وكذلك سهولة وصول الزاد والعتاد من إسبانيا وعجزالبحرية المغربية عـن منع وصولـه، ومقتـل أغلبيـة المسـيحيين والعلـوج المختصـين بوضـع المفرقعـات في الحصـارات السابقة في جيش مولاي إسمـاعيل وتخـوف أهـل الريـف مـن أن ينقلهـم مـولاي إسمـاعيل مـن الشّمال منطقة نفوذهم ـ حيث تراكمت ثرواتهـم ـ إلى الجنـوب لتحريـر الجديـدة، وكذلـك تقطع اهتمام مولاي إسماعيل بسبب انشغاله في حروبه ضد منافسيه في الحكم من أبناءه، وأبناء إخوته وإخوته. وقد قامت محـاولات متعـددة لتحريـر سـبتة منـذ أن احتلّهـا البرتغـاليون سـنة 818هـ/1415م ومن بين من حاصرها مباشرة بعد احتلالها المجاهد الصوفي عبد الرحمان الجـزولي ودام حصاره لها أربع سنوات ، وكذلك الوزير الوطّاسي أبو زكرياء سنة 1426هـ.

الضعيف، س.ذ.، ص. 97.

الزياني، س.ذ.، ص. 23.

D. Maxandre, *op. cit.*, pp. 171-172

A. Coru, *La dynastie marocaine des b .Wattas*, p. 47.

هذا الأخير عفا عنه وتركه قائدا على قبائل الريف[96] وكذلك نجد الشيخ عمر البطوئي وولده.

وتقنين الجهاد هذا من بين المسائل الثلاث التي خاطب فيها الفقيه اليوسي المولى إسماعيل في رسالته الشهيرة إذ يقول : "وأما الأمر الثاني (الجهاد) فقد ضاع أيضا وذلك أنه لم يتأتّ في الوقت عمارة الثغور، وسيدنا قد غفل عنها فقد ضعفت اليوم غاية. وقد حضرت بمدينة تطوان أيّام مولانا الرشيد رحمه ا لله فكانوا إذا سمعوا الصريخ تهتزّ الأرض خيلا ورماة، وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صريخا من جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على أرجلهم بأيديهم العصيّ والمقاليع. وهذا وهن في الدين وخطر على المسلمين. وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقلية،... "[97] ورغم أن المولى إسماعيل كان يترك للمجاهدين في بعض الأحيان الغنائم كلّها إلا أنه كان يأخذ منها ما غنمته من الأسلحة وخصوصا المدافع، فمثلا في فتح طنجة استولى المجاهدون على مركب قرصاني كان يحمل الأسلحة وبضائع لسبتة فألزم المولى إسماعيل قبيلة غمارة بجرّ المدافع النحاسية إلى مكناسة وأرسل الرماة من أهل فاس للسّهر على هذه المهمّة[98].

*العلوج وقدّر عددهم بالف وخمسمائة[99] في أواخر عهد مولاي إسماعيل، وكانوا إمّا من ما تبقى من العلوج الذين كانوا في الجيش السعدي، أو من المسيحيين أسرى تحرير الموانئ في عهد مولاي إسماعيل، وكان اعتناقهم الإسلام يحرّرهم من الأسر، وقد استعملوا في حماية القوافل القادمة من توات ومن غينيا والتي كانت تحمل إلى مكناس الضرائب وفي بعض الأحيان العبيد للجيش[100] وفي حصار الحصن ووضع المفرقعات حيث لعبوا دورا في حصار قصبة المهدية وطنجة وفي حراسة بعض المناطق الحسّاسة حيث كانوا يشكلون الحاميات. فمثلا في

---

(96) الناصري، س.ذ.، ج. 6، ص. 34.

(97) في رسالة اليوسي لمولاي إسماعيل جاء بها مولاي حفيظ، **داء العطب قديم**، س.ذ.، ص.84.

(98) J. Caillé, *op. cit.*, p. 27.

(99) D. Nordman, « La mémoire d'un captif », in *annales E. S. C.*, 1986, p. 1400.

(100) Magali Morsy, *Relation de Thomas Pellow, une lecture du Maroc au 18ème siècle*, Paris, édition Recherche sur les civilisations,1983, pp.122-161-163.

تامسنا كانت توجد فرقة من العلوج، يقوم البعض منها دوريا بعمليات عسكرية تدوم عدة اشهر وفي بعض الأحيان تدوم هذه العمليات ما يناهز سنتين[101] كما استعملوا في المدفعية. ويظهر أن العلوج على الرّغم من عدم تمتّعهم بالاحترام داخل المجتمع المغربي كانوا يحتلون مكانة مرموقة داخل جيش مولاي إسماعيل.

### ب ـ الوسائل المبتكرة : الرّق كضمان لطاعة الجيش

ولكن يبدو أن هذه العناصر التقليدية التي زاد فيها مولاي إسماعيل ونقص وكيّفها سياسيا واقتصاديا ليضمن طاعتها، لم تكن كافية، وأن المدن والقبائل لم تكن تظهر دائما حماسا كبيرا للمشاركة في العمليات العسكرية المتتالية والمتعدّدة التي كانت تتطلّبها السياسة المركزية المتبعة من طرف مولاي إسماعيل منذبداية عهده، ولمواجهة الحالة الداخلية من ثورات أبناء إخوته كابن محرز[102] وإخوته كالحرّان وأحمد وهاشم[103] وثورات أبنائه [104] ولمواجهة الثورات القبلية المتعدّدة

---

(101) *Ibid.*, p. 102.

(102) دامت ثورة ابن محرز أربعة عشرة سنة، وامتازت بالحركية، حيث كان ابن محرز يتنقل عبر المغرب شمالا وجنوبا، محرّكا عدّة قبائل، ومكبّدا مولاي إسماعيل عدّة انهزامات ولم تنته ثورته إلا سنة 1096هـ/1685م حينما قتله أفراد من قبيلة زرارة غلطا.

(103) اندلعت ثورة ثلاثة أبناء مولاي الشريف الحرّان وهاشم وأحمد، مع ثلاثة من أبناء عمّهم سنة 1089هـ/ 1678م والتفّت حولهم آيت عطّة واستطاع السّلطان الانتصار عليهم في معركة بجبل ساغرو بعد أن هلك من جيشه عدد كثير خصوصا من رماة فاس، وانسحب المتمرّدون إلى الصحراء.

(104) دعا محمّد العالم ابن مولاي إسماعيل لنفسه بسوس، وزحف على مرّاكش سنة 1114هـ/1706م ونهبها، فأرسل السّلطان ابنه زيدان لمحاربته، فقام بدوره بنهب مراكش التي كان محمّد العالم قد رحل عنها إلى تارودانت. ودامت الحرب بين محمّد وزيدان مدّة ثلاث سنوات احتلّ بعدها زيدان تارودانت ونكب أهلها، وبعث بأخيه مكبّلا إلى مكناس، فبعث السّلطان من قطع يده ورجله من خلاف في ناحية واد بهت، وتوفي عند وصوله لمكناس. وقد نكب عدّة علماء في هذه الثورة لأنهم كانوا على اتصال به لاشتهاره بالعلم والأدب ومن بين من غضب عليه

كالثورة التي قادها لخضر غيلان في الشمال[105] وثورة تادلة التي قادها أحمد بن عبد الله الدلائي[106] وكذلك لمواجهة ما كان يتطلّبه تحرير الثغور المحتلّة .وهذا ما يظهر من الرّسائل المتعدّدة التي أرسلها مولاي إسماعيل لعلماء فاس، التي يبرّر فيها اتخاد جيش من العبيد. حيث يقول في إحداها :

"وقد نظرنا في الجند الذي عليه مدار أساس الخلافة وبه قوامها فما وجدنا مدينة فيها عصبيّة، ولا قبيلة فيها حميّة تطوّق اعناقها بهذا الطوق وتتقلد هذا الربق .فمدينة فاس لا نحتاج إلى أن نخبرك بها ، ولا أن ننهى إليك حالها تشكّت من الضعف كثيرا حتى أنّا إن أردنا أن نخرج منها ألفين أو ثلاثة آلاف لا يساعدون عليه ،ويزعمون أنهم لا يقدرون على الوصول لهذا العدد"[107].

---

السّلطان القاضي بردلة لإقامته صلاة الجنازة عليه. كما ثار ابن مولاي إسماعيل أبو النصر بسوس سنة 1123هـ.

(105) الخضر غيلان الجرفطي كان من أصحاب أبي عبد الله العيّاشي وكان مقدّما على الغزات "المجاهدين" في بلاد الهبط واستقل ّبهذه النّاحية بعد مقتل هذا الأخير حاربه مولاي رشيد ففرّ إلى الجزائر ومارس " الجهاد البحري"، وفي عهد مولاي إسماعيل رجع إلى المغرب ونزل بتطوان مع رؤساء أولاد النّقسيس، واتّصل بأهل فاس الذين كانوا قد ثاروا على مولاي إسماعيل وقتلوا قائد جيشه زيدان بن عبيد العامري ونادوا ببيعة أحمد بن محرز فقام مولاي إسماعيل بإرجاء حرب ابن محرز بعد أن كان محاصرا له في تازة وقصد الهبط، حيث قتل الخضرغيلان سنة 1084هـ/1669م.

(106) التفّت عدّة قبائل صنهاجية حول أحمد بن عبد الله الدّلائي في تادلا، وهزمت ثلاث جيوش متتابعة أرسلها السّلطان لمحاربته وأمام تفاقم الأوضاع اضطر مولاي إسماعيل الذي كان منشغلا بثورة ابن أخيه أن يتفرّغ لمحاربة الدّلائي فقاد بنفسه حركة لتادلا قضى فيها على معالم زاوية الدّلاء.

(107) من رسالة بعثها مولاي إسماعيل إلى العالم محمّد بن عبد القادر الفاسي، جاء بها محمّد الفاسي في مجلة تطوان، عدد خاص بمولاي إسماعيل 1962م.

وهو كذلك ما كتبه لعلماء مصر حيث يقول : "حين جاء ا لله بنا لهذا المغرب وولّانا أمره وجدناه خاليا من الجيش والعيش، خفيف العمارة بعيد العهد بالخلافة بسبب تلك الفترة التي اعترته"(108).

كما أن الاعتماد على القوّة القبلية في الجيش كان مرهونا بتقلّبات القبائل التي لم تكن تتردّد في الانضمام لخصوم السّلطان سواء كانوا من عائلته ام لا.زيادة على هذا يظهر أن القوّات العسكرية التي كان السّلطان يجمعها من القبائل والمدن لم تكن تتوفّر على كلّ الشروط التي كان مولاي إسماعيل يعتبرها ضرورية لجيش "على طريق المخزن"(109) لهذا كان لا بدّ له من إضافة عنصر عسكري أكثر دواما من الأحلاف القبلية، وأكثر طاعة وأشدّ إخلاصا من عناصر الكيش، منسلخ عن كل ارتباط عرقي أو جغرافي داخلي لتتوفّر فيه شروط الاستمرارية و"المخزنية" وعلى هذا الأساس كوّن جيش البخاري.

وسواء كان أصل هذا الجيش من سلالة السّود الذين كانوا في جيش المنصور السّعدي كما يذكر المؤرّخون المغاربة والأروبيون الذين نقلوا عنهم (110) والذين تكلّف محمّد بن قاسم عليلش(111) بجمعهم أو كان أصلهم من السّود الذين

---

(108) من رسالة أرسلها مولاي إسماعيل لملك مصر وعلمائها جاء بها مولاي حفيظ، **داء العطب قديم، س.ذ.**، ص. 50 ـ 51.

(109) في نفس الرّسالة السّابقة يذكر مولاي إسماعيل أن "أهل المغرب لهذا العهد لا يصلحون للجندية لما جلبوا عليه من التّكاسل والتّخاذل "ويضيف أنه "لم يجد الجيش مدرّبا على طريقة المخزن".

(110) يتّفق المؤرخون المغاربة على أن أصل عبيد البخاري من السّودانيين الذين كانوا في جيش المنصور، وأن كاتب مولاي إسماعيل محمّد بن قاسم المرّاكشي المدعو عليلش الذي كان أبوه باشا في عهد المنصور اقترح على السّلطان إعادة جمعهم من القبائل معتمدا على ديوان الجيش الذي كان للمنصور السّعدي.

(111) في رسالة من مولاي إسماعيل إلى محمّد بن عبد القادر الفاسي يتكلّم فيها السّلطان عن محمّد بن قاسم عليلش وليس عمر كما ذكر النّاصري، ويثني فيها على عليلش ويذكر أنه متخصص في علم الفرائض.

محمّد الفاسي، **مجلّة تطوان، س.ذ.**، ص. 13.

أدخلهم المدعو علي حيدرة من السّودان لمحاربة المولى رشيد، وتركهم في سوس لمّا علم بموت هذا الأخير[112] أو أنّ المولى إسماعيل هو الذي كلّف في سنة 1672م ابن أخيه مولاي أحمد بالذهاب إلى السّودان ليؤكّد السّلطة المغربية هناك ويأتي له بالسّود، فإن كلّ من هذه الاحتمالات الثلاثة أو كلّها مجتمعة لأصل عبيد البخاري تثبت أنهم غرباء عن القبائل وأجانب عن البلاد بدون أيّ ارتباط عرقي داخلي.
وهذا كان من بين المؤهّلات الأساسية التي جعلت المولى إسماعيل يتّخذ منهم نخبة جيشه وركيزة سلطته المركزية .وقد كان في إمكان المولى إسماعيل أن يتّخذ هذه النخبة كما فعل كثير من السّلاطين قبله من بين المسيحيّين خصوصا وأن المؤرّخين يذكرون أنه كان في مكناس ما يقرب من خمسة وعشرين ألف مسيحي من أسرى القراصنة ومن عمليات تحرير المدن السّاحلية. وحتّى لو كان هذا العدد مغالا فيه وأنه لم يكن يتعدّى ثلاثة آلاف كما يؤكّد المؤرّخون الأروبيون معتمدين في ذلك على ما كتبه بعض الأسرى في القرن الثّامن عشر[113] فإن العدد كان كافيا لتأسيس فرقة نخبوية في الجيش.

ولكن جيشا من المسيحيين لم يكن يستجيب لكلّ الضمانات والغايات التي كان يرمي إليها المولى إسماعيل من خلال تأسيسه لجيش العبيد. فهو لم يكن يرمي إلى انتصار على الرّجال بحركات ظرفية سريعة، لأنّ كلّ انتصار من هذا النوع

---

(112) تنصّ بعض المصادر على أنه أدخل عددا من السودانيين للمغرب لمحاربة مولاي رشيد، ولكن حين دخولهم للمغرب كان الأمر قد تمّ لهذا الأخير، ففرّ وتركهم متشتتين.

(113) كان أغلبية المسيحيين يرسلون إلى مكناس، ويعتبرون ملكا للسّلطان. وقد شكلت مسألة افتداء الأسرى سواء المغاربة الذين كان القراصنة الأوربيون يلقون عليهم القبض في أعالي البحار، أو المسيحيون أسرى المغاربة محور العلاقات الدبلوماسية مع أوربا في عهد مولاي إسماعيل، وقد عمل المسيحيّون في بناء قصور مولاي إسماعيل وبعضهم في المدفعية وعمل من أسلم منهم في الجيش أو البحرية. عند وفاة مولاي إسماعيل كان في المغرب 25.000 من الأوربيين من فرنسيين وإنجليز وإسبان وهولانديين ويونان.

Ch. Penz, *op. cit.*, p. 26-28.
J. Caillé, *op. cit.*, p. 65. D. Maxandre, *op. cit.*, pp. 80-81.
R. Lebel, *Le Maroc chez les auteurs Anglais du XVI au XIX siècle*, Larose, Paris, 1939, p. 80.

كان مؤقتا ينتهي باسترجاع القبائل أنفاسها. بل كان يريد احتلال مجالها الحيوي والجغرافي بعناصره العسكرية لضمان استمرار طاعتها.

وهذا الاحتلال كان من الصّعب أن يقوم به بواسطة عناصر "كافرة" وهو السّلطان المجاهد المسلم الذي يعفّر جبينه با لتراب عند سجود الشكر، ويقيم حديث الإنصات حين استرجع الأتراك المسلمين مدينة وهران من يد "الكفار" الإسبان[114].

ولجوء السّلطان إلى عقد العهد بينه وبين السّود على صحيح البخاري[115] وحرصه على أن يكون إطارهم الشّرعي هو إطار العبودية، يدلّ على أن المولى إسماعيل كان يسعى إلى تأسيس جيش مرتبط بشخصه بروابط دينية وعرفية متينة لا تترك مجالا لعنصر ثالث بينهما. كما أن الحرمة التي أضفاها على العبيد والعقاب الشديد لكل من تعرّض لأحد منهم بسوء ولو دفاعا عن نفسه، ومهما كانت

---

(114) الحسن بن محّمد الحسني الإدريسي المنوني، **المنزع اللطيف**، خ. ع. ر.، رقم 595، ص. 410 ـ 469.

الزياني، **س.ذ.**، ص. 29.

(115) يقول القادري في نشر المثاني، مخطوط خ. ع. ر.، رقم 2809، د.، ص. 306 : "صحيح البخاري يعتبر السند الذي لا يوجد في الدّنيا أعلا منه"، أخذ مولاي إسماعيل العهد من أعيان العبيد على صحيح البخاري " أنا وأنتم عبيد لسنه" رسول الله ص: وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهي عنه نتركه وعليه نقاتل".

وبقيت النسخة التي وقع العهد عليها تقدم في الحروب "ككتاب بني إسرئيل". (الناصري،.**س.ذ.**، ج. 7، ص. 58.) إلى عهد مولاي الحسن وكان يوضع أثناء الحركات في الخيمة التي بقرب السلطان. ويذكرهذا بعادة القرطاجيين الذين كانوا يضعون المقدّس Le tabernacle بقرب خيمة القائد. وكان آخر العهد بهذه النّسخة هي الموقعة التي انهزم فيها مولاي عبد العزيز في الرّحامنة. ويذكر شاهد عيان للمعركة أنه من المحتمل أن يكون أحد مقرّبي مولاي عبد العزيز هو الذي أخذ السّفر البخاري لأنه رآه يعبر الصّفوف بكسوته وبغلته دون أن يمسّه أحد بسوء "فكل ما لاقاه نهّاب تخطوه" بينما كان الباقون قد جرّدوا من لباسهم.

محمّد المختار السوّسي، **حول مائدة العشاء**، الرباط، بدون تاريخ، ص. 69.

مرتبته في المجتمع وتخصيص قاضيا لهم[116]، دليل على أن المولى إسماعيل كان يريد أن يقتنع الجميع بأنّ جيش البخاري كان جيش السّلطان. وتدلّ صيغة عقود البيع المتعدّدة التي وقّع عليها المكلّفون بمختلف القبائل والقضاة والعلماء والشهود والتي كانت ترسل لقاضي الجماعة بمكناس ليختم عليها، على مدى حرص مولاي إسماعيل على أن يكون هذا الطابع واضحا.

فالمالكون يشهدون "بصحّة بيع مماليكهم للجانب العالي با لله، وتمليكهم له أدامه ا لله وأيّده بجميع أموالهم ومواشيهم وأرضهم وزرعانهم وما يطلق عليه إسم ملكهم من قليل الاشياء وكثيرها صغيرها وكبيرها وعظيمها وحقيرها . ومن كان من المماليك الوصفان القن المذكورين مفلسا ليس بيده شيء في رقّيته وكسوته وعلى سنة المسلمين في بيوعاتهم واشريتهم"(كذا في النّص ). "وحاز الجانب المنصور با لله المذكور جميع المماليك المذكورين كما تحاز الأملاك بجميع أنواع التصرفات الكاملة التي تقتضي كل شيء من استخدام واستفراش وما في معنى ذلك كلّه"[117].

وقد قام مولاي إسماعيل بجمع كل السّود وكافّة "احمر الجلد ذكورا وإناثا وكهولا وصبيانا، صغيرهم وكبيرهم وشابهم ورضيعهم من غير استثناء أحد منهم"[118] واستغرقت العملية عدة سنين، وعمّت كل بوادي المغرب ومدنه.

---

(116) قتل عبد الخالق الرويسي عامل مولاي إسماعيل على فاس عبدا من عبيد الدّار لأنه دخل عليه بدون إذن فوجّه السلطان من أتى به مكبّلا من فاس إلى مكناس، ورغم تشفّع العلماء للعفو عنه وإظهار السّلطان أنّه عفا عنه، فقد قتله بعد ذلك. وكان القاضي الذي عيّن للحكم في قضايا العبيد هو الفقيه محمّد العيّاشي مؤلّف" زهر البستان في أحوال مولاي زيدان".

أكنسوس، **س.ذ.**، ص. 60.

الزّياني، **س.ذ.**، ص. 26.

(117) الشهادة موقّعة في أوائل القعدة الحرام سنة 1109 هـ، مجهول، مخطوط **جني الأزهار ونور الأبصار من روض الدّواوين المعطار**، خ.ح. 11860، عدد الصّفحات 78، ص. 57.

(118) **ن م.س.**، ص. 8.

**لائحة العبيد والإماء الذين جمعوا في بوادي المغرب**
**إلى حدود1117هـ/1706م(119)**

| القبيلة | عدد العبيد والإماء |
|---|---|
| بني مالك وسفيان | 21000 |
| الخلط | 12500 |
| طليق | 13000 |
| عوف | 1000 |
| القبائل الفحصية والهبطية | 10000 |
| أولاد عيسى | 2900 |
| صبيح الرملين والترسن | 2000 |
| اولاد جامع | 2750 |
| الشراقة | 3300 |
| المحاميد واولاد الحاج والملالقة | 1800 |
| الحياينة | 10000 |
| ضواحي تازة | 10000 |
| القبائل اليازغية والغيايثة والمختارية | 5000 |
| القبائل الحسناوية | 4000 |
| القبائل المختارية | 2250 |
| العمرية والسهلية والحصينية والصباحية والسبطية والحارثية | 5040 |
| البربرية أهل فازاز | 6000 |
| زعير وما جاورها من العرب | 6000 |
| القبائل التادلاوية | 10000 |
| القبائل الدكالية والسرغينية والعامرية | 21000 |
| القبائل المسناويةوالمسكينية | 26000 |
| القبائل الدمناتية والعتامية والهرفالية والعياطية | 5000 |
| زمرار وحربيل والمنابهة وعكارة | 3000 |
| القبائل الديرية | 4000 |
| القبائل الحاحية والشياظمية | 18000 |
| القبائل السوسية الحليلية الشبانية والبحياوية والهسكيمية | 4000 |
| الرحامنة | 2500 |
| القبائل المحاطية والابلالية | 2800 |
| الزوايا | 5500 |
| المجموع | 221320 |

(119) اللائحة حسب ماجاء في **جني الأزهار**، س.ذ.، ص. 8 - 9.

فقد اعتبر كل السود "وأحمر الجلد" عبيدا سواء الذين تبثت عبوديتهم ببيّنة من طرف مالك، إمّا بالشراء أو بالإرث أو الذين كانوا يعتبرون أحرارا و لم تثبت عبوديتهم لأحد، حيث اعتبر أنّ تصرّف الحرطانيين "لأنفسهم مدّة التصرّف" لم يكن إلا بسبب "عدم ظلّ الخلافة أبقاها ا الله ظلاّ للإسلام"(120).

ويظهر أنّ عمليّة استرقاق كلّ "أحمر الجلد" واعتباره ملكا للسّلطان قد أخذت مع مرور الوقت وارتفاع حاجة السّلطان لمزيد من العبيد لاقتناعه بنجاعتهم في الجيش "لما فيهم من النجدة والحزم والقابلية والصّبر ما ليس في غيرهم من الأحرار"(121) حجما أثار معارضة شديدة من طرف علماء فاس على الخصوص .وممّا يدلّ على حدّة الصراع بين السلطان وعلماء فاس حول الموضوع، المراسلات المتعدّدة بين الطرفين، وعدد السّنين التي تمتدّ عليها هذه المراسلات، وتغيّر أساليبها ولهجتها مع مرور الوقت، وتأخير مشروع جمع حراطين(122) فاس عدة مرات، ثم في الأخير امتحان قضات فاس وعلمائها(123)، لأنّهم بعدما وقّعوا على عدّة براءات تنص على صحّة بيع القبائل لعبيدها وحراطينها للسّلطان، وأفتوا بشرعية

---

(120) **ن.م.س.**، ص. 18.

(121) رسالة من مولاي إسماعيل لمحمّد بن عبد القادر الفاسي، **مجلة تطوان، س.ذ.**

(122) هناك من يرجع أصل الكلمة إلى الحرّ الثاني وهم الملوّنون وكانوا يسمّون كذلك بالحمراني وبأسمقان في سوس.

(123) بقي علماء فاس على الخصوص، يرفضون الفتوى بجواز تمليك السود والحراطين الأحرار الذين جمع اسمهم في الديوان، من سنة 1107هـ إلى سنة 1121هـ/1686م - 1708م. ففي سنة 1108م قام السّلطان بتوبيخهم ووصفوا بالجهل وسجنوا في مشور فاس الجديد ثم سرّحوا أيام المولد النبوي وأرسلوا إلى مكناس حيث قاموا بمظاهرة شارك فيها بعض الحراطين والعبيد وسجن البعض منهم من جديد. وفي سنة 1109هـ قريء ظهير السلطان بتمليك الحراطين على المنابر، وطلب القائد الروسي من أهل فاس التوقيع على تمليك الحراطين. وقد امتحن القضاة والعلماء إلى أن وقّع بعضهم، والتحا بعضهم إلى الشرق.

الضعيف، **س.ذ.**، ص. 28.

"اتخاذ الجيش من أحمر الجلد لأنّهم أصبر من غيرهم ويرضون بالقليل"[124] صار عدد منهم يرفض التّوقيع على البراءات التي تشتمل على حراطين فاس والفتوى بشرعية استعباد الحراطين الأحرار خصوصا وأن الحراطين كانوا منذمجين اندماجا تامّا في المجتمع الفاسي منذ مدّة طويلة وكان الكثير منهم ملاّكا.

وقد تمسّك كلّ من الطرفين بموقفه مستدلّا بالشّرع. ويعبّر ظهير مولاي إسماعيل لعلماء فاس على هذا الصّراع. فممّا جاء فيه :

" إنّ العلماء قصّروا تقصيرا أدّى بهم إلى التشكيك ولم يزيدوا مع كثرة البحث منّا والتّنقير عن أصول هذا الفنّ والجمع لمسائله واستيعاب فروعه وأصوله وتعريف مفصّله من مجمله إلاّ نفورا وشكّا مع تحقيق أنّنا والحمد للّه على جادّة قويمة موفّقون من اللّه."

---

(124) رسالة موقّعة من طرف محمّد بن عبد القادر الفاسي بـ 12 رمضان 1117هـ، مخ. جني الأزهار، س.ذ.، ص. 20. وفيها يقول:

"أمّا ما أشار وذكر مولانا المنصور با لله في أمر الجيش المبارك باللّه من أحمر الجلد فلا خلاف عندنا في تحسين ذلك وصوابه لأنّهم أصبر من غيرهم ويرضون بالقليل وهم أمسّ من غيرهم لذلك الغرض المقصود بهم وأما تمليكهم بعد إثبات البيّنات فقد كنّا بسطنا قول العلماء وأثبتنا أحلّية ذلك ولا تركنا من علمنا من فقه المسالة حتّى ألّف من كلامنا على ذلك دفاتر، وأمّا التّسرّي من إناث من هؤلاء الحراطين فلا بأس بذلك. وإن بقي شيء علينا وعلمه مولانا نصره ا لله فليتجاوز عنّا فيه من جهلنا وعدم معرفتنا بما خصّنا".وفي رسالة أخرى "إنّ جميع ما فعله أمير المؤمنين من تعيين أحمر الجلد جيشا دون غيرهم وجميع ما ذكره حسن "والجواب موقّع في 3 رمضان 1117هـ/11706م ومن بين الموقّعين عبد السّلام جسّوس.ويظهر من المراسلات المتعدّدة أنّ علماء فاس كانوا يرحّبون باتّخاذ الجيش من السّود والحراطين غالبا لأنّهم كانوا يأملون أن يعفي هذا أهل فاس من المشاركة في الحركات خصوصا وأنّ عددا كبيرا من رماة فاس هلك في هذه الحركات. ولكنّهم كانوا يرفضون أن يخضع كل السّود والحراطين بدون استثناء للرقّ.



**ظهير يؤاخذ فيه مولاي إسماعيل على العالم محمد بن عبد القادر الفاسي عدم وضوح موقفه من العلماء الذين رفضوا التوقيع على ديوان العبيد**

ظهير مولاي إسماعيل للعالم محمد بن عبد القادر الفاسي حول مسألة الجيش وتمليك السود والحراطين

وتوّج هذا الصراع الطّويل الذي حاول فيه كلّ من السّلطان والعلماء على السّواء أن يرتكزوا فيه على الشّرع بمحنة العالم عبد السّلام بن حمدون جسّوس سنة 1121هـ - 1710م (125).

---

(125) سجن العالم عبد السلام بن حمدون جسوس الذي امتحن هو وعائلته، وطيف به مكبلا في أسواق فاس والناس تفتديه بالمال والحلي، واستصفيت أمواله وأموال عائلته ثم أطلق سراحه، ثم سجن من جديد، وقتل خنقا سنة 1121هـ/1708م، وكان مّما كتبه العالم قبل موته:

"الحمد للّه، يشهد الواضع اسمه عقبه على نفسه وشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه على أني ما امتنعت من الموافقة على تمليك ما ملك إلا أني لم أجد في الشّرع وجها له ولا مسلكا ولا رخصه وادي وإني إن وافقت عليه طوعا أو كرها، فقد خنت اللّه ورسوله والشرع. وخفت من الخلود في جهنم لسببه، وأيضا نظرت في أخبار الائمة المتقدمين حيث أكرهوا على ما لم يظهر لهم وجها في الشرع، ما آثروا أموالهم ولا أبدانهم على دينهم، خوفا منهم على تغيير الشرع، واغترار الخلق بهم. ومن ظن في غير ذلك، وافترى على ما لم أقله، وما لم أفعله، فا لله الموعد بيني وبينه. وحسبنا الله ونعم الوكيل. وكتبه عبد السلام بن حمدون جسوس غفر الله ذنبه، وستر في الدارين عيبه، صبيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني عام إحدى وعشرين ومائة وألف".

وفي السنة التالية، قام السّلطان ببيع أملاك أهل فاس المجاورين في الشرق.

وقد اعتبر القاضي العربي بردلة الذي كان قاضيا في فاس في عهد مولاي إسماعيل وعزل ثم عاد لخطة القضاء، قضيّة تمليك الحراطين واتخاد جيش من العبيد "بدعة لم تقم في غير هذا القطر المغربي من سائر الأقطار ولم يبتل بها أهل عصر مما أسلف من الأعصار" ودعا "من تعين له ملابسة العلم إنهاء هذا الخطب النّازل الذي هو استرقاق الأحرار".

وأتى بأحاديث متعدّدة في رسالة كتبها سنة 1120هـ/1708م حول إكراه الحرّ على العبودية "المستعبد لحرّ هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم الصلاة".

واعتبر الولي سيدي عبد الرحمان النتيفي من قبيلة نتيفة بسوس وكان ينظم الكلام بالسوسية على غرار سيدي عبد الرحمان المجدوب أنّ" مولاي إسماعيل قد أطلق السم ّفي الأوطان". كما كان يقول "الشوار عند أسمقان" و"الرأي عند عيشة مباركة" إشارة إلى النفوذ الذي صار للسود والحراطين داخل القصر وخارجه.

و قد هاجر كثير من العلماء إلى المشرق وأذعن البعض الآخر للفتوى[126].

---

وقد حاول أكنسوس أن يبرّر قتل مولاي إسماعيل للعالم جسوس "بذنوب" هذا الأخير و"بالقدرة الإلاهية" لأنّ جسّوس كان قد كتب أوراقا سمّاها "الرصاصة المطفية في المخفية" يسبّ فيها الشيخ محمد بن عبد الله صاحب المخفية. فلما شكاه هذا الأخير إلى "سيدنا قاسم" قال له : "إن إسماعيل بيننا وبينه". وبعدما أعطى أكنسوس عدّة أحاديث في تحريم استعباد الأحرار نفى أن يكون مولاي إسماعيل قد فعل هذا مستدلا بأن العالم السوسي الذي اشتهر بصرامته ومعارضته لم يصدر أي فتوى في هذا الشّان. وقد يفسّر هذا بوفاة اليوسي قبل بداية التجاوزات التي اثارت معارضة أهل فاس وكلام الزياني في البستان يدلّ على ما فيه من التقية "على استنكار الناس لعدد السود الذين صاروا يشكلون جيش مولاي إسماعيل، وانعدام فائدته." وهذا العدد الذي جمعه أمير المؤمنين المولى إسماعيل رحمه الله من العبيد لو خاض به البحر إلى الأندلس وكانت تلك القلاع سفنا ومراكب جهادية لاستولى عليها والتوفيق من الله". وهذا الكلام يشبه ما قاله أبو العباس أحمد أنفقاي الأندلسي في كلامه عن جيش المنصور، في كتابه "رحلة الشباب إلى لقاء الأحباب" أن جزيرة الأندلس التي استردها الكفار، سهل.واسترجاعها منهم قريب، لما دخلت مراكش في عهد المنصور، وجدت عنده من الخيل نحوا من ستة وعشرين ألفا، فلو تحرّكت همّته لاستولى عليها في الحين".وكلا الكلامين يدل على استنكار الإكثار من الجيوش إذا لم يكن الغرض منها الجهاد.

أكنسوس، س.ذ.، ص. 82 - 83 - 85 - 89.

القاضي العربي بردلة، رسالة لمولاي إسماعيل، مخطوط خ.ع.، رقم د 163، ص. 6 - 9.

الضعيف، س.ذ.، ص. 82 - 83 - 85 - 89.

الناصري، س.ذ.، ج. 7، ص. 88 - 94 - 96.

الزياني، س.ذ.، ص. 25 - 27.

(126) كتب أحد العلماء اللذين وقّعوا على الديّوان إلى العالم محمّد بن عبد القادر الفاسي رسالة يحثّه فيها على القول بأنّ "مولانا المنصور با لله موفّق في كلّما اعتنى به، مصيب في جمع هؤلاء العبيد والتحري الذي وقع في تمليكهم والبحث في ذلك بلغ النّهاية. وأحببنا منكم أن تزيد توطية في كتبكم لمولانا أيّده الله حتّى يعجبه ذلك، ولولا محبّتكم لم ننبهكم هذا التّنبيه".
محمّد الفاسي، س. ذ.

ومن خلال الأعداد الهائلة التي اجتمعت لمولاي إسماعيل من العبيد السود والحراطين[127] عن طريق الشراء[128] وعن طريق الغارات[129]، أو عن طريق التناسل[130] يتّضح أن السّلطان لم يكن يرمي من وراء اتخاذه لجيش البخاري إلى

(127) قدّر عدد العبيد في أواخر عهد مولاي إسماعيل من طرف المؤرخين المغاربة بـ 150000 في حين يقدره المؤرخون الفرنسيون بين 50000 وعبد الله العروي يقدّره بين 30000 و50000 وقد لا يكون هناك اختلاف كبير إذا اعتبرنا أن الأولين يدخلون في 150000 كل العبيد في حين يقتصر عدد 50000 على العبيد المقاتلين. حول العبيد :

M. Morsy, « Moulay Smail et l'armée de métier », *R.HM.C.* n°14, Avril et Juin 1969, pp. 27-122.
D. Nordman, « La mémoire d'un captif », *A.E.S.C.*, Librairie Armand Colin, Paris, 1986, pp. 1397-1418.
Houdas, *Le Maroc de 1613-1812*, Leroux, Paris, 1886.
A. Laroui, *l'histoire du Maghreb un essai de synthèse*, Paris, Maspero, 1976, T. II, p. 50.

(128) قدّر ما دفعه مولاي إسماعيل من المال بعشر مائة قنطار من الدّراهيم "الفضّاوية" وقد أدّى الثمن إما بالفضة بعينها أو بالذهب أو بالإبل والبقر والغنم بعد تقويمها، ويظهر أن درجة الملكية كانت من بين المقاييس في تقدير الثمن.**جني الأزهار.س.ذ**، ص. 18.

(129) في سنة 1678م، قام مولاي إسماعيل بحركة إلى شنكيط ورجع بـ 2000 من الحراطين كما أن القوافل التي كانت تذهب إلى توات وغينيا كانت ترجع بالسّود وكانت تحرسها فرقة العلوج التي كانت تقوم بالغارات في نفس الوقت.

M. Morsy, *Relation de Thomas Pellw, une lecture du Maroc au 18ème siècle*, Paris, 1983, pp. 122 - 161-163.

الزياني، **البستان الظريف في دولة مولاي الشريف**، خ.ع.، 1577، ص. 32.

(130) أمر مولاي إسماعيل بجمع الإماء والحرطانيات وزوجهن بالعبيد واعتبر مشرع الرملة "مستنبتا" لإنتاج العبيد الذين كانوا يدربون منذ حداثة سنهم على ركوب الخيل وفنون البناء والحرب وصارعبيد مشرع الرملة، منذ سنة 1100هـ إلى سنة 1139هـ، وهي سنة وفاة مولاي إسماعيل، يعطون كل سنة عشر الأطفال البالغين.

كان مشرع الرملة يوجد على واد تفلت في جنوب سيدي يحيى ويشهد على موقعه بعض الآثار الأركلوجية، وكذالك احتفاظ بني حسن إلى الآن بتسميات لها دلالتها التاريخية كبلاد

تأسيس حرس خاصّ به وبقصوره ومحلّته، أو نخبه عسكرية يكل إليها المهامّ الصعبة كما كان الحال بالنسبة لجيش المسيحيين والعلوج في الجيوش السّابقة. بل كان يرمي زيادة على هذا كلّه، إلى فرض السّلطة المركزية بصفة مستمرّة داخل القبائل، بتوطين جيش العبيد في المناطق الاستراتيجية والحيوية في الجهات التي يخضعها. فكان كلّما تغلّب على ناحية، بنى بها قلعة وأسكن فيها عددا من العبيد بنسائهم وأطفالهم فمثلا، في سنة 1096هـ وحدها، قام في طريقه نحو ملوية عبر صفرو ببناء تسع قلاع وأنزل بكلّ قلعة منها أربعمائة من العبيد بخيلهم ونسائهم وببناء ما مجموعه أربع وسبعون قلعة يكون المولى إسماعيل قد أحاط البلاد بسياج من القلاع سواء في السّاحل من مهدية إلى" منصورية" بوزنيقة، أو في الدّاخل على طول كلّ الطرق التي تصل العاصمة بمختلف المملكة مثل سلسلة قلاع الدير التي كانت تحرس السّهل والطريق بين مراكش ومكناس وسلسلة القلاع من قصبة مديونة إلى مكناس سواء عن طريق الساحل (عبر سلا) أو من الداخل عبر غابة بنسليمان أو عن طريق سيدي بطّاش الرماني ضاية الرّومي أو عن طريق قصبة تادلة والدير[131].

وكلّ هذه القلاع كانت تذكّر القبائل بوجود المخزن، وتذكّرها كذلك بوجوب أداء الزكوات والأعشار خصوصا وأنّها كانت ملزمة بدفعها مباشرة لجيش العبيد المرابط في القلاع التي بأرضها وملزمة كذلك بالسّهر على توفير خيلهم وحاجاتهم.

---

"المحلة" وبلاد "الديوانة" وقد خرّب مشرع الرملة بما كان فيه من دور وقصور على يد بني حسن الذين سلّطهم مولاي عبد الله على العبيد.

J. Le Coz, *le Rharb, fellahs et colons,* ouvrage publié avec le concours des M.E.N.M. et F. et du C.N.R.S. et le C.C. F., 1964, T.I, p. 250.

وكذلك الضعيف، س.ذ.، ص. 152 - 153.

(131) حول مختلف القلع :

الحسن بن محمد الحمدي، س.ذ.، ص. 379 - 383،

الزياني، أبو القاسم البيان، س.ذ.، ص. 20 - 23.

*Histoire du Maroc, op. cit.*, pp. 242-243.

وإلى جانب عبيد القصبات الذين قدّروا بـخمسين ألفا، كان عدد من العبيد يقيم بمشـرع الرملـة وظيفتهـم عسـكرية وفلاحيـة. وكـانوا منقسـمين إلى فرسـان ورجلية (مشاة) من الرماة الذين كانوا بدورهم مقسمين إلى عدة فرق منها :

- فرقة سميت بالإنكشارية[132] يترأسها الباشـا مسـاهل، وكـانت مؤلفـة مـن الرجلية الرماة ما عدا قوّادها الذين كانوا من الخيالة.

- فرقة كانت بوجـه عـروس مكونـة مـن خمسـة آلاف فـارس مـن القـوّاد، وكانوا يحملون لقب: قوّاد رؤوسهم، ويسمّى الواحد منهم قايد راسو[133] .

زيادة علـى عبيـد القصـور الذيـن كـان بعضهـم يجمـع بـين عـدة وظـائف عسكرية ومدنية.وقد استعمل المولى إسماعيل وسائل معنوية ومادّية أكسبت جيشـه تفوّقا أكيدا على القوّات الجهوية، فقد حرص على أن تقضي نخبة جيشـه النظـامي بالتناوب فترة في العاصمة، كـان يعظهـم فيهـا بنفسـه ويحرّضهـم علـى الإخـلاص والطاعة ثم يرسلهم بعد هذه المدّة لقوادهم.

كما حرص على تسليحهم بسلاح متطور يفوق سـلاح القبـائل، فالفرسـان كانوا مسلّحين بـ"المكاحل" أي "البنادق" ذات الثقالة والسيوف العريضة والحربات

---

(132) اليكشارية أو الإنكشارية Janissaires : جيش نظامي مـن المشـاة أسـس في تركيـا في القـرن الرابع عشر لتعويض الجيوش القبلية وكان "أوقاف الإنكشاربة" مكوّنا مـن أطفـال المسـيحيين والشّعوب التي أخضعتها الإمبراطورية التركية وكانوا يربون تربية إسـلامية ومرتبطـين مباشـرة بالسـلطان وشـعارهم أواني للطهي وألقـاب ضبـاطهم مسـتوحاة مـن فـن الطهـي وشـكّلت اليكشارية قوة مهابة بسبب النظام العسكري الصارم. وبفضلها استطاع الأتراك احتلال أوربـا والوصول إلى فيينا ولكن قيمتها العسكرية انخفضت في عهـد السـلطان محمـد 1648هـ/1691م ودخلت اليكشارية في كل صراعات القصـر. ولم تسـتطع أن تقـف في وجـه المـدّ الأوربـي في القرن الثامن عشر رغم عددها المرتفع الـذي بلـغ 140.000 وحينمـا حـاول محمـود الثـاني أن يدخل إصلاحات عصرية على الجيـش قـامت بثـورة ضـدّه، وعلـى إثـر انهزامهـا أمـام سـريا واليونان قام محمود الثاني بالقضاء عليها سنة 1826.

(133) تنذر الوثائق التي تسمح بتفسير التسمية. وقد تدل علـى أن الفرقـة لم يكـن لهـا قـائد يرأسـهاولا فيلـق ترأسه،ويدعم هذا الاحتمال وجود فرقة من القواد في الجيش الذي حاصر أصيـلا، قـدّم عليهـا الشـيخ العياشي.الناصري، **س.ذ.**، ج.7،ص191.وابن زيدان،**المنزع اللطيف**، **س.ذ**، ص.142.

وجلّها كان مستوردا من أوربّا، وكانت خفّتها تميّزها عن نفس الأسلحة التي كانت تصنع في المغرب، والمشاة كانوا مسلّحين بالبنادق ذات المدى البعيد والأقواس والحرب القصيرة، منها ما كان مصنوعا في المغرب ومنها ما كان مستوردا. ووفّر لجيش العبيد تمارين منذ صغرهم جعلت منهم نخبة جيشه المتميّزة.

فقد كان أطفال العبيد يربون على طريقة الإنكشارية التركية : حيث يؤخدون منذ سن العاشرة ليتربّوا تربية عسكرية يتعلمون فيها فن البناء والنجارة وصناعة الفذائف للمدافع، وركوب البغال ثم ركوب الخيل بدون سروج، ثم الرماية وهم راكبون ثم يدخلون الجيش في سن السادسة عشرة. كما أنّ جيوشه التي كانت في الحركات تقسم إلى صفّين ينظمان على شكل هلال يشكل الفرسان جناحيه[134]، استعملت المدفعية بصفة مكثّفة. وكانت هذه المدفعية تستقرّ في وسط الهلال أمام السلطان ويتكلّف المسيحيون بجرّها والعلوج باستعمالها. وعلى أن الاستراتيجية الحربيّة لجيوشه كانت هي استراتيجية القبائل المتمثّلة في الفرّ والكرّ إلّا أنّ استراتيجيته في اختيار الوقت الملائم كاعتبار اتجاه الريح والغبار واتجاه أشعّة الشّمس، ومختلف أنواع الخدع الحربية كإخفاء المدافع والظهور بالتقهقر، الخ... جعلت جيشه يربح أغلبية المعارك[135] .وهكذا يكون المولى إسماعيل قد غيرّ التوازن التقليدي الذي كان موجودا بين قوّة الجيش النظامي والقوة العسكرية للقبائل إذ أفرغ هذه الأخيرة من دورها العسكري لمدة طويلة نازعا إيّاها كل مقوّمات الاستقلال والدّفاع، من خيل وسلاح ومنعة استراتيجية، في حين أعطى للجيش المخزني كلّ مؤهّلات التفوّق والاستبداد.

---

(134) كانت هذه هي الطريقة التقليدية في نظام المعركة حيث نجد نفس النظام في حروب المرينيين مثلا والسّعديين فالسّلطان أو رئيس الجيش يكون في القلب وأمامه أكبر القبائل والجيش "النظامي" وفي الجناحين قائدان كبيران إمّا من عائلة السّلطان أو من قوّاد أكبرالقبائل أحدهما في الميمنة والآخر في الميسرة ويبدأ أحد الجناحين المعركة ويتبعه الجناح الآخر ثم القلب.
انظر مثلا نظام المعركة في غزو يعقوب بن عبد الحق المريني لتلمسان في ابن أبي زرع، **س.ذ.**، ص. 129.

(135) حول تداريب العبيد والخدع الحربية لمولاي إسماعيل:

D. Maxandre, *op. cit.*, pp. 62-83.

وقد استطاع مولاي إسماعيل أن يمسك بيد من حديد بهذا الجيش نازعا إيّاه كل الظروف التي يمكن أن تتيح له فرصة ممارسة الاستبداد إلا بأوامره[136]، ومعطيا إياه كل الوسائل ليكون قوة عسكرية فعالة دون أن تشكّل خطرا على الحكم.

وهذا التحكّم كان يعتمد على تنوّع العناصر المكونة للجيش من شراكة وودايا وجيش البخاري وجيش المجاهدين وجيش أيت يمور وعلوج، وهي عناصر لم تكن بينها أي روابط مشتركة لا عرقية ولا اجتماعية تسمح بتحالفها.

وإلى جانب هذ التنوّع، يظهر الحرص على عدم إعطاء أيّ قسم من الجيش الفرصة ليصبح قوة قائمة بذاته حيث كان نفس الجيش يقسّم بين قيادات مختلفة تتغيّر بانتظام فالودايا الذين كانوا بالرّياض قسّمهم المولى إسماعيل إلى قسمين أرسل نصفا منهم لفاس ورآّس عليهم القائد أبا عبد الله محمّد بن عطيّة وأبقى النصف الآخر بالرّياض بمكناس، وولّى عليهم القائد أبا الحسين علي المدعو بأبي شفرة، وكانا يتداولان القسمين، "مرة هذا ومرة هذا"[137].

ونفس التدابير كانت تطبّق بالنّسبة للعبيد الذين لم تكن بينهم كذلك أيّ وحدة وكانوا مفرّقين بين القلاع وبين القصور الملكية. وقد كرّس السلطان هذا

---

(136) بينما تتعدّد شهادات المعاصرين سواء الأجانب أم المغاربة، حول قوة القمع التي كانت تترك للجيش، وخصوصا جيش العبيد، تتعدّد كذلك الشهادات حول السلطة التي كانت لمولاي إسماعيل على هذا الجيش.

فمثلا حينما تفشّى داء الطاعون في المغرب سنة 1679م أمر العبيد أن يقطعوا المرور بين تطوان حيث بدأ المرض، وبين فاس ومكناس. فكان العبيد يقتلون كل من حاول المرور كما أحرقوا قرى بأكملها. كما أن العبيد كانوا يستعملون الكلاب للبحث على الحبوب التي تخفيها القبائل العاصية في المطامر. وكانوا لا يتورعون من قتل حتى من يلتجيء لأضرحة السادات، ولو كانوا من الأطفال والنساء. ولكن مولاي إسماعيل كان في نفس الوقت، شديد الصرامة مع العبيد إذا أخلوا بالنظام فمثلا في سنة 1678م قام بقتل 300 من العبيد، لأنهم "نهبوا أموال الناس حين مرورهم بزاوية الشيخ، وكانت سنة مجاعة".

القادري، س.ذ.، ص. 141.

D. Maxandre, *op. cit.*, p 48.

(137) الناصري، س.ذ.، ج. 7، ص. 52.

التوزيع حينما قسّم المغرب بين ابنائه[138] مرئّسا كـلّ واحـد منهـم علـى فرقـة مـن الجيش.

وهذا التنويع والتوزيع جعل من الجيش المخزني جيشا حاضرا في كل مناطق البلاد وقادرا على فرض الطّاعة والنّظام والأمن المخزني[139]، مع بقائه أداة طيّعة في يد السلطان الذي كان سيّده ومولاه وصاحب نعمته والقادر على إنزال النّقمة به، فقد كان باستطاعة السّلطان أن ينكب من يريد من القوّاد في جيشـه دون أن يؤثّـر هذا لا على طاعة الجيش ولا على فعاليّته، ففـي سـنة 1126هـ - 1718م قـام بقتـل القائد أبا الدشيش وثلاثة من القواد وسبعة عشر من العبيد في مشــرع الرملـة عقـر دراهم[140] . وفي حركة سوس سنة 1086هـ - 1678م ضد ابن أخيه أحمد ابن محـرز استشفّ مؤامرة داخل جيشه، فقام بقتل قوّاد من عسكره كالشـيخ عمـر البطوئـي وولده وعبد ا لله أعراس وإخوته "وبعث إلى مـن بقـي منهـم بفـاس فقبـض عليهـم وقتلوا وحيزت دورهم وأموالهم"[141] دون أن يؤثر هذا على سير الحركة.

ومقابل هذا كان السلطان يسدل نعمته على من يريد من قوّاده. فدار القائد علي بن يشي في مكناس كانت كالقصر "تشمل على أربع وعشرين حلقة يجمعهـا

---

(138) أعطى تادلا لمولاي أحمد وأعطاه ثلاثة آلاف من العبيد ودرعـة لمـولاي عبـد الملـك مـع ثلاثـة آلاف من الفرسان وإقليم سـوس لمـولاي محمـد الملقـب بالعـالم مـع ألـف فـارس وسجلماسـة وأعمالها لمولاي المأمون الكبير مع 500 فارس ثم بعد وفاة المأمون سمي محله مولاي يوسف. وأعطى النواحي الشرقية لمولاي زيدان ثم عزله وولي محله مولاي حفيظ، وقبل وفاته بسـنوات قليلة عزل حل أبنائه.

الزياني، س.ذ.، ص. 28.

(139) كتب غني Ghénier : "أن الموصلات في الإمبراطورية المغربية أسهل وأسرع ممـا هـي عليـه في البلدان المتحضرة، فالطرق آمنة والخيل متوفرة تغير في كل المراحل".
وهذا يؤكد كلام الزياني "على أن اليهودي والمرأة كانـا يسـافران مـن وجـدة إلى وادي نـون دون أن يسألها أحد عن وجهتهما".

الزياني، س.ذ.، ص. 28.

(140) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 96.

(141) الزياني، س.ذ.، ص. 13.

باب واحد" ودار القائد عبد الله العروسي وأولاده كانت "على نفس المنوال بل "أعظم ضخامة" و"أكمل حضارة" حتى كانت تشكّل حومة مستقلة" وكان "لأمثالهما من القوّاد مثل ذلك أو قريب منه" كما أن العبيد "بلغوا في عهده من العزّ والرفاهية وتشييد الدور والقصور وارتباط الجياد واقتناء الأموال. ما لم يبلغه غيرهم"(142).

وهذا التحكّم في هذه القوّات ظلّ ممكنا طالما كان الجيش مفرّقا أمام مخزن موحّد في شخص السّلطان، ولكن حينما أصبح المخزن نفسه مشتّتا بعد وفاة مولاي إسماعيل أصبح هذا التحكّم مستحيلا.

### ج - من النظام العسكري إلى الفوضى العسكرية

بعد وفاة السّلطان مباشرة ظهر الخلل في النظام السياسي العسكري الذي بنى عليه مولاي إسماعيل نفوذه وقوّته، فالآلة العسكرية التي ابتكرها وتحكّم فيها وركّز عليها حكمه وعهد استقرار دام أكثر من نصف قرن(143) أصبحت باختفاء سيّدها آلة من العسير التّحكّم فيها عاجزة هي نفسها عن التحكّم في البلاد رغم قوّتها وعددها ووجودها في كلّ نقط النّفوذ سواء في القصر أو في الأقاليم والمدن لأن مبتكرها أرادها منذ الأول أداة للحكم لا جهازا قادرا على الحكم بكيفية مستقلّة.

ثم إن القبائل التي شكّلت دائما في تاريخ المغرب ضمانة ضدّ استبداد الجيش أصبحت عاجزة عن القيام بدور إيجابي بسبب سياسة الإضعاف التي أخضعها لها المولى إسماعيل.

وهكذا انطلقت من عقالها كل القوى السّياسية والعسكرية التي كان المولى إسماعيل قد أخضعها ووجدت في تنافس أبناء المولى إسماعيل على الملك مشجّعا

---

(142) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 191.

(143) زيادة على السبع سنوات التي قضاها في عهد مولاي رشيد واليا على مكناس، دام ملكه 57 سنة من سنة 1672م إلى سنة 1727م حتّى أن العامة كانوا متيقّنين أنه لن يموت أبدا وكان أولاده يستبطؤون موته ويسمّونه الحيّ الدائم.

ن.م.س.، ص. 99.

على تحرّرها ولعبت العناصر التي كانت قويّة بالسّلاح والعدد كالودايا وجيش العبيد، الدّور الأساسي في الفوضى السياسية والاستبداد العسكري، ودخلت علاقة السلاطين العلويين معهم في حلقة مفرغة، فالعبيد الذين انقطعت عنهم الزكوات والأعشار التي كانت القبائل تؤدّيها لهم، وصاروا عرضة لانتقامها، وفارقوا قلاعهم وخرجوا ناشرين الرّعب والنّهب بين القبائل والمدن، كانوا في حاجة للدّعم الشرعي للسّلاطين للعودة لقوّتهم السّابقة.والسّلاطين كانوا في حاجة للدّعم العسكري للتغلّب على منافسيهم وإخماد الفتن والفوضى، واستخلاص الضرائب الشّرعية وغير الشّرعية خصوصا من المناطق التي كانت مطوّقة بالجيش المخزني كفاس التي كانت تحت رحمة الودايا ومكناس والغرب تحت رحمة العبيد.

وهكذا شهدت البلاد مدة ثلاثين سنة 1727م - 1757م كلّ أنواع التعسّف، والابتزاز والنّهب التي فرضتها هذه العلاقة الجديدة بين سلاطين ضعفاء وجيش قويّ بالعدد وباحتكار السّلاح، ولكنّه منخور بفوضاه الدّاخلية خصوصا جيش العبيد الذي قتل أغلبية رؤسائه كمرجان الكبير[144].

وأمام هذه الوضعية كان السّلاطين مضطرّين لاستعمال كل الوسائل للحصول على المال الذي يضمن لهم تأييد الجيش ودعمه، خصوصا وأن أهمّ الموارد المالية التي كانت لمولاي إسماعيل من مداخيل التجارة الصحراوية والتجارة البحرية والقرصنة كانت في اضمحلال[145] .

فأحمد بن إسماعيل (1721 -1728 م) بدأ عهده بالتنازل للعبيد الذين شرطوا بيعتهم بقتل عدة رؤساء كانوا يلعبون دورا في التّوازن داخل البلاد[146] كما أفرغ

---

(144) أبو القاسم الزياني، **عقد الجمان في شمائل السلطان مولانا عبد الرحمان**، خ.ع.، ر. ج. 40، ص. 7.

(145) Histoire du Maroc, *op. cit.*, p. 257.

(146) قتل مولاي أحمد بن إسماعيل الملقّب بالذهبي لسخائه عمال أبيه كعلي بن يشي القبلي، وأحمد بن علي وكان عاملا على بلاد الهبط وقتل الباشا بن الأشقر ومرجان الكبير. وبموت علي بن يشي "زال عن البربر الذين كانوا في أقمام النحاس الالتباس. كما أن سكان فاس بمجرد وفاة مولاي إسماعيل قتلوا عاملهم الروسي.

أبو القاسم الزياني، **عقد الجمان**، س.ذ.، ص. 7 - 8.

بيت المال بما وزّعه من العطايا والهبات ولهذا استحقّ لقب الذهبي. والحسن بن إسماعيل الملقب بالأعرج 1734م – 1736م في بحثه عن المال الذي يرضي به الجيش، قام بالقبض على أمّ السلطان عبد الله ابن إسماعيل خناتة بنت بكار وامتحنها واستخلص ما بيدها من المال[147] والسّلطان محمد بن إسماعيل، المعروف بابن عربية، لجأ إلى استخراج الحبوب والأموال من دور أهل مكناس غصبا، واحتجز الحبوب التي كان أهل البادية يدخلونها لبيعها في المدن، وضرب الحصار على أهل فاس "فمن أعطى المال بقي في داره ومن عجز يخرج من بيته"، وقبض على كثير من "أثرياء فاس وقتلهم واستصفى أموالهم، منهم الحاج أبو جيدة برادة وعبد الخالق عديّل"[148] والسلطان المسترضي الذي بويع سنة 1151هـ 1770م وخلع في 1152هـ1771 م بعد أن استنفذ كلّ الوسائل للبحث عن المال الذي يرضي به العبيد، قام بأخذ ما بقي في المخازن الإسماعيلية "فاستخرج الحديد الذي كان في أحد المخازن والكبريت وملح البارود والشبّ وباعها ثم اقتلع شراجيب القبة الشطرنجية، وهي من نحاس مذهّب، واقتلع الدرابيز الحديدة التي في القصر الإسماعيلي ودفعها لأهل المهنة وألزمهم أداء ثمنها وأنزل المدافيع النحاسية فكسّرها وضربها نقودا، وامتحن تجّار فاس بالسّجن حتى ينقدوا أنفسهم بالمال وصادر أموال بعض أشراف فاس"[149].

ولكن كلّ هذه الوسائل التي كانت تغذي الفوضى والفتن لم تكن كافية لضمان طاعة العبيد الذين كانوا ينقضون بيعتهم بمجرّد نفاد مال السلطان، وهكذا تولّى على العرش سبعة سلاطين خلال الثلاثين سنة كلّهم بايعهم العبيد ونقضوا بيعتهم، فمولاي أحمد الذّهبي بايعه العبيد مرتين ثم نقضوا بيعته، والمولى عبد الله تسلطن أربع مرات وخلع ثلاث مرات، وبايعه العبيد سبع مرات وخلعوا بيعته ست مرات.

وإذا كان العبيد قد وجدوا في تنافس أبناء مولاي إسماعيل مناسبة لممارسة سطوتهم على السلاطين، فإنّ هؤلاء وجدوا في تنافس العبيد وعناصر الجيش

(147) الضعيف، س.ذ.، ص. 116.

(148) الناصري، س.ذ.، ج. 7، ص. 144 ـ 147.

(149) ن.م.س.، ص. 147.

الأخرى كالودايا وشراكة والقبائل كبني ادراسن وبني حسن وكروان وقبائل الريف وسيلة لمواجهة طغيان العبيد، من جهة، ومنع استتباب نفوذ أي طرف من الأطراف المتصارعة من جهة أخرى. فقد استخدموا هذه الفئات بعضها ضدّ البعض واستعملوا طوائف في نفس الفئة ضد إخوانهم. وقد برع في هذه السّياسة على الخصوص السّلطان مولاي عبد الله، الذي لخّص استراتيجيته السّياسية العسكرية في كلمته : "أردت أن أقابل هذا التّرس الأسود بالكبش الأبيض وأتخلّص ممّن هلك منهما وأتمسّك بالآخر"[150] وهذه السياسة التي أضعفت البلاد ديموغرافيا وعسكريا واقتصاديا، واستعملت فيها مختلف وسائل المكيدة والعنف، سمحت لمولاي عبد الله أن يبقى على المسرح السياسي ثلاثين سنة بصفة متقطعة[151] .

## 4 ـ العودة إلى التوازن العسكري الداخلي

وقد بقيت هذه الأحداث عبرة للسّلاطين الذين تعاقبوا على العرش بعد مولاي عبد الله. فقد احتفظوا بعده بالجيش المخزني كما خرج من الفوضى والحروب الدّاخلية ضعيفا في أسسه وعدده وعدّته[152]، وكلّ تعديل أو إصلاح أدخلوه عليه كان يرمي إلى تقوية فريق من الجيش على حساب آخر، أو تبرير

---

(150) ن.م.س.، ص 172.

(151) يذكر ابن زيدان أن مولاي عبد الله قتل في يوم واحد 550 و أن مجموع ما قتله 10000.
ابن زيدان، س.ذ.، ج. 1، ص. 479.

(152) كانت أكثر عناصر جيش مولاي إسماعيل تضررا من هذه الفوضى العسكرية بعد العبيد هم أهل الريف. وكان قائدهم أحمد بن علي الريفي الحمامي قد شايع المولى المستضيء بن إسماعيل وزوجه بابنته وكان بين جيوشه زيادة على قبائل الفحص وبني يزناسن وعدد من القبائل من طنجة إلى تازة، عدد من النصارى، والخلط، والعبيد الذين انضمّوا لمولاي عبد الله الذي استنجد بأهل فاس والودايا والعبيد وبني مالك. وقتل القائد أحمد في المعركة التي قامت بأحواز وزان، وعلق رأسه في باب محروق. وفي هذه الوقعة، جرح سيدي محمد بن السلطان عبد الله. كما تضاءلت قوة العبيد، وبلغ بهم الضعف بعد هذه الفوضى العسكرية لحدّ صاروا معه "يفزعون من حسّ الريح إذا نفخ حولهم في عشوب الأرض كالكلخ والبرواق".
الضعيف، س.ذ.، ص. 143 ـ 146 ـ 152.

ضرائب إضافية كالمكس أو لحماية التجارة برّا وبحرا، وصار المخزن "يعطي الأسبقيّة للمفاوضات على الحرب مستعملا الجيش فقط كوسيلة للضغط على الخصم حتى تبقى المفاوضات لصالحه"(153) فالسّلطان محمّد بن عبد ا لله 1757 – 1790م بدأ عهده باستفتاء العلماء في أمر المكس "ليستخدم به الجند" "فأجازوه"(154).

فوقعت حركة ترميم سطحية في الجيش : كتفريق الكسيّ والرّواتب وخلق فرق جديدة في الجيش كفرقة "الانكشارية" من الرّحامنة(155) واختبار حامية سبتة، وتقوية حاميات بعض الموانئ كطنجة والعرائش وآسفي والمهدية حيث اختلطت فكرة الجهاد بسياسة تشجيع التجارة البحريّة التي كان يرمي إليها السلطان محمد بن عبد ا لله والتي بفضل مدخولها، أمكنه تكوين أوّل جيش له حينما كان خليفة لوالده في آسفي، ومرّاكش، والحصول على بيعة جميع الأطراف المتحاربة في عهد مولاي عبد ا لله.

وكان إحياؤه لجيش العبيد وجمعه بعد أن كان قد تفرّق في القبائل وأوشك على الانقراض بسبب تعرّضه لانتقام المولى عبد ا لله من جهة وانتقام السّكان من جهة أخرى، في حدود إضعاف جيش الوداية الذي تقوّى في عهد المولى عبد ا لله خصوصا بعد تحالفه مع كروان.

وحينما أصبحت قوّة العبيد من جديد خطرا على التوازن الذي كوّنه سيدي محمد أخرج العبيد من مكناس وفرّقهم بين طنجة (رحيان) العرائش (رحيان) والرباط (رحى واحدة) ومرّاكش. وبعد تقوية عبيد الرباط ونقلهم، أرسل منهم إلى سوس ألفين ومرّاكش ألفا. ولما تقوّى عبيد طنجة والعرائش أحضرهم إلى دار

(153) عبد ا لله العروي، س.ذ.، ص. 56.

(154) وكان من بين العلماء الذين افتوا بذلك الشيخ التاودي بن سودة محمد بن القاسم جسوس، عمر الفاسي عبد الرحمان المنجرة محمد بن عبد الصادق الطرابلسي وغيرهم.
الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 7.

(155) رأس على هذه الفرق عبد النبي المنبهي ثم أسقطهم فيما بعد من الجندية.

عربي من بلاد سفيان وسلّط عليهم قبائل الغرب التي تقاسمت العبيد وأولادهم ونساءهم وأخذت خيولهم وسلاحهم[156] .

وقد اتّبع سيدي محمّد سياسته هذه مع العبيد إلى آخر عهده بجمعهم تارة وتفريقهم أخرى وبنقلهم مرّات مراعيا في ذلك توازن القوى السياسية والعسكرية من مخزنية وقبلية وحضرية ولم يترك لأيّ فرقة من الجيش المخزني منطقة نفوذ خاصّة بها.

فالودايا مثلا نقلهم من أحواز فاس وخلط قسما منهم مع قسم من العبيد في مكناس وآيت يمور[157] ثم أوقع بهم ثم خلط من بقي منهم مع العبيد[158] وحاول أن يعوّض النقص الحاصل في قواته العسكرية بالاعتماد على عنصرين أساسيين هما:

1 ـ السّهر على إضعاف كلّ من شأنه أن يكون أساس قوة عسكرية جهوية من زوايا وقبائل، حيث سلك إزاءها سياسة النقل والتوطين، وقد نجد في هذه السّياسة تفسيرا لتصرّفه العنيف مع سكّان الرباط الذين بدأوا يستعيدون شيئا من نشاطهم البحري لحسابهم الخاص. فقد حاول نقل السّكان مرتكزا على منطق شرعي[159] وبعد فشل محاولته جعل العناصر التي يمكن أن تشكّل عنصرا عسكريا

(156) ن.م.س.، ص. 45 ـ 49.

(157) الضعيف، س.ذ.، ص. 168.

(158) ن.م.س.، ص. 168.

(159) في 1774 استفتى محمد بن عبد الله علماء فاس في إخراج أهل الرباط من بلدهم بدعوى أنها أرض مخزن لأنها أسست من طرف يعقوب المنصور الموحدي وأن "السلطان يرث السلطان" وكان ممن أفتى بعدم شرعية القرار العالم التاودي بنسودة معتمدا على أن الرجل إذا نزل بأرض وتصرف فيها 11 سنة ولم ينازعه فيها أحد تصير ملكا له" ونبه علماء فاس الذين كان أكثرهم قد أفتوا في الاتجاه الذي كان يرغب فيه السلطان بأنه إذا أخرج سكان الرباط بحجة وراثة السلطان للسلطان فإنه سيخرجهم من فاس بنفس الحجة لأن باني فاس هو مولاي إدريس. وقد عزل التاودي بعد هذه الفتوى.

تعمل لحساب المخزن[160] ونفس السّياسة حاول اتّباعها مع سكّان مدينة فاس حيث حاول أن ينقل رماة المدينة ويعمّر بهم مدينة الصويرة التي أتمّ بناءها سنة 1765م. وقد أكسب لجيشه التفوّق على مختلف القوات الجهوية بتحرير الجديدة[161].

2 ـ وحماية المناطق الاستراتيجية التي صارت هي الموانيء في عهده لتوجّه الاقتصاد المغربي نحو التجارة الخارجية. فقد ركّز أكثرية الجيش المخزني النظامي على السواحل لحمايتها من هجومات القبائل المجاورة[162] ومن طلاب الملك ومن هجومات القراصنة الأجانب. وهكذا أصبح الجيش مرتبطا ارتباطا وثيقا بالمبادلات

(160) بعد أن ظهر للسّلطان استحالة إجلاء أهل الرباط عن المدينة مع تأكّده أنهم "يريدون الخروج عليه" استقدم العبيد من كل أنحاء المغرب واعدا إياهم " بإعطاءهم ديار أهل الرباط" وفرض على أهل الرباط "أن يعزلوا من أولادهم نحوالثمانين ليتعلموا الرماية بالأنفاض والمهراز"اثم رفع من العدد وفرض عليهم عددا آخر للعمل في "البحرية والخروج في البحر".وقد برّر السلطان موقفه من أهل الرباط بسوء أخلاقهم ،وذكّرهم بقصيدة تنعتهم "بالفسق والزندقة والطمع وقلّة الوفاء بالعهد".

الضعيّف، س.ذ، ص.177.

(161) حرّر سيدي محمّد بن عبد الله مدينة الجديدة بدون قتال. وقد اعتبر بعض المؤرخين أن أول شرخ في البناء الاستعماري البرتغالي في المغرب كان هو سقوط "سانتا كروز" أكادير على يد السّعديين وأنّ هذا كان "بداية الاحتضار في حين كان سقوط أصيلا والعرائش الخلجات الأخيرة أما الجديدة فلم تكن إلا نعشا بقيت فيه جثة الميّت مستعرضة قبل الدّفن".وقد هدّم سيدى محمّد حصن الجديدة بعد جلاء البرتغاليين عنها وسمّيت المدينة بالمهدومة.

J.Figanier, *Historia de Santa Cruz Docabo, De Gue* 1505/1541.Agencias Generaldas Colonia, Lisbonne, 1945, p. 244.

(162) أكبر حامية كانت هي حامية طنجة 3500 وتتلوها الصويرة 2500، آسفي 2000، سلا والرباط 2000 المهدية 2500، العرائش 1500، أزمور 500، تطوان 800، أصيلا 200.

وكان الأوربيون يرون في هذه الحاميات حماية للتجارة الخارجية من غارات القبائل بينما كان يرى فيها المغاربة حماية ضد الغارات الأجنبية.

الغزالي، **نتيجة الاجتهاد في المجاهدة**، دار النشر العربي، بيروت، 1980، ص. 38.

التجارية الخارجية تعتمد قوّة كل منهما على قوّة الآخر. فالمبادلات التجارية التي كان المخزن يحتكرها سمحت لسيدي محمد بن عبد الله بأن يكتسب تفوّقا عسكريا لا بالاعتماد على الرّفع من عدد الجنود، بل بالاعتماد على تفوّق تقني للجيش المخزني بسبب الأسلحة التي كانت تدخل في هذه المبادلات[163] والأجور التي كانت تؤدى بانتظام وأحيانا تؤدّى مسبّقا[164].

وإذا كان سيدي محمد بن عبد الله قد استطاع أن يحتفظ للجيش المخزني بالرّغم من نقص عدده بالتفوّق التقني بفضل مداخيل المكس، ومداخيل التجارة الخارجية فإنّ مولاي سليمان بتخلّيه عن المكس وإغلاقه الموانئ المغربية أمام التجارة الخارجية، فقد نهائيا الوسائل الكفيلة بجعل النواة العسكرية المخزنية أداة فعّالة. لهذا كانت كلّ حركاته الداخلية التي خاضها بالاعتماد على نواة ضعيفة من بقايا العبيد والودايا وشراكَة وعلى جيوش القبائل، مرهونة دائما بالأحلاف القبلية وتقلّباتها.

وهكذا يكون الجيش المغربي قد دخل القرن التاسع عشر بأسس تولّدت عن واقع البلاد السياسي والاقتصادي والبشري، تراكمت فيها رواسب فترات تاريخية

---

(163) في معاهدة السّلم التي عقدها سيدي محمّد بن عبد الله مع الدّانمارك في 28 يوليوز 1767م ينص الفصل 19 بتعهّد الدانمارك بإرسال كل سنة 13 مدفع من وزن 24 و13 مدفع من وزن 18 و30 من الحبال الحديدية و2000 لوحة من الخشب وعددا من القلع والحبال وكانت الهدايا التي تقدّمها الدّول الغربية للسّلطان تتكوّن في أغلبية الأحيان من الأسلحة فمثلا حينما أرسل إلى ملك إنجلترا القائد فنّيش بهدايا من بينها أسد ونمر وبعض الخيل، رجع السّفير على ظهر سفينة حربية إنجليزية بهديّة تشتمل على تسعة عشر مهراسا وثلاثين ألف من البنب الثقيلة وثلاثين مدفعا من الحديد وأربعة آلاف وخمسمائة قذيفة. وبعد هذا قدمت إلى العرائش سفينتان حربيتان هولانديتان تحملان هدايا نفيسة تفوق قيمتها الإجمالية قيمة الهدايا الإنجليزية ومن بينها سيفان وخنجران بقبضات ذهبية مرصّعة بالألماس، ولكنّ السّلطان رفض قبولها قائلا للقنصل أنه لم يكن في حاجة إلى هدايا من هذا النّوع بل إلى أشياء نافعة كالهديّة الإنجليزية.

H. De Castrie, « Le Danemark et le Maroc 1750–1767 », in *H.T.* Vol. V, p. 246.

Georg. Høst, *Histoire de L'Empereur du Maroc,* Mohammed Ben Abdellah, Imprimé chez Nicolas Moller et fils, Imprimeur de la cour royale, Copenhague, 1791, traduction par U. K. Damgaard et J.J. Guignard, p. 70.

(164) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 61.

مختلفة، وبهيكل مبني على التكامل بين قوات قبلية ونواة مخزنية تحرّكها الصراعات والاعتبارات السّياسية وأضعفها تقلّص الموارد المالية.

# القسم الثاني:

# تقويم الجيش المغربي في مطلع القرن التاسع عشر

# تقويم الجيش المغربي
# في مطلع القرن التّاسع عشر

ظلّت القوّة العسكرية المغربية رغم كل التغييرات التي طرأت عليها في مختلف الفترات تتركّب في القرن التاسع عشر من عنصرين متكاملين أحيانا ومتصارعين أخرى وهما الجيش المخزني والقوّات القبليّة. ومن الصّعب تقويم هذه القوّة العسكرية التي كان يتوفّر عليها المغرب في هذه الفترة تقويما علميا مضبوطا لانعدام الآليات الضّرورية لهذا النّوع من التقويم سواء فيما يخصّ العناصر المادية كعدد الجنود والأسلحة أو العناصر الأخرى التي تدخل في تقويم الجيوش كالانعكاسات المالية والاقتصادية للجيش[1] . فإذا أردنا مثلا أن نحدّد عدد الرجال الذين كان في استطاعة المغرب تجنيدهم، نصادف إلى جانب الصّعوبة التي يواجهها كل من يريد إعطاء أرقام مضبوطة فيما يخص الجيوش بصفة عامة كيفما كان نظامها ورقيّها، بسبب الحركة والتغييرات التي تطرأ عليها في فترات قصيرة، صعوبة ذات طابع خاصّ ترتبط بانعدام الإحصائيات ومطاطية الأرقام في مغرب القرن التاسع عشر. فحتّى عدد سكّان المغرب لهذه الفترة ليس مضبوطا ويتراوح حسب نوع

---

(1) تعتبر الميزانية العسكرية في الدراسات الحديثة إعادة لتوزيع جزء من الضرائب التي تطلبتها هذه الميزانية في الحياة المدنية ويستحيل تقويم من هذا النوع بالنسبة للمغرب في القرن التاسع عشر، بسبب تداخل الحياة المدنية والعسكرية كما رأينا.

كما أن تقدير عدد الجيش، يكون بالنسبة للسكان، وتتراوح النسبة بين 4 و100/8 وتدخل في هذا التقدير حيثيات عديدة كنمط العيش، و الموقع الجغرافي، و الحالة الاقتصادية والجنس، والمستوى الاجتماعي، والمستوى التقني، ومستوى التنظيم الاجتماعي، وعلاقة الدولة بالمجتمع.

« Guerre armée société », numéro spéciale, *Revue française de sociologie*, Avril-Juin 1966.

D. Nordman, A.E.S.C., n° 6, Novembre-Décembre 1986, pp. 1405 - 1406.

التقديرات والغرض منها بين 4 و7 مليون[2] فرقم 6 ملايين[3] الذي صار شبه رسمي عند المؤرخين الفرنسيين لم يعط إلا بالمقارنة مع سكّان الجزائر المحتلّة في نفس الفترة. زيادة على هذا فالنّظام العسكري المغربي كما تقدّم، تنعدم فيه الحدود بين النّواة الدائمة والجيش الاحتياطي أو الظرفي.

وحتى حينما كان الأمر يتعلّق بعدد الجنود في نطاق زمني وجغرافي ضيّق، كبعض المعارك التي اهتم بها المؤرّخون للانعكاسات التي كانت لها على مجرى الأحداث الداخلية في البلاد، وعلى علاقاتها الخارجية فإننا نجد أنفسنا أمام تقديرات بعيدة كلّ البعد عن بعضها، فإذا أخذنا كمثال معركة إسلي، نجد الناصري اعتمادا على أكنسوس والزّياني يقدّر عدد الفرسان المغاربة الذين شاركوا فيها بثلاثين ألفا[4] بينما يقدّرهم الملاحظون والمؤرّخون الأجانب بألفين وخمسمائة فقط[5].

لهذا فمحاولة التقويم هذه ترمي فقط إلى إعطاء صورة تقريبية للجيش المغربي في هذه الفترة، بعنصريه المخزني والقبلي.

## أولا ـ النواة العسكرية المخزنية الدائمة

### 1 ـ التّقويم العددي

رغم تعدّد السّجلات المركزية للجيش[6] فإنّ كلّ الأرقام التي يمكن أن نستخرجها منها لتقدير القوات العسكرية المخزنية في القرن التاسع عشر لا يمكن أن تكتسي أيّ صبغة نهائية وهي أرقام تقبل التغيير حسب الطريقة المستعملة في تأويل هذه السجلات. فهي سجلات بأسماء فرق تتقاضى المونة[7]

---

(2) J. Garnal, *Géographie générale*, Paris, 1902, p. 100.

(3) Guedenfeld, « Examens des forces défensives du Maroc », *A.M.G.V*, 3H3.

(4) أحمد بن خالد الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص 50.

(5) و.و.ح.ف.1 C، تقرير البعثة العسكرية الفرنسية 1882.

(6) كنموذج لهذه الكنانيش الكناش رقم 11 ـV (1210 – 1238هـ)، خ.ح.

(7) تؤدى يوميا وعينا في محلّ العمل.

والرّاتب[8] في وقت من الأوقات ثم لا تلبث هـذه الأسمـاء أن تختفـي لتحتـلّ أسمـاء أخرى محلّها، أو لتظهر بعد عدّة أشهر، مبعـثرة في سـجل آخـر، وبمناسـبة مؤونـة أخرى أو كسوة أو حركة.

ويزيد من صعوبة اعتماد هذه الأرقام التغييرات السّريعة والمفاجئة الـتي كـانت تطرأ على عدد هـذا الجيـش بسـبب إضافـة قبيلـة ونقصهـا مـن قبـائل الجيـش، أو بالقضاء على فرقة من الجيش لتمرّدها.

ولكن مع هذا يمكن أن نقدّم بعض الأرقام التّخمينية عـن طريـق المقارنـة بـين أعداد تظهر محتملة، نرجع إليها بعض السّـنين إلى الـوراء، وأعـداد أخـرى جـاءت متأخّرة ببعض سنين، وأخرى جاءت في نفس الفترة.

فإذا اعتبرنا الأرقام التي جاء بها المؤرّخون المغاربة في عهـد سـيدي محمّـد بـن عبد الله في أواخر القرن الثامن عشر عن عدد جيوشه نجد[9] :

| | |
|---|---|
| العبيد | 15.000 |
| الأحرار | 7.000 |
| الطبجية | 2.000 |
| البحرية | 3. 000 |
| المجموع | 27.000 |

وإذا وصلنـا في النصـف الثـاني في القـرن التاسـع عشـر إلى عهـد مـولاي الحسـن وجـدنـا في التقرير العسكري الـذي أرسلتـه البـعـثة العسكرية الفـرنسـية إلى وزارة الدفاع بباريس في 1882 الأرقام التالية[10] :

---

(8) يؤدى شهريا ونقدا، وفي القبيلة.

(9) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 61.

(10) و.و.ح.ف.، 3H3.

وكذلك :

J. Erckman, *Le Maroc moderne*, Paris, 1885, p. 244.

| | |
|---|---|
| عدد الجيش التابع للسلطان | 5350 |
| عدد الجيش | 9000 |
| المجموع | 14350 |

وإذا زدنا على هذا العدد ذلك الجيش الذي صار يشكل طوابير المدفعية والعسكر في عهد مولاي الحسن وجدنا هذه الأرقام[11]:

| | |
|---|---|
| الجيش الذي كان يشكّل المدفعية | 1 500 |
| الجيش الذي دخل في العسكر | 2 150 |
| المجموع | 3 650 |

وإذا قارنا الرقمين: 000 27 على عهد سيدي محمد بن عبد الله و000 18 في عهد مولاي الحسن، وأخذنا بعين الاعتبار التغييرات التي طرأت بين الفترتين كتقلص عدد العبيد والبحرية مثلا، نجد أن رقم 000 20 الذي تردد كثيرا عند الملاحظين الأوروبيين والمؤرخين لهذه الفترة، رقم تقريبي معقول.

وعلى كل حال، فإنّ الأرقام حتى المضبوطة منها وا لرّسمية، ليست لها إلا قيمة نسبيّة. وأهمّ من الأرقام في التقويم، معرفة العناصر المكوّنة لهذا الجيش وقيمته العسكرية من خلال سلاحه ونظامه.

## 2 ـ العناصر المكوّنة للجيش المخزني

يمكن تصنيف هذه العناصر حسب معايير متعدّدة لكل منها إيجابياتها وسلبياتها.

### أ ـ التصنيف حسب الاختصاصات العسكرية

وهذا التصنيف الذي يظهر منطقيّا لأوّل وهلة يكتسي كثيرا من عناصر الضّعف. فرغم وجود كلّ أنواع الاختصاصات العسكرية المعروفة في ذلك الوقت

(11) ن.م.س.

من فرسان "خيالة" ومشاة "رجالة أو تراسة أو رجلية" مدفعية "طبجية،" أورماة وبحرية، فليس معنى هذا أنّ هذه الاختصاصات كانت تكوّن فرقا مستقلّة عن بعضها، وتتلقّى تداريبا خاصّة بها، فليس هناك — في علمنا — أيّ نصّ تاريخي أو وثيقة تذكر أنه كانت تقام تداريب للجيش منذ عهد مولاي إسماعيل، ما عدا بعض التداريب التي استفاد منها عدد من الجنود في عهد سيدي محمد بن عبد ا الله، "للتعوّد على ركوب البحر" وبعض التداريب التي أعطيت في المدفعية على يد معلّمين أتراك. بل إن أكثر الاختصاصات صارت وراثية تنحصر في بعض العائلات أو القبائل وبعضها كان قد أوشك على الانقراض.

فالبحرية مثلا، صارت مجرّد ذكرى أكثر منها حقيقة إذ لم يبق منها إلا الإسم والآثار[12]، بعد أفول القرصنة أو الجهاد البحري، فقد صار عدد "بحريتها" لا

(12) لعبت البحرية دورا كبيرا في عهد المرابطين والموحّدين خصوصا في نقل الجنود للجهاد في الأندلس ويظهر أن البحرية أصابها منذ واقعة العقاب ما أصاب كلّ الدّولة الموحديّة من ضعف، حتّى أن المؤرّخين يذكرون أن سعيد الموحّدي "نقض جامع حسّان وصنع من خشبه الأجفان الغزوانية ولكنّها أحرقت بوادي زمّور وقد بلغت البحرية أوجها في عهد المرينيين حيث تقدّر سفن أبي الحسن المريني بستمائة ولكن بعد انهزام المرينيين في طريفة وانقطاع العبور للأندلس، وكذلك غرق أسطول أبي الحسن، ضعفت البحرية من جديد ولم تسترجع شيئا من قوّتها إلا في عهد المنصور السّعدي بفضل الأموال التي كان يدرّها عليه الذهب بعد فتح السّودان وكذلك لاستخدامه السّود في تحريك المجاذيف الثقيلة وكان الأسطول السّعدي مستقرا في العرائش وأوكل المنصور رئاسته لإبراهيم الشّطّ ثمّ للرّايس شعبان. وقد يكون انقراض الغابات قد لعب دورا في هذا الضعف.

حول البحرية في عهد المرينيين والسّعديين :

عبد العزيز الفشتالي، **مناهيل الصفا**، المطبعة، المهدية، 1964، ص. 245.

ابن أبي زرع، **الذّخيرة السّنية**، **س.ذ.**، ص. 62.

من بين هذه الآثار التي بقيت للبحرية، **اليطغان** : سيف ذهبي مرصع بالأحجار الثمينة، كان السلطان يعطيه لرؤساء البحرية ولم يكن يتوارث، بل يعاد للسلطان بعد وفاة صاحبه، ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ**، ج. 5، ص. 133.

يتعدى 900 1 أغلبيتهم يزاولون أعمالا لا علاقـة لها بالبحرية كـالخرازة والطـرازة والتجارة ولا يجتمعون في المرسى إلا حينما ينادي عليهم القائد لعمل ما[13].

فبحرية سلا والرباط مثلا، تقلّص عدد أفرادها إلى 400، وبقيت محتفظة بأسماء عائلات توارثت الحرفة أبا عن جـدّ كـبريطل وزنيـبر ومارسـيل، وفنيـش وبركـاش ومورينو وعوّاد[14] وبشبه نظام يذكر بقدم البحرية ورسوخها في هـاتين المدينتين، وبألقاب : كالأميرال[15] والباشا رياس[16] والرايـس وريـاس عسّـة[17] وتكابجيـة[18] ودانمجية[19] والوردِيانات[20] والبحرية. ولكن بحارتها الذين أرهبوا أوربّا عدّة قرون ووصلوا إلى شمال المحيط الأطلسي وعرض كندا، صارت مهمّتهم تنحصر في إفراغ السّفن وشحنها وإرسائها مقابل رواتب من مدخول المراسـي، وتبرّعـات سـلطانية ظرفية.

---

(13) A.M.B.V., C.1, Mémoire militaire sur l'empire du Maroc, présente à sa Majeste Impériale et Royale, le 3 Juin 1810, rédigé par le capitaine Burel.

(14) ن.م.س.

وكذلك : الكنّاش رقم 1409د، خ.ح.

مثلا : عواد عائلة أصلها من دكالة، يظهر اسمها في البحرية منذ عهـد سيدي محمـد بـن عبـد الله. في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان، وقع عدّة أفراد منها رسالة للسلطان يطلبـون فيهـا إعادة النشاط لميناء سلا. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عمـل بعضهـم في المخـزن كأمناء و تجار.

(15) الأميرال من أصل عربي، اختصار لـ: أمير البحر، صارت بالتركية الملقد، والاسبانية أميرنت Amirante، و هي أعلى رتبة في البحرية.

(16) الباشا رياس، تحريف لباشا رئيس رتبة تحت الأميرال، وبدا في استعمال كلمة باشا في المغـرب منذ الوطّاسيين ولكنّها لم تتداول إلا في عهد السّعديين.

(17) رئيس عسّة، و هو الذي يرأس الحرس البحري.

(18) تكابجية، تكنجي أو تكنسي Takaci، كلمة تركية تطلق على أصحاب الزوارق الشراعية.

(19) دغمجية، ج. دغمجي Dénizal تركية، قواد البحر المختصين بالمراكب التي تسير بالمقاذف.

(20) الورديانات ج ورديان، تركية، عساكر بحرية.

والطّبجية البحريّة كذلك، منذ انغلاق المغرب عن البحر عسكريا واقتصاديا، واتجاهه نحو الداخل، صارت مهمتها تنحصر في طلقات مدفعية في الأعياد والأفراح، وفي السلام المعتاد عند خروج بعثات مخزنية أو رجوعها من الحج، أو في مهمات رسمية، وعند وصول بوارج أجنبية أو بعثات، أو استقبال القناصل الذين كانوا يؤدّون مقابلا لكل طلقة مدفع[21] .

ونجد بعض الآثار لنظام هذه الطبجية البحرية في مدينة الرباط وسلا حيث بقي طبجيتّها يقومون ببعض التداريب في الرّماية، ويعتنون بالمدافع والمهاريس، وهؤلاء الطبجية لا يقومون بدور عسكري إلا حينما تتعرض الموانيء لهجوم عسكري كهجوم الفرنسيين على سلا عام 1268هـ 1852م أو حينما ينادي عليهم للحركة بحيث يعملون غالبا في المدفعية وفي بعض الأحيان كجنود عاديين. فمثلا عائلة فنّيش كانت تشارك في عدة حركات لهذه الفترة، وعلى الخصوص حينما كان يتعلّق الأمر بحصار مدينة[22].

وبصفة عامّة فقد تضاءلت أهمية الطبجية البحرية في الجيش لحساب دور مدفعيّة الميدان ومدفعيّة الجبال، كما أنّ عدد المعلمين "الطبجية تضاءل" حتى صار الباقون يعرفون بأسمائهم، وتعطى لهم أهمّية خاصّة. فمثلا المولى سعيد في ثورته ضدّ مولاي سليمان جاء من تطوان بـ "المعلم الأكبر أبي العباس أحمد عنقيد" التّطواني ليحاصر به فاس الجديد فأرسل مولاي سليمان من قتله[23] أمّا طبجية الميدان والجبال الذين كانوا يلعبون دورا أساسيا في الحركات الداخلية فقد قدّر

---

(21) *A.*M G. V. , C.1, Mémoire , *op. cit* .

(22) الضعيف، **س.ذ.**، ص. 275.

و لكن يظهر أن فعاليتهم لم تعد كبيرة، ففي رسالة وجهها مولاي عبد الرحمن لعامل سلا، يذكر السلطان هذا الضعف: "و قد كان أهل العدوتين إليهم المرجع في هذا الأمر، و هم القدوة فيه فمضى السلف بعلمه و زهد الخلف في تعلمه، فقد جربنا من هؤلاء من يتوجه في الحركات، فلم يلق فيهم من يصيب الغرض".

الرسالة موجودة عند عبد الرحمن ابن زيدان، **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، المطبعة الملكية 1962، ج. 2، ص. 196.

(23) الناصري، **س.ذ.**، ج. 8، ص. 154.

عددهم في سنة 1825 بين ألف وألف وخمسمائة[24] ويظهر أنّ وظيفتهم صارت متوارثة. فأغلبية الطبجية يرجع أصلهم إلى الأتراك والمورسكيين أو العلوج، الذين كانت توكل لهم المدفعيّة منذ القديم.

وعدد العلوج وإن كان قد قل كثيرا منذ أُفول الجهاد البحري وانتهاء تحرير الموانيء المغربية، ونقص عدد الأسرى المسيحيين إلا أنهم كانوا لازالوا موجودين في أوائل القرن التاسع عشر في المدفعيّة، فمثلا في سنة 1825 كان عدد العلوج في المدفعية 400 من بينهم 240 إسبانيا، وكان قائدها علج إسباني انطونيو بلوتي الملقب بسليمان[25] كما أن قائد المدفعية في إسلي كان علجا يلقب بعلي سفيانوا[26].

كما أنّ محاولة تقسيم الجيش إلى فرسان ومشاة لايمكن أن تعطينا إلا تقديرات معقّدة، لارتباط هذا التقسيم بكثير من الحيثيات التي تتغير حسب المواسم والحالة الاقتصادية. فمثلا في سنوات القحط والمجاعات حيث تهلك كثير من الخيل ينقص عدد الخيّالة. كما أنّ الفرق بين الخيّالة والمشاة لا يكمن في تكوين عسكري مختلف، فالخيّالة ليسوا في الحقيقة "إلا مشاة راكبين"كما لاحظ جنرال ألماني هو فون كابن Von Gaben الذي شاهد حرب تطوان بجانب الجيش الإسباني، فلم يكن هناك فرق بينهم لا من ناحية النظام ولا من ناحية السلاح.

فالخيالة في الحركات يتبعون نفس النظام الذي يتبعه المشاة إذ يتقدّمون منقسمين إلى فرق من 25 أو 50 جنديا على رأس كل منها رايتها، ويستعملون نفس الأسلحة كالبنادق والخناجر والسّيوف، وقد يترجّلون أثناء المعركة، والفرق الوحيد الذي يمكن أن نجده بين النوعين يكمن في أهمية الدور الذي يلعبه الخيّالة داخل جيش كالجيش المخزني، صارت كل عملياته العسكرية تنحصر في حركات ضدّ القبائل، إذ في هذه الحركات تلعب الهيئة المخزنية بخيلها وراياتها، دورا حاسما في إحراز تفوّق عسكري حقيقي. ولا يفسّر الفرق بين راتب الفارس والرّاجل حيث كان الأول يتقاضى ضعف راتب الثاني إلا بأن الفارس كان يتكلّف بعلف فرسه.

---

(24) J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1961, T.III, p. 21.

(25) J. Le Goz, "Les tribus guiches au Maroc », *R.G.M*, 1965, p. 3.

(26) Houdas, *Le Maroc de 1631 à 1812*, Paris, 1886, p. 125.

لهذا فتقسيم الجيش حسب الاختصاص العسكري لا يعطينا فكرة حقيقية عن التّصنيف الحقيقي لمختلف العناصر المكوّنة للجيش، إذ أن هذه العناصر كانت تصنّف في الواقع إما حسب انتمائها القبلي أو حسب قربها أو بعدها من السّلطان.

## ب ـ التقسيم حسب الانتماء القبلي

نلاحظ أهمّية الانتماء القبلي في الجيش من خلال الوثائق التي يأتي فيها ذكر الجيش في القرن التاسع عشر والتي قلّما لا تلمح إلى الأصل القبلي للجند الذين تتحدّث عنهم، سواء كان الأمر يتعلّق بالبيعة أو بالحركة أو بتفريق الكسوة أو المؤونة، أو ذكر عدد الجيوش في عهد أحد السّلاطين، إلخ، وهكذا يتّضح أنّ الجيش المخزني كان مكوّنا من عنصرين أساسين:

* جيش البخاري
* قبائل الكيش

فقدكانت هذه العناصر لا زالت تشكّل بالفعل ركيزة المخزن السّياسية والعسكرية، وتتمتّع بامتيازات تجعل مستواها يفوق مستوى القبائل الأخرى وإن كانت تخضع هي كذلك كغيرها من القبائل المغربية لسياسة النقل والتوطين، وذلك ضمن استراتجية المخزن التقليدية في فرض وتوطيد السّلطة المركزية. إذ أن القبيلة المنقولة والمعزولة عن منطقتها الأصلية تنشغل عن الفتن والثورات بالمشاكل الناجمة عن توطينها داخل إطار جديد، غريب عنها جغرافيا واقتصاديا واجتماعيا.

والملاحظ أنّ إخضاع قبائل الجيش لهذه السّياسة يختلف شيئا ما عن الخطّة المطبقة اتجاه القبائل الأخرى، إذ كان المخزن بعد كل عمليّة ترحيل وتوطين يراعي بعض القواعد القارة ومن بينها :

ـ اتّخاذ الإجراءات اللازمة لحماية وتقوية القبيلة المنقولة في بيئتها الجديدة حتّى تبقى سدّا بينه وبين القبائل العاصية.

ـ توطينها في مناطق المرور السّلطاني وخصوصا الطّرق الرابطة بين العواصم السلطانية وهي فاس ومكناس والرباط ومراكش.

ـ منع كل تضامن داخلها بإذكاء المنافسات بين مختلف عناصرها.

وقد زاد كلّ السلاطين بعد مولاي إسماعيل في قبائل الجيش ونقصوا منها. فقد أضافوا قبائل جديدة اختبروا طاعتها كقبيلة الرحامنة التي جعلها سيدي محمد

بن عبد الله قبائل جيش مكافاة لها على مساندتها له في حياة أبيه، وكذلك أيت الربع[27] وأخرى عاصية بعد أن كسّروا شوكتها كقبيلة كَروان التي أضافها مولاي سليمان لقبائل الجيش بعد تغلبه عليها وشراردة التي جعلها مولاي عبد الرحمان قبيلة كَيش بعد أن هدّم زاويتها[28] كما حذفوا قبائل أخرى إمّا لإخلاصها لخصومهم : أو لتمرّدها ضدّهم كما فعل سيدي محمد بن عبد الله الذي عاد فأسقط قبيلة الرحامنة، ومولاي عبد الرحمان الذي أسقط قبيلة الودايا التي تمرّدت ضدّه سنة 1831م[29].

وهذه القبائل رغم أنه كان يطلق عليها كلّها اسم قبائل الكَيش فقد كان بينها في أغلب الأحيان فرق كبير سواء من حيث الامتيازات والوظائف المخزنية أو الرواتب، فهناك بعض قبائل الجيش احتكرت احتكارا يكاد يكون عاما في بعض الفترات كل المناصب سواء داخل القصر أو في الدّولة. وهذا التفوّق والنفوذ، كثيرا ما كان ناتجا عن علاقة القرابة أو المصاهرة التي تكون بينها وبين السّلطان كما كان الأمر مثلا بالنسبة لشراكة والبخاري. كما أن الفرق في الرواتب كان يصل في بعض الأحيان إلى 100%، فرواتب شراردة مثلا كانت أقلّ من رواتب شراكة والبخاري في عهد مولاي عبد الرحمان ويظهر هذا من الجدول التالي[30] :

| | رواتب الجيش الفاسي والبخاري | رواتب شراردة |
|---|---|---|
| الفارس | 30 أوقية | 25 أوقية |
| الراجل | 15 أوقية | أوقية |
| المقدم | 7,5 مثقال* ونصف | 40 أوقية |
| قائد المائة | 10 مثقال | 5 أوقية |

*المثقال كان يساوي 10 أوقية.

(27) أحمد الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 116 ـ 117.

(28) ن.م.س.، ج. 9، ص. 17 ـ 21.

(29) حول ثورة الواديا :

الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 32–38، و ابن زيدان، س.ذ.، ج. 5، ص. 25 ـ 31.

(30) ابن زيدان، س.ذ.، ج. 5 ، ص. 40 ـ 41.

كما أن الامتيازات التي كانت لقبائل الجيش وهي الإعفاء من الضرائب الغير الشرعية وكل أنواع الغرامات والهدايا والانتفاع بأراضي مخزنية للحرث والرّعي مقابل ما سمّي بضريبة الدم"، كانت تختلف من قبيلة لأخرى. فبينما نجد قبائل ملّكها المخزن الأراضي التي تتصرّف فيها كالودايا بعد نقلها إلى حوز مرّاكش وشراردة وشراكة، كانت قبائل أخرى لا تتصرّف في هذه الأراضي إلا عن طريق الانتفاع كجيش أيت يمّور وأخرى ليست لها أراض مخزنية البتة وتؤدي كل أنواع الضرائب كالرحامنة.

ويظهر هذا الفرق من الظهيرين الرحمانيين للودايا وأيت يمور : فظهير مولاي عبد الرحمان للمغافرة في سنة 1268هـ - 1852م ينصّ على أنه "ملّكهم الأراضي التي بأحواز مرّاكش بزاوية الشرادي عوضا عن الأراضي التي تركوها بفاس الجديد تعويضا وتمليكا شاملين مطلقين عامّين يتصرّفون فيها بجميع أنواع التصرّفات" في حين أنّ ظهيره لأيت يمور في 11 شوال 1261هـ /14 أكتوبر 1845م ينصّ على أنه "عوّضهم عن بلاد سلفات ببلاد الحوز البسيطة ليتصرفوا فيها وأبحنا لهم التصرف فيها بمنافعها ومرافقها وكافة حقوقها " .كما أن بعض القبائل كان المخزن يؤدي لكل أفرادها الرواتب والمؤونة والكسوة بانتظام ويحتفظ لهم داخل المخزن بسجلات مضبوطة وتؤدّي لأيتامهم وأراملهم سنة من رواتبهم كجيش البخاري وأهل سوس فمثلا :

**الرّاتب الشهري لأرامل وأيتام جيش البخاري[31] :**

| | |
|---|---|
| 30 أوقية | : عن الفارس |
| 15 أوقية | : عن الرّاجل |
| 10 أواق | : للشويردات (الأطفال) |
| 8,5 | : عن العجوز المتقاعد |

في حين كانت رواتب القبائل الأخرى تؤدّى بغير انتظام ولا تعطى إلا للذين في الخدمة فعلا، وهذا التفاوت يوجد كذلك داخل نفس القبيلة إذ هناك تفاوت بين

(31) الكناش رقم V-11-(1210-1238)، خ.ح.

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

XIV

يعلم من هذا الكتاب الشامي المغوار الحائز من قصبات الله تم به العز والفخار أننا
لما نقلنا رحى المغافرة من الوادي إلينا من جانب الجديدة وأحوازه وأنزلناهم بأحواز حاضرة
مراكش بزاوية الشراذي وما والاها خلف ضيعة ولد نعيم وقبلته امتثالا للأوامر
الإلاهية والرحمة الربانية والشريعة المحمدية والشفقة [illegible]
عياله يتكففون الناس وإن صدر منهم ما صدر من الجولان والبأس ونعوضهم أملاك
المنتقلين عنها بتعويض بعض كتابة البلاد المذكورة المنتقلين إليها مع ما اشتملت عليه
من جميع العيون وراء الوادي وأمامه ولسانية تينتت ولسانية تزاوت الكائنتين
خلفه فقد ملكناها لهم عوضا عما خلفوه بسائر الجديدة وأحوازه وراءهم بينه
الكائن مواضعه وشهرة المعوض به المنتقلين الذي أغنت عن التحديد والوصف والتصريح
فيها فمن أن يتنكلوا إليها كتاب عن البيان والكشف تعويضا وتمليكا تاما من تاما مطلقين
مطلقين علما من يتصرفون فيها بجميع أنواع التصرفات من حرث وغرس وقلع
وغير هذا من البناء وسائر وجوه التبرعات تصرف المالك في ملكه ومراعاة لجار رحمه
الله علينا الرعايا إنما من العدل ورد المظالم بالقول والفعل فقد قال صلى الله عليه
وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وقال ما من وال يلي ولاية إلا جاء يوم
القيامة ويده مغلولة إلى عنقه لا يفكها إلا عدله أو يوبقه جوره وقال سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه إنه لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا للناس روع المومنين ونظر المالكية
وبين الإمام الأعظم والجمهور الأعظم من المظاهرة والتحويل من سائر الأقطار
قبل الانتقال والتحويل أبناء من الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا ومن ولاه الله الأمر
بعدنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام
في مهل ربيع الأنور النبوي عام 1268

**ظهير السلطان مولاي عبد الرحمان للمغافرة**
**1268هـ - 1852م**

الحمد لله وحده       صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

XIV 1

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعزه وجعل فيما يرضي الله ورسوله
كلمه ونشره أننا عوضنا بحول الله وقوته لقبيلة ءايت يمور القاطنين
بالحوز البسيطة التي أحللناهم فيها عوضا عن أملاكهم بسلفات
والولجة الطويلة بالغرب لظهور ثبوتهم ورأفة بمصيبتهم وأنعمنا
عليها وأبحنا لهم التصرف فيها بمنافعها ومرافقها وكافة حقوقها
من غير ما ينافي أسباب الملكية فالواقف عليه من خدامنا وولاة
أمرنا أن يعملوا بمقتضاه ويقف عند مضمونه ولا يتعداه والسلام
في 11 شوال عام 1261

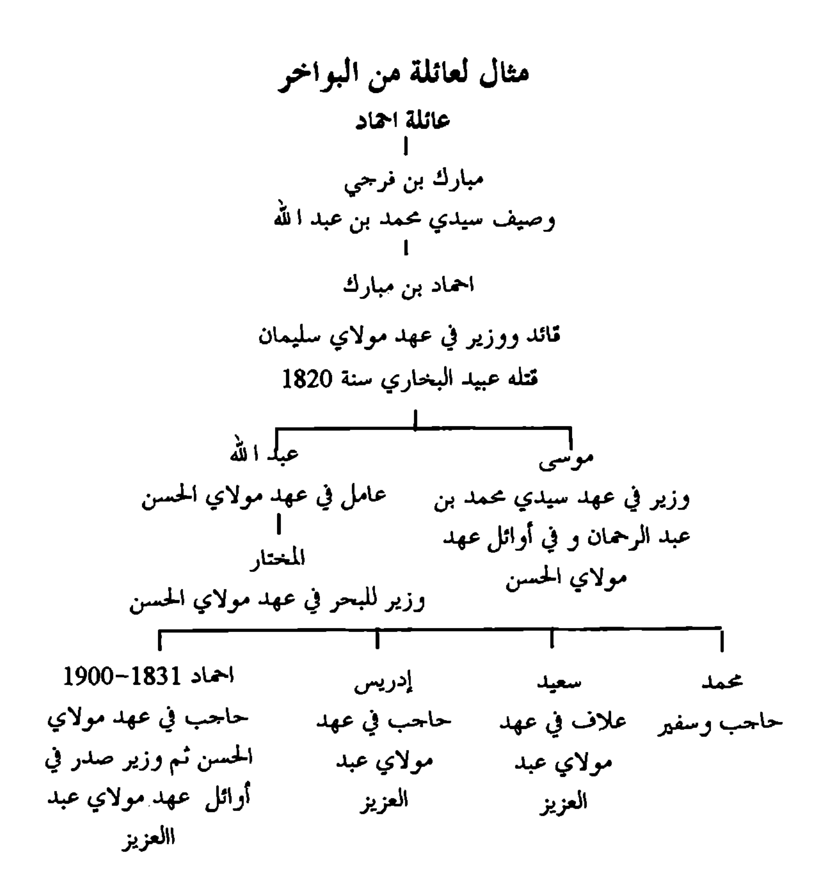
11 شوال 1261 هـ

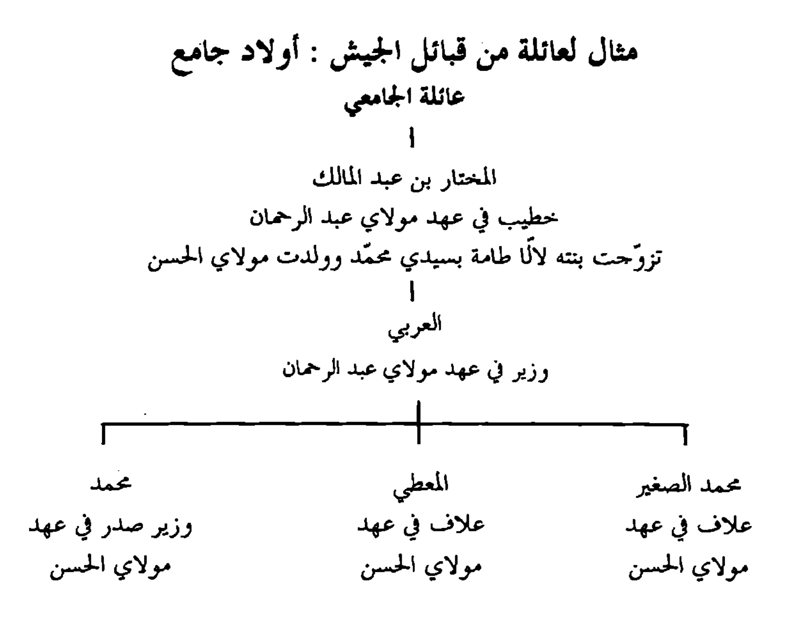
**ظهير السلطان مولاي عبد الرحمان لأيت يمور**

**11 شوال 1261هـ - أكتوبر 1845م**

العائلات داخل نفس القبيلة حسب درجة المخزنية : فهناك عائلات توارث أعضاءها وظائف داخل المخزن في عهد عدّة سلاطين كعائلة الجامعي من قبائل شراكة واحماد من البخاري وأخرى يتكرّر اسمها منذ عهد مولاي إسماعيل كعائلة الجراري وأبي شفرة من الودايا وعائلة الريفي من قبائل الفحص.

وكمثال لعائلات الكيش التي بقيت طرفا من المخزن عدّة عقود من الزّمن وبقيت ذات نفوذ إلى أواخر القرن التّاسع عشر ودخلت كلّ الصّراعات السّياسية الدّاخلية التي شهدتها البلاد نأخذ عائلة الجوامع من شراكة وعائلة أحماد من البواخر .






كما كان يوجد تفاوت كبير في الأجور بين مختلف طبقات نفس الجيش، وهذا التفاوت يصل في بعض الأحيان عشر أضعاف. وكذلك الفرق في الأرض التي تتصرف فيها كل عائلة : فمساحة المخزني(32) التي تعطي لكل رجل متزوج تتراوح بين خمس وثمانية عشر هكتارات. وفي بعض الأحيان يحتفظ القائد لنفسه بأكثر من 20 مخزنيا. ويظهر استبداد القواد هذا من رسالة مولاي عبد الرحمان لأيت يمور في عام 1264هـ ــ1847م التي يذكر فيها "أنه قد بلغه أن أغنياءهم ورؤساءهم يختارون لأنفسهم من البلاد أكثرها وأكيلها ويتركون لضعفائهم أقلها وأصلبها".

وهذه الأراضي رغم نص الظهائر في بعض الأحيان على "تمليك" بعضها "تمليكا كليا تاما" كما في الظهير الرحماني للوداية، فإن هذه الملكية التي هي للقبيلة بأجمعها تكون محدودة، فليس لها حق كرائها أو بيعها كما أن "المخزني" لا ينتقل

(32) كانت كلمة المخزن تطلق عل القطعة الأرضية التي تعطي لكل عائلة من قبائل المخزن، كما تطلق على المنتسب لقبائل المخزن.

الرسمان المبيانيان مأخوذان من :

A. Laroui, *Les origines*, *op. cit.*, pp. 85-86.

الحمد لله وحده    وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

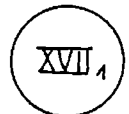
XIV B

خديمنا الأرضى الماجد علي بن عبد النبي اليموري وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد بلغ علمنا
الشريف الذي لا راحة له إلا من الذب عن المنهاج الحنيف أن إخواننا قبيلة آيت يمور الذين انتقلوا من
الصعيد من بلادهم بالغرب الذي حازوا من أكثر ونزلوا بها منتقلة لهم وراء وادي نفيس ونقلتهم عوضا عن بلادهم
المنتقلين منها كما بظهيرنا الشريف الذي بأيديكم قد صار أغنياؤهم ورؤساؤهم يحتازون لأنفسهم
من البلاد أكثرها وأكيسها ويتركون لضعفائهم أقلها وأضعفها ولم يزيدوا فيهم إلا الإذاية وهذا أمر
تقشعر منه الجلود ولا يرتكبه من يعتقد أنه ليس له من الدنيا خلود وأن الذي يرى منك ويسمع ولم يصدر
منك ما فيه الألفة ولم الكلمة إذ نحن مع أننا ما ولينا عليهم وأسندنا الأمور إليك فيهم إلا لتكون بصيرا
عليهم وتنظر في جميع مصالحهم وتسوي في الحقوق بين غنيهم وفقيرهم وكبيرهم وصغيرهم وعليه
فبمجرد وصول كتابنا هذا إليك أعلى الله قدرك ورفع فوق السماء نجم شمسه المنيرة وبدره فأمرك أن تحضر
بمن يجب جميع قبيلتك عارفيها وبصرائها والحذاق منها وصلحائها ويرضون منهم رجال العقلاء
مجربون مرة نبلاء ويقتسموا فيما بينهم جميع بلادهم الكائنة خلف الوادي المذكور وأما في إحدى
القسم الثلاث الشرعية التي هي من عدل الإسلام مرعية قسمة بت لا رجوع فيها حتى تقع التسوية بين
القوي والضعيف والشريف والمشروف ويعين له سهمه وينزله نصيبه وقسمه يتصرف فيه بجميع أنواع
التصرفات من هدم وبناء وغرس وسائر وجوه الزراعات وغيرها تصرف المالك في ملكه لا يرده
عنه راد ولا يصده عنه صاد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وها نحن
بتصدر أمرنا الشريف لعلمك كذا ولدنا البار الأرشد وخليفتنا الأسعد أبي عبد الله سيدي محمد
حاطه الله المشكور الذي حكمه نافذ على مر الأيام والدهور بتحديد ما ينتفع خلف الوادي المذكور
من الثوابر الطالعة منه الساقية الجديدة ومصرف الناصر وخمس قطع من ساقية أمزرن وساقية تدالت
وكذا ما ينتفع من الثوابر أمام الوادي المذكور الطائفة الجبلية وساقية تزنت وساقية الخندق وساقية تركالت
وساقية تكلت وساقية القلام وتحديد بلادكم البورية بتوزار وبشدة العضد إلى أن تحوزوا قسمة
سائر بلادكم المذكورة وتستغلوا فيها بكيفية مرضية ومشكورة فمن وقف عند ما حددنا
ولم يحد عما أبرمنا فقد اختار السلامة لنفسه وماله وأهله وعياله وإلا فما جزاؤه
الوبال والنكال والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله في 8 جمادى عام 1264

[illegible]

**ظهير السلطان مولاي عبد الرحمان للقائد علي اليموري**
**حول استبداد الأغنياء والرؤساء بأفضل الأراضي**

الحمد لله وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه




يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه
أنعمنا على ماسكه ولدنا وصيفنا الطالب محمد بن عبد القادر السوسي
بالبلاد التي بعين حدادة التي بالحوز الكائنين بين إخوانه مع برابة
الشاء العروية بليلة الجمعة من سافية السجور وبسكناه له بيد التصرف
بيدها تصرف المالك في ملكه على وجه التمليك والانقطاع إنعاما تاما
وتمليكا شاملا عاما فلا مع الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا
أن يعلمه ويعمل به ولا يحيد عن كريم مذهبه والسلام صدر
به أمرنا الشريف المعتز بالله في 8 صفر الخير عام 1316 لع

8 صفر 1316

ظهير تمليك للقائد محمد بن عبد القادر السوسي

عن طريق الوراثة إلا إذا تـرك المتوفي ابنـا كبـيرا يمكنـه القيـام بالوظيفـة العسـكرية المطلوبـة عوضـه، ولا تصبـح هـذه الأرض ملكيـة خالصـة لأحـد المخازنيـة إلا إذا مُلّكت له شخصيا" كما في الظهير السلطاني لأحد أفراد قبيلـة أهـل سـوس الـذي يبسط السلطان له التصرف في قطعة من الأرض" تصرّف المالك في ملكه على وجه التمليك والإقطاع، إنعاما تاما وتمليكا شاملا عاما".

وهـذه القبـائل بقـي تقسـيمها الإداري الداخلـي منـذ عهـد مـولاي إسمـاعيل تقسيما عسكريا(33) :

| | | |
|---|---|---|
| الرحى | بين 500 و1000 | مخزني |
| المائة | بين 50 و100 | مخزني |
| الربع | بين 25 و50 | مخزنيا |
| العشر | بين 5 و10 | مخازنية |

ويمكن تقسيم الجيش المخزني حسب الانتساب القبلي إلى:

**جيش البخاري** : وهذا الجيش الذي قدر عدده المؤرخون المغاربـة في عهـد المـولى إسماعيل بمائة وخمسين ألفـا والـذي كـان يشـكل نخبـة الجيـش الإسمـاعيلي وشـبهه المؤرخون بجيش المماليك نجده في أوائل القرن التاسـع عشـر قـد قـلّ عـدده، وفقـد كثيرا من قيمته العسكرية لتعرّض العبيد لانتقام جميع الأطراف سـواء منهـا القبليـة أو المخزنية بسبب طغيانهم في عهد مولاي إسماعيل. فقبائل الغرب هاجمت مشرع الرملة وقضت على معالمه كما تعرّضت مكناس لهجومات وانتقام القبـائل المجـاورة كما أن المولى عبد الله الذي قاسى الأمرين قتل منهم ما ينـاهز عشـرة آلاف وقـام سيدي محمد بن عبد الله بعد أن جمعهم وقواهم بتشتيتهم بعد ثورتهم عليه وملّـك قسما كبيرا منهم لقبائل الغرب.

وبعـد أن أعـاد مـولاي سـليمان تنظيمهـم وجمعهـم في مكنـاس وقعـت هـزّة أرضية: زلزال مكناس "أو زلزال لشبونة" عام 1755م مات فيها ما ينـاهز 5000 مـن العبيد(34) .

---

(33) J. Le Coz, *Les tribus guiches au Maroc*, *op .cit.*, p. 4.

(34) تفاصيل حول هذا الزلزال في الضعيف، **س.ذ.**، ص. 158 – 159.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وجعل فيما يرضي الله ورسوله
طيه ونشره أننا بفضل من له القوة والحول والمنة والطول أنعمنا على
ما سكنه خدامنا جيش المنابهة بالبلاد الكائنة بالبحيرة والكنتور
المرسومة حدودها بالظهير الشريف الذي بيدهم واقتطعناها لهم
رعيا لنصيحتهم في خدمة جانبنا العالي بالله ومع أسلافنا الكرام وتوسعة
لحراثتهم ورعي مواشيهم وصيرناها ملكا لهم من جملة أملاكهم يتصرفون
فيها تصرف المالك في ملكه من غير معارض لهم فيها ولا منازع ولا
مانع ولا مدافع من جوارهم الرحامنة ولا من غيرهم انقطاعا وتمليكا
تامين تاما ملي عليهم يعلمه الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا
وعمالنا ولا يحيد عن كريم مقتضاه ولا يتعداه والسلام صدر به
أمرنا المعتز بالله في 26 رجب الفرد الحرام عام 1317 هـ

**ظهير تمليك للمنابهة**

ويصور لنا الناصري هذا ا لضّعف الذي وصل إليه جيش البخاري في أوائل القرن التاسع عشر حينما يصف دخول المولى عبد الرحمان لمكناس بعد بيعته فيقول: "فلمّا دنا منها خرج العبيد إلى لقائه بالأعلام مرفوعة على العصيّ وكانوا جماعة يسيرة فقال لهم السلطان : أين جند البخاري؟ فقالوا هذه ا لبركة التي أشارتها الفتنة، وعلى ا لله وعليك الخلف"(35) .

وقد قام سيدي محمد بن عبد الرحمان من أجل تقوية جيش البخاري بإضافة بعض العناصر الجديدة فيه كأهل تولال الذين نقلهم من نواحي فاس إلى ناحية مكناس وأدرجهم في الجيش البخاري، وكذلك أضاف قسما من الخلط الذين نقلهم من بلاد سفيان وأحواز العرائش وأنزلهم بمراكش وزكوطة إلى أن صار عددهم 1500، وأضافهم إلى عبيد قصبة حرضان بمكناس(36) .

وإلى جانب ضعف عدد عبيد البخاري وقع التهاون والفساد في تسييره الإداري والعسكري فصار عدده غير مضبوط. وقد عبّر مولاي عبد الرحمان عن حالة هذا الجيش في الرسالة ا لتي أرسلها إلى قائد مشوره القائد الجيلالي ا لذي ولاّه على قيادة الجيش البخاري حيث قال :

"فجيش البخاري هو الجيش الذي يقتدي به المخزن في كل الجهات ومنه يأخذ القوانين حتى إن اختلفوا في أمره يرجعون إليه [...] وقد بلغنا أن المائة تسرد جملة، ولا تسرد كل رباعة وحدها. وهذا التّسراد الذي تقف فيه المائة كلها لايعرف زائدها من ناقصها ولا غائبها من حاضرها : والمعروف المعمول به قديما وحديثا هو تسراد كل رباعة وحدها حتى إن خص لعددها شيء يبيّنه واحد ا واحدا ويذكر وجهته ومحله وإذا كان المقدم لايسئل فقائد المائة من باب أولى وأحرى"(37) .

كما أن قيمته العسكرية نقصت كما يتضح من رسالة مولاي عبد الرحمان حيث قال :

"فقد ضاع الجزم والضبط الذي يعتبر من عبيد سيدي البخاري وعدم الإقدام والشجاعة فيهم مع أنهم كان يضرب بهم المثل وقد كان هذا الجيش فيما سلف يعادل القبائل

---

(35) الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 9.

(36) F. Pascon, *Le Haouze de Marrakech*, Rabat, 1977, T.I, p. 219.

(37) ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 19.

كلها قوة ونجدة ويفوقهم عددا فانظر إلى القبائل الدائـرة بكـم اليـوم كـل قبيلـة تعـادل الجيش"[38] .

كمـا أن الحرمـة والامتيـازات الـتي كـانت للعبيـد في عهـد مـولاي إسمــاعيل تناقصت كثيرا، فبعد أن كان المولى إسماعيل يعاقب بالقتل كل من تجرأ علـى عبيـد من جيش البخاري نجد مولاي عبد الرحمان يتنازل عن حقّه في معاقبته لرجل جرح أحد عبيده[39] .
كما أن التدريبات العسكرية انعدمت وصار الكثير من أفراد الجيش البخاري "ليس لهم شغل إلا الدوران في الزناقي"[40] .

وإذا أضفنا لكلّ هذا الانحلال الخلقي لبعض قواد هـذا الجيـش[41] أمكننـا أن نستنتج أن جيش البخاري في القرن التاسع عشر فقـد كثيرا مـن عـدده ومميزاتـه العسكرية وأصبح ضعيفا لا تقيم له القبائل وزنا ولايحتفظ به السـلطان إلا في إطـار التوازن بين مختلف أنـواع الجيـش وخصوصـا لمواجهـة الودايـا وأصبـح دوره أثنـاء الحركة دفاعيا بعد أن كان هجوميا إذ يوكل إليه الدفاع عن أفراك[42] السـلطان أو المحلة الخليفية كما أن أغلبيته صارت تشكّل حناطي القصور السلطانية.
وكان أغلبية العبيد يعيشون في نواويـل حـول القصـور السـلطانية في مكنـاس ومراكش وفاس، وبقي عدد قليل منهم في بعض القصبات الساحلية.

---

(38) **ن.م.س.**

(39) **في الإتحاف، س.ذ.**، ج. 5، ص. 91.

(40) **ن.م.س.**، ص. 20.

(41) في رسالة لمولاي عبد الرحمان حول بعض قواد البخاري الذي كانت له "ديار مخصصة للفسـاد و يوضف خراجا على الفاسدات في كل شهر"، **ن.م.س.**، ص. 49.

(42) هناك احتمالان لأصل الكلمة :

- أصل عربي مبربر : فراك و هو الحيطي الذي يفصل القبة السلطانية و قيب الحريم عـن بـاقي المحلة.

- أصل بربري : عن كلمة افريك : أي الزرب المكوي غالبا في شوك السـدرة و الـذي يسـيج االبساتين و الحظائر.

وقد صار جيش البخاري في القرن التاسع عشر ينقسم إلى 5 رحى يضاف إلى كل رحى منها بعض القبائل : كزعير وبني حسن وتادلة والخلط وسفيان وبني مالك، وأيت الربع وأيت عصم. وهذه الرحى هي :

رحى عبيد ا لزنقة تضمّ إلى جانب العبيد عددا من بني مالك ؛

رحى سعادة ؛

رحى سعود، وفيها عدد من أهل الشاوية وتادلة ؛

رحى الكوارم، فيها عدد من قبائل حسن ودكالة وزعير ؛

رحى تافيلالت، وسميت رحى مولاي علي الشريف وتضم زيادة على العبيد عددا من فيلالة وكراوة.

وكانت هذه الرحى مقسمة بين قصبات فاس الجديد وباب محروق، وقصبة شراردة وقصبات مكناس، كقصبة بريمة، وقصبة جناح الأمان وقصبة تزيمي وتعرودة[43] .

## قبائل الجيش :

**شراكة** : وهي مجموعة القبائل الشرقية التي استعملت داخل الجيش في عهد السعديين ثم في عهد مولاي محمد ومولاي رشيد. وهذه القبائل انصهرت فيها قبائل عربية دخلت المغرب في فترات مختلفة كعرب أنكاد وشجع، وبني عامر وأخرى بربرية كمديونة وهوارة. وصارت شراكة تنقسم في القرن التاسع عشر إلى :

رحى أولاد جامع ؛

رحى حميان ؛

رحى أولاد عامر.

---

(43) خ.ح.، الكناش 39 ، أسماء بعض هذه الرحى هي أسماء لبعض قواد مولاي إسماعيل فمثلا رحى الزمراني تنتسب للقائد الزّمراني ولد العريفة الشّهيرة في عهد مولاي إسماعيل الملقّبة بطوطو وإليها ينتسب حنان العريفة بمكناس ،كما أن القائد أحمد بن بن مبارك بن فرحي مول الأتاي في عهد مولاي سليمان والذي صار وزيرا. كان ينتسب لرحى الكوارم.

ابن زيدان، **العزّوالصولة** ،س.ذ.، ج. 2، ص. 190.

وقد كان جيش أولاد جامع يفوق باقي عدد قبائل شراكة، لهذا جرت العـادة بذكر شراكة وولاد جامع[44] .

وقد عرفت شراكة استقرارا نسبيّا في القرن التاسع عشر لصلـة المصـاهرة الـتي كانت بينها وبين السلاطين خصوصا منذ عهـد سـيدي محمـد بـن عبـد ا لله الـذي كانت أمه شركية وبقيت تستوطن نواحـي فـاس دون أن تتعـرض كغيرهـا لحركـة النقل، كما كانت الوحيدة من قبائل الجيش التي لم تقسم بين عدة قواد.

**الودايــــا**[45] : وهي خليط من قبائل عـرب المعـاقل أو أهـل سـوس الذيـن كونـوا الجيش السعدي وكانت تشمل : ولاد مطاع وولاد جرار والشبانات وزرارة.ومـن قبيلة المغافرة. وقـد كـانوا أخـوال مـولاي إسمـاعيل إذ أن أباحسـون زوج مـولاي الشريف حينما كان أسـيرا عنـده في تـازروالت جاريـة مـن أسـرى المغـافرة، وقـد أدخلهم مولاي إسماعيل وأوطنهم في أحواز مكناس في الرياض وفي فاس الجديد.

ومن قبيلـــة الودايا : وهي أكبر قبائل الودايا، لهذا أطلق اسمها على مجموع القبـائل المتقدمة.

وقبائل الودايا عرفت نفوذا كبيرا منذ عهد مــولاي إسمـاعيل إلى أوائـل القـرن التاسع عشر لمصاهرتهم للســلاطين، فبالإضافـة إلى أمّ مـولاي إسمـاعيل، كـانت أم مولاي عبد ا لله، خناثة بنت بكار، هي الأخرى من المغافرة. وكذلك يرجـع نفـوذ هذه القبيلة إلى مزاياها الحربيـة والفروسـية إذ كـان الودايـا مشـهورين بالشـجاعة. ولكن نفوذهم بدأ يقلّ منذ عهـد سـيدي محمـد بـن عبـد ا لله حيـث صـار أغلبيـة السلاطين يتصاهرون مع الرحامنة وشراكة.

---

(44) الناصري، **س.ذ.**، ج.7، ص. 41.

و كذلك أكنسوس، **الجيش العرمرم**، خ.ع.، رقم 965، ص. 55.

وكذلك الكناش رقم 2/5 خ .ح.وفيه ظهير رحماني لعبد السّلام السّلوي ستة 1249هـ حـول إخلاء فاس الجديد من الودايا وإسكان "أخواله شراقة وأولاد جامع".

(45) حول الوديا :

P. Pascon, *op. cit.*, T.1, pp. 238 - 246.

L. Gornot, « Les tribus guiches du Haouz de Marrakech le gluich dans l'ancien Makhzen », *Bull cinqanantenaire* , 1928, pp. 12 - 18.

وقد كان هذا من بين المسائل التي أذكت التنافس بين شراكة والودايا وجعلت الودايا في أوائل القرن التاسع عشر تدخل في كل الفتن وخصوصا منها التي اندلعت في وقت ضعف دولة مولاي سليمان.

وقد ظهر هذا التنافس في نهب الودايا لفاس عدة مرات، وكذلك في تحريض الوزير بن إدريس السلطان مولاي سليمان على الودايا في شعره[46] .

والــودايا جاءوا بداء وعيب ... داؤهم ما لــه الزمان دواء
قتلوا سلبوا أخافوا وحافوا ... ما ثناهم عن القبيح ثناء
وإمام الأنام يحلم عنهم ... ويوالي وما يفيد الولاء
يا إمام الهدى عليك بقوم ... نال الغرب بغيهم والبغاء
قد طمّ ظلمهم وعمّ إذاهم ... وانجلى عنهم فحقّ الجلاء

وقد حاول المولى عبد الرّحمان تكسير شوكة الودايا بشتّى الوسائل كإقامة الحزازات الشخصية بين مختلف قوّاد قبائلها حتى لا يترك لهم الفرصة للاتحاد بينهم، فمثلا في سنة 1829م عزل القائد ا لطاهر بن مسعود المغفري الذي كان عاملا على تارودانت وعوّضه بشخص آخر هو اباحمد بن الطاهر العقيلي، كما قام كذلك بإبعادهم حيث أرسل أغلبية قوادهم لتلمسان حينما بايعه أهله سنة 1830م، ولكنهم أظهروا استياءهم بنهبهم للقبائل المجاورة لتلمسان[47].

وقد قرّر السلطان إضعافهم بعد رجوعهم من تلمسان بإلقاء القبض على قوّادهم، فقبض على القائد إدريس الجراري بوجدة، ولكنه حينما أراد القبض على القواد الآخرين بفاس اندلعت ثورة الودايا : فقد حاصر المغافرة القصر السلطاني حيمنا عزم القبض على القائد الحاج محمد بن الطاهر العقيلي، وحاول السلطان الخروج من فاس الجديد والذهاب إلى مكناس حتى يكون تحت حماية العبيد ولكن

(46) أحمد بن خالد الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 145.

(47) يقول مجهول الابتسام، مخ.خ.ع.، ر. 12420، ص. 28، حينما دخل مولاي عبد الرحمان تلمسان واحتلوا الإمارة ونبذوا القانون فأنكر الناس ذلك وأصابهم الغم مّما رآوا، وسهل عليهم الدخول في عهد الكفر.

الوديا تعرّضوا له ومنعوه من ذلك عدة مرات وأرغموه على العودة إلى فاس الجديد[48] .

ولما استطاع السلطان بفضل إعانة العبيد وشراكة أن يلتجىء إلى مكناس قام الوديا بمبايعة الشريف سيدي محمد بن الطيّب. و لم يستطع مولاي عبد الرحمان أن يجعل حدّا لثورتهم هذه إلا باستنفاز عدّة قبائل من العرب والحوز إلى جانب شراكة والعبيد. وبعد حصار لفاس دام أربعين يوما، أذعنت بعده الوديا للصّلح.

وبعد هذا الصّلح الذي "لم يكن فيه لا غالب ولا مغلوب"[49] قضى مولاي عبد الرحمان أكثر من سنة من المناورات لإضعاف الوديا. فبعد أن أظهر في الأول رضوخه لشروطهم التي كان من بينها إقالة الوزير ابن إدريس، قام بعد أن هدأت العاصفة، بالقبض على قوادهم الواحد تلو الآخر ثم شتتهم وحذفهم من قبائل الجيش لمدة اثنتي عشرة سنة حيث لم يشاركوا في معركة إسلي. ثم أعادهم سنة 1851م في عداد قبائل الجيش، ولكنه شتتهم بين الرباط حيث استقر أهل سوس، ومراكش حيث أوطن المغافرة والوديا، ثم في العرائش ثم فاس على وادي مكس، حتى يبقوا تحت رقابة شراكة[50] .

**شراردة**[51] : وهم كذلك مجموعة قبائل من عرب معقل من الصحراء كالشبانات[52] وولاد دليم وزرارة وتكنة وبني عامر، وقد أطلق اسم شراردة على هذه القبائل حينما التفت حول الزاوية الشرادية التي أسسها أبوعباس الشرادي.

---

(48) أحمد بن خالد الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 32 – 40.

و كذلك : عبد الرحمن ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 28 – 30.

(49) **ن.م.س.**، العبارة لمولاي عبد الرحمن : " الحمد لله إذ لم أغلبكم و لم تغلبوني لأني لو غلبتكم لذبحت هذه الجيوش أولادكم و لم أقدر أن أردّها عنكم، و لو غلبتموني لفعلتم كل ما تقدرون عليه، فهذا لطف الله بي وبكم".

(50) **ن.م.س.**، ص 37.

(51) J. Le Coz, *op. cit.*, pp. 248- 250.

(52) في تقرير للبعثة الفرنسية في المغرب يفسر أصل كلمة الشبانات بأنها أطلقت على فرقة من العلوج دخلت الجيش المخزني في شهر شعبان.

وبعد ثورة الزاوية الشرادية وانتصار مولاي عبد الرحمان عليها سنة 1840م فرق هذه القبائل بين سجون المغرب. ثم بعد مدة جعلهم من بين قبائل الجيش لتعويض الفراغ الذي تركته الودايا. وقد بدأ بإدماج الشبانات وزرارة وقسم من ولاد دليم في جيش البواخر، ولكنهم لم يرضوا بهذا الإدماج، فقاموا بثورة ضده فكوّن منهم جيشا مستقلا وأرسلهم إلى أزغار سنة 1829م. وبعد خمس عشرة سنة زاد عليهم قسما من تكنة وأبقى الباقي من تكنة وولاد دليم في نواحي مراكش.

وقد كانت شراردة أزغار تضع عند إشارة المخزن 1400 مخزني منهم :

| | |
|---|---|
| 400 | من المسخرين |
| 530 | من المشاة |
| 350 | من الرماة |

وكان مرور شراردة من قبيلة "عاصية" إلى قبيلة جيش مرورا صعبا واستغرق وقتا طويلا، إذ كانت تتربّص أقرب الفرص للتذكير بماضيها في العصيان، ففي معركة إسلي كانت أول من قام بنهب محلة الخليفة.

**قبائل الحوز**(53) : وتضمّ رحامنة وعبدة وأحمر(54) ومنابهة(55) وحربيل(56). وقد أدخلهم سيدي محمد بن عبد الرحمان وجعلهم من بين قبائل الجيش، ثم مالبث أن

---

(53) P. Pascon, *op. cit.*, pp. 150 - 242.

(54) تضم قبيلة أحمر أو حمير عدة قبائل منها : الزرارات، أولاد يوسف، أولاد سعيد الحروسية.

(55) نستقر المتايهة في وادي سوس شرق روداتة و تضم عدة بطون : ايكلي، المخابر، أولاد عبد الله، أولاد بورحيل الطالعة تمازت و هناك بطون أخرى مندمجة في قبائل تغطي عدة جهات في المغرب :

J. Le Goz, *Les tribus guichs*, *op. cit.*, p. 3.

(56) تستقر حربيل قرب إكيدين بين بويزكارن و افا و تشتمل على البطون التالية : الداي، اكوني ملولبي بني يلزل امتيدي تالديليت تاركا و خدير، تزونت، تيمولاي.

حذفهم. ولكن قبائل الرحمانة بقيت تعطي إدالات[57] المسخرين للسلطان وتشارك في الحركات السلطانية دون أن تتمتع بامتيازات قبائل الجيش، وقد احتلت المنابهة فيما بعد الصدارة في جيش الحوز وملّكهم السلطان الأراضي التي تحتلها (انظر الظهير السّلطاني للمنابهة).

**أيت يمور**[58] : وقد كانت في القرن السابع عشر مستقرّة حول منابع ملوية، ولما جعلها المولى إسماعيل من بين قبائل الجيش أوطنها في تادلة ثم نقلها سيدي محمد بن عبد الله إلى مكناس ثم إلى أزغار بين سبو وجبل زرهون، وقد ثارت ضده بقيادة محمد ولحاج سنة 1783م فقسّمها إلى قسمين : حيث أرجع إحداهما إلى تادلة وأبقى الأخرى في أزغار. ثم شتّت مولاي سليمان أيت يمور أزغار سنة 1824م لأنّهم ساندوا أخاه مولاي مسلمة فالتجأوا لسلفات. كما أن مولاي عبد الرحمان شتّت فرقة تادلة بعد تعرّضها للقبائل الغربية ثم أوطنها في أراضي شراردة سنة 1829م.

وقد بقي أيت يمور يسمّون أنفسهم (عوض) لا جيش وذلك تلميحا إلى ظهير مولاي عبد الرحمان لهم.

**أيت الربع**[59] : وتشتمل على قبائل متعدّدة من جهات مختلفة. ومن هذه القبائل أهل السّاحل (بويزكارن) وأيت عسو (تهالة تازة) وأيت عياش (ميدلت)

---

(57) ادالة : لفظة عربية : أدال : غيّر و حوّل، كانت تطلق على أفراد قبائل الجيش الذين في خدمة المخزن باستمرار ثم صارت تطلق على وحدات الجيش التي يرسلها المخزن بالتناوب لحراسة الثغور والحصن. وتجمع بالعامّية على يدالات. و يمكن أن يكون معنى الكلمة هو أصل المثل العامّي :" بقات يدالة "التي تطلق على العانس.

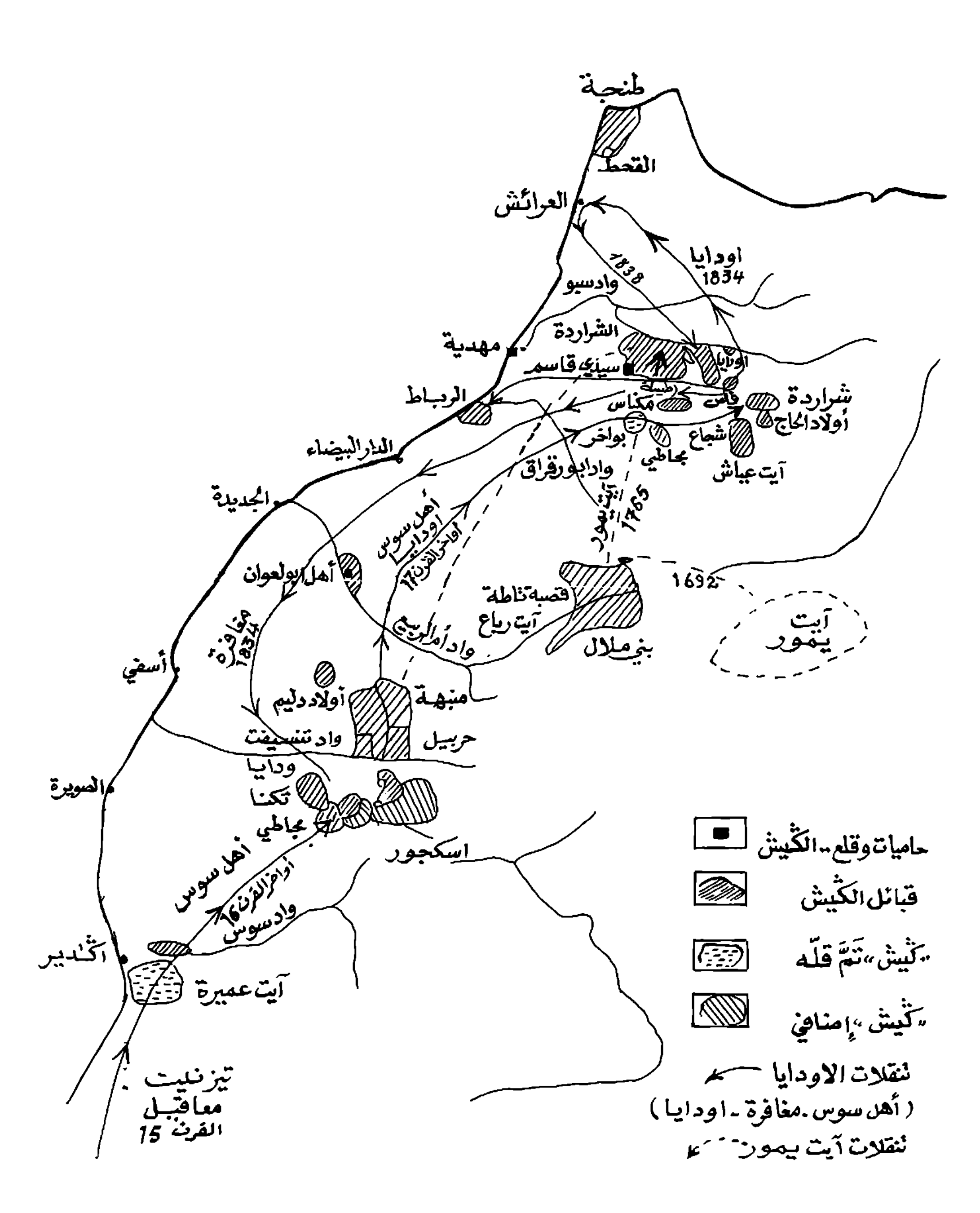
(58) حول أيت يمور

P. Pascon, *op. cit.*, T.I, pp. 217 - 237.
L.Goinot, *Les guichs dans l'ancien Makhzen*, *op. cit.*, p. 73.

وكذلك أحمد بن خالد الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 9 – 10.

(59) J. Le Coz, *Les tribus ghuichs*, *op. cit.*, p. 3.

وكذلك : عبد الرحمن بن زيدان، **العز و الصولة**، المطبعة الملكية، الرباط، 1382 – 1962م، ج. 1، ص. 245.




مواقع قبائل الكيش في القرن التاسع عشر

وأيت بـن عـلال (تزاريـن) وأيـت شغروسـن الخزيـرة (تهالـة) ومـانوزة (تفـراوت أكَادير) وأهل الرّبع (وزان).

وقد قسـمت إلى أربعـة أقسـام : مطايـة ووسمكـت وبـني مـدن وبـني مـلال. وجعلها مولاي عبد الرحمان من بين قبائل الجيش وأوطنها في شمال تادلة.

**قبائل الفحص**[60] : وهي قبائل المجاهدين "الريفيين" الذين جعلهم مـولاي إسمـاعيل قبائل جيش لتقنين الجهاد. فمنذ تحريـر طنجـة سـنة 1684م اعتـبرت أراضـي طنجـة والفحص أراضي مفتوحـة عنـوة أي ملكـا للمسـلمين، وأوطنهـا مـولاي إسمـاعيل للقبائل الريفية التي شاركت في الجهـاد حيـث اسـتقرت القبـائل الكبـيرة في طنجـة والباقي في الفحص، ونظمها على شكل قبيلة جيش حيث كان لكل جندي راتـب شهري وقطعة من الأرض يتصرف فيها مادام يعمل في خدمـة المخـزن، فـإذا تخلـى عن الخدمة العسكرية وانتقل إلى ناحية أخرى فقد حقوقه على الأرض.

وكان "باشا" الجيش يحتفظ بسجل للقطع الأرضية وأسماء أصحابهـا وكيفيـة انتقالها إلخ...

وقد دخلت تحولات على قبائل جيش الفحص في عهد سيدي محمّد بـن عبـد الله الذي نقل العبيد لهذه الناحية سنة 1766م وكذلـك الرحامنـة وبـدأت الرواتـب تؤدى لهم بغير انتظام، وضعف دورهم في الجيش.

### ج ـ التقسيم حسب القرب أو البعد من السلطان :

وهذا التصنيف وإن كان في أوّل الأمر يظهـر كتصنيـف لا يكتسـي أيّ طـابع عسكري، كـان في الواقـع هـو الـذي يحـدّد وظـائف مختلـف فئـات قبـائل الجيـش واختصاصاتها الحقيقية، وهكذا نجد أنّ الجيش كان مقسما إلى ثلاثة أقسام.

**الأصحاب** : وهم قسم الجيـش المـلازم للسـلطان في سـفره وإقامتـه، وتختلـط فيـه الوظائف المدنية والعسكرية، فمنهم يتخذ السلطان أربـاب الوظـائف المخزنيـة مـن

---

(60) حول قبائل الفحص :
service de législation, Bibliothéque générale administrative, Rabat : *L'histrorique de la constitution des terres ghuich à Tanger, biens guichs,* p.115,

وزراء وكتاب وكذلك خدمه الخاص وحرسه[61]. ويدخل في هذا القسم أصحاب الحناطي ويمكن تقسيمهم إلى عدّة أنواع، حسب المهمّة التي يقومون بها، وإن كان لايفصل بين النوع والآخر إلا رغبة السلطان ونظره حسب الساعة.

وتنقسم الحناطي إلى :

ـ **الحناطي البرانية** : وهم المشاوريون وكانوا أعوان قائد المشور (بمثابة الشرطة)، يبلغون أوامر السلطان، ويوزّعون المكاتب "ويؤدّبون" من يستحقّ التأديب داخل البلاط، ويلقون القبض على من يريد السلطان إلقاء القبض عليه وأصحاب المكاحل وأصحاب المزاريق (رمح قصير)، وأصحاب المظل.

ـ **الحناطي الداخلية** : وهم أهل الدّار المكلّفون بخدمة السلطان داخل القصر، من موالين الوضوء، وموالين الفراش وموالين الأتاي، وموالين الفراش، والطبّالون "الكومي"، وأصحاب السّجّادة، والفرايكيَة، وأصحاب المكاحل، وأصحاب الأروى. وهذه الوظائف كثيرا ما كانت تصبح وراثية.

وقد جرت العادة أن توكل كلّ من الوظائف السابقة، إلى فئة من الجيش، حسب انتسابها القبلي. فمثلا، كان الفرايكيَة ينتقون عادة من بين البواخر. وكذلك موالين الوضوء والأتاي والماء. في حين كان موالين الفراش يختارون من مختلف عائلات المخزن. أما قوّاد الحناطي الخارجية، فغالبا ما يكونون من البواخر. والحمّارة كانوا يختارون من بين كلّ القبائل المخزنية. والمشاورية كذلك، كانوا يختارون من مختلف القبائل المخزنية، ومن بين الخيّالة، ويكون قائدهم الذي كان يعتبر من أكبر الدرجات في الجيش من رؤساء قبائل الجيش. في عهد مولاي سليمان مثلا، كان قائد المشور هو القائد الجيلالي الرحماني. وفي عهد مولاي عبد الرحمان، كان هو القائد العربي بن العلام (بخاري) وبعده القائد الجيلالي بن موسى (بخاري).

* وكان أصحاب الحناطي، كيفما كانت درجتهم، يصلون إلى مراتب عالية في الدولة، وتوكل إليهم المهمّات الصعبة السياسية منها والعسكرية[62] فسيدي

(61) **أحمد** بن خالد الناصري، **س.ذ.**، ج. 7، ص. 174.

(62) عبد الرحمن بن زيدان، **العز و الصولة**، ج. 2، **س.ذ.**، ص. 210.

محمد ابن عبد الله مثلا، كلّف القائد عبّاس البخاري بإلقاء القبض على ابنه مولاي اليزيد[63] . كما أن مولاي سليمان عيّن القائد أحمد مول أتاي، وهو من بين عبيد البخاري، وزيرا له، ومولاي عبد الرحمان سمّي بوجمعة بن سالم الذي كان بوّابا على الدار الكبيرة عاملا على فاس[64] ووصيفه فرجي باشا على فاس [65].

* **المسخّرين أو المخازنية** : وهي إدالات الجيش التي كانت توجد باستمرار داخل المخزن. وينتقون من أفضل عناصر الجيش من الفرسان والرماة وخصوصا من قبائل البخاري وشراكة والودايا ويشكلون محلة المخزن في وقت الحركات. وقد جرت العادة أن يكون المسخّرون العبيد خلف السّلطان، والمسخرون الودايا وشراكة أمامه.

وفي الحياة العادية يقومون كما يدلّ على ذلك اسمهم بحمل الأوامر السلطانية إلى القواد والباشوات والعمّال، ويعملون كرقّاصة، حيث يقومون بوظيفة البريد. ويوجد على رأس كل إدالة من المسخّرين قائد، وقواد المسخّرين يكونون مباشرة تحت أوامر قائد المشور[66].

---

(63) في سنة 1790 م أمر سيدي محمد بن عبد الله القائد العباس البخاري أن يحاصر ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي التجأ إليه ابنه مولاي اليزيد بعد رجوعه من المشرق و كان أبوه قد غضب عليه بعد أن استولى على المال الذي أرسله لأشراف مكة و المدينة و الحجاز. فبعث السلطان كتبا يتبرأ فيها من ولده علقت على الكعبة والمدينة وبيت المقدس و ضريح سيدنا الحسين بمصر، و علقت نسخا منها في ضريح مولاي علي الشريف، و ضريح مولاي إدريس زرهون و ضريح مولاي إدريس فاس.

أحمد الناصري، **س.ذ.**، ج. 8، ص. 57 – 63 – 65 – 105.

(64) ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 227.

(65) أحدث هذا التعيين استياء بين سكان فاس و بني عامر وصاروا يغنون "الله ينصر مولاي عبد الرحمن و ينصر سيدي محمد ولده وحتى فرجي عبده".

Michaux-Bellaire, « Les Musulmans d'Algerie », *A.M.*, T. V, 1907, p. 54.

(66) . ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 7، ص. 174.

* **الكيش** : وهو الأصل والفرع، ويشكّل القسم الكبير من الكيش وهو الباقي من الجنود الذين تلتزم القبائل المخزنية مدّ المخزن بهم إلى جانب الإدالات السابقة. وينقسم إلى قسمين :

**القسم الأول** : يشكّل نواة جيش نظامي دائم ويوزع عل الشكل الآتي :

- قسم يبقى باستمرار في خدمة المخزن الجهوي ويعمل إما كأعوان لدى عمال المدن وقوّاد القبائل وباشوات القصبات لاستخدامهم في قبض الضرائب وحمل الرسائل إلى المخزن المركزي والقبض على المتابعين والحراسة، أو لدى القضاة والمحتسبين لاستدعاء الناس ولتنفيد الأحكام، أي أنه كان يلعب دور جهاز تنفيدي. وكان قسم منه يعمل كحرس المدن السلطانية حيث كانوا يوزعون بصفة عامة على الشكل التالي :

شراكة والودايا في فاس

الودايا في الرباط

الودايا، الرحامنة، العبيد، المنشية وسوس في مراكش.

- قسم يشكّل حاميات المدن الساحلية وبعض القصبات الموجودة على الطرق التجارية أو المخزنية.

وهذا القسم الأول من الجيش كان أغلبيّته من الفرسان.

**والقسم الثاني** : وهو الباقي من القوّة العسكرية لقبائل الجيش التي يعتبر كلّ رجالها مبدئيا جنودا للمخزن. ويشكّل هذا القسم جيشا احتياطيا، ويشتغل في الأيام العادية بالفلاحة كأفراد أيّ قبيلة عادية، ولا يتقاضى أيّ مرتب ولا أيّ مونة إلا حينما يحتاجه المخزن في الحركة، فحينئذ تؤدّي له المونة والرّاتب، بخلاف الأفواج السّابقة من أصحاب ومسخّرين وجيش الحاميات وأعوان وهو القسم الذي يؤدّي له الرّاتب والمونة باستمرار ويتكلّف المخزن بسلاحه وبكسوته في الحفلات والأعياد.

أما الرّتب العسكرية فإنها لم تكن تخضع لمعايير عسكرية محدّدة بل كانت تقريبا وراثية، حيث يصير ابن القائد قائدا وابن المقدم مقدّما، كما أن البعض منها كان له معنى إداري أكثر منه عسكري.

وأهم هذه الرّتب :

قائد المشور : وهو أكبر القواد.

العلاف : وهو المكلّف بالنفقة والمؤونة والرّواتب.

قائد الفرايكَية : وهو في غا لب الأحيان من جيش البخاري.

قائد الرحى : وتحته ما بين 500 و1000 رجل.

قائد المائدة : تحته مائة رجل.

المقدم : تحته 25 رجل.

وهناك الباشا، وهو لقب عسكري صار يطلق على قائد المدن التي توجد فيها القصبات كفاس الجديد ومكناس(67) .

أمّا القرارات العسكرية فكانت من اختصاص السّلطان، فهو الذي يقود العمليّات العسكريّة أو يعّين لها من يقودها، فقائد المحلّة مثلا يعيّنه السّلطان في وقت الحركة إما من بين أعضاء الجيش وفي بعض الأحيان من غيرهم من شركاء وكتاب.

## ثانيا ـ القوّة العسكرية القبلية

وإذا كانت النواة النظامية في أغلب الحقبات التاريخية عاجزة عن القيام لوحدها بالدور العسكري وقت الحروب الداخلية والخارجية فإنها صارت في القرن التاسع عشر أعجز مما مضى عن القيام بهذا الدور، وهذا راجع من جهة لضعف هذه النواة عسكريا وعدديا كما رأينا، ومن جهة أخرى للغليان القبلي الذي ارتفع بارتفاع الضغط الخارجي والذي طبع تاريخ هذا القرن في المغرب.

لهذا فالعنصر المكمّل لهذه النواة وهو العنصر العسكري القبلي صار يلعب داخل الجيش المغربي دورا مهمّا ومتزايدا في القرن التاسع عشر بعدما كان قد تضاءل في عهد مولاي إسماعيل، إذ لا نكاد نجد حركة واحدة تخلومن العنصر العسكري القبلي وتكتفي بالجيش المخزني.

---

(67). A.M.G.V, C.17, Renseignement sur le Maroc et les environs, *op. cit*.

وكذلك ابن زيدان، **العز و الصولة**، س.ذ.، ج 1. ص. 102 – 106.

وهذه القبائل الـتي تمـدّ المخـزن بـالحرّاك حـين وحسـب الحاجـة والـتي يمكـن اعتبارها "عناصر عسكرية احتياطية تستعملها الدّولة بعضها ضدّ البعض، كـانت تنقسم إلى نوعين :

- **قبائل "لا تصلها أحكام المخـزن "** : أو القبـائل البعيـدة أو مـا سمّـى بقبـائل "السيبة" والتي لم تكن تشارك في الحركات إلا في وقت الجهاد.

- **قبائل نايبة** :وكانت ملزمة زيادة علـى أداء كـل أنـواع الضرائـب الشـرعية وغير الشرعية ومعونة وهدية إلخ، .بمدّ المخزن عند طلبه بعدد من"الحرّاك" .بمؤونتهـم وسلاحهم، وإلا عدّت من بين القبائل الخارجة عن الطّاعة التي يجب "تأديبها".

وقد كانت الحدود بين هذين النّوعين من القبائل حدودا مطاطية تتغير حسب امتداد أو تقلّـص السّـلطة المركزيـة. فقـد كـانت القبـائل الـتي لا تصلهـا الأحكـام المخزنيّة تشمل في وقت ضعف المخزن حتى القبـائل الـتي توجـد عنـد قـدم الجبـال وعلى حافة السّهول والطّرق، قاضمة بذلك من امتداد قبائل النايبـة، وتنكمـش في وقت قوّته لتنحصر في بعض القمم المنيعة، ليتّسع مجال قبائل النا يبة.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر، وفيما بعد، لم تستطع هـذه الحركـة القبلية رغم مظاهر الضعف التي ظهرت على المخزن بعد تكسّر الجهاز العسـكري الهائل الذي خلقه مولاي إسماعيل، وظهور القبا ئل بمظهر القـوّة "وخروجهـا مـن قماقمها "[68] ،وانتصارات عدد منها عليه في عـدة حركـات، أن تتعـدّى مسـتوى الفوضى، وظلّت تعتبر دينيا "فتنـة" وسياسـيا "سـيبة" . إذ أن السـلطة المركزيـة في الحقيقة بقيت تتقوّى على حساب القبائل. ويـدلّ الغليـان العسـكري الـذي طبـع هذه الفترة على حدّة الصراع القائم بين المخزن الـذي كـان يسـعى لتوسـيع مجـال السّلطة المركزية بقضم المجال القبلي، وبين القبائل التي كانت تحـاول الحفـاظ علـى أكثر ما يمكن من حريتها في مراقبة شؤونها الاقتصادية والسياسية[69] .

---

(68) الزيـاني أبـو القاسـم الترجمـان، **المغـرب عـن دول المشـرق والمغـرب**، خ.ع.، ر. د 658، ص. 30.

(69) حول تغلغل السلطة المركزية في القرن التاسع عشر :

A. Ayach, *Le Maroc bilan d' une colonisation*, éditions sociales, 1915, p. 236.

"كان المخزن في صدد تكوين إمبراطورية وليس إمبراطورية في طريق التلاشي".

فالحيوية التي استرجعتها القبائل من جديد بعد انتهاء الحصارالعسكري، بقيت دون مفعول أمام السلطة المركزية لضعفها العسكري وتشتتها السياسي الناتج عن قلّة الخيل والسلاح، وعن نقلها وتقسيمها بين عدّة قواد، وكذلك عن المجاعات والأوبئة التي ضربت المغرب في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، واستغلال المخزن هذا الضعف العسكري والسياسي والاقتصادي للقبائل لتقوية سلطته المركزية على حسابها.

ونلاحظ أن سياسة المخزن تجاه القبائل كانت ترمي بصفة عامة إلى إيقاف كل حركة قبلية يمكن أن تعطي لقبيلة أو مجموعة من القبائل، تطورا سياسيا وعسكريا، يبتديء من الداخل ليتسرب للخارج، مخلاّ بأسس القوة المخزنية المبنية على التفرقة السياسة والعسكرية للقبائل وعلى التحكّم في الطرق والمحاور الرئيسية.

وقد استعمل المخزن لهذه الغاية وسائل انطبعت من جهة بالمرونة وبالتغاضي الذي يظهر بمظهر الإهمال أحيانا، ومن جهة أخرى، بالشدة والحزم الذي يظهر بمظهر القسوة أحيانا أخرى وذلك حسب موقع القبيلة.

## 1 - القبائل البعيدة عن السلطة المركزية

وتظهر سياسة المرونة والتغاضي في سياسة المخزن إزاء القبائل القويّة بعددها والمنيعة لبعدها، سواء الريفية أو الأطلسية، فهو يتلافى كل مواجهة بينه وبينها، مادامت تحترم القاعدة السابقة، تاركا لها استقلالها، الذي يظهر من خلال احتفاظ هذه القبائل بمؤسساتها الآقتصادية والاجتماعية والسياسة.

فالقبائل الموجودة في قمم الجبال أو الأودية والفجاج، أي التي تشكّل التضاريس حا ئلا بينها وبين نفوذ المخزن، تحتفظ بنظام جماعي، بخلاف القبائل التي تقترب من السفوح والسهول والتي يشجع فيها المخزن قيام أمغار. ونلاحظ هذا مثلا في قبائل الجنوب الأطلسي حيث يختلف نظامها حسب قربها أو بعدها من سهل سوس الذي كان خاضعا لخليفة السلطان في تارودانت، ففي قمم الجبال نجد "مجموعة مستقلّة" يسيّرها مقدم أو مجلس يختار لمدة محدودة، وعلى السفوح

مجموعات "تدشرت" تسيرها جماعة من ثلاثة أو أربعة من الأعيان ،وبمحاذات السهل مباشرة "تدشرت" خاضعة لأمغار على علاقة مع المخزن[70] .

فالنظام السياسي للقبائل البعيدة جغرافيا عن المخزن أو حالتها الاقتصادية ونزاعاتها الخاصّة بها مهما بلغ عنفها لم تكن تهمّ المخزن في شيء.بل أن علاقته مع بعض القبائل الأكثر بعدا والأقل غنى كانت نوعا من التعايش السلمي، فهو لا يطالبها بأي نوع من الضرائب لا شرعية كالزكاة والاعشار، ولا غير شرعية من نايبة ومكس، ولا يطالبها بإعطاء إدالات مستمرة داخل المخزن ولا المشاركة في وقت الحركات الداخلية العادية،ولكنها تشارك عسكريا برجالها وسلاحها حينما ينادي للجهاد[71] .

فارتباط هذه القبائل بالمخزن كان ارتباطا دينيا بشخص السلطان الذي هو أمير المومنين الذي يخطب باسمه في المساجد ويتبرّكون به ويكتسي لدى بعض القبائل صفة "أكليد". ولكن لايظهرون ارتباطهم به إلا إذا صار الدين في خطر على إثر هجوم أجنبي ،فحينذاك يكونون ملزمين بالتطوع وإمداد السلطان بإعانة عسكرية، وهذه القبائل من جهتها لاتطالب المخزن بأيّ شيء ،فهي تقوم بشؤونها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية بواسطة مؤسّساتها من آيت الأربعين وانفلاس والمقدّم أو الشيخ وأمغار أو جماعة القبيلة التي تقوم بالتسيير الذاتي الاجتماعي والاقتصادي والديني فتتكلف "بأكدير" أو أغرم الذي يعتبر محور الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القبيلة فهو خزينها في وقت السلم، يحتفظ فيه بحبوب كل أعضائها وملجؤها في وقت الحرب. كما يؤسّس بيت مال القبيلة من الغرامات التي تفرض على المجرمين، والزكاة والاعشار، وفي بعض الأحيان من قسم صغير يقتطع من الإرث ومن بيع الغبار والزّطاطة وحق النّزالة. ومن بيت المال هذا ينفق على حاجات القبيلة : الزوايا والفقراء والطلبة والمساجد والسّلاح في وقت الخطر الخارجي، كما تتكفّل هذه المؤسسات بالزواج والطلاق والإرث والمياه التي يخصّص لها في بعض المناطق شخص خاص تظهر بركته "انفلس الماء "وامزال أو "انفلس الصغير". وتدير هذه المؤسسات كذلك الشؤون الفلاحية المشتركة، فعلى

---

(70) R. Montagne, *Les berberes et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 119 - 147.

(71) G. Salmon; *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Draa*, Rabat, 1936, p. 69.

أن الأراضي الفلاحية في المناطق الجبلية هي أراض ملكية خاصة، إلا أن هناك المرافق المشتركة كالغابة والمراعي والتبن والغبار. كما تقوم الجماعة بالدفاع عن القبيلة في وقت الخطر الخارجي ،إذ تكوّن مجالس تجمع كل الرجال القادرين على القتال (أكروو) وتشتري الأسلحة وتعّين رئيسا للحرب "أمغار" أو "انفلس البارود"أو " أمغار تيريت" تعطي له مؤقّتا كل السّلط.

وإذا كانت القبيلة صغيرة لا تستطيع الدفاع عن نفسها فإنها تنطوي تحت "علام" إحدى القبائل المجاورة وتؤدي لها ضريبة مقابل الحماية.

فالعلاقة إذن بين المخزن وبين القبائل البعيدة هي نوع من العلاقات السياسية التي يؤخد فيها بعين الاعتبار المعطيات الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد، ويوفّر فيها الطرفان على أنفسهما جهودا ونفقات لا فائدة من ورائها.

ولكن القبيلة تبقى مهما بلغت درجة استقلالها وحدة سياسة لا تتجزأ من المجموعة السياسية المغربية وداخلة في الاعتبار السياسي للمخزن الذي لايظهر اهتمامه بها إلا إذا بدأت تخرج عن حدودها الجغرافية لتتحكّم في الطرق وتضرّ بالقبائل التي تحت حماية المخزن، أو عن حدودها السياسة بالدخول في أحلاف والفاف "أمكون" مع قبائل أخرى عن طريق تبادل السلهام أو البلغة أو إنزال العار، أو الذبيحة أو تبادل المزراك[72] إلى آخره، فتكتسب بذلك قوّة سياسة تنطلق من داخل القبيلة لتنتشر شيئا فشيئا خارجها، على منوال الطريقة القبليّة المغربية التي أدت في بعض الأحيان، إلى اجتياح القبيلة التي تنضوي تحت علمها قبائل أخرى، لما حولها ووصولها للحكم. فعهد الموحّدين مثلا ابتدأ بحلف بين قبائل خمسة احتفظ داخلها بالزعامة قبيلتا ارغن (هرغة)، وتنملل اللتان ينتمي لهما والد المهدي وأمّه[73]. والفاطميون وصلوا لإفريقيا وصقلية ومصر وسوريا بنفس الطريقة : ابتداء بحلف بين قبائل كتامة، ففي هاته الحالة فقط تصبح القبيلة عاصية ويظهر المخزن اهتمامه بها ويستعمل لإرجاعها لحدودها المعقولة و"للطاعة"، الوسائل الحاسمة التي يراها مناسبة من حركات أو أحلاف أو زوايا.

---

(72) G. Salmon, « La kasbah de Tanger », in *A.M*, T.I, p. 126.
كذلك : المشرفي، **الحلل البهية**، س.ذ.، ص. 253 – 255.

(73) ابن خلدون، **المقدمة**، س.ذ.، ص. 225.

وقد اعتمد المخزن في تفوقه على القبائل زيادة على السلطة ا لدينية والتفوق العسكري المتمثل في الأسلحة التي يحتكر استيرادها وخصوصا المدافع، على استغلال نقطة الضعف الكبيرة للقبائل وهي النزاعات والأحقاد التي بينها ليستعين بقبيلة لإخضاع أخرى.

وهذه الخلافات الأبدية[74] من جهة، و الظرفية من جهة أخرى، كان المخزن يستغلها لتوطيد السلطة المركزية و لم تكن بالضرورة ناتجة عن الاختلاف بين القبائل ذات الأصل العربي والأخرى ذات الأصل الأمازيغي[75] .

فحتى لوفرضنا ان القبائل العربية التي قدمت إلى المغرب في هجرات متعدّدة ومتفرّقة وفي أعداد قليلة، لم تنصهر داخل القبائل الأصلية ا لبربرية رغم حركة النقل والتجزئة والجمع التي سلكتها السلطة المركزية ازاء كل القبا ئل، وأنه كان لازال يوجد في القرن التاسع عشر قبائل عربية وبربرية محض، فإن التركيب العسكري للحركات المخزنية في هذه الفترة يفنّد هذا التفسير.

فإذا كان المخزن يقابل أحيانا ثوارت"زمور البربرية بقبائل بني حسن العربية فإنه في نفس الوقت كان يواجه "ثورات" زيان بقبائل زمور وجروان وآيت ادراسن، وكلّها من أصل بربري كما كان يحارب جروان بأيت ادراسن، كما أننا نجد من بين القبائل التي قامت بثورات نعتها المؤرخون المغاربة كالزياني والناصري

---

(74) تظهر هذه النزاعات القبلية كشيء لم يتغير عبر القرون. فالعبدري يقول في سنة 688هـ/1310م و"علاقة أهل الغرب قل ما تخلو من الحروب و الفتن".

انظر العبذري الحاحي، **رحلة العبدري**، مخ.، خ.ع.، رقم ي. 81، ص. 4.

(75) هذا التفسير العرقي، اعتمد عليه الفرنسيون في سياستهم الاستعمارية فالقبائل البربرية حسب هذه النظرية، بحكم عاداتها الديموقراطية، و العرف (أزرف) الذي يختلف عن الدين الإسلامي، هي التي تشكل بلاد "السيبة" بخلاف القبائل العربية ذات العادات الإسلامية، والأكثر طواعية، والتي تكون بلاد المخزن، و يعتمد عليها هذا الأخير، لمحاربة القبائل السابقة. حول هذه النظرية :

G. Piquet, *Le bloc berbère*, Paris, 1916, pp. 208 - 215.

في حين يفسر ابن خلدون هذه الخلافات باختلاف نمط العيش بين العرب الرحل والبربر المستقرين.

بأنها فتن بربرية، وأحلاف بربرية كحلف أبي بكر مهـاوش الـذي نخرملـك المـولى سليمان، قبائل عربية كالصفافعة والتوازيط من بني حسن وزعير وعـرب تـادلا[76]. فالخلافات ا لتي استغلّها المخزن لتوطيد السّلطة المركزية ، لم تكـن خلافـات عرقيـة بين قبائل عربية وأخرى بربرية، بل خلافات بين قبا ئل مغربيّة، تجمـع بينهـا أحيانـا مصالح مشتركة اقتصادية واجتماعية وسياسية لتكون صفّا أو لفّا، وتفرّقهـا نفـس المصالح أحيانا أخرى لتدخل في تنافس أو حرب[77]، فمثـلا المـولى عبـد الرحمـان لم تبايعه قبائل أيت إدراسن إلا لنقض حلف بينهـا وبـين زمـور[78]، و لم يبسـط نفـوذ المخزن على الجنوب الأطلسي إلا بسبب المنافسـة بـين متوكـة وحاحـة[79]، ونفـوذ المخزن كان بإمكانه أن يصل إلى القبائل الموجودة في أقصى الجبال عن طريق اللف الذي يضمّ عدّة قبائل من القمّة إلى الدّير والتي تربط بينها علاقات اقتصادية مهمّة، فالمراعي الصّيفية وأشجار الجوز توجـد في القمّـة في حـين توجـد في الديـر الـذي يوجد مباشرة تحت حكم المخزن الحبـوب والمـوادّ المصنّعـة كالسّكر الـتي صـارت تظهر ضرورية في القرن التاسع عشر.

وإلى جـانب هـذه الخلافـات والتغلغـل الاقتصـادي استعمل المخـزن سياسـة تشجيع الحكم الشخصي داخـل القبيلـة. فقـد كـان يشـجّع اتّخـاد القبيلـة لأمغـار، وحينما يصير أمغار قويا يسمّيه المخزن قائدا ويقوم أمغار الذي يصير قـائد المخـزن بإخضا ع القبائل المجاورة. فمثلا أمغار محمّـد، شـيخ تلوات، صـار بفضـل المخـزن رئيسا لكل القبائل التي كانت تحت نفوذ قائد السهل المجاور، ثم سمّاه المخزن قـائد السّهل وصار يترأس الحركات المخزنيّة. وكذلـك قـوّاد حاحـا، أغنـاج، ومـولاي إدريس والحاج عبد ا لله أوبيهي الذيـن اخضعـوا قبـائل سـوس ودرعـة والأطلـس الصغير للمخزن. ولكن حينما تكبر دائرة نفوذ القـائد وتصبـح قوّتـه خطـرا علـى

---

(76) الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 6.

(77) يقول المشرفي في **الحلل البهية، س.ذ.**، ص. 254.

"اللف لا يعتبرون فيه المجانسة، بأن يكون لف العرب كله من القبائل العربية، ولف البربر كلـه بربر. وإنما العمل بينهم على المنافسة بحسب المصلحة المتعينة في الوقت".

(78) أحمد الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 6 – 7.

(79) R. Montagne, *op. cit.*, pp. 203 - 20.

التوازن، يقوم المخزن بتكسيره وتقسيم قيادته، فمثلا حينما تضخّم نفـوذ عبـد ا لله أو بيهي قائد حاحا تخلّص منه المخزن وقسّم قيادته إلى ثلاث قيادات(80) .

## 2 ـ قبائل النايبة أو القبائل التي تحت نفوذ المخزن

وبالنسبة للقبائل التي يصلها نفوذ المخزن ،فـان درجـة طاعتعا وارتباطهـا بـه تظهر من خلال الضرائب التي تؤدّيها له والإدالات التي تزوّد بها الجيـش المخزنـي، وليس من خلال ما يمدّها به المخزن إذ أن هذا الأخير " يطلـب دائمـا ولا يعطـي أبدا"(81).

ويختلف نوع الضرائب باختلاف درجة الخضوع ودرجة وصول نفوذ المخزن وتمكّنه من القبيلة، فالقبائل التي لا يصلها نفوذ المخزن إلا من خلال قـوّاد السّـهول المجاورة تكتفي بتأدية الزكوات والأعشار بصفـة غـير منتظمـة أو بهديّـة مـن حـين لآخر، فمثلا تقبيلت عاصف في الأطلس كان المخزن يطلق عليهـا اسـم أسـردون البغلة لأنها لم تكن تـؤدّي للمخـزن إلى أواسـط القـرن التاسـع عشـر إلاّ بغلـة في الهديّة(82) وقبائل زمور قليلا ما كانت تؤدي الضرائب وحتـى الزكـوات والاعشـار كانت تؤدّيها بغير انتظام, لقوّتها وعددها، إذ كـان بإمكانهـا تجنيـد أربعـة آلاف (4000) إلى خمسة آلاف (5000 ) فارس(83) فكان المخزن يتلافى في أغلب الاحيان مواجهتها مباشرة ويكتفي بتذكية الخلاف بينها وبين بني حسن وبـالحذر مـن كـلّ حركة تسعى للتقريب بين القبيلتـين معاقبـا ا لذيـن يسـعون لإقامـة صلـح بينهمـا. فمثلا، المولى عبد الرحمان لم يرض عن ولاية ابن العامري على بني حسـن رغـم أن هذا الأخير كـان "ولـد الـدّار " "ولـه و"لسـلفه صـالح خدمـة وتصليحـة وقـدم

---

(80) G. Gorrée,*Sur les traces du père de Foucauld, Arthaud*, Paris, Grenoble,1947, p. 44.

(81) A. Laroui, *Les orignes sociales et culturelles du nationalisme Marocain*, 1830, 1912, Maspéro, Paris, 1977, p. 16.

(82) E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd 'hui*, Paris, 1904, p. 113.

(83) ن.م.س.، ص. 114.

وصدق في الحزم والنجدة", لأنّه قام بعقد حلف "الطاطة "[84] بين قبيلة بني حسن وزمّور "وهذا ما لا يرضاه المخزن " وجاء في رسا لة في هذا الخصوص :

"وقد كان بني حسن اشدّاء علي عداوة ا لبربر سا عين في قمعهم، مثابرين على قتالهم لا يرضون بجعل العافية معهم، فضلا عن مؤاخاتهم, ومحالفتهم وبذلك صلاح زمّور واستقامتهم. فانظر إلى مارجعوا اليه اليوم ولا حول ولا قوة الا با لله العلي العظيم"[85].

أما القبائل التي تحت حكم المخزن مباشرة، لقربها من العواصم السّلطانية أو وجودها في السّهول أو عند قدم الجبال، فقد كانت تؤدي أكبر ما يمكن من الضرائب من زكوات وأعشار في "نصابها الشرعي" وغير نصابها، والفريضة، والنايبة، التي يترك للقائد حريّة تحديدها والمكس في البهائم في بعض الأحيان، وتزوّد المخزن بالجيوش في وقت حاجته اليها، والمؤونة حينما تمرّ الحركة من ترابها، أو القرب منها، والهديّة في الأعياد، والغرامات بشتى أنواعها[86].

فقبيلة بني حسن، مثلا، كانت تؤدي الزكوات والاعشار والفريضة والنايبة وتمد المخزن بجيوشها التي يمكن أن تبلغ 5000 خيالة كلما قام المخزن للحركة وطلب ذلك منها، وهذه القبيلة التي كانت تنقسم في أوائل القرن التاسع عشر إلى اثنتى عشر فرقة (عود) قسّمها المخزن بين سبعة عشر قائد حيث وضع ست فرق أو أعواد تحت نفوذ قائد واحد، في حين ترك فرقة واحدة تحت ثلاثة قواد وفرقتين كل واحدة منهما تحت أربعة قواد[87].

---

(84) حلف يعقد بين قبيلتين أو أكثر، يقوم فيه الطرفان، بأكل طعام مخصوص، و بمشي كل من الحليفين حافي القدمين عاري الرأس.

(85) رسالة مولاي عبد الرحمن لابنه سيدي محمد

ابن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 5، ص. 80.

(86) عن مختلف الضرائب والكلف، أحمد التوفيق، اينوتنان، **المجتمع المغربي في القرن 19**، مطبوعات كلية الآداب، الرباط، ص. 370 – 495 – 527. يذكر أنه في وقت قوة المخزن كان القائد يفرض المكس حتى على القصة التي تحش للأرانب.

(87) Aubin, *op. cit.*, p. 102.

وهذه القبائل هي التي صارت، بعد ضعف الجيش المخزني، تشكل القسم الكبير من الجيش المغربي. إذ أنّ كلّ قبيلة تحت حكم المخزن مباشرة كانت مجبرة بإمداد المخزن وقت الحركة بعدد من الحرّاك من"رجلية" وخيّالة بدرجات متفاوتة.

وهذه الجيوش القبلية التي كانت تنضمّ للجيش المخزني صارت تظهر في القرن التاسع عشر أحيانا بمظهر الفوضى وعدم الانضباط، وأخرى بمظاهر الضّعف العسكري(88) وعدم الفعالية.

ففي موقعة ظيان أو زيان مثلا، التي وقعت سنة 1234هـ ـ 1818م انهزم مولاي سليمان أمام قبائل أيت ومالومع أنّ جيوشه كانت تتركّب من ستين ألف مقاتل ما بين الجيوش المخزنية والجيوش القبلية(89) .وفي واقعة شراردة تفرّقت الجيوش القبلية التي انضمّت إلى الجيش المخزني وتركت السلطان يسقط أسيراً بين أيدي شراردة(90) . وفي معركة إسلي كذلك، فرّت جيوش القبائل التي كانت داخل الجيش المخزني.

ولكن هذه الانهزامات نفسها تحمل في طيّها عناصر تدلّ على أنّ المزايا العسكرية التي اشتهر بها الجندي المغربي عبر التاريخ كالصبر والشجاعة والإقدام

---

(88) بعد معركتي إسلي و تطوان تكلمت عدة تقارير أجنبية و كذلك المؤرخون المخزنيون عن فوضى الجيوش القبلية، و ضعفها العسكري، و قلة شجاعة أفرادها، و تعاطيهم للنهب.

(89) الزياني، **الترجمانة الكبرى**، مخطوط، خ.ع.، رقم 3252، ص. 21.

(90) آكنسوس، **الجيش العرمرم**، س.ذ.، ص. 182.

اختبأ مولاي سليمان حينما انفضت الجيوش من حوله، واكتشف أحد شراردة مخبأه، حاول أن يجرّده من ملابسه على الطريقة المغربية في معاملة المغلوبين، و لكنه لما علم أنه السلطان وضع على كتفيه سلهاما، و أكرمه. وقد بقي مولاي سليمان، محتفظا بذلك السلهام البسيط الممزق. وكان يقول " كلما طغت نفسي، ذهبت بها حتى تراه، وأذكرها بسطوة ا لله تعالى".

وكانت القبائل المغربية تجرّد المغلوبين من لباسهم. ففي موقعة المشعلة سنة 623هـ جرّد المرينيون جيش الموحّدين من لباسهم وتركوهم يدخلون فاس عرايا،وقد بقي النّاس يسمّون هذه السّنة بعام المشعلة لأن الموحّدين كانوا يحاولون ستر أنفسهم بنبات المشعلة.

ابن عذارى، **البيان المعرب**،تطوان،ص،244 وقد بقي العمل جاريا بهذه العادة إلى أوائل القرن العشرين.

والاستماتة في القتال[91] لم تتبّدل، بدليل، أنّ قبيلة واحدة كقبيلـة شـراردة أو قبيلـة ظيان، استطاعت ان تتغلّب على الجيش المخزني والقبائل المساندة له، كما أنّ هناك شهادات متعدّدةحول بطولات فردية وجماعية داخل نفس الحروب الـتي اندحـرت فيها الجيوش المغربية، كحرب تطوان حيث ظهرت بطولات أهل زرهـون، وشبّان فاس، والحياينة، وبطولة "الحسين من أيت يمور المعـروف بـأبي ريالـة الـذي أبـدى وأعاد وأتى .بمـا لم يسـمع بـه إلا في عهـد الصّحابـة "[92] كمـا استماتت القبـائل الريفية في صدّ الجيوش الإسبانية[93] .

ويمكـن ان نجـد تفسـيرات محتملـة لهـذا التنـاقض، في الحالـة المادّيـة والمعنويـة والاجتماعية والسّياسية للقبائل في منتصف القرن التاسع عشر. فـالطريق السّياسـية التي اختارها المخزن لتقوية السلطة المركزية ، وإخضاع القبائل لها، والتي سـاهمت فيها الضروف الطبيعية من جفاف وأوبئة ومجاعات، عانت منها البلاد في فـترات متقاربة 1797، 1800، 1808، 1820، 1825، 1839، 1847، 1851[94]، كـان لا بـدّ أن تقود في النهاية إلى إضعاف القبائل اقتصادياً وعسـكريا[95] وأن تقلـل مـن حماسـها حينما يتعلق الأمر بالقيام بحرب تحت راية المخزن.

---

(91) D. Maxange, *op.cit.*, p. 65.

(92) أحمد الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 88 – 89.

(93) في حرب تطوان استغرق الجيش الإسباني 40 يوما لقطع 15 كيلومـتر بسـبب اسـتماتة القبـائل الريفية في صده. M. Jolly, *op. cit.*, pp. 29 - 30

(94) حول المجاعات و الأوبئة :

محمد الأمين البزاز، **تاريخ الأوبئة و المجاعات بـالمغرب في القرنـين 18 و19**، منشـورات كليـة الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 1992.

(95) حول العلاقة بين المجاعة و توطيد السلطة المركزية : يقول مجهول الابتسام في كلامه عن بدايـة عهد مولاي عبد الرحمن :

"المسبغة كانت فيها رحمة، حيث القبائل كانت في عتو من سوس لوجدة.،فمهد الله للسلطان أمرهم، و سكنوا بسبب الجوع، و مـا رجعـوا للجـادة إلا بقهرالجـوع. و انقـادت لـه الرعيـة لضعفها، لا لقوّته...".

الابتسام، مخ.خ.ع.، ج. 114، ص. 261.

فالشيوخ "امغارن" أو القياد الذين صاروا يمثّلون السّلطة التنفيدية عوض مجالس الأعيان وآيت الأربعين أو إفلاس رغم أنهم في غالب الأحيان كانوا يختارون من داخل القبيلة وبموافقتها، إلا أنّ حماية المخزن ومساندته لهم كانت تجعلهم في غنى عن إرضاء قبيلتهم، ماداموا يحوزون رضى المخزن بإرسالهم الأعشار والزكوات والنايبة والهديّة التي يستخلصونها من القبيلة، حسب تقديراتهم، واجتهادهم الشخصي. ولم يكن المخزن يفكّر في تبديلهم إلا إذا بدأوا يكفرون بنعمته ويحاولون الخروج عن نفوذه، فحين ذلك يسخط عليهم ويصفي اموالهم (أي الأموال التي نهبوها من القبيلة) لتصبح ملكاً للمخزن. وقد تقوم القبيلة بثورة ضد القائد فتقتله أو تطرده، كما وقع في قبيلة دكّالة في عهد مولاي عبد الرحمان ضدّ القائد محمّد بن إبراهيم الدّكّالي البوعزيزي الذي بقي قائداً على القبيلة مدة ثلاث وعشرين سنة، ولم يعزله المخزن إلا حينما ثارت قبائل دكّالة و"نهبوا داره وبددوا أ مواله "[96]. ووقع مثل ذلك أيضا في قبائل الشاوية ضدّ القائد عبد الله معروفي الشاوي الذي بقي قائداً عليهم إحدى عشرة سنة ولم يعزله المخزن إلا بعد ثورة قطعت فيها أصابع القائد وقتل أخوه[97]. ووقع مثل ذلك ايضا في قبيلة سفيان التي ثارت ضدّ قائدها عبد السّلام بن عبد الكريم السفياني الذي بقي في استغلالها مدة إحدى عشرة سنة[98] وأمثلة هذه الانتفاضات القبلية ضد القواد الذين يسيرون فيها " بالعسف والجور "عديدة ومختلفة، وهذا الظلم والتعسّف والاستغلال لم يكن المخزن يجهله، فهناك رسائل سلطانية متعددة تشهد بأن المخزن كان علي علم بما تعانيه القبائل وأنّه يعرف أنّه "ما أفسد قلوب تلك القبائل وكفّرهم في المخزن إلا ولاتهم لما يرتكبونه فيهم من العسف والظلم والعدوان الخارق للعوائد حتى يختاروا الكفر عن عودتهم لولايتهم... فذلك أيسر عليهم من تحمل أعباء ولايتهم"[99] .

(96) ابن زيدان، **الإتحاف**، س. د.، ج. 5، ص. 228.

(97) **ن.م.س.**

(98) **ن.م.س.**

(99) رسالة من مولاي عبد الرحمن لابنه سيدي محمد، **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 5، ص. 83.

وتوجد عدّة رسائل سلطانية في هذا الصّدد "وذكرت ما ضربه المتولّي قبلك من المكوس وأحدثه من الأمور المذمومة شرعا وطبعا."

"أهل الغرب لا يقصّرون إن كان عندهم ما يعطون فينبغي الآن الرّفق بهم والسعي في جبر حالهم لأنّ ذلك الظالم تركهم لحماً على وظن "[100]. ولكن المخزن رغم علمه بالجور والاستغلال الذي كانت تتعرض له القبائل كان قليلا ما يحرّك ساكناً لإيقاف ولاته عند حدّهم.لأنه من جهة كان يفضّل إرضاء القواد ما داموا في طاعته علي إرضاء القبائل "فجسارتهم أولى من صلاح القبائل " [101] وكثيراً ما كان المخزن يرضخ لقرار جائر يتّخذه قائد ما دام هذا القائد يضمن طاعة القبيلة، فمثلاً مولاي عبد الرحمان أراد "إسقاط الواجب على فرقتي بني منقوش وبني خالد، جبرا لحالهم وإعانة لما ضاع لهم "لكن القائد محمّدبن عبد السّلام بن الصّادق الرّيفي رفض ذلك فرضخ السّلطان لقراره"[102] .

ومن جهة أخرى كانت سياسة المخزن إزاء القبائل خصوصا قبل ظهور الخطر الأجنبي مبنية على فكرة راسخة في الأذهان وهي أن "أكل المخزن للقبائل" وإضعافها من الشروط اللاّزمة لترسيخ سلطة المخزن.ويظهر هذامن خلال التّفسيرات التي كان بعض أعضاء المخزن يعطيها "للفتن" والاضطرابات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.فمآسي مولاي سليمان مع "الرّعية " حسب تفسيرهم لم تكن لتحدث لو لم "يطغ البربر عدله"،ولو لم يخالف ما أوصى به عبد المومن بن على ابنه يوسف في"سياسة ا لبربر" والعرب " التي كانت تتلخّص في : "عقوبة العرب المال، وعقوبة ا لبربر القتل"[103] . كما يظهر ذلك كذلك من بعض الأوامر التي كان السّلطان يعطيها في بعض الأحيان، كقوله :

---

(100) **ن.م.س.**، ص. 89 – 90، و كذلك :

أبو القاسم الزياني، **عقد الجمان في شمائل السلطان مولانا عبد الرحمن**، خ.ع.ر. رقم ج 40 رسالة حول ظلم العمال من الكاتب للسلطان، ص. 42 – 54 .

(101) رسالة من مولاي عبد الرحمن للجراري عامل و جدة، الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 36.

(102) ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 88.

(103) الزياني، **الترجمانة الكبرى**، **س.ذ.**، ص. 19.

"فإن غياثة لئام لا ينبغي إلا أن يقابلوا بالجد والقوّة وأن لا يكرموا وليسوا أهل مكرمة وإن قوبلوا بالبشاشة واللّين رجعوا وزاغوا بل عند ذلك يزدادون جسارة وتعنتا

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تـمرّدا

وإنّما اللائق هو مقابلتهم وأخذهم بالعنف ليلزموا طورهم ويعرفوا قدرهم"(104).

وفي إطار هذه السياسة نجد المخزن يختار في بعض الأحيان ولاة لعنفهم وبطشهم كالشريف سيدي محمد بن الطيّب بن محمّدبن عبد الله بن عمّ مولاي عبد الرحمان الذي ولاّه هذا الأخير على قبائل تامسنا ودكّالة ثمّ على الصحراء ثم على وجدة لأنه "كان ذا شدّة وشكيمة على العصاة، دوسري البطش حجاجي السّيف، وكان قد اتّخذ كلابا شخاما تسمّيها العامة القناجر يوهم الناس انه إذا غضب على أحد ألقاه اليها فتفرسه، وربّما جيء اليه بالجاني فيقوم ويباشر ذبحه بيده حتى لقد حزّ أصبعه في ذبحه لبعض الجناة"(105).

وفي اطار هذه السّياسة كذلك نجد مولاي العبّاس بعد انهزامه في حرب تطوان يكتب لأخيه السّلطان ليقنعه بقبول الغرامة الباهظة التي فرضتها إسبانيا على المغرب في معاهدة الصلح وجعلت منها شرطا أساسيا للانسحاب من تطوان "وكلّ ما كان من مال وغيره الله يخلفه لمولانا ومن أعناق البغاة يخرج"(106) وفي إطارها كذلك يرفض مولاي عبد الرحمان لاستماع للمهدي الشرّادي الذي "تهوّر" واشتكى إليه من المولى المامون وهو أخو السّلطان وخليفته في مرّاكش لأنّه كان يأخذ منهم الزّكوات والأعشار على غير وجهها الشرعي، وأنه "ولّي عليهم أربعة عمّال أو خمسة عوض عامل واحد كان يتولّى عليهم"(107) وفي إطارها كذلك حوّل السلطان مولاي عبد الرّحمان مجرى مياه عين تاسلطانت التي كانت قبيلة مسفيوة تستفيذ منها منذ عهد سيدي محمد بن عبد الله لتسقي بها أراضيها

---

(104) ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 81.

(105) الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 12 - 13.

(106) ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 3، ص. 442.

(107) **الناصري**، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 18.

فانتزعها رغما عنهم ليسقي بها أكدال غربي مرّاكش ممّا أثار القريحة الشعرية للوزير ابن إدريس الذي أنشد مادحا ومعجبا ومؤيدا[108].

ونزعتها بالقهر من غصّابها والسّابقون رضوا ببعض خراجها

وحتّى حينما يشفق السّلطان من حال القبائل المطيعة في بعض الأحيان، ويقرّر إرجاع الزّكوات والأعشار إلى نصابها" الشّرعي" فإنه يتّبع في ذلك طرقا ملتوية حتى لا "تتجاسر"القبائل وتتعوّد على ذلك، فمثلا، حينما أراد المولى عبد الرحمان على إثر المجاعات والأوبئة التي ضربت البلاد سنة 1851 التخفيف من قدر الضرائب على أهل الغرب كتب إلى ابنه سيدي محمد يقول:

"ولدنا الأبرّ الأرضي سيدي محمد أصلحك الله ورضى عنك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فيصلك طيّ هذا الكتاب وجهه الطالب عبد السّلام بن عبد الكريم جواب عمّا قدّمناه له من كتاب الزكاة، أخبر فيه عن حال القبيلة بما تراه فيه، ولاشكّ أنّ الزّكاة، فرع عمّا يزكّ، وحيث كان حال القبيلة كما شرح، فمن كان عنده نصاب شرعي من زرع وماشية فليطالب بها، على قدر ما عنده، ومن ليس عنده نصاب، فلا يطالب بشيء على هذا يكون العمل في شأنهم لكن إذا صرحنا لهم بذلك، تشوف له غيرهم من جيرانهم لأن تلك النواحي كلها هذا العام ضعيفة، والآن تأمره مشافهة حين يكون عندك في العيد بأن يخاطبهم بأن من كان عنده شيء ليزك عليه، ومن ليس عنده شيء يقول لهم أنا أؤدّي عنكم ولا يطالب بعد بشيء من ذلك وإنما يفرغه لهم في هذا القالب للعلّة المذكورة"[109].

وفي إطار هذه الفكرة لم يكن لرأي القبيلة المطيعة أيّ اعتبار، إذ ينحصر الحوار في شأنها بين المخزن وبين قائده، وحتى حينما كان الأمر يتعلق بخروج "حّراك" القبيلة للحركة مع الجيوش المخزنية فإنه لا يعطي لهمْ الحقّ في مراجعة الأمر المخزني وتبديل الوقت الذي حدّده المخزن بوقت آخر مناسب لوضعية القبيلة، فمثلاً في وقعة ظيان قام المولى إبراهيم ابن السلطان وخليفته بفاس بتجنيد الناس".

---

(108) حول عين تسلطانت و تحويل مياهها :

P. Pascon, *Le Haouz, op. cit.*, p. 17.

الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 18.

(109) ابن زيدان، س.ذ.، ج. 5، ص. 90.

فجمع ولد السلطان مولاي سليمان الجموع وجلّهم كاره"[110] رغم انتشار الوباء والمجاعة في المغرب، بل إن الجيوش القبلية في بعض الأحيان كانت تجمع وتقاد دون أن يكون لها علم بالجهة التي تتجه إليها، ففي الحركة التي قرّرها مولاي سليمان لإخضاع فاس وتطوان أمر ابن أخيه مولاي عبد الرحمان أن يأتيه بجيوش الحوز دون أن يعلمهم بالوجهة التي يقصدونها، وفي كلّ مرحلة يوهمهم بأن وجهتهم هي المرحلة المقبلة. فمثلا، حينما وصل بهم إلى الرباط أوهمهم أنه يذهب بهم إلى قصر كتامة لقبض الصّله ثم بعد ذلك إلى العرائش[111].

وهذه الجيوش كان يترك للقائد في غالب الأحيان تحديد عددها وتعيين أفرادها حسب اجتهاده ومصالحه، ممّا كان يعطي لهذه العملية طابعاً تعسّفياً ويجعل من التجنيد نوعاً من الضّرائب يؤدّيها على الخصوص الناس المستضعفون مقابل مؤونة ضعيفة تؤدّيها القبيلة في غالب الأحيان ممّا يفسّر انعدام الحماس لدى الجيوش القبلية، واغتنامها أوّل فرصة إمّا للهروب أو لنهب المحلّة، وقد لخّص محمّد الخطيب النّائب السّلطاني بطنجة هده الحالة ببساطة وركاكة ولكن بكثير من الحسّ السّياسي في رسالة أرسلها للسّيد محمّد الزّبدي أثناء حرب تطوان[112] .

"تراني ياسيدي من يوم خرجتم من هنا بالسلامة رسلت إلى سيدنا نصره الله ما يزيد على أربعة رقّاصة وكلّهم من أجل أن نؤكّد على سيّدنا نصره الله يوجه العدد الكثير وقد ذكرت له يوجّه عدد كثير من البربر، ويأتوا القواد متاع كل قبيلة لأنّه العامل متاع القبيلة إذا قدم يأتوا معه كبراء القبيلة وإذا بعث عددا ولم يأت العامل متاعها يأمر الشياخة يفرضوا له العدد الذي طلبه فلم يأت سوى الخمّاسة والرّعي بالكرى فلا تظهر منهم مزيّة وإذا أقدم عامل القبيلة فلا يأتي معه إلا كبراء القبيلة وأيضا لما يكونوا عمّال القبائل بأنفسهم كلّ واحد يريد يوري مزيّته فذلك هو الصّلاح...".

وكانت هذه الجيوش تخرج للقتال بسلاحها الخاصّ الذي كثيراً ما يكون قد أكل عليه الدّهر وشرب وتقتني "العمارة" من البارود باشترائها من المخزن، إلا في بعض الأحيان حينما تطول المعركة حيث يقوم المخزن بتفريق البارود عليها، ولكن

(110) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 134.

(111) ن.م.س.، ص. 155.

(112) رسالة الزيدي للخطيب ابن زيدان، س.ذ.، ج. 3، ص. 433.

بقدر محدود، كما أن محالها أثناء الحركة تكون مستقلّة عن المحلّة المخزنية. وأثناء الحركة تسير جيوش القبائل في المقدّمة، إذا كانت المحلة تمرّ بقبيلة "عاصية" أو في المؤخرة إذا كان المخزن يخشي هجوم قبيلة من الوراء[113].

ويصعب تقدير عدد هذه الجيوش القبليه المغربية لنفس الصعوبات التي مرّت في تقدير عدد الجيش المخزني ولصعوبات أخرى إضافية هي أن عدد هذه الجيوش يختلف باتّساع أو تقلّص النّفوذ السّلطاني كما سبق الإشارة إليه، وبنوع المعركة التي يجند لها.

فجيش القبائل "المطيعة" أو النوايب التي كان يمكن للسلطان أن يجنّدها في أي وقت من أجل "معارك" داخلية قدّرته بعض التقارير الأوربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بما بين مائتين وخمسين ألفا وثلاث مائة ألف [114] وهذا العدد قريب من العدد الذي ذكره المؤرخون المغاربة للجيش المغربي في موقعة ظيان إذا نقصنا منه عدد جيوش قبائل الجيش. وقد توصل أصحاب هذه "التقارير" لهذا العدد حسب التقديرات التّالية:

فقد قدّروا سكّان المغرب بالمقارنة مع سكان الجزائر في سنة 1867 بستة ملايين ونصف نسمة، وهذا العدد إذا نقص منه عدد السكان الذين هم "خارجون عن نفوذ السلطان" يتقلص إلى أربعة ملايين ونصف، وباعتبار أن 12/1 من السّكان قادر على حمل السّلاح فإنّ عدد الجنود الذين كان في استطاعة المخزن جمعهم في حركة استنفار عام قدر بـ 375000[115].

## ثالثا - خصوصيات نظام الجيش المغربي

وإذا ألقينا نظرة على نظام المغربي في أوائل القرن التاسع عشر فإنّه ككلّ الأنظمة العسكرية بصفة عامة كان ملائما لمناخ سياسي واجتماعي واقتصادي معينّ تراكمت فيه عادات وتقاليد موروثة عن حقب تاريخية متعددة مما أعطى له خصوصيات بقيت ذات فعالية لم تضمحل إلا بالمواجهة مع جيوش أجنبية. ويمكن

(113) Aubin, *op. cit.*, p .105.

(114) الهامش رقم 3.

(115) ن.م.س.

استخلاص هذه الخصوصيات من خلال وصف أجنبي لنظام العمليات العسكرية المغربية.

"أمّا نظام المعركة فإنّ أوربا تعرفه من خلال إسلي : فالفرسان ينقسمون إلى قسمين متساويين يشكلان الجناحين ويتحركون على شكل هلال كبير يتوسطه المشاة، وفي اللحظات التي تسبق الهجوم يقوم كل جندي بقراءة بعض الآيات القرءانية ثم يصيحون بصوت مرهب (لا اله إلاّ الله ) ثم يهجم الجيش كلّه على العدوّ فإذا استطاع هذا الأخير أن يصمد لهذه الصّدمة الأولى فإنه يكون قد ضمن الانتصارلأن القوّاد والمقدّمين يعجزون عن إعادة تنظيم صفوف جيوشهم ليقوموا بهجوم آخر، وإيمان المغاربة بالقضاء والقدر يجعلهم يرجعون كل فشل لإرادة الله كما أن انعدام المدفعية سيكون من بين الأسباب الرئيسية لانهزامهم أمام الجيوش الأوربية".

كما يقول ملاحظ آخر : "إنّ هؤلاء الأفارقة يتصرّفون حسب قاعدة العكس فهم يهجمون حينما يجب أن يتقهقروا، ويتقهقرون حينما يجب أن يهجموا، إنّ خطّتهم في هذه الحرب، تدلّ على أنّهم يجهلون أبسط قواعد الإستراتيجية". ولكنّ نفس الملاحظ يضيف "..إنّ المغاربة يبرهنون على شجاعة خارقة للعادة. ولكن ما ينقصهم هو النّظام والقيادة والمدفعية" (116).

ويقول شارل دومازود Charles De Mazude في مقال اعتمد فيه على شهادات ضبّاط وصحفيين عاشوا حرب تطوان "إن الجيش المغربي لا يتوفر على التنظيم ولا على التكتيك، ولا على مدفعية : سلاحه الوحيد هوالبندقية التقليدية، وحتى غارات الفرسان الذين داعت شهرتهم فإنها كانت تمتاز باللمعان، والأصالة، أكثر منها بالتقنية والفعالية"(117).

فالجيش المغربي الذي لم يعد يستنفر منذ انتهاء حركة تحرير الثغور المحتلة على الساحل الأطلسي إلا لعمليات عسكرية داخلية محدودة: كإخماد "نار الفتن" وإخضاع القبائل للسّلطة المركزية وجمع الضرائب صارت له أساليب حربية وخصوصيات تعكس مدى التداخل بين "السياسة" بمعنى الليونة والاعتماد على

---

(116) Xavier Durieu, « Le Maroc en 1844, la situation, les moeurs , les ressources de l'empire », *R.D.M*, 1er Octobre 1844,- .Hardman.F.Spanish Campain, in Morocco, Blakwood, London, 1860, p.156-315.

(117) Ch. De Mazude, « L'armée Marocaine », *R.D.M* , 1860.

الأساليب الدبلوماسية وبين "القوّة" الصرفة المعتمدة على العنف العسكري وتتطابق مع نظرية: أن الحرب ليست إلا استمرارا للسّياسة بوسائل أخرى(118) ومن أهمّ هذه الخصوصيات.

## 1 ـ مظهر القوة

فالأعداد الهائلة التي كانت تحشد في بعض الأحيان ضدّ قبيلة واحدة, وتحرّك المخزن بالمدافع وبهيئته المخزنية كلّها، من وزراء وقواد وحناطي وطبول لايحاء العظمة والهيبة كانت تستهدف فرض الطاعة أو إعادة فرضها دون اللجوء في بعض الأحيان إلى استعمال القوة المحتشدة(119) مما يفسّر أن المدافع التي كان يحتكرها المخزن كانت في أغلب الأحيان تلعب دور"فزاعات العصافير" أكثر مما كانت تصلح لإبادة "العدو".

## 2 ـ أهمية الهجوم

والجيوش المخزنية التي كانت تتحرك "لتأديب" القبائل كان دورها هجوميا تتبع فيه طريقة الكرّ والفرّ التي ترمي إلى استنزاف قوّة الخصم وإتعابه وخداعه أكثر مما ترمي إلى إبادته.

---

(118) C. Glauswitz, *De la guerre*, Edition de Minuit, Paris, 1955, p. 67.

(119) إلا أن فعالية هذه الأساليب كانت غير مضمونة عندما يتعلق الأمر بمواجهة مع جيوش أجنبية، و ذلك ما لم يكن في الإمكان استخلاصه قبل معركة إسلي: فهيئة الفخفخة التي أعطاها سيدي محمد بن عبد الرحمان لجيشه في معركة إسلي لم تكن لتؤثر في شيء على الجيوش الفرنسية بل بالعكس. فسيدي محمد الذي كان قائد المحلة تقدم للمعركة على هيئة تميزه عن باقي الجنود. فقد كان يمتطي جوادا أبيضا، و فوق رأسه مظل أحمر، فجعلت منه المدفعية الفرنسية هدفا لها، خصوصا وأنها كانت تعرف بحكم تجربتها في الجزائر، أن الجيوش تتفرق بمجرد إصابة قائدها.

### 3 ـ أهمية العامل الزمني

وكانت العمليات التي تحشد لها الجيوش لا تستغرق سوى وقت قصيرتتفرّق بعده كل الأطراف وتتفرغ لمزاولة انشطتها العادية، ذلك أن تمديد فترة التجمع لا يرضي أحداً.

فالضرر الناتج عن تمديد فترة الحرب لا يلحق القبيلة "العاصية". وحدها بل يتعداها ليشمل جيرانها حيث أنهم يلزمون بالإسهام في تموين الجيش المخزني طوال استمرار الحركة أو "يؤكلون" بدورهم.

أما سلبيات طول مدّة الحركة بالنسبة للمخزن نفسه فإنها كانت تتمثل في ظهور خلافات بين مختلف عناصرجيشه وفي عدم انضباط الجنود بسبب ما يلحق مصالحهم الاقتصادية من حرث وحصاد من ضرر،لغيابهم وعجز المخزن عن تزويدهم بالمؤونة والسلاح لمدة طويلة(120).

---

(120) فالجيوش المغربية التي حازت انتصارات في بعض المعارك كانت غير مهيأة للحرب مدة طويلة، شأنها شأن المخزن الذي لم يكن له النفس الكافي، ولا الإمكانيات المادية اللازمة لمتابعة العمليات، نظرا لطول فترتها أكثر من المعتاد. و نقطة ضعف المخزن هذا، وانعدام خبرته لخوض مجابهة طويلة الأمد، وعدم تعوده على هذا النوع من الحروب، و ما تستلزمه من تنسيق بين "القيادة" العليا والمقاتلين، و ما تقتضيه من تهيىء مسبق، واستعداد، وجمع التجهيزات الكافية للاستجابة ـ بصرف التظر على المدة، لكل متطلبات الميدان كل ذلك يتجلى في المراسلات المتبادلة بين سيدي محمد بن عبد الرحمان و الحاج محمد الزيدي و النائب محمد بركاش.

فالاقتصار على نموذج بسيط مثل الأخبية يعكس الثغرات الذي كان يعاني منها الجهاز العسكري المغربي، خصوصا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن المجابهة الأولية بين الإسبان والمغاربة سنة 1859 اندلعت في بداية موسم الشتاء حيث تتهاطل الأمطار ويشتد البرد.فالأخبية التي كان الجنود يحتاجونها وطلبها الزبدي في عدة رسائل مستعجلة تقريبا إلى حدود نهاية الحرب كانت لازالت حسب رد سلطاني "تفصل و تخاط،" أما الحبوب سيما الشعير فقد كان الجواب أن "المخزن أرسل لشراءه من أسواق أهل سوس و أزغار" حول انعدام الانسجام، والمشاكل التي عانى منها الجيش لطول مدة الحرب.

محمد داوود، **تاريخ تطوان**، المطبعة المهدية، تطوان، ج. 4، ص. 112 ـ 150.

## 4 ـ أهمّية القيادة

وإذا كانت القيادة تلعب دورا أساسيا في كل الجيوش[121] فإنها في الجيش المغربي كانت تلعب دورا حاسما، إذ أنه كان يتكوّن من عناصر مختلفة لا تجمع بينها تدريبات مشتركةولا تكامل في الاختصاصات المنوطة مبدئياً بكلّ فرقة، ولا تشابه في الزّيّ أو الأسلحة أو الألوية[122] ولا قيادة موحّدة إذ أن كلّ قبيلة كان يرأسها قائدها أو من يعيّنه القائد أو القبيلة. العنصر الوحيد الذي يمكنه التنسيق بين هذه القوات هي قيادة عليا يرضخ لها الجميع، وهذه القيادة كانت تختلف حسب أهمية الحركة ورهاناتها.

وأعلى هذه القيادات :

### أ ـ السلطان

فالسلطان الذي يكون في وقت السلم رمزاً دينياً وسياسياً سواء بالنسبة للقبائل التي نعتها المستعمرون بقبائل "السيبة" أي التي" لا تنالها الأحكام على وجه المراد "على حد تعبير المخزن نفسه، وهي القبائل التي تستغل بعدها الجغرافي

---

(121) تتفق مختلف النظريات العسكرية حول الدور الحاسم الذي تلعبه القيادة في الحروب فالجنرال فوش مثلا يقول : "إن الجيوش الرومانية ليست هي التي فتحت بلاد الكول بل القيصر".

Foch, *op. cit.*, p. 277 تتفق مختلف النظريات العسكرية حول الدور الحاسم الذي تلعبه القيادة في الحروب فالجنرال فوش مثلا يقول : "إن الجيوش الرومانية ليست هي التي فتحت بلاد الكول بل القيصر".

Foch, *op. cit.*, p. 277.

(122) كانت ألوان الألوية وشكلها تختلف حسب القبائل و أكثر الألوان استعمالا هو الأخضر ويعتبر لون البني والأصفر، وكان مستعملا على الخصوص من طرف القبائل ذات الأصل الأمازيغي، والأحمر وفيها المطرزة ببعض الآيات القرءانية، ومنها ما كان بأهذاب وكان بعضها من الحرير والبعض الآخر من الصّوف أو من الكتّان. قبيلة ضيان احتفظت بلواء مولاي سليمان إلى أن أخذه منها مولاي الحسن حينما جاءت تحمله في أحد الأعياد.

Ph. Destailleur, *op. cit.*, p. 175.

Gougounier, « Chronique de la vie de Moulay El Hassan » *In A.M.*,T.8, 1906, p. 351.

ووجودها بمناطق وعرة أو نائية للتملّص من ضغوط المخزن الاقتصاديـة أو بالنسبة للقبائل "المطيعة" من نايبة ومخزنية، يصير رمزاً مادياً داخل نظام الحركة إذ هو محرّكها ومحورها.

فهو الذي يقوم باستنفار الجيوش برسائل موجهة إلى قواد القبائل أو بواسطة البرّاح وكثيراً ما يحدد عدد الجنود "الفريضة" التي يلزم كل قبيلة المشاركة بها ويحدّد لكلّ قبيلة المكان الذي تلتحق به المحلة، وهذا المكان يختلف حسب المحلّ الذي تقصده الحركة وحسب نوعية وموقع القبيلة التي يستنفرها، فقبائل الجيش تلتحق غالباً بالمحلّة السّلطانية قبل خروجها من إحدى العواصم، فاس، مكناس، الرباط، مراكش[123]، في حين أن القبائل الأخرى تلتحق إما بالمحلّة قبل خروجها أو تنتظر مرور المحلّة بها إذا كانت موجودة في طريق اتجاهها. وفي بعض الأحيان كان المخزن يطلب من القبائل أن تسبقه لمحل المعركة، كما وقع في موقعة تطوان، حيث طلب السّلطان من قبائل أنكاد أن تقوم بالمناوشات الأوّلية إلى أن تصل المحلّة الخليفية. وهو الذي يأمر بالكتابة إلى العمّال الذين جرت العادة أن يصاحبوا المحلة بالقدوم إليه، ويعطي الأمر بخروج الميقاتي، لدراسة الطرق الصالحة لمرور الجيوش ورسمها وتحديدها جغرافياً وتضاريسياً، مبيّناً السّهول والجبال والهضاب الخ، وتقسيم مراحيلها بالسّاعات والدّقائق وتعيين الأماكن الصالحة لمقام الجيش وتعيين مكان الماء وتسجيل القبائل التي تمر بها الحركة وحالتها وعادات كل قبيلة في الحركة، ونوع الخدمات المخزنية التي تقوم بها، وعدد الحرّاك الذين تعطيهم، وما يلزم الحرّاك من التموين، والخيل، والرّماة، ومن العلف للخيول، فالقبائل الجبلية مثلاً تعطي الرّماة في حين كانت قبائل السّهل تعطي الخيالة في أغلب الأحيان، وبعض القبائل الجنوبية تعطي الإبل[124] .

---

(123) مثلا في مراكش كانت تجتمع خارج المدينة في صهريج البكر، وفي فاس من باب الساكمة.

(124) حول نظام الحركة : عبد الرحمن بن زيدان، **العز والصولة**، **س.ذ.**، ج. 1، ص. 50.

كنّاش الجيش 160خ.ح :

L. Arnaud, *Au temps des Mhallas*, Casablanca, 1956, pp. 12-13-14

Dr F., Weigerber, « Au seuil du Maroc Moderne », Collection notes et documents, *I.H.E.M*, Rabat, 1947, pp. 46, K85.

والسلطان هو الذي يعطي كذلك الأمر لنصب افراك،مكان نزول القيادة العليا بضاحية المدينة التي يخرج منها. ويشارك في نصبه إلى جانب الفرايكية العلماء والقضاة وأعيان الشرفاء والوزراء ورؤساء الجند وأعيان الدولة تبرّكاً وتيمّناً "ويبيت القضاة، والعلماء بالفسطاط الشريف" ثلاث ليال أو سبع لقراءة القرءان وصحيح البخاري والشفاء.[125] وذكر الاف معدودة من اللطيف"عشرة آلاف ستّمائة وستّة وستّين في كلّ ليلة"، وحوله في "دار المخزن" يجتمع كبار الدولة من وزراء وكتاب وقواد وشرفاء قبل الخروج للحركة.

وهو الذي يعين السابقين، وهم الذين يسبقون بالخروج قبل السلطان مع الحريم, والجيش الذي يحرسه وخصوصاً العبيد ،ومعهم الأثقال والأمتعة، وبإذنه يوزع قائد الفرايكية الأخبية التي يكون قد عدّها وزاد فيها أو نقص حينما يقرّر السّلطان الحركة، وغالباً كان اليهود هم الذين يتكلّفون بخياطتها. فمنها الأخبية التي توزّع على الشرفاء وعلى الوزراء والقوّاد والجيش. وتوجد أنواع مختلفة من الأخبية من طرّاحيات[126] وبوكرعات[127] وبورحيلة[128] وقبّة ووثاق[129].

ومن التركيب الجغرافي للمحلّة يظهر واضحاً ان السّلطان هو محور الحياة السياسية في البلاد. وتأخذ هذه الحقيقة شكلاً ماديّاً داخل المحلّة : فهي تتركّب على شكلٍ دائرة تبلغ في بعض الأحيان عدّة كلمترات، وفي هذه الدّائرة وعلى محلّ مرتفع قليلاً توجد قبة السلطان "أو الفسطاط" الذي يتميّز بجامور مذهب، وحول هذه القبّة توجد قبب أصغر منها وهي قبب العيال الصغار، وقبب العيال الكبار[130] وتتّصل بالقبّة السّلطانية وببعضها بممرّات، وهذه القبب مخصّصة للحريم السلطاني

---

(125) الشفا، في التعريف بحقوق المصطفى، كتاب في فضائل النبي للقاضي عياض.

(126) خيم للخواص.

(127) خيمة لـ 20 شخص تقريبا، للخواص كذلك.

(128) للخواص كذلك.

(129) خيمة بيضوية الشكل للشرفاء : سمك الثوب المستعمل يساوي ثلاثة أضعاف سمك الثوب المستعمل في الخيم العادية، و تكون في بعض الأحيان من الملف.

(130) G. Salmon, « Le droit d'asile des canons », in *A M.*, T.III, p 10.

الذي يصحب السلطان في بعض الحركات[131] ويحيط بكلّ القبب المتقدّمة السّلطانية والحريمية سياج دائري من الثوب يبلغ علوه ما بين 2 و3 أمتار وهو أفراك.

وفي شرق أفراك يوجد المشور، وهو عبارة عن ساحة توجد على أطرافها خيام تلعب دور البنيقة، وهي المكاتب التي يعمل بها الوزير والكاتب. وفي المشور يوجد السيوان متكئاً على أفراك وهو مكتب السلطان، وعلى حدود المشور توجد المدافع مصطفّة في اتجاه المشرق وبقربها طريق واسع يخيّم على جوانبه الطبجية.

وداخل المشور كانت القبائل تحضر لتقديم الطاعة وتعلن عن قدومها بطلقات نارية، ويخرج قائد المشور لاستقبالها، وإلى المشور كان يحضر المساجين والرؤوس المقطوعة، وبعد تمليحها من طرف اليهود كانت ترسل إلى الجهات الاربع للمملكة لتعليقها ولتكون عبرة للآخرين.وفيه كانت توجد الأكبال الحديدية.

وفي الجهة الأخرى لأفراك من جهة الغرب يوجد الرّوا وهو ساحة كبيرة تعقل فيها خيل وبغال السّلطان، ومن وراء الرّوا ساحة كبيرة أخرى مخصّصة للمساجين وما تبقى من المحلّة كان مخصّصاً لباقي المخزن من أصحاب ومسخّرين موزّعين في حنطات وعلى رأس كل حنطة قائدها.

ويحيط بهذا القسم المخصص للمخزن المركزي خيام إدالات قبائل الجيش وبعض القبائل التي يعطيها المخزن امتيازا للتخييم معها، وخارج المحلّة في الشّرق يوجد السوق كدليل على أن الحركة علامة استمرار في الحياة السّياسية والاقتصادية المغربية، وليست حربا كالحروب الداخلية في البلدان الأخرى، حيث تكون علامة لقرب انقراض القواعد السياسية والاقتصادية الموجودة.

---

(131) منذ القدم كان الحريم يصحب السلاطين في الحركات مثلا المرابطون والموحدون كانوا يصحبون معهم حريمهم للأندلس وكذلك المرينيون في حروبهم في المغرب الأوسط وإلى جانب الحريم السّلطاني كانت النّساء في بعض الأحيان تصحبن الحركة لإيقاد حميّة المحاربين. مثلا في حرب يعقوب المنصور المريني مع يغمراسن سنة 666هـ /1286م اصطفّت "عيالات الفريقين خلف الجيوش في الهوادج والمراكب والقباب المزيّنات باديات الوجوه عليهنّ الحلل وثياب الوشي يحرّضن الأبطال على الأبطال وتمازجت الرّكاب وخرجت الغانيات من القباب". ابن أبي زرع، **س.ذ.**، ص. 115.

وعلى المرتفعات المحيطة بالمحلّة تمتدّ خيام جيوش قبائل النايبة التي تلتحق بالمحلّة. والسّلطان هو الذي يقوم كذلك بتسـراد (اسنعراض) الجيـوش مـن مخزنيـة وقبليـة حيث تتقدّم كلّ قبيلة وعلى رأسها رايتها وقائدها للسلام عليه.

وهـو الـذي يعطـي الإشـارة بـانطلاق المحلّـة نحوالاتجـاه المقصـود حيـث يـبـدأ الاستعداد للرّحيل حينما يسمع دقّ الطّبل الخاص بالسّلطان "الكومي"ويتقدّم المحلّـة السّلطانية سرية من الجند وبعض القبائل صحبة أحد منأبناء السلطان أو إخوانـه أو أبنـاء أعمامـه. وحينمـا تقـترب الجيـوش المخزنيـة مـن القبيلـة تبتـدىء في إرســال " سوكات " (هجومات) لبدء المناوشات مع القبيلة لجسّ نبضهـا ومعرفـة نواياهـا. فإذا كانت القبيلة لا تشعر من نفسها القوّة بمواجهة الجيـوش المخزنيـة فإنّهـا تظهـر الطاعة بقدوم أعيانها بالهدية للمحلّة السّلطانية أو بخروج العلماء والقـرّاء وصبيـان المكاتب الخ..: وتبدأ المفاوضات عن طريق المرابطين والشّرفاء ثمّ يقع الصّلح علـى شروط تكاد أن تكون قاسماً مشتركاً لنهاية جميع الحركـات. وهـي تأديـة مـا تعلّـق بذمّة القبيلة من الزّكوات والأعشـار وإمـداد المخـزن بعـدد مـن الفرسـان وتعيـين المخزن لقائد غالباً ما تختاره القبيلة.

أمّا إذا كانت القبيلة عازمـة علـى القتـال ورفضـت إظهـار الطّاعـة و لم يقـدم أعيانها للمحلّة السّلطانية واعتصمت بالجبال أو الوديان فحينـذاك يعطـي السّـلطان الأمر للجيوش المخزنيـة بـأكل "القبيلـة العاصيـة "والنهـب والتحريـق" و"تتخطـف العوالي رؤوس رؤساهم" و" تتخطف المنايا أهـل بأسـائهم"[132] ويكـون السّـلطان أثناء المعركة في قلب الجيش محاطاً بالعبيد والودايا. وقد كـان المـولى سـليمان مثـلاً يركب في وقت المعركة على بغلة "حتى لا يتزحزح من محله" ويلاحظ سير المعركة "كلّما راى فرجة سدّها أو خللاً أصلحه"[133] "وفي الميمنة والميسـرة قـواد الجيـوش الذين يسيّرون المعركة كلّ على رأس قبيلته.

وبعد مواجهة قليلاً ما تدوم أكثر من عدّة ساعات يظهر تفوّق أحد الطرفـين فإذا كان التفوّق للجيوش المخزنية تقوم القبيلة بطلب الأمان بـإنزال العـار وتقديـم

---

(132) العبـارة للسـلطان مـولاي الحسـن في ظهـير لـولاة المملكـة بتـاريخ 1299 ـ 1855 جـاء بهـا الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 175.

(133) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 172.

نساءها "مكتّفات" أمام السّلطان أو يقمن بالمزاوكَة بالمدفع[134] ،الخ فحين ذلك يقبل السّلطان الشفاعة ويملي على القبيلة مطالبه ويفرض عليها قدراً من المال، وإذا لم تستطع تأديته أخذ معه رهائن من أعضاء القبيلة إلى أن يتمّ دفع المال، وغالباً ما يقسّم السلطان القبيلة بين عدّة قوّاد حتى يكسّر شوكتها.

وإذا كانت الغلبة للقبيلة العاصية فيقع الضّغط على المحلّة السّلطانية التي تتعرّض للنّهب ويكثّف جيش المخزن من شراكة وودايا وعبيد على الخصوص كلّ قوّتهم العسكريّة في الدّفاع عن أفراك حتى يخرج السلطان سالماً. وحرص القبيلة الغالبة على الاستيلاء على المحلّة المخزنية ونهبها ناتج عن نفس الأسباب التي تدفع المخزن "لأكل" القبيلة المغلوبة : إذ الغرض من ذلك هو إضعاف الخصم ماديّاً وسياسياً لمدة تطول أو تقصر حسب درجة هزيمته وخسائره، فتغلّب المخزن على القبيلة بجعلها "تلتزم الطاعة" طوال المدة التي تحتاجها لا سترجاع نفسها وقوّتها،وفي بعض الأحيان تتحوّل القبيلة من قبيلة عاصية إلى قبيلة "مخزن" بل في بعض الأحيان إلى قبيلة "جيش" كما جرى لشراردة.

وانتصار القبيلة على المخزن يكسّر هيبته ويفتح المجال للقبيلة الغالبة ولغيرها للتخلّص من قوّاد المخزن والتحكّم في الطّرق ،فمثلاً ،بعد وقعة ظيان التي كانت سبب سقوط "هيبة" السّلطان المولى سليمان من قلوب الرّعية حيث "لم يمتثل له بعدها أمر في عصاتها حتى لقي ا لله تعالى"[135] وصل نفوذ قبائل أيت ومالو إلى مكناس حيث استولوا على الأراضي الفلاحية هناك[136].

وإذا كان انتصار القبيلة على الجيوش السّلطانية يرفع من نفوذها على حساب نفوذه فهو لم يكن يغيّر شيئاً من التقديس الذي تدين به لشخص السّلطان، فمثلاً في معركة ظيان استولت القبيلة على أفراك ووقع السّلطان في يد أحد أفراد القبيلة، وحينما تعرّف النّاس عليه "أقبلت نساء الحيّ من كلّ جهة يفرحن ويضربن الدفوف ثم جعلن يتمسحن باطرافه تبرّكاً وينظرن إليه إعجابا به.ولمّا جاء رجال الحيّ أعظموا حلوله بين أظهرهم وأخفوه، و سعووا فيما يرضيه ويلائمه من طعام

---

(134) G. Salmon, *op. cit.*, p. 147.

(135) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 137.

(136) ن.م.س، ص. 136.

ومشرب بكلّ ما قدروا عليه ،وتنصّل البربر له مما شجر بينهم وبينه، وأظهروا له غاية الخضوع والاستكانة حتى انّهم كتّفوا نساءهم وقدّموهنّ إليه مستشفعين بهن"[137].

وكذلك في موقعة زاوية الشّرادي التي انهزم فيها مولاي سليمان وتفرّقت الجيوش المخزنية ،قام أعيان الشراردة بحماية السّلطان" فالتفّوا عليه وساروا به إلى زاويتهم وأنزلوه بالدّار المعروفة عندهم بدار الموسم واحترموه وغدوا وراحوا في خدمته وحضرت الجمعة فصلّاها عندهم وخطبوا به"[138].

فالقبائل إذن كانت تحارب سلطة السّلطان وما تخضعها له هذه السّلطة من ضرائب وفرائض في حين يبقي شخص السّلطان رمزاً دينياً وسياسياً مقدّساً تتبّرك برضاه وتتشاءم من سخطه[139] وتلتجئ إلى حمايته إذا تعرضت لمن هو أقوى منها، وتجيب نداءه،إذا كانت البلاد والدين في خطر. فمساهمة السّلطان في الحركة إذن كانت تشكّل عاملا حاسما، إذ تقوّى حظوظ نجاحها في كلّ الحالات[140].

---

(137) ن.م.س.

(138) أكنسوس، **س.ذ.**، ص. 184.

(139) حول التشاؤم من غضب السلطان :

أحمد التوفيق، **س.ذ.**، ص. 426.

و كذلك عبد الرحمن المودن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995، ص. 242.

يذكر أن نفس الحكاية التي رواها Michaux Bellaire حول الدود الذي ملأ عجين بني مطير بسبب سخط سيدي محمد بن عبد الرحمن عليهم، كان يحكيها غياثة حول غضب مولاي الحسن عليهم .

كذلك : عبد السلام الناصري، مخ.، خ.ع.، رقم د 2295، ص. 120.

(140) انطلاقا من هذه الاعتبارات يمكن أن نفترض أن غياب مولاي عبد الرحمان وعدم ترأسه معركة إسلي بسبب انشغاله بالفتن الداخلية وكذا بقاء سيدي محمد ملازما عاصمته خلال "حرب تطوان" التي اندلعت أربعة أشهر بعد وفاة والده وتقلّده الملك، شكل عامل ضعف ونقص في هيكل الجيش التقليدي خلال الواقعتين.

### ب ـ القيادة الظرفية

وإذا كان السّلاطين المغاربة على العموم، يشرفون بأنفسهم في أغلب الأحيان على حركات الهاد خارج البلاد وداخلها ، وعلى الحركات التي تستلزم عددا كبيرا من الجنود، فإنّهم حينما يقرّرون لسبب أو لآخر عدم رئاستها بأنفسهم،كانوا يكلون هذه المهمّة ذات الطا بع العسكري السّياسي لأشخاص يختارونهم بغضّ النظر عن انتمائهم للجيش أم عدم انتمائهم.

وقد كان العمل جارياً بهذا الخلط بين الوظائف المدنية والعسكرية داخل الجيش في كلا الاتجاهين، فتعيين السّلطان أحياناً لبعض أبنائه وإخوانه أو أبناء أعمامه وكتابه للإشراف على عمليّات عسكرية وترؤّسها، كان موازياً لتكليف قوّاد الجيش وعناصر أخرى منه للقيام بمهام دبلوماسية وإدارية كسفراء وزراء وكتّاب وعمال وقوّاد.

وقد كان السّلطان يكل الحركات الخفيفة التي يقصد منها جمع الضرائب وتأديب قبيلة والتي لا تحتاج إلى إرسال جميع فئات الجيش، إلى بعض أفراد الجيش من قوّاد البخاري أو الودايا أو الشراردة أو باشا إحدى القصبات أو أحد عمّال المدن. فمثلاً مولاي سليمان أرسل لمحاربة عبد ا لرحمان بن ناصر عامل ا لصويرة قائد الودايا أبا السّرور عياد بن أبي شفرة [141] كما أرسل قائد الجيش السوسي : باعقيل السوسي إلى جباية وجدة، والقائد البخاري أحمد بن مبارك إلى جباية أيت ومالو[142] وأرسل عامل الثغور لمحاربة القبائل الرّيفية التي بقيت تتعامل تجارياً مع أوربا رغم منعه لذلك إبان الاضطرابات ا لتي سادت هناك بعد الثورة الفرنسية[143] ولكن حينما تكون الحركة ضد مجموعة من القبائل أو ضدّ قبيلة موجودة في منطقة جبليّة مشهورة بعصيانها ولا يضمن المخزن تعاونها معه فإنّ السّلطان كان إذا لم يترأّس الحركة بنفسه يكلها إلى عنصر مدني في المخزن وهذه ا لرئاسة المدنيّة كثيراً ما كانت توكل لأحد أفراد عائلة السّلطان إمّا أحد أبنائه الذين يكونون عادة

---

(141) الناصري، **س.ذ.**، ج. 8، ص. 105.

(142) **ن.م.س.**، ص. 104.

(143) **ن.م.س.**، ص.ص. 127 ـ 143.

خلفاءه على المدن السّلطانية أو أحد إخوانه أو أبناء أعمامه حتى لا يأنف أيّ أحد من قوّاد الجيش أو قوّاد القبائل من رئاستهم.

واختيار القائد الملائم في وقت الحركة يلعب دوراً مهمّاً في حظوظ نجاح الحركة أو فشلها، وذلك لتعدّد الصّراعات والمنافسات القائمة بين مختلف مكوّنات الجيش كالصّراع بين قواد مختلف عناصر الجيش والصّراعات بين قواد القبائل والصّراع بين قوّاد الجيش وقواد القبائل.

وإذا كانت الخبرة العسكرية غير مشروطة في قائد المحلّة فإن خبرته السياسية كانت ضرورية لضمان استمرار المحلّة ونجاحها عسكرياً أمام القبائل.وتظهر هذه الخبرة في قدرته على إرضاء جميع قواد مختلف فئات الجيش وعدم إعطائهم الفرصة للاتحاد بينهم بتذكية الصراع بينهم، ويعمل في نفس الوقت على عدم ترك الصراع والتنافس الموجود بينهم يصل إلى حدّ يصبح فيه خطراً على نظام المحلّة ويدفع أحد عناصر الجيش المخزني للدّخول في حلف مع العدوّضدّ العناصر الأخرى للجيش.

وكثيراً ما أدّى سوء اختيار الرّئيس المناسب للحركة وانعدام الحسّ السّياسي للقائد إلى جرّ الهزيمة على الجيوش المخزنية من داخل المحلّة نفسها، فمثلاً، في سنة 1215 هـ / 1802م في الحركة ضدّ أيت ومالو، تسبّب قواد الجيش وقواد القبائل الذين في المحلّة في جّر الهزيمة على الجيوش المخزنية لعدم رضاهم بقيادة أبي عبد الله الحكماوي كاتب مولاي سليمان الذي عيّنه قائداً على الحركة(144).

كما أنّ انهزام السلطان مولاي سليمان في وقعة ظيان سنة 1234هـ - 1819م، كان نتيجة التنافس الذي كان ولد السّلطان المولى إبراهيم يقيمه بين قائد قبيلة زمّور الحاج محمد بن الغازي وبين قائد أيت ادراسن الحسن بن حمّو واعزيز، كما أن التّنافس بين القبائل البربريه وبين قبائل الحوز هو نفسه الذي أدّى إلى تحالف القائد بن الغازي مع "العدو" ظيان وصارت القبائل المتحالفة تترامى مع بعضها بالبارود فقط مما جرّ الهزيمة على الجيوش المخزنية(145).

---

(144) أكنسوس، **الجيش العرمرم**، س.ذ.، ص. 164، عدم رضى رؤساء الجيش بقيادة الحكماوي، وفيهم "أعرف منه بالسياسة والحرب".

(145) **ن.م.س.**، ص. 165.

وهـذه القيـادة لم تكـن تكتسـي أيّ طـابع استـمراري حيـث تنتهـي المهمّـة العسكرية لقائد المحلّة بانتهاء الحركة ،كمـا أن قـائد الحركـة لا تكـون لـه السّـلطة المطلقة داخل الجيش أثناء العمليّات العسكرية فسلطته مقيدة من أعلى ومن أسفل، فهو يتلقّى أوامره وتعاليمه من السّلطان الـذي يعطيـه الخطـوط العريضـة لعمليّاتـه، وحينما تكون الحركة طويلة أو يتطلّب الموقف قراراً غير متوقّع يلجأ قـائد الحركـة إلى إخبار السلطان وانتظار التعاليم السّلطانية مع ما يمكن أن تجرّه هذه الاستشـارة من أخطار على الحركة، بسـبب البـطء وتفويـت فرصـة النجـاح الـتي يمكـن أن لا تتجدّد مع فوات الأوان[146] .

وهذا التقييد من أعلى كان يصحبه في نفس الوقـت تقييـد مـن أسـفل، إذ أن قائد المحلّة المخزنيّة كان مضطراً إلى استشارة قوّاد مختلف فئات الجيـش والرّضـوخ في كثير من الأحيـان إلى رأيهـم، فمثـلا ، في معركـة المـولى سـليمان ضـدّ الزاويـة الشرّادية أراد السلطان أن يغفر لشراردة بعدما طلبـوا الأمـان وأن لا يتـابع الحركـة عملا بالقواعد الجاري بها العمل في العلاقات بـين المخـزن والقبـائل في مثـل هـذه الحالة، ولكنّه اضطرّ لمحاربة شراردة رضوخاً عند رغبة قائد الرحامنة قاسم الرحماني

---

(146) فمثلا في حرب إسلي و تطوان نجد مراسلات عديدة تدل على أن قائدي الجيـوش المخزنيـة لم تكن لهما الحرية المطلقة لاتخاد القرارات اللازمة حسب الموقف.

فسيدي محمد بن عبد الرحمان مثلا عند وصوله إلى وجدة، كان يريد اغتنام تجمع القبائل حوله من القبائل الغربية والريفية والصحراوية والشرقية وحماسها لمحاربة الفرنسيين للهجوم عليهم في مغنية، ومنعهم من إقامة مركز عسكري. ورغم تحمس قواد الجيش والجيوش للفكـرة، فإنـه لم يستطع أن يقوم بمهاجمة الفرنسيين، وترك لهم الأسبقية في اختيار الوقت المناسب للهجوم علـى وجدة.

كما أن المراسلات المتعددة المتبادلة قبل حرب تطوان وخلالها، تدل علـى أن المـولى العبـاس لم تكن يداه مطلقتين لحسم المواقف الطارئة.

فسيدي محمد بن عبد الرحمان بعد انهزامه في معركة إسلي بقي "فارا" من أبيه مدة طويلة كما أن معظم القواد في السجن حلقت لحاهم و أسقطت مراتبهم كما أن المـولى أحمـد الـذي قـاد المحلة الثانية في معركة تطوان فر إلى اسـتيول و بقـي ملتجـأ هنـاك مـن غضـب السـلطان إلى أن توفي.

وقائد العسكر السّوسي ممّا جرّ عليه الهزيمة. وقد هانت هذه الهزيمة على المولى سليمان بالتخلص من القائدين المذكورين اللذين قتلا في المعركة، "فهان عليه كسر الخابية بموت الفار"[147]. وهذا الرضوخ من طرف قائد المحلّة في بعض الأحيان ولو كان السّلطان "لرأي قوّاد الجيش" إبان الحركة لا يعني أن نفوذ هؤلاء القواد كان قادرا على أن يقيهم سخط المخزن، فقد كانوا يقادون بالأكبال" ويلقون في السجون إذا شعر المخزن بخيانتهم أو تقصيرهم.

فمثلاً، القائد باعقيل السوسي، قائد جيش أهل سوس وعامل مولاي سليمان على فاس، "قيّد بالأكبال في السّجن لأنّه لم يأخذ في جباية قبائل الأعشاش"[148] كما أنّ قائد جيش البخاري في جيش مولاي عبد الرحمان ابن العوّاد ألقى عليه القبض بتهمة "التهاون"[149] ومعظم قواد الجيش في معركة إسلي زجّ بهم في السّجن وحلقت لحاهم واسقطت مراتبهم[150] وهذا داخل في سياسة "سدّ الخرق بالرؤوس" - التي كان المخزن يزاولها ويؤدّي ثمنها من وقت لآخر قواد الجيش كغيرهم من كبار الدّولة إذا استدعت ذلك الضرورة السّياسية.

ولكن المخزن في غالب الأحيان كان يتّخذ كثيراً من الاحتياطات وينتظر الفرصة الملائمة للانتقام من قوّاد الجيش، على غرار ما وقع في ثورة الودايا على السّلطان مولاي عبد الرحمان الذي أظهر عفوه عن قوّاد جيش الودايا كالطّاهر بن مسعود والحاجّ محمّد بن الطاهر والحاج محمّد بن فرحون الجراري ،وانتظر سنة كاملة قبل أن يقوم بتصفيتهم واحداً تلو الآخر[151].

وهذه الاحتياطات التي كانت تطبع سياسة "تأديب" المخزن لقوّاد الجيش كانت ترمي إلى إضعاف القواد المغضوب عليهم تدريجياً قبل تصفيتهم واستلابهم النفوذ الكبير الذي يكسبونه بفضل المخزن وداخل جيشهم بسبب ما يعطيهم إياه

---

(147) آكنسوس، س.ذ.، ص. 202.

(148) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 113.

(149) ابن زيدان، س.ذ.، ج. 5، ص. 50.

(150) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 137.

(151) ن.م.س.، ج. 9، ص. 11.

من امتيازات ومن حريّة التصرّف واليد المطلقة داخل قبائل جيشهم ليضمن إخلاصهم.

وهذا النفود والقوّة اللذان يعطيهما المخزن للقوّاد ما يلبثان في غا لب الأحيان أن ينقرضا بمجرّد تخلّي المخزن عن حمايتهم.إذ ليست هناك أمثلة كثيرة لتضامن الجيوش مع قوّادها المغضوب عليهم. في حين نجد على العكس أمثلة لانتقام بعض فئات الجيش من قوّادها حينما يفقدون حماية المخزن أو يضعف المخزن، فمثلاً عند ضعف السّلطة المركزية في عهد مولاي سليمان وانتشار الفتن والثّورات سواء في المدن او البوادي، كان أول ما بدأ به جيش البخاري هو قتل القائد أحمد بن مبارك الذي كان من أركان دولة مولاي سليمان وصاحب الخاتم[152] وهذا التمّرد من طرف الجيش ضدّ قوّاده حينما يفقدون حماية المخزن وعدم مساندتهم لهم في وقت المحنة يدلّان على أن قواد الجيش كانوا يستمدّون قوّتهم من المخزن أكثر مما كانوا يستمدّونها من الجيوش التي يرأسونها،وأنّ ارتباطهم بها ضعيف بسبب عدم معايشتهم لها فكلّما ارتفعت مرتبة القائد كلّما ابتعد عن مستوى الجيش ا لذي يرأسه، فقوّاد قبائل الجيش وقوّاد البواخر وغيرهم من قوّاد بعض القبائل ا لتي كان لها وزن في الحياة السّياسية المغربية إمّا لعددها أو لموقعها الجغرافي كزمّور وبني حسن الخ... كانوا يعيشون بقرب السّلطان وتعطي لهم وظائف سامية إمّا لضمان إخلاصهم وإماّ ليكونوا تحت مراقبته فمثلاً، ابن الغازي الزمّوري زوّجه مولاي عبد الرّحمان إحدى حظايا عمّه مولاي سليمان، وكان يعيش بفاس[153]، وكذلك قائد حاحا عبد ا لله أو بيهي في 1844م[154] كان يعيش داخل المخزن، وحتى قوّاد الرّحى وقوّاد المائة قليلاً ما كانوا يعيشون مع بقيّة الجنود، إذ كانوا دائماً يتبعون

---

(152) **ن.م.س.**، ج. 8، ص. 137.

فتك عبيد البخاري بأحمد بن مبارك في الحمرية بمكناس .وقد تغنّت البخاريات بعد موته بـ"العتروس طاح فلحمريا علاش تنذب عليه".وحينما رجع مولاي سليمان وأعلن له العبيد مقتل أحمد، خاف من بطشهم فأجابهم "كلّكم أحمدات". وأحمد هذا هو جدّ أحمد بن موسى الحاجب في عهد مولاي الحسن والوزير في عهد مولاي عبد العزيز المعروف بيّاحماد.

(153) **ن.م.س.**، ج. 9، ص. 11.

(154) **ن.م.س.**

المخزن إما لقبض مؤونة ورواتب جيوشهم أو في مهمّات الخ وهذا الابتعاد "المكاني" كان يجعل قيادتهم العسكرية لجيوشهم في وقت الحركة ناقصة المفعولية لعدم الانسجام بينهم وبين الرجال الذين يقودونهم وجهلهم لحاجياتهم من السّلاح والكسوة. هذا زيادة على قلّة اهتمام كثير من القوّاد بالحياة العسكرية وسريان الانحلال الخلقي في حياتهم الشّخصية[155].

## رابعا ـ السلاح والتجهيزات العسكرية

يظهر من المجابهتين العسكريتين : إسلي وتطوان، أن السلاح المغربي بصفة عامة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، لم يتبع التطور الذي عرفه السلاح الأوربي لنفس الفترة، وخصوصاً السّلاح الثقيلّ، وأن القيمة العسكرية لهذه الأسلحة منعدمة تماماً كأسلحة هجومية ،وضعيفة جداً كأسلحة دفاعية.

ويمكننا أن نكون فكرة عامة عن التسليحات المغربية من خلال تقارير عسكرية اجنبية متعددة، ففي مذكرة عسكرية حول امبراطورية المغربية قدمها القبطان بوريل Burel إلى الإمبراطور نابليون في 3 يوليوز 1810م نجد في تقييمه للسّلاح يقول [156] :

---

(155) A.MG.V., C.1, « Mémoire militaire sur l'empire du Maroc par le capitaine Bruel », *op. cit*.

(156) جاء هذا التقرير في إطار الاهتمام الذي كان يوليه نابليون بونابارت بالبلدان الإسلامية لحوض البحر الأبيض المتوسط، حيث كان يحلم بتكوين إمبراطورية فرنسية إسلامية.كما كان نابليون يهتمّ بالمغرب لأهمّيته الاستراتيجية في حربه ضدّإنجلترا .و كان نابليون مشهورا لدى المغاربة منذ استيلائه على مالطة سنة 1798 وتحريره الأسرى المسلمين الذين كانوا لدى فرسان مالطة وكذلك الأسرى المسلمين في بيت المقدس وازدادت شهرته بعد حملته على مصر. وإرساله إلى شمال إفريقيا نسخا من المنيتور. moniteu : الذي يصف انتصاره في مصر ويؤكّد أنّ الفرنسيين مسلمون حقيقيين. وتجدّد اهتمام نابليون بالمغرب أثناء حربه الإسبانية سنة 1818 خصوصا وأنّ moniteur: الذي يصف انتصاره في مصر ويؤكّد أنّا لفرنسيين مسلمون حقيقيين. الإنجليز كانوا يملكون كذلك حجرة بادس منذ تنازل السلطان مولاي إسماعيل لهم عليها وفي هذا الإطار أرسل القبطان انطوان بوريل Antoine burel الذي كان قد شارك في.

"السّلاح : منذ 50 سنة تخلّى المغاربة عن استعمال ا لرمح والمقلع وصار سلاحهم البندقية من 5 إلى 6 أقدام خفيفة ومن عيار مختلف أما النفالة Baïonnette فتقريبا غير معروفة. يستعمل جيش البخاري سيوفا مقوّسة وخناجر مستقيمة مصنوعة في ا لريف، ومسدّسات (فرادي) للقوّاد. يوضع ملح البارود في قرن الثيران وا لرصاص في أحزمة. المدفعية تجرّها الثيران والبغال والرّحال على عجلات مملوءة فوق ألواح من الخشب، وثقل السير يجعل تدخلها يتطلّب وقتا كبيرا، فمولاي يزيد قضى أكثر من 20 يوم في تجهيز المدفعية حينما حاصر سبتة سنة 1790.

حاول مولاي محمّد سنة 1771 أن يؤسّس معملا للسلاح في تطوان بإعانة عمّال أروبيين ولكنه طردهم بعد صنع عدد من البونب والقنابل.

كل التحصينات قديمة ماعدا التحصينات التي في الدّاخل ضدّ القبائل البربرية.

التحصينات السّاحلية قديمة ومتآكلة فيها كثير من الثقوب، وبعض قطع المدفعية، مثلا، توجد في العرائش 12 قطعة من 2 عيار تحرس مدخل النهر.

والدّليل على قلّة قيمة هذه التحصينات السّاحلية أن سيدي محمّد قال للتّاجر الذي كان يقوم بوظيفة قنصل: سيّدك يهدّدني بإحراق تحصيناتي البحرية كم يظنّ أن هذا سيكلّفه. فقدّر هذاب 8 ملايين فرنك فقال السّلطان: "قل لسيدك أن يرسل لي نصف هذا المبلغ وأنا أحرقها بنفسي".

البحرية 5 فراكَط صغيرة من 18 إلى 22 قطعة مدفعية، 8 أو 10 سفن بالمقاذف، الحبال والسّفن كلّ شيء متآكل ولاتخرج السّفن إلا في فصل الشمس.

يوجد 200 مدفعي بحري في طنجة و250 في العرائش و400 في الرباط تعطي لهم أجرة 75 فرنكا في السنة".

وهذا تحليل آخر للعتاد الحربي المغربي جاء فيه :

"نتكلّم الآن على العتاد العسكري لهذه المملكة : معمل صهر المدافع والقذائف الذي كان مولاي إسماعيل قد أسّسه في تطوان تحت إشراف عمّال أروبيين لم يبق له أثر منذ

---

الحرب في بلجيكا و إيطاليا ومصر. وكانت مهمّته إشعار السّلطان بخطر سياسته ودراسة للتّحصينات المغربية والقوّة العسكرية وللطّرق وجمع معلومات يمكن استعمالها في حالة هجوم على المغرب. وقد بقي Burel في المغرب من غشت 1808 إلى فبراير 1810 بسبب اندلاع الحرب الفرنسية الإنجليزية وجمع معلومات عسكرية ثمينة.

Ph. Destailleur Chanteraine, *L'Europe et l 'Islam au XIX siècle*, J.B. Janin éditeur, Paris, 1947, pp. 37 -38

زمن طويل. ومصانع البنادق والسّيوف الموجودة في فاس ومكناس ومرّاكش والرباط تشغل عددا قليلا من العمّال ولايكفي إنتاجها حتّى لتغطية الحاجيات وقت السلم، ومنتوجاتها هزيلة أنقيمة، فالسّيوف ليس لها قيمة حيث تلصق بنصل إنجليزي من صنع رديء على قبضة من صنع مغربي، والبندقيّة جعبتها متينة، ولكن الفوهة الكبيرة غير مضبوطة والقبضة غير متينة، وعند الحاجة إلى السّلاح والبارود يتوجّه إلى الخارج، والبارود المصنوع في المغرب خليط غليظ من الكبريت والملح والفحم الرّديء.
في كلّ المدن يمكن رؤية كثير من فوهات المدافع من بينها ذات العيارات الكبيرة وقطع بديعة من النّحاس وقذائف ولكن بعضها غارق في ا لتربة تلطمه المياه وأخرى قد طغى عليها النبات وأخرى قد أكلها الصّدأ عند أقدام الأسوار.

وهذه المدفعية تشبه التّحصينات التي تدافع عنها في تلاشيها فهذه التّحصينات التي كثيرا ما تتلقّى بعض الإصلاحات لاتستطيع مواجهة عدّة ساعات من القذائف، والورشات القديمة لصنع السّفن كميناء الرّباط الذي كان يصنع سفنا ذات36 مدفعا، لا يحتفظ بنوع من الحياة إلا بفضل صناعة قوارب تستعملها الجمارك والقوافل لقطع الأنهار، وهذه العملية يقوم بها السّلطان لحسابه الخاص. في سنة 1827 أراد مولاي عبد الرحمان أن تكون له على الأقلّ باخرة من صنع مغربي فكلّف الأميرال بريطل بصنعها، واستغرقت هذه العمليّة الكبيرة 8 سنوات وهي مدّة كافية لتنتهي خلالها كلّ المفاوضات والحروب مع العالم أجمع. والآن هذه السّفينة الواقفة على جنبها في ا لتراب في ميناء العرائش بجانب سفن كلّها من صنع أروبي في طريق الانقراض"[157].

ويدلّ هذا النوع من التقارير على أن الأسلحة التي كان المغرب يتوفّر عليها في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت تشهد في نفس الوقت على تقاليد وقوّة عسكرية ماضية وعلى الإهمال الذي أصاب هذه القوّة. فكلّ أنواع الأسلحة التي كانت معروفة في أوربّا كانت موجودة في المغرب، ولكن دون أن تعرف التطوّر الذي عرفه السّلاح الأوربي.

## 1 - المدفعية

كانت موجودة في شكلها القديم المتآكل بقسميها البحري والبرّي :
المدفعية البرّية : وهي ا لتي كانت رمز التفوّق العسكري للمخزن على القبائل إذ أنّ حجمها وثمنها كانا يجعلان من المتعذّر أن تدخل في إطار الأسلحة التي كانت

(157) « Le Maroc et la question d'Alger », in *R.D.M.*, 1er Décembre, 1840, p. 88.

القبائل تقتنيها عن طريق تجارة التهريب أو الصّنع المحلّي، وقد سعى المخزن منذ دخول المدفعية للمغرب في عهد السّعديين أن يعزل القبائل نهائيا عن هذا السّلاح بإعطاء قيادة المدفعية لعناصر لا علاقة لها بالسّكان، كالأسرى المسيحيين، والعلوج والأتراك.

وقد كانت المدافع تحتلّ الصدارة في الحياة العسكرية السّياسية منذ عهد السّعديين، فهي تتبع السّلطان مباشرة وبها كانت تزاوك القبائل لطلب العفو، وعليها كانت تقسم "حق ا لله"[158] وإليها يهرع المتنافسون على الحكم، والتحكّم فيها كان يدفع أحيانا للتّفكير في المطالبة بالملك، فمولاي اليزيد مثلا ثار على أبيه حينما شعر بقوّته العسكرية بعد أن أوكل له سيدي محمّد بن عبد ا لله الطبجية والبحرية[159].

وهذه المدافع كان المخزن يقتنيها إما عن طريق الشراء أو الهدايا أو عن طريق الجهاد البحري، وحتى المدافع التي كانت القبائل تغنمها من مراكب أجنبية كان المخزن يلزمها بدفعها له، منها ما كان مركزا على المدن كفاس ومكناس وتطوان أو على القصبات، ومنها ما كان متحرّكا يصحب المحلّة السلطانية.

وقد كان الدّور السّياسي للمدفع لا يقل عن دوره العسكري وخصوصا بالنسبة للقبائل الجبلية. فبطء تحرّكه، إذ تجرّه البغال والثيران والرّجال على لوحات من الخشب بحبال كثيرا ما كانت تتقطع[160]، يفوت على المخزن عنصر المفاجأة ويعطي للقبائل الوقت للالتجاء إلى قمم الجبال والفجاج حيث تصبح كلّ عمليّة عسكرية للمدفع مستحيلة. ولكن مسيرة المدافع البطيئة والطويلة هذه تعطي الوقت

---

(158) G. Salmon, Le droit d'asile des canons, *op.cit.*, p. 148.

كان المدفع الذي حطم السفن الفرنسية التي هاجمت العرائش في سنة 1765م محط تقديس من طرف النّساء اللواتي كن يأخذن الوعدة عليه بتعليق خصل من شعرهن و أطراف من ثيابهن.

(159) الناصري، س.ذ.، ج. 8، ص. 26.

(160) أول مدفع حمل على عجلات كان مدفعا أهدته فرنسا لمولاي الحسن وقام إركمان بعرضه أمام السلطان في أحد الأعياد.

P. Coindreau et Ch. Penz, *Le Maroc,* Société d'édition géographiques , maritimes et coloniale, Paris, 1949, p. 43.

للقبيلة في التفكير في عواقب وصول المخزن إليها من نسف زروعها وقطع أشجارها وأكل القبائل المجاورة لها، وتعطي في أغلب الأحيان الوقت لظهور الخلافات داخلها مما يسهّل مهمّة المخزن غالبا عند الوصول.

وحتّى حينما يضطرّ المخزن إلى استعمال المدفع ضدّ القبيلة المتمادية في "عصيانها"، فإن هذه العمليّة العسكريّة لاتدوم إلا ساعات معدودة، ماعدا في حالات نإذرة، كما وقع في حرب مولاي عبد الرحمان ضدّ شراردة التي دامت سبعة أيام، وذلك لأن شراردة، استعملوا المدافع والمهاريس ا لتي كانوا قد غنموها في حربهم ضدّ مولاي سليمان(161).

فالمدافع المخزنية إذن، في النصف الأوّل للقرن التاسع عشر بقيت ذات مفعول في نوع الحرب التي كانت تقوم بها، وإن كانت لم تتبع التطوّر الذي عرفته المدفعية الأوربية لنفس الفترة(162).

## 2 ـ البحرية الحربية

ولعلّها الميدان العسكري المغربي الذي أصابه أكبر قسط من الإهمال، وأصبح من الصّعب في النصف الأول من القرن التاسع عشر، تصوّر أنّ المغرب كان في وقت مّا يتوفر على مراكب حربية حملت مئات الآلاف من المحاربين المغاربة من الرباط، وسلا والعرائش وسبتة وطنجة إلى إسبانيا وكلّ شمال إفريقيا. وأنّ صلاح الدين الأيوبي استنجد بها، وأنّها حمت السّواحل المغربية من غارات القراصنة الأوربيين، وطاردت السفن الأوربية إلى عرض الكندا.

ودون الرجوع كثيرا إلى الوراء حيث كانت البحرية الحربيّة بحرية هجومية لها أهداف عسكرية، قبل أن تنقرض بفقد الأندلس والانكماش السياسي والجغرافي والاقتصادي للمغرب، نكتفي بإعطاء فكرة عن البحريّة في عهد سيدي محمد بن

---

(161) الناصري، س.ذ، ج. 9، ص. 19.

(162) تدل دهشة الجنود المغاربة، وتقهقرهم أمام المدفعية الفرنسية في معركة إسلي، وانبهار مؤرخي المخزن بخفة المدافع الإسبانية، و فعاليتها في معركة تطوان، على الفرق الشاسع بين ما أصبحت عليه المدفعية الأوربية، وما بقيت عليه المدفعية المغربية في القرن التاسع عشر.

عبد الله أي في أواخر القرن الثامن عشر : حيث كانت بحريته تتركّب من عشرين مركبا كبيرا وثلاثين من الفراكط وستين سفينة[163].

وهذه السّفن كانت مهمّتها تدعيم القرصنة والجهاد البحري الذي صار من اختصاص السلاطين العلويين منذ أن انقرضت دولة الموركسيين واحتكرها مولاي إسماعيل[164] وقد قامت الدولة التركية بتشجيع البحرية المغربية وبذلت كثيرا من المساعدات لتدعيمها خصوصا وأنّ الحروب مع روسيا كانت قد أضعفتها وأنها كانت تأمل أن تصير القوة الحربية البحرية المغربية حاجزا في بوغاز جبل طارق بين جزرها وبين البحرية الأوربية، فقد كانت تقابل كل سفارة وهدية مغربية بإرسال مدافع ومهاريس منها النحاسية والبارود وما تحتاجه المراكب القرصانية من صواري ومخاطف وقلوع وحبال وبراميل، كما أرسلت معلمين في الرماية فرقهم سيدي محمّد على الرباط وسلا وتطوان وفاس[165] .

وقد كان لهذه البحريّة مفعول سياسي ومالي كبيران في عهد سيدي محمد بن عبد الله فقد استطاع بفضلها أن يفتح الاقتصاد المغربي على البحر وأن يحمي المبادلات التجارية والموانئ من هجومات القبائل المجاورة، وأن يضعف قوّة القبائل

---

(163) كان لمولاي إسماعيل أسطول بحري في البحر الأبيض المتوسط، يرأسه عبد الله بن عائشة، ويستخدم قراصنة سلا، الذين صاروا منذ القضاء على الزاوية الدلائية يعملون لحساب المخزن. وقد فشلت كل الهجومات الأوربية ضد هذا الأسطول، بسبب المنعة الطبيعية للسّواحل المغربية. وأهم هذه الهجومات، هجوم الماركي دو شاطو رونو De Chateau Renault، سنة 1698.

وهذا الأسطول كان يتركب من وحدات صغيرة لتعذر دخول السفن الكبيرة لميناء سلا. و لم تستعمل السفن الكبيرة إلا 20 سنة بعد وفاة مولاي إسماعيل على إثر اتساع الميناء فجأة بعد هزة لشبونة.

حول الموضوع :

J. Caillé, *op. cit.*, pp. 237 - 238.

Maxangue, *op. cit.*, pp. 71 - 72.

(164) الضعيف، س.ذ.، ص. 166.

(165) ابن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 3، ص. 258 - 261.

الجنوبية التي كانت ترتكز على الازدهار التجاري لميناء أكادير فقضى عليه بخلق ميناء الصّويرة ثم أنفا، كما استعمل مداخيل التّجارة البحرية لتقوية السّلطة المركزيّة[166].

ومن جهة أخرى كان لها مفعولها السّياسي الخارجي، ففتح موانئ المغرب للتّجارة الخارجية في أواخر القرن الثامن عشر، كان معناه المخاطرة بالاستقلال الاقتصادي للمغرب وفتح أبوابه لدول أروبية تبحث عن المواد الأوّليّة والأسواق لصناعتها النّاشئة، ولكن بفضل مظهر قوّة البحرية الحربية استطاع سيدي محمد بن عبد الله أن يتحكّم في المعاهدات التجارية مع بعض الدّول الأروبيّة مثل السّويد التي فرض عليها أداء قدر من المال وقدرا من السلاح من بينه خمسة وعشرون مدفع سنويا.

ولكن هذا التحكّم انخفض بضعف البحرية الحربية. وقد بدأ هذا الضعف لأسباب داخلية وخارجية متشابكة.

فالمولى سليمان اتبع في الأول سياسة المعاهدات التجارية مع أروبا في ظل البحرية، فعقد مع إسبانيا معاهدة مكناس 1213هـ/1799م ومع انجلترا معاهدة فاس 1216هـ/1801م وجدّد معاهدة السويد والدّانمارك تقريبا بنفس الشروط التي كانت متكافئة، ومع أمريكا كذلك، ولكنّ هذه البحرية بدأت تهمل[167] وصار من الصّعب النّفقة عليها من مدخول الموانئ خصوصا وأنّ المبادلات التّجارية البحرية مع أروبّا اضمحلّت بسبب الحروب الأوربيّة من جهة وبسبب المجاعات والجراد والكوليرا التي انهالت على المغرب من سنة 1810 إلى سنة 1818م، وكذلك بسبب

(166) انظر الهامش 162 و163 من القسم الأول.

(167) من بين التفسيرات لتقلص القرصنة، تركيز البحرية الحربية الأوربية هجوماتها على السفن المغربية، وكانت تسعى للإيقاع بها في أعالي البحار حتى تكون الخسائر عالية في الأرواح والأسلحة "لأن أعلى ما عندهم هم الرّجال و الأسلحة أما السفن فعندهم ما يكفي".
« Mémoire de la chabassière sur les corsaires de Salé », *S.I.H.M.*, T. II, p. 514.
و كذلك : "احتكار السلاطين للقرصنة أحبط عزم صانعي السفن الذين لم يعودوا يزاولون القرصنة التي كانت حرفة صعبة و مهلكة و غير مضمونة".
J.L. Miège, *Le Maroc et l'Atlantique, op. cit.*, p. 27.

تخوّف مولاي سليمان من العدوى الثورية بعد الثورة الفرنسية[168] . وصارت القرصنة تخرج عن نفود المخزن.فالقراصين البحرية التي أرسلها مولاي سليمان تحت قيادة الرئيس المعطي فلوريس الرباطي بطلب من السلطان عبد الحميد العثماني لمنع مرور سفن روسية إلى الجزر التركية في سنة 1222 هـ/1801م قامت بعمليات قرصنية غنمت فيها سبع عشرة سفينة أروبية، وهذا صار يعرض السواحل والسفن المغربية لانتقامات أروبية، فالمقنبلات المغربية، زايدة والمربوحة مثلا حجزت في ميناء مرسيليا في سنة 1809 وبقيت محتجزة هناك لعدة سنوات[169].

وقد أنهى مولاي سليمان المشاكل التي سبّبتها له القرصنة وسفنها الحربية حينما قرّر في عام 1817 منع كل عمليّات القرصنة والتجارة مع الخارج[170] وقد اتخذ هذا القرار شكل تعهّد دولي حينما أرسل إلى الجزائر وتونس آخر السّفن الحربية المغربية من بينها المنصورة التي كانت تشتمل على أربع وثلاثين مدفعا وحمولة خمسين رجلا والصويرة (بريك) ثمانية عشر مدفعا وثلاثين رجل ونزع كل الأسلحة والسّفن وفرّق محاربي البحرية كذلك على الجزائر وليبيا وتونس[171] وهكذا يكون المولى سليمان قد حكم على المغرب بأحد شيئين : إما أن يقطع كل علاقة تجارية مع أروبا وهو ما فعله، وإما أن تدخل العلاقة التجارية الأروبية، المغربية عهدا جديدا يصبح فيه المغرب الذي فقد الوسائل الدفاعية لحماية استقلاله الاقتصادي ـ مضطرا لقبول الشروط التي تلائم التجارة الأروبية وهذا ما وقع في عهد مولاي عبد الرحمان الذي بويع له في ظروف سياسية داخلية مضطربة جعلت موارد المخزن هزيلة جدّا، فالقبائل التي كانت تؤدي الزكوات والأعشار، تقلّص

---

(168) E. Douard De Gard, *Les traites entre la France et le Maroc*, Bibliothéque internationale et diplômatique, A. Pedone éditeur, Paris, 1896, pp 35 - 36.

(169) L. Miége, *Le Maroc et L'europe*, Presses universitaire de France, Paris, 1961, T .XI. p. 21.

(170) ن.م.س.، ص. 23، كان مولاي سليمان يقول أنه لم يكن له حاجة لأوربا ويتمنى أن لا تكون لها كذلك أي حاجة إليه. وقد انخفض عدد البحرية في عهد مولاي سليمان إلى 69 فردا.

(171) كناش رقم 1، خ.ح.

عددها منذ أن فقد المخزن هيبته بالانهزامات المتوالية للمولى سليمان، ممّا كان يجعل فرض ضرائب جديدة كالمكس شيئا متعذرا أكثر من أيّ وقت مضى، فكان لا بد له من مداخيل مستقلّة عن انقلابات المزاج القبليّة، ففتح من جديد عهد المبادلات التجارية مع أروبا والولايات المتحدة. ففي السّنوات السبّع الأولى عقد سبع معاهدات بشروط ليس فيها كثير من التنازل من الطرف المغربي.

وقد حاول المولى عبد الرّحمان أن يحمي هذه المبادلات بإحياء القرصنة والبحريّة الحربية فاشترى من سردينيا سفينة حربية من ستة مدافع وأراد إحياء أوراش صناعة السّفن في الرباط وسلا[172] وخرجت أوّل سفينة حربية للتعرّض للسّفن الأروبيّة التي لم تكن لها معاهدات تجارية مع المغرب كنابل Naple وروسيا Russie والنّامسا Autriche ومدن الهانسا Lahanse وكانت نتيجة هذا أن تعرّضت الموانيء المغربية لهجومات المقنبلات الأروبية.

فقد أرسلت انجلترا فرقة بحرية بقيادة دافيد هاب ir David Hape لمحاصرة طنجة سنة 1828 والنامسا قنبلت العرائش وأصيلا وتطوان سنة 1829[173]، وكانت هذه آخر محاولة للمخزن لخلق بحرية حربية[174]، بل إنه أهمل حتّى مدفعية السواحل[175]

---

(172) عبد الهادي التازي، **الأسطول المغربي عبر التاريخ مجلة البحث العلمي**، عدد 33 نوفمبر 1982، ص. 15 ـ 47 وكذلك :

L.Miège, « La marine marocaine au XIX siècle », in Bulletin *C.D.H.M.*, n° Mai 1956.

(173) L. Miège, Le Maroc et l'Europe, *op. cit.*, T.XI, p. 34

(174) أمر مولاي عبد الرحمن سرا بإغراق المراكب البحرية الباقية، ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 153 – 154.

(175) لم تقم المدفعية الساحلية المغربية بقنبلة ولو محدودة للسفن والجيش الإسباني في حرب تطوان رغم أن هذا الجيش كان يتقدم من سبتة إلى تطوان، مرة عن طريق البحر، و مرة أخرى عن طريق البر، محاديا السواحل لحماية ظهره بسفنه الحربية. و لم يكن هذا راجعا فقط لضعفها، بل كذلك للتخوف من أن تتعرض المدفعية المغربية لسفينة أجنبية غير السفن الإسبانية، كما وقع لمدفعية مارتيل التي قنبلت خطأ سفينة فرنسية دخلت الميناء، مما جعل تدخل المدفعية شيئا صعبا، خصوصا و أن المخزن أرسل رسائل يهدد "من لم يثبت بأن عقوبة مولانا تلزمه".

حينما شعر بالتفوّق الأوروبي، وترك السواحل المغربية في حماية منعتهـا الطبيعيـة، أو لدفاع القبائل المجاورة التي كانت ترد المهاجمين "بالمنجل والفؤوس"[176].

### 3 ـ الأسلحة الخفيفة

لم يظهر من مجابهة إسلي وتطوان أنه كان هناك تفـاوت كبـير بـين الأسـلحة الأوروبية الخفيفة والأسلحة المستعملة من طرف المحاربين المغاربة فالمؤرّخون المغاربـة الذي أبدوا إعجابهم بالمدافع الأجنبية وسرعتها ودقّتهـا وخفّـة التجهـيز الشـخصي والعسكري للجندي الأوروبي من "أخبية خفيفـة سـهلة الحمـل" و"أوعيـة يحملـون فيها طعامهم"[177] بالمقارنـة مـع الأخبيـة الثقيلـة للمحـاربين المغاربـة لم يدلـوا بـأيّ ملاحظة تدلّ على الانبهار بالسّلاح الخفيف الذي كان يستعمله الأوروبيّون، ولعـلّ هذا راجع إلى سهولة تداول هذا النّوع من الأسلحة لخفّتها وسهولة التجـارة بهـا. وبالفعل فقد كان هذا النّوع يدخل في كلّ المبادلات التجارية بـين المغـرب وأوروبـا منذ القديم.

وكانت هذه الأسلحة تأتي من تركيا وإيطاليا وبلجيكا والولايات المتّحـدة في عهد مولاي سليمان، ونشطت حركة شراء الأسلحة من طرف المخـزن مـن جبـل طارق في عهـد مـولاي عبـد الرحمـان، حيـث كـانت السّـفن الـتي تذهـب محمّلة بالحبوب تعود محمّلة بالأسلحة، وكان يتكلّف بهـذه العمليّـة الحـاجّ الطّـا لـب بـن جلّون والقنصل المغربي اليهودي فى جبل طارق بنعليـل Beneliel وهـذه الأسـلحة كان قسم منها يرسل للمجاهد عبد القادر الجزائري، ففي شهر مـاي 1840 مثـلا،

---

وعلى إثر هذا أفرغ برج مارتيل من العدة، مما جعله فريسة سهلة للإسبان الذيـن نصبـوا فوقـه رايتهم، وأدخلوا للمرسى 40 أربعين سفينة. ثم نقلوا المدافع الى إسبانيا.

حول الموضوع :

محمد داوود، **تاريخ تطوان، س.ذ.**، ص. 142 ـ 143، ص. 185.

(176) الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 25.

(177) الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 96.

خرج من مخازن السّلاح بفاس مائة وأربعون بغلة محملة بالأسلحة أرسلت لعبد القادر عن طريق وجدة[178].

وكان الحديد والصّلب من بين المواد ّا لـتي تدخل في المبادلات التّجارية في أواخر القرن 18 وأوائل القرن التاسع عشر، ولعدم توفّرنا على وثيقة تدلّ على وجود صناعة تستعمل هذين المعدنين في المغرب في النصف الأول للقرن التاسع عشر فيمكن أن نستنتج أنهما كانا يدخلان في صناعة الأسلحة فيما بقي من مصانع السّلاح التي كان المولى إسماعيل قد أسّسها في الرّباط وفاس ومرّاكش ومكناس والتي كانت تصنع فوهات البندقيّات والمدافع ونصل السّيوف. كما أن ّوجود سيوف ذات نصل إنجليزي وقبضة من صنع مغربي يدلّ على وجود صناعة محلية لتركيب السيوف[179].

ولكن صناعة الأسلحة في المغرب وهي ا لتي عرفت ازدهارا في عهد السّعديين وعهد مولاي إسماعيل صارت ضعيفة الإنتاج، ولعلّ منافسة الأسلحة المستوردة، خصوصا في عهد سيدي محمد بن عبد ا لله حيث ازدهرت التّجارة البحرية وصار التجّار الأجانب يؤدّون ديونهم للمخزن بالأسلحة والبارود "الرومي"، وكذلك استقرار الإنجليز في جبل طارق، كلّ هذه العوامل جعلت صناعة الأسلحة المحليّة تنقرض شيئا فشيئا وتنحصر في صنع الخناجر والسّكاكين في حين لم تتبع صناعة المكاحل والبارود التطور الذي عرفته الصّناعة الأوربية، وقد حاول مولاي عبد الرّحمان في سنة 1836 أن يقوم باستغلال معدن الكبريت الموجود في ناحية فاس وكمّيات الملح الموجودة في المخازن لإقامة معمل لصنع وتصفية البارود ولكن تقديرات ثمن النفقات الباهظة وجهود الفرنسيين الذين استشار معهم جعلته يتراجع عن محاولته.

وهكذا كانت الأسلحة الخفيفة المستعملة في المغرب خليطا من أسلحة ذات طابع مغربي وشرقي وأسلحة أوربية قديمة وحديثة :

---

(178) J. Caillé, *La petite histoire du Maroc, op. cit.*, seconde série, p. 201.

(179) الهامش 157، وكذلك :

E. Doutté, *Missions au Maroc en Tribu*, Paul Geuthner éditeur, Paris, 1914, p. 99.

- الخنجر "الكمية" كان منذ القدم يعتبر جزئا من اللباس المغربي سواء في وقت الحرب أو السّلم، وكان يتقلّد به كلّ المخازنية، وكذلك رجال القبائل على مختلف مستواياتهم. وتدلّ قيمته غالبا على المستوى الاجتماعي لحامله كما أنّ كلّ سلاح آخر كالبندقية مثلا كان لايعني الاستغناء عنه، وقد كانت هناك الخناجر المقوّسة والمستقيمة وهذه الخناجر كانت تصنع في سوس وفي الريف.

- السّيوف وهي متعدّدة الأنواع : ولكن يمكن تقسيمها إلى صنفين :

- الصّنف التقليدي، يتراوح طوله بين 0,70 م و0,85 م، وقبضته صغيرة 0,10م تقريبا وهي إما من قرون الحيوان، أو العظم، أو الخشب، ونصله قصيرة يبلغ طولها تقريبا بين 0,60 م و0,75 م وعرضها بين 0,3 م و0,4 م في القاعدة وتضيق تدريجيا إلى أن تأخذ شكلا حادّا، وأغلبية هذه النصال كانت تستورد من إسبانيا أو الشّرق.

- السيف المقلّد للسّيوف الأوربية: وهو أطول من السّابق 0,75 و0,8 م ونصله مصنوعة إما في إنجلترا، أو إسبانيا، أو في الشرق(180)، حيث يحمل ا لكثير منها طابع بغداد ومنها المصنوع محليّا على قبضة ذات صنع محلّي مصنوعة غالبا من القرن إما قرن الجاموس الأبيض، وهي سيوف القوّاد على الخصوص، أو من قرن البقر الأسود، ويحمل النصل في أغلب الأحيان نقوشا لآيات قرآنية : كـ "إنّا أعطيناك الكوثر" أو "قل هو ا لله أحد"، أو "سيكفيكم ا لله وهو السميع العليم"، أو " لاحول ولاقوة إلا با لله العلي العظيم"(181).

- الحربة : وقد قلّت كثيرا في القرن التاسع عشر خصوصا داخل الجيش المخزني، ولم تبق مستعملة إلا من طرف بعض فرسان القبائل.

- السّكاكين - والشّواقير : كانت تصنع في المغرب، وقد استعملت الشواقير في المغرب منذ عهد المرينيين تقليدا للجيوش ا لتركية.

---

(180) معلومات مأخوذة من دراسة للسيوف الموجودة في متحف الودايا و متحف المرينيين بفاس.

(181) Charles Buttin, « Les poignards et les sabres marocains », in *H.T.*, 1939, T.XXVI, pp. 147-157.

Jean Despois, *op. cit.*, p. 143.

ـ البنادق أو "المكاحل" وفيها يظهر التنوع الكبير، فإلى جانب البنادق الحديثة التي كان المخزن يشتريها من أوروبا كالمارتني والبنادق بالحربة كانت توجد المكاحل القديمة سواء المستوردة أو المصنوعة محليا كالمكاحل بالحجر "بوشفرة" التي تشحن من الفم وتدخل فيها حبّة صغيرة من البارود مستديرة، تصنع كذلك في المغرب، وهذه الحبات غالبا ما كانت أصغر من قطر الفم، فكانت تحاط بشيء من الصوف أو بورق الدوم "الليفة" حتى لاتسقط، وكان البارود يلفّ في الورق. وهذه المكاحل لا تتعدّى رمايتها 200 م وتتوقّف عن العمل إن تبلّلت بالماء وتنفجر في بعض الأحيان[182] .

كما كانت توجد بعض البنادق بتافالة، وبعض البنادق الحديثة بالقرطاس يطلق عليها السداسية، والرباعية حسب عدد الطّلقات وذات الجعبتين، وبعض الفرادي (المسدسات) وكانت البنادق القديمة تفرق على جيوش القبائل وقت الحركة في حين كانت البنادق الحديثة أو الفرادي تخصص للجيش المخزني خصوصا المسخرين والأصحاب[183] .

ويمكن أن ندخل في السلاح المغربي الخيل والجمال والبغال للأهمية التي تكتسيها في بلاد كانت تنعدم فيها الطرق والعربات وتحتاج فيها الجيوش لقطع مناطق جبلية، وكان يطلق عليها "الظهر" أو "الفرقوش" أو "الكراع".

## 4 ـ الخيل

"نكرّم الخيل ونهين النساء" هذا ما وصف به ستة من المغاربة أنفسهم حينما قدموا على عمر بن الخطاب للدّخول للإسلام".

وإذا كنّا نترك تفسير القسم الثاني لعلماء الاجتماع، فإنّه يمكننا أن نؤكّد صحّة الشّطر الأوّل وأنّ المغاربة كانوا يولون الخيل تكريما خاصّا يفوق التكريم الذي تتمتع به الخيل بصفة عامّة في باقي البلدان.

---

(182) الهامش رقم 156، وكذلك :

Augustin Moulièras, *Le Maroc inconnu*, Oran, 1899, p. 126.

(183) ابن زيدان، **العز والصولة، س.ذ.**، ج. 1، ص. 20.

فهناك شهادات تظهر أن هذا التكريم الذي كان المغاربة يخصّون بـه الخيـل لم يكن يظهر شيئا طبيعيا بالنسبة للشعوب الأخرى حتى في الوقت الذي كـانت فيـه الخيل تعتبر عنصرا حيويا بالنسبة لها أي قبل أن تعوّضها الآلة في الحرب والنقّل.

فمثلا في مذكرات إسطل J.B. Estelle نجده يقـول: "فوجـدت العـامل يشـرب اللبن ولما انتهى، قدّم الوعاء لأحد خيله فشرب منه، ثـم بعـد ذلـك أعطـى البـاقي لقوّاده الذين كادوا يطيرون فرحا بشرب بقايا الحصان"(184).

ويقول مويط J.Mouette في وصفه للمغرب : "إن السلاطين يحبون أن يتملكـوا الخيل الممتازة التي تحمل أسمـاء آبـائهم، وإذا مـات حصـان يدفنونـه كمـا لوكـانوا يدفنون أنفسهم ولايشعرون بسعادة أكبر من النظر إلى خيلهم وهي تأكل(185) .

ويقول كذلك إسطيل J.B Estelle "إن المغاربـة يقدّسـون الخيـل الـتي تذهـب للحج ويسمّونها "لهط" هذه الخيل بعد عودتها من الحجّ لاتقـوم بـأيّ عمـل. فهـم يحيطون عنقها بتسابيح وتياميم معلّقة في ثوب من الحرير أو في الفضّة أو في الذّهب وهناك أحباس تنفق على هذه الخيول ويتبرّك الناس بها وإذا فـرّ مسـجون واحتمـى بها فإنّه لايمسّ بسوء"(186) .

وهذه العناية الخاصّة بالخيل تظهر من خلال العـادات السّياسـية والاجتماعيـة في البلاد، فتقديم فـرس كهديّـة للمخـزن مـن طـرف قبيلـة يعتـبر عنـوان الطّاعـة. وكذلك إهداء دولة أجنبية خيلا للسّلطان يعتبر من علامـات ا لصداقـة والاحـترام ويستقبلها السلاطين المغاربة بكثير من الحفاوة، كما أنّ إهداء السّلطان فرسا لأحد قوّاده يعتبر منتهى الرّضى، ولدولة أجنبية منتهى "المحبّة".

والتّنافس السّياسي منذ القديم كان يظهر من خلال سعي الفئات المتنافسـة في امتلاك أكبر عدد ممكن من الخيل، فالمهدي ابن تومـرت مثـلا كـان يـأمر أصحابـه بتهيىء عدد من ألجمة الخيل قبل الخروج للمعركة ليلجموا بها الخيـل الـتي يفـرض عليهم غنمها من عدوّهم.

كما أنّ المولى إسماعيل كان يجرّد القبائل التي يخضعها من خيلها وسلاحها.

---

(184) J.Baptiste Estelle, « Mémoire », in *S.I.H.M*, 2ème série, France, T.IV, p. 704.

(185) J. Mouette, « Déscription du Maroc », *S.I.H.M*, 2éme série, France.

(186) J. Estelle, *op.cit.*, pp. 228 - 229.

وظهر تفوّقه العسكري على القبائل في تملّكه لإثني عشر ألفا من الخيل "الصّافنات الجياد"[187] .

وبيع الخيل لغير المسلمين وتصديرها للخارج كان شيئا محرّما بغير إذن من السّلطان الذي كان قليلا ما يبيحه باعتبار أن الخيل من المسائل التي يمكن أن تقوّي الكفّار ضدّ المسلمين، ويظهر هذا من الصعوبة التي كانت الدّول الأجنبية تلقاها في اشتراء الخيل من المغرب.

ورغم الصعوبات التي كان سفراء البلدان الأوروبية يلاقونها في شراء الخيل من المغرب فقد كانوا شديدي الحرص على اقتنائها لما اشتهرت به هذه الخيل في أوروبا من الجودة.

وقد دخلت الخيل المغربية في إنتاج بعض الخيل الأوروبية مثلا خيل ستود بوك Stud Book الإنجليزيّة هي نتيجة لتناسل الفرس المغربية مع الخيل العربية.

وتظهر القيمة التي تعطي للخيل في القرن التاسع عشر من خلال المكانة التي كانت تحتلها في الجيش والأهمية الكبيرة التي تعطى لها، وهذا الاهتمام والعناية تساوي، بل تفوق في بعض الأحيان العناية بشؤون الجنود.

فمثلا القدر الذي كان يخصّص لإطعام الفرس هو القدر الذي كان يخصّص كأجرة للجندي، إذ كانت أجرة الفارس تساوي ضعف أجرة الرّاجل، وحينما يموت الفرس لأحد المخازنية يقتطع نصف أجرة المخزني أي المرتّب المعّين للفرس إلى أن يجتمع ما يعوّض به فرس آخر[188]. "ولابد من الإشهاد بالعدول على عين الفرس الذي مات، ووصفه مدققا ويكتب ذلك في كنّاش ليقابل بكنّاش إحصاء الخيل بأوصافها"[189] . وكانت خيل جيش المخزن تسجل بانسابها وأسمائها وأوصافها وتظهر الدّقّة في أمور الخيل من الرّسالة التي أرسلها سيدي محمّد الذي كان مكلّفا بأمور الجيش في عهد أبيه مولاي عبد الرّحمان إلى القائد الجيلالي بن بوعزّة في شأن فرس كان أمره غير واضح بالنسبة له :

---

(187) ابن زيدان، **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 5، ص. 17.

(188) ابن زيدان، **العز و الصولة، س.ذ.**، ج. 1، ص. 1.

(189) **ن.م.س.**

"وصيف سيدنا الأرضي القائد الجيلالي بن بوعزة سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره وبعد فقد وجدنا في نفولة من نفائل أنساب الجدعان الفطام الذين وجهت جدعة زرقاء بالدينار، بنت الحيمر فرس ابن العامري مع أن الحمير أصله من الصحراء، لا من بني حسن والآن اعلمنا هل الكاتب الذي كان يقيّد أنسابهم أراد أن يجعل الحميري فغلط وجعل الحمير أو كان لابن العامري فرس يقال له الحمير، لنكون على بصيرة أصلحك الله والسلام في 22 ربيع الثاني 1263هـ - 1847م[190].

وكذلك من رسالة مولاي عبد الرّحمان إلى نفس القائد سنة 1267هـ/1851م.

" وقد أمرنا المدني يحضر معكم التسراد، ليحصى الخيل الضعيفة بقصد أن يتوجه صحبتها للعدير، فإذا أحصيتم عددها وجهوها لحضرتنا الشريفة لنوجه الكتاب الذي يصحب معه المدني لقائد الغرب ونوجه الخيل الكادة التي هنا تلحق به أيضا"[191].

وكان يخصّص لخيل المخزن قوّاد يقومون بالسهر على علفها. وكرمز للمكانة التي تحتلّها الخيل في الجيش المغربي كان أول لقب أطلق على "وزير الحرب" هو "لقب العلّاف الكبير". وكانت الخيل المخزنية عند الفطام توزّع على أراضي الجيش وتوضع لها دفاتر بوصف الفرس. ذكر أم أنثى، الأم، الأب، اللّون الحالي وما يؤول إليه حينما يكبر الفرس، ويعطي كلّ من أعطى فرسا ورقة بالأوصاف والنّسب نظيرة ما في الدفتر، والخيل السلطانية التي في الأروى الكبير كانت تقسّم إلى خمسة أقسام :

1 - الصافيات أو خيل الكادة : خاصّة بالسّلطان.

2 - النّوع الذي يلي : أقارب السلطان الشخصيات المخزنية.

3 - الإضافات : عموم الأشراف والقواد وأعيان الجند في السفر.

4 - الرّنانة : معدة للحمل، والرّكوب لمطلق الجيش في الأسفار.

وزيادة في الحرص على أمور الخيل كان إذا ما مات فرس أثناء الحركة تقطع أذنه ويدلي بها المخزني كدليل على موتها[192].

---

(190) **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 5، ص. 17 - 196.

(191) **ن.م.س.**

(192) **ن.م.س.**

ومن الصعب إعطاء رقم لعدد الخيل التي كانت موجودة في المغرب في القرن التاسع عشر ولكن المؤكد هو أنّها كانت أقل بكثير من عدد الرجال القادرين على الحرب إذ كان كثير من جيوش القبائل من المشاة، وحتى داخل قبائل الجيش لم يكن كل المخازنية يملكون فرسا.

ومن أشهر القبائل التي كانت تملك أحسن الخيول قبائل بني حسن، وقبائل زمور وقبائل الشاوية وسوس ودكالة.

وإلى جانب الخيل كانت البغال والجمال تلعب دورا مهمّا داخل الجيش سواء لجرّ المدافع أو لحمل الخزائن والمؤونة وكانت البغال المخزنية الفائضة عن حاجة المخزن في الأوقات العادية توكل للقبائل وكانت في أغلب الأحيان مفرّقة في عزائب "الهوائر" 35 قبيلة خصوصا في ناحية الحوز، وقدّرت الخيل المخزنية في عهد مولاي الحسن المفرّقة في القبائل بأربعة وثلاثين ألف بغلة، وكانت توسم بميسم خاصّ إمّا بصورة الثمانية مزدوجة أو بصورة الثمانية أو بصورة الثّلاثة وهذه القبائل كانت تقوم بعلفها وبإرسالها وقت الحركة، أما الجمال فكانت تحجز مع أصحابها وقت الحركة[193] .

وطاقة حمل الجمل التي تتراوح بين 150 و200 كيلو، والتى كانت تبلغ تقريبا ضعف طاقة البغال[194] التي لاتفوق 100 كيلو، كانت تجعل من الجمل عنصرا أساسيا في نقل المدافع على الخصوص.

## 5 ـ التجهيزات العسكرية

لم يساير التجهيز العسكري الفردي والجماعي التطور الذي عرفه هذا الميدان في الجيوش الأروبية حيث صار العسكري مجهزا بتجهيز خفيف يسهل عليه الحركة والتقدم دون حاجة إلى الرجوع إلى نقطة الانطلاق أو التفرغ للبحث عن الأشياء

---

(193) خ.م.، الكناش رقم 3014 د، 299 سنة 1287هـ.

J. Desprois, *L'Afrique du Nord*, Presses Universitaires de France, Paris,1964, p.142.

و قد كانت البغال تدخل في المبادلات التجارية بين 1765 و 1775 حيث كانت انجلترا تصدرها من المغرب نحو أمريكا. و لكن هذه التجارة توقفت بعد الثورة الأمريكية في حين تذكر بعض النصوص أن المغرب كان يجلب البغال من تونس وطرابلس في نفس الوقت.

(194) E. Doutté, *op.cit.*, p. 99.

الضرورية كالطعام مثلا، وحيث كان للعسكر الأروبي أوعية لحمل طعامهم وشرابهم وأخبية خفيفة للنوم، في حين كان كل تجهيز الجندي المغربي ينحصر أحيانا في هو ارية من قرن ثور لوضع البارود(195) أو شكارة يتمنطق بها، وزمزمية مليئة بالماء، ووعاء من قزدير مليء بالزّيت لدهن السّلاح، فى حين كان كلّ ما يحتاج إليه من عدة وأدوات لطهي الطعام ولحفظ الماء "الراوية" "وخيام يحمل على ظهر البغال التي ترافق المحلة، وكان على كلّ فرد أن يتكلّف بطعامه وشرابه، ممّا كان يجعل الجيش يتفرّق في أوقات مختلفة وبغير نظام حسب وقت حاجة كل أحد إلى الطّعام(196) .

أما التجهيزات العسكرية الثقنية والصّحية، فإنّها تظهر بدائية.

فلعبور الأنهار مثلا، كانت تربط الزّاويات أي القرب، مع بعضها، وتوضع فوقها حصائر أو قصب، ليستعملها الجنود لقطع الأنهار، وقد كان الجيش المخزنى يحرص على أن تخيّم المحلّة، اثناء الحركات بقرب القناطر للتحكّم فى هذه المناطق الاستراتيجية.

كما كانت تصحب المحلّة محفّات لحمل الجرحى، وجراحون "المعلمين الجرارحية"لمداوات الجروح، سواء كانت جروح الخيل أو جروح الجنود، وفى بعض الأحيان كانت تستعمل نفس الطريقة لمعالجة الكلّ كالكيّ بالنّار، أو "التّشراط" وهو الفصد، أو استعمال الصّابون البلدى والقطران لتضميد الجراح.

وهذه الوسائل على بدائيتها، يمكن أن تعتبر كإسعافات أوّلية نافعة لوقف النّزيف، ومحاربة الالتهاب.وللوقاية من الإصابة بمرض "التيتانوس".

وبصفة عامّة، يمكن أن نقول إن السّلاح والتجهيزات العسكرية المغربية في القرن التاسع عشر لم تساير التطوّر الذى عرفه نفس الميدان في أوربا في نفس الفترة. وإذا كانت قد بقيت ذات مفعول فى ردع القبائل، فإنه لم يكن لها كبير حظّ، أمام جيوش أوربية كانت الثورة الصناعية تزوّدها بأسلحة تتطوّر يوما عن يوم وخصوصا منها الجيش الفرنسي الذي عرف تطوّرات هائلة بعد الثورة الفرنسية خاصّة في عهد نابليون بونابرت الذي أخضع به أغلبية البلدان الأروبية.

(195) J. Erckman, *op. cit.*, p. 27.

(196) ن.م.س.

وقد بقي الهيكل التقليدي للجيش المغربي الذى كانت تتكامل فيه النواة المخزنية والقوة العسكرية القبلية رغم ما أصابه من ضعف وتآكل كباقي مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب في هذه الفترة، محتفظا إلى حدود احتلال فرنسا للجزائر بمظهر القوّة، إذ كان لازال له وزن ضمن علاقات داخلية لم يطرأ عليها تغيير كبير منذ زمن طويل، وبسمعة في الخارج مبنية على انتصارات ماضية شهيرة ظلّت عالقة بالأذهان على بعدها، كواقعة وادي المخازن، وأخرى قريبة وصغيرة، لم تمتحن فيها القوّة الحقيقيّة للجيش، كان آخرها تحرير الجديدة في عهد سيدي محمّد بن عبد الله.

ولكن هذه الفعالية والهيبة لم تصمدا أمام التحدّيات الجديدة التي ظهرت منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر والتي أجبرت المخزن على إعادة النّظر في نظام الجيش المغربي وتركيبته.

# القسم الثالث:

# الجيش المغربي والتحديات الجديدة
# محاولة "الإصلاح"

# الجيش المغربي والتحديات الجديدة
# ومحاولة "الإصلاح"

## أولا - التحدّيات الجديدة

كانت الفترة الممتدة من عام 1830م إلى عام 1844م، فترة امتحان القوى واختبارها بين المغرب وفرنسا، وهو اختبار كانت نهايته حتمية، بحكم المعطيات الاقتصادية والسّياسية والفكرية، التي كان يتوفّر عليها كلّ منهما. فالأوّل انعزل شيئا فشيئا عن التحوّلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كان العالم يعيشها منذ تراجع قوّته في حوض البحر الأبيض المتوسط وخنق أنفاسه الاقتصادية باحتلال الإسبان والبرتغال موانئه الشّمالية والغربية وتراجع دوره في إفريقيا بعد فشل سياسته في السّودان. وتأكّدت عزلته هذه، منذ أواخر القرن الثّامن عشر بعد الثّورة الفرنسيّة ودخول أوربّا عهدا من الاضطرابات والحروب ولجوء مولاي سليمان، إلى جعل نهاية للمبادلات مع أوربا.

وقد ساهم تقهقر التجارة بالمغرب وانغلاقه عن العالم، في فترة كان يعرف فيها هذا الأخير تحوّلات مصيرية، في انكماش النشاط الاقتصادي بالمغرب واقتصاره على فلاحة معاشية خاضعة لظروف مناخية صعبة ومتقلّبة حيث ضغطت المجاعات الدّورية والأوبئة على النموّ الديمغرافي ونشاط السكان، وجعلت القسط الأكبر من الطاقات البشرية تنحصر في الصّراع ضدّ الطبيعة ومن أجل الماء والمجال الفلاحي والرّعوي، وعلى تجارة وصناعة مرتبطتين أساسا بهذا المجال الفلاحي المحدود. كما انحصرت الحياة السياسية في علاقات مبنية على منطق القوّة والضعف، بين سلطة مخزنية تسعى لتوسيع اختصاصاتها ونفوذها، وقبائل ترفض الذوبان الاقتصادي والسياسي داخل سلطة مركزية تأكّد تفوّقها وحتميتها منذ عهد مولاي إسماعيل. وساهم في هذا الرّكود، تقلّص المجال المعرفي والفكري الذي

بقي ينحصر في قشور معرفية دينيـة وأدبيـة يرجـع عهـد أغلبيتهـا إلى فـترة انحطـاط وجمود العالم الإسلامي[1].

وهذا الركود والعزلة، أثّرا كذلك، على القوة العسكريّة الـتي كـانت بحكـم تركيبتها القبلية الواسعة، تعكس الحالة العامة للبلاد.

ولكـن رغـم هـــذا الضعــف، بقيــت المؤسســات السياســية والعســكريّة والاقتصادية والاجتماعية والفكرية تحتفظ بانســجامها وبوظيفتهـا، طالمـا بقيـت في مجالها المغلق.

غير أنّ هذه المؤسّسات، ما لبثت أن وضعت علــى محـكّ الاختبـار، منـذ أن استقرّت على حدود البلاد دولة غربية وهي فرنسـا عاشـت كـل مراحـل النهضـة والحداثة الأوروبية منذ القرن السادس عشر، من نهضة فكرية وتطوّر في المبــادلات التجاريـة والتقنيـات الماليـة والصناعيـة وفي العلاقـات السياسـية وهـــي تراكمـــات حضارية انعكست على قوّتها وعلى جميع المؤسّسات بما فيها العسكرية[2].

---

(1) الشيخ محمد بيرم التونسي، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصـار والأقطـار**، مطبعـة حجريـة، بدون تاريخ، ج. 1، ص. 60 ـ 64.

يقول الكاتب : "وسوق العلوم الدينية عندهم رائجة جدا لا تكاد تخلو بلادهم مـن فحـول في كل وقت. أما العلوم الرياضية فأما أن نقول عنها مفقودة بالمرة، أو أن بعض فروعها لازال بـه رمق على النمط القديم".

كما يدل كذلك على تقلص مجال العلم، الأهمية التي اكتسبها الأطبـاء الأوروبيـون والمغـامرون الذين يدعون الطب طوال القرن التاسع عشر.

وكذلك رسالة مولاي عبد الرحمن للقاضي مولاي عبد الهادي التي يقول فيها : "الفقيـه يبقـى في سلكة سيدي خليل عشرة سنين، وفي الألفية عـامين أو ثلاثـة، وفي ذلـك تضييـع الأعمـار، فتجد الطالب يرحل في طلب العلم من بلاده..ولا يقف على محصول ولاحاصل ..".

ابن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 5، ص. 119.

(2) حول انعكاسات الثورة الصناعية والسياسية على المؤسسات العسكرية الأوربية انظر :

Général Weygand de l'Académie Française, *Histoire de l'armée française*, Flammarion, Paris, 1953, pp. 237 - 306.

## 1 ـ مرحلة اختبار القوى

ومنذ الوهلة الأولى لهذا الاستقرار أصبح واضحا أن مرحلة العزلة قد انتهت وأن العلاقات مع الجار الجديد، لن تكون علاقة تعايش سلمي أو حركة مدّ وجزر تتغيّر فيها الحدود تغيّرا طفيفا، كما كان الأمر مع الإمبراطورية العثمانية، بل علاقة صراع مصيري. ويدلّ التحمّس للجهاد، الذي كان ردّ الفعل المباشر لكل الأوساط المغربيّة الرسميّة منها والشعبية، على إثر وصول نبأ احتلال فرنسا للجزائر[3]، على وعي الجميع برهانات هذا الصراع، وأن هذا الاحتلال كان يستهدف بالأساس دينهم وحضارتهم. ولكنّ هذا التحمّس لسبق الأحداث ولحمل السلاح، يدلّ في نفس الوقت، على أنّ المغرب، لم يكن واعيا تمام الوعي، بالضعف الذي آلت إليه البلاد طوال عزلتها، وبالفوارق التي أصبحت بينها وبين البلدان الأوربيّة، خصوصا في الميدان العسكريّ.

فعلى الرغم من سياسة مولاي عبد الرّحمان الحذرة، وتجنبه كل ما من شأنه أن يتسبّب في مواجهة عسكريّة بينه وبين الجيش الفرنسيّ في الجزائر، منذ انسحاب جيوشه من تلمسان، وهي سياسة تدلّ على الوعي بعدم تكافؤ القوى، فإنّ مشكل

---

(3) حول ردود الفعل على احتلال الجزائر :

Ph. Destailleur Chateraine, *L'Europe et l'Islam au XIX ème siècle*, Collection d'étude historique, J.B Janin, éditeur, Paris 1947, pp. 115 - 116.

وكذلك : مراسلات متعددة بين الوزراء المفوضين الأوربيين في طنجة ووزارة خارجيتهم من 1830م إلى 1844م تتكلم عن التوتر داخل المغرب. إحدى هذه المراسلات تذكر "تجمعات القبائل أمام منازل قناصلة إسبانيا والداغارك، السويد وفرنسا، وسب المسيحيين" وأخرى تتكلم عن "طلقات رصاص أصابت منزل قنصل فرنسا وأن رصاصة أصابت قنصل السويد".

في رسالة بتاريخ 37/12/28، "أن الصلوات أقيمت في كل أنحاء المملكة للدعاء بالنصر لعبد القادر".

في رسالة أخرى من الأمير دوجوانفيل De Joinville إلى الأميرال ناكان Nakan بتاريخ 1841/7/3م "من الصعب التأكد من الحقيقة : أن يكون هناك تأهب للحرب، فهذا لا شك فيه، أن يكون السلطان منع الحرب، فهذا شيء محتمل، ولكن أن يكون قد استطاع مقاومة التيار الجارف للسكان المتعصبين فهذا بعيد الاحتمال ".

A.E.P., C.D.M. 5.

(Copies & Traduction.)

78

...née à la
...ttre N° 5.
6 décembre
1830

نسخة من كتاب القنصل الفرنصيص للكاتب أمير سلطان مراكش

أما بعد فاعلم سيدي وجعلني فداك بحمد الله اني سمعت ان التلمسانيين كاتبوكم وراموا يدخلون تحت سيدنا نصره الله
مع ان تلك البلاد من عمالة الجزائر وخفنا ان يقع التشويش بين الجانبين وانا احب الخير بين الدولتين وليس هذا الامر الا
ونحب من الله ومنك ان يبقى بيننا ولا يطلع عليه احد سواك بارك الله فيك والسلام واكيد
لمقامك الارفع في 13 جمادى الاولى عام 1246 انتهى

ومن الجواب بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
من عبد الله كاتب الاوامر المطاعة اسماها الله محمد بن ادريس العمراوي الى المحب ...
فرنصيص ... بالله ثم ... مولانا ايده الله ...
... على شان تلمسان ... انهم مسلمون احرار ...
بالله مستجيرين به ...
اذ كان ... الجزائر فقد ملكوها واستولوا عليها والترك انما هم غاصبون لملك تلك ...
... رحمهم الله ... وكل واحد اختار لنفسه ...
والموصلة ... المودة ... وقد اجبناك من عندنا ...
في جمادى الثانية عام 1246

Au très illustre et très honoré figuih Sidi Mohammed Benidriss. Il est de mon devoir de vous faire connaître que j'ai appris que les habitants de Tlemcen ont demandé à S. M. de se remettre en son pouvoir cependant cette ville fait partie du territoire d'Alger. Je crains que cela ne nuise aux affaires des deux puissances dont j'ai à cœur la prospérité. Je vous prie de ne faire part de ce billet à personne, et que son contenu reste entre nous deux. Que Dieu conserve votre excellence. Salut et respect le 13 de Jomad premier 1246. (29 octobre 1830.) Signé à l'original J. Delaporte .... Réponse .... Au nom de Dieu clément et miséricordieux; point de pouvoir ni

رسالة من الوزير محمّد ابن إدريس العمراوي إلى القنصل العام الفرنسي
في طنجة حول حق أهل تلمسان في مبايعة مولاي عبد الرحمان

الجيش لم يطرح طوال هذه المدّة. بل يمكن القول إن "العدوّ الجار" نفسه، لم يكن يعتبر هذا الضعف كإحدى المسلّمات، على الرّغم من اقتناعه تماما بأنّ "الإمبراطورية المغربيّة" كانت تعيش عهد انحطاط معرفي واقتصادي وسياسي، وعلى الرغم من تأكّده الذي لم يكن يعتريه أيّ شكّ، من تآكل الأسلحة المغربيّة وبدائيتها، وانعدام فعاليتها في حالة مواجهة عسكريّة مع قوة غربية[4]. ولم يكن هذا الشك نابعا فقط من تأثيرالمخيّلة التاريخية التي علقت بها ذكرى وادي المخازن، بل تخوّفا حقيقيا من ميكانيزمات الدّفاع، التي كان ينطوي عليها النظام العسكريّ المغربيّ، والتي كان في الإمكان أن تنبعث إذا تعرّضت البلاد لخطر الاحتلال. إذ أنّ النواة العسكريّة المخزنية على ضعفها، كان في إمكانها أن تصبح مبلورا للقوات القبلية التي كانت تشكّل هاجسا أساسيا للأوربيّين[5]، حتى حينما صار هذا الضعف مؤكّدا بعد تعرّض المغرب في أقل من خمس عشرة سنة إلى هزيمتين عسكريّتين.

وقد دخل المغرب وفرنسا منذ 1830م في اختبار قوي، حرص فيه كلّ منهما على تأكيد سيادته وتفوّقه، وعلى إضعاف الآخر، مع تحاشي المواجهة المباشرة والشّاملة. وقد بدأ مولاي عبد الرّحمان هذه المرحلة، بإظهار عزمه على احترام

---

(4) A.M.G.V., C. 1, Rapport de Commandant Burel, *op.cit.*

(5) بقي التخوف من النداء للجهاد يشكل هاجسا للأوروبيين حتى في عهد مولاي عبد العزيز ومولاي حفيظ، يظهر هذا في تقرير للجنرال اليوطي المقيم العام الفرنسي في المغرب لرئيس الحكومة الفرنسية بتاريخ 1 غشت 1912 "لو كنا وجدنا أمامنا جبهة مغربية موحدة، لكنا احتجنا لوسائل أخرى ومصاريف أخرى. ولو كانت هذه الجبهة قد وجدت قائدا متعصبا يكره الأجنبي وذي سطوة لكانت حالتنا حرجة".

حول هذا التخوف كذلك :

Le Comte de Saint Aulaire, *Le Maroc avant et après Lyautey*, Flammarion, Paris, 1954, pp. 200 - 201.

الذي يتكلم على الحراسة المشددة التي كانت على أبواب القصر بالرباط، بعد توقيع معاهدة الحماية، وعلى السلطان مولاي حفيظ عندما كان يخرج للنزهة، خوفا من أن يتجه نحو الجنوب وينادي للجهاد.

العقد السياسي الديني، فقبل بيعة أهل تلمسان[6] وأرسل جيشا من العبيد والودايا لتأكيد السيادة المغربيّة على هذه المنطقة، وأرهف السمع للتحمّس الشعبي للجهاد ضد "العدو الكافر"، وشرع في تفقد حاميات السواحل[7] وفي اقتناء الأسلحة. وقدّم الإعانة المادية والمعنوية للمجاهد عبد القادر[8] وسلك سياسة "لم آمر بها و لم

---

(6) في 1830م، قدم وفد من تلمسان إلى وجدة وطلب من العامل إدريس بن حمان الجراري الوساطة لدى مولاي عبد الرحمن بقبول بيعتهم، ثم قدم الوفد إلى مكناس لتقديم طلبه، فقام السطان باستفتاء العملاء، فأفتى أغلبيتهم بعدم قبول البيعة معللين ذلك بأن أهل تلمسان في "عنقهم بيعة السلطان العثماني" فقام علماء تلمسان بالرد عليهم، وانتهى الأمر بقبول مولاي عبد الرحمان البيعة وإرسال مولاي علي بن سليمان على رأس جيش من أعيان الودايا والعبيد إلى تلمسان حول فتاوى العلماء انظر : جواب التّسولى علىسؤال الأمير عبد القادر، مخ، خ.ع.، رقم 1198 D.

(7) في رسالة من مولاي عبد الرحمن لابنه سيدي محمد، وأخرى لعاملي الرباط وسلا محمد بن الحاج محمد السويسي، والقائد بوعمر بن الحاج الطاهر فنيش، "يأمر السلطان بتفقد المدافع والحاميات وتعمير الأبراج بأهلها" عبد الرحمن بن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 5، ص. 44 – 46.ويظهر هذا كذلك من الظهائر المتعدّدة التي أرسلها لعبد الرّحمان أشعاش ليعتنى بالبحرية وبأجورهم وكسوتهم :كنّاش الجيش 5/2 خ.ح.

(8) حول هذه الإعانة، انظر : A.E.P., C.D.M. 5

ولد عبد القادر سنة 1808 في كتنة من واد الحمام بالقرب من مسكرة بالجزائر وكان أبوه، الذي يرجع بأصله إلى الحسن بن علي، مقدّما لزاوية قادرية. وقد التجأ له أهل تلمسان بعد أن سحب مولاي عبد الرّحمان جيوشه منها لمواجهة الفوضى التي عمّت، وسمّاه السّلطان خليفته على تلمسان، وبعد عدّة انهزامات أمام الفرنسيين تنازل لابنه عبد القادر الذي أعطاه بعض رؤساء القبائل لقب سلطان ولكنّ سكّان تلمسان لم يعترفوا به إلّا بعد أن تعهّد بأنّه لن يكون إلا خليفة سلطان المغرب. وبعد أن كبّد الفرنسيين خسائر وعدّة انهزامات وقّع مع دميشيل قائد الجيش الفرنسي بوهران معاهدة سلم بواسطة يهوديين في 26 فبراير 1834 ؛ وفي هذه المعاهدة يعترف الفرنسيّون "بأمير المومنين عبد القادر بن محيي الدين" كباي مسكرة، ويعترف عبد القادر بالوجود الفرنسي في منطقة وهران. وبعد مدّة تبادل فيها الطرفان السّفراء وقوّى فيها عبد القادر نفوذه على القبائل المجاورة ودخل الطرفان من جديد في صراع، خصوصا بعد

تعيين الجنرال كلوزيل الذي هزم جيوش عبد القادر في 6 دسمبر 1835 ودخل مسكرة، ولكنّ قلّة جنوده ومعارضة الحكومة الفرنسية لسياسته جعلته ينسحب من المدينة بعد أن هدّم عتادها الحربي فدخلها الأمير عبد القادر من جديد وأخذ جهاده نفسا جديدا وكبّد الفرنسيين خسائر جسيمة قلّصت منطقة نفوذهم. واستطاع باستعمال السّلاح تارة والسّياسة تارة أخرى، أن يجعل فرنسا تقترح معاهدة تافنة في 15 يونيو 1837 تعترف فيها بسلطته على ما يقارب ثلاثة أرباع الأراضي التي كانت تحت حكم الدّاي سابقا ويعترف هو بسلطتها على مدينة وهران وأرزو وقسما من منطقة الجزائر العاصمة ومزكران. ولكنّ رفضه الفصل الثاني من المعاهدة الذي يحدّ من منطقة نفوذه أدخل الطرفين من جديد في مواجهات عسكرية واستطاع تحقيق انتصارات بالقيام بهجومات مفاجئة ضاربا الجيش الفرنسي في جبهات مختلفة، ولكنّ رجوع بوجو للجزائر واستعماله نفس الأساليب الحربية التي كان عبد القادر يستعملها وسقوط محلّة هذا الأخير في يد الأمير دومال في 16 مايو سنة 1843، دفعه للحدود المغربية ولمواجهة هجوماته أسّس الفرنسيون مركزا في لالا مغنية في شرق وجدة ممّا جعل المواجهة بين فرنسا والمغرب شيئا حتميا. وطوال هذه المدّة وجد عبد القادر مساندة معنوية ومادّية من طرف المغاربة حيث كان جيشه يضمّ عددا كبيرا من الأنجرة وقلعية، وكذلك من طرف السّلطان مولاي عبد الرحمن الذي كان يزوّده بالسّلاح ويلقّبه في مراسلاته بـ "محل الولد البار المرابط المجاهد، المنصور في المواقف والمشاهد". ولكن بعد انهزام المغرب في إسلي واستمرار عبد القادر في الهجوم على الجيش الفرنسي، انطلاقا من الأراضي المغربية ورفضه الاستقرار بفاس والتفاف عدّة قبائل مغربية حوله، دخل في مواجهات مسلّحة مع المخزن وانتهى الأمر بانهزامه وباستسلامه للفرنسيين في 21 دسمبر1847 بشرط السماح له بالذهاب للشّرق والتدخل لدى السّلطان لإطلاق سراح خليفته البوحميدي. وتدلّ الكلمة التي قالها لكوزان مونطبان Cousin Montauban على الطّموحات التي كانت له، فعندما سلّم نفسه للفرنسيين قال : "لو كان لي رجال على الشاكلة التي عندكم لكنت الآن في فاس".وتوفّي عبد القادر في سوريا في 26 مايو 1883. حول الموضوع :

Ph. Destailleur Chanteraine , *op. cit.*, p. 235.

تسؤني" مع القبائل المغربيّة الشّرقية، التي كانت تتوغّل في التراب الجــزائري وتغـير على الجيش الفرنسي"[9].

ولجأت فرنسا إلى كلّ أنواع الضغوط ومظاهر القوّة والمناورات التي كــانت ترمي إلى إضعاف المخزن وشعبيته، بإظهار عجزه أمــام السـكان، كإظهـار السـفن الحربية على السواحل المغربيّة، بل وبتنظيم توقفات منتظمــة للسـفن العـابرة للبحـر الأبيض المتوسط والمتوجهة للمحيط الأطلسي أمام طنجة لنشر الرعب والبلبلـة[10]. واختارت وقت الأزمات الداخلية كثورة الودايـا[11] والغـرب سـنة 1831م، لتوغّـل

---

(9) كان مولاي عبد الرحمن مثلا، يعطـي الأوامـر لشـيوخ بعـض القبـائل بـالتحرّك بخيامها علـى الحدود كأنها تتبع الكلأ لرعي المواشي وبإظهار مظاهر القوة".

رسالة مولاي عبد الرحمن للشيخ ابـن زيـدان في شـوال 1251. في **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 5، ص. 39.

وكان يردّ على احتجاجات فرنسا إثر كل غارة تقوم بهـا القبـائل المغربيـة علـى الحـدود بأنـه ليست له سلطة على هذه القبائل.

(10) A.E.P., C.D.M. 5.

كتب وزير البحرية إلى قائد البـاخرة الحربيـة لاكورفيـط La Corvette المتوقفـة في قـادس أن يقوم بتوقّفات منتظمة أمـام طنجـة وتطـوان وأن يذيـع الخـبر بـأن سـفنا أخـرى سـتتبع لقنبلـة المدينتين.

(11) حول ثورة الودايا :

مخطوط الابتسام، خ.ع.ر.، ج. 114، ص. 28 – 38.

ابن زيدان، **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 5، ص. 25 ـ 37.

أحمد الناصري، **الاستقصاء، س.ذ.**، ج. 9، ص. 32 ـ 40.

بدأت ثورة الودايا حينما حـاول مـولاي عبـد الرحمـن القبـض علـى رؤسـاءهم كالطـاهر بـن مسعود ومحمد بن فرحون على أثر رجوعهم من تلمسان بعدما قاموا بنهب ضواحي تلمسـان حيث " احتلّوا الإمارة، ونبذوا القـانون الـذي كـان متعارفـا عنـد أهلهـا... فـأنكر النـاس... ذلك...".

وقد حاول السلطان مولاي عبد الرحمن الانتقال إلى مكناس للاسـتعانة بـالعبيد ولكـن الودايـا قبضوا عليه وأرجعوه للقصبـة، ثـم اسـتطاع أن يلتجـئ إلى جنـان بوجلـود ويغلـق الأبـواب،

الجيش الفرنسيّ في الحدود الشرقية، وإرسال إنذارات صارمة والقيام بمناورات سياسية كمحاولة إقناع المخزن تارة بخطر شعبية عبد القادر وأطماعه وتواطئه مع القبائل المغربيّة ضده[12]، وتارة بعزمها على التحالف مع عبد القادر، وتدعيمه ضدّ السّلطان، والبحث بين أقرباء السّلطان عن بديل محتمل لزعزعة الاستقرار[13]. كما سعت لإحباط كلّ ما من شأنه أن يقوّي شعبية المخزن ومعنوية المغاربة، فتحرّكت دبلوماسيا حينما علمت بنيّة إسبانيا في التنازل عن حجرة بادس ومليلية لما كانت تواجهه من صعوبات مالية بسبب حروبها الأهلية وأثنتها عن عزمها، لأنّ هذا التخلي كان من شأنه أن يقوّي شعبية المخزن، "ويجعل المغاربة يؤمنون بأن الأوروبيين عاجزون عن البقاء فوق أرض إسلامية[14]، وكتشجيعها للسويد والدانمرك على التخلّص من الإتاوة التي كانتا تؤدّيانها للمغرب[15] وقد توّجت هذه المرحلة بمعركة إسلي التي جاءت ملائمة لأسلوب تردّد الطرفين وازدواج اللغة وسياسة لا حرب ولا سلم. فاحتلال الفرنسيّين الالامغنية، ومطاردتهم لعبد القادر داخل التراب المغربيّ، وأحداث مايو 1944م ويونيو من نفس السنة، حتّمت

---

وأرسل لجيش البخاري للقدوم لفاس وقد دامت المعارك بين الوادايا الذين انضم إليهم بعض العبيد، وولاد جامع، وبين السلطان الذي استعان بالعبيد، والقبائل الحوزية والقبائل الغربية عدة أشهر، حوصرت فيها فاس، وانتهى الأمر بصلح اشترط فيه الوادايا عزل الوزير بن إدريس، والقاضي مولاي عبد الهادي، ولكن السلطان لم ينته من إخضاع الوادايا إلا بعد ثلاث سنوات، أسقطهم فيها من الجندية وشتتهم عبر مختلف أقاليم المغرب و لم يشارك الوادايا في معركة إسلي.

وفي هذه الأثناء أرسلت فرنسا إلى السلطان دي موروناي De Mornay يحمل تهديدات بتدخل عسكري إذا لم يكف عن إعانة المجاهد عبد القادر.

Augustin Bernard, *op. cit.*, p. 300.

(12) A.E.P., C.P.M. 15.

(13) رسالة من بيجو Bugeaud إلى الأمير دوجوانفيل De Joinville : A.E.P., C.P.M. 15

(14) **ن.م.س.**

(15) انظر القسم الأول، الهامش رقم 141.

De Castrie, « Le Danemark et le Maroc », 1750, in *H.T.*, T.VI, p. 248.

على الطرفين الدخول في مواجهة مسلحة مباشرة، ولكن كلا منهما كان يرمي قبل كل شيء إلى تحقيق غاية سياسية عن طريق عملية عسكريّة محدودة.

## 2 ـ معركة إسلي

فقد كانت مهمّة بيجو[16] Bugeaud والأمير دوجوانفيل[17] De Joinville هي القيام بعمليات خاطفة "لتأديب" المخزن وإشعاره بقدرة فرنسا على نسف موارده

---

(16) روبرت طوماس بيجو Bugeaud Thomas Robert، 1784-1849م، لقب بدوق إسلي بعد انتصاره في معركة إسلي من أصل إرلندي ابتدأ حياته العسكرية داخل الحرس الإمبراطوي سنة 1804 وتميز في الحروب البروسية والبولونية والإسبانية ساند نابليون بونابرت إبان فترة (100 يوم) مما تسبب في إبعاده من الجيش بعد العودة الثانية للملكية، ليشتغل بالفلاحة في ضيعته بـ Perigord و لم يرجع للجيش إلا مع ملكية يوليوز انتخب ممثل دوردوني Dordogne في البرلمان كلف بحراسة ذوقة Duchesse De Bery في قلعة لوبلي مما عرضه لعداء "الشرعيين" والجمهوريين خصوصا بعد أن قتل برلمانيا جمهوريا في مبارزة لأنه نعته بالسجان وكذلك لمساهمته في قمع ثورة أبريل 1834م. أرسل للجزائر سنة 1836م لفك الحصار عن معسكر تافنة ثم رجع لباريس ليعود من جديد للجزائر في 1838م باستدعاء من الجنرال الذي خلفه Clausel بعد فشل هذا الأخير في الهجوم على قسطنطينة، وعين قائدا لجيش وهران، وقام بإبرام معاهدة تافنة مع الأمير عبد القادر بعد انهزام الجنرال فالي Valée أمام مليانة، في سنة 1841م عين محله حاكما للجزائر. ويعتبر تعيينه مرحلة حاسمة في تاريخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر. فقد نهج سياسة توسعية عسكرية عنيفة حيث اعتبر الفرق بين سياسة من سبقوه وبين سياسته "كالفرق بين وتيرة سرعة طلقة البندقية ووتيرة المشي على الأرجل". في 10 ماس 1845م، على إثر سقوط محلة الأمير عبد القادر في يد دوق D'Aumale، رقي إلى مرتبة مارشال ـ سلك سياسة عنيفة على الحدود المغربية، منطلقا من نظرية "الجزائريون لن يتحركوا ما دامت فرنسا تتغلب على القبائل المغربية تماما كما كانت بلاد الغال الناربونية La Gaule Narbonnaise لا تتحرك حينما كان الرومان يتغلبون على فرسان جتوركس والسويسريين والألمان. بقي بوجو في الجزائر ثلاث سنوات بعد معركة إسلي، مارس فيها كل أنواع القمع ضد القبائل الجزائرية والمغربية. وبعد تعويضه بدوق D'aumale صار عضوا في المجلس الدستوري. وكان المحافظون ينظرون إليه كمرشح للانتخابات الرئاسية. ولكنه تنازل للويس

التجارية، وتكسير سمعته العسكريّة. ففي نفس الوقت الذي كان فيه الأمير دوجوانفيل يقنبل طنجة(18) في 6 غشت 1844م والصويرة في 15 من نفس الشهر(19) لإشعار المخزن بأن البلدان الأوروبية بما فيها الصديقة إنجلترا لا تنوي حمايته، وأنّ البعد الجغرافي لايعوق فرنسا من استهداف ميناء من أكثر موانئه

---

نابليون الذي عينه قائد جيش الألب في عام 1849م، انتخب عضوا في المجلس التشريعي "La Législative" وتوفي بالكوليرا في نفس السنة.

A.E.P., P.M. 11.
Weygand, *Histoire de l'armée française*, Paris, 1953.
Paluel ; Marmont ; Bugeaud, *Premier français d'Algèrie*, Mame, Paris, 1944.
Augustin Bernard, *L'Algerie*, Librairie Felix Alcan, Paris, 1929, pp. 190-191 et 207-208.

(17) الأمير فرنسوا فرديناد فليب أورليون François Ferdinand Philippe D'Orléans، 1818 – 1900م ثالث أبناء ملك فرنسا لويس فيليب Louis Philippe، تخرج من المدرسة البحرية الحربية سنة 1839م، وصار Pair de France في 1840م. اكتسب شعبية بسبب معارضته لكيزو Guizot. نفي مع أبيه في 1848م. وعاش في انجلترا والولايات المتحدة رجع إلى فرنسا في 1871م وحارب تحت اسم مستعار ثم أعيد له الاعتبار بعد انتخابه في المجلس الوطني. وأعطى له لقب خليفة أميرال vice amiral، ثم فارق الحياة السياسية في 1876م. خلف دراسات حول المسائل البحرية.

(18) التعليمات التي أعطاها الأميرال ناكان Nackan للأمير دوجوانفيل بتاريخ 16 يوليو 1844م في E. Renard De Card, *Les traites entre la France et le Maroc*, A. Pedone éditeur, Paris, 1893, pp. 44 - 45.

(19) كان الأسطول الفرنسي الذي قنبل طنجة والصويرة مركبا من فركاطتين أسمودي ولابيل بول La belle poule et l'Asmodée وبواخر حربية من بينها بلوتون Pluton والزمرّدة Rubis وتريتون Triton وجمابس Jemmapes وسوفرين Suffren.

وكان على ظهر هذا الأسطول 1200 بلطجي Sapeurs، 200 من الرماة والبحريين 700 من المشاة و750 من البحارة. قبل قنبلة طنجة أعطيت أوامر سرية للوزراء المفوضين الأجانب بالرحيل عن طنجة، كان أول من ارتحل هو Nion الوزير المفوّض الفرنسي وعائلته، كما أنّ الأغنياء حملوا أمتعتهم وفرّوا نحو فاس.

نشــاطا[20]، كــان بوجو يقوم بعمــلية عسكريّة خاطفة، أخضعها لمنـاورات مسبّقة

---

لم يصل نبأ قنبلة طنجة للسلطان إلا بعد أن وصل إلى الرباط قادما من مراكش حينما علم بنبإ موقعة إسلي. وكان أشعاش قد أرسل للسلطان رسالة مؤرخـة بـ 23 رجـب 1260هـ أي 13 يوما بعد قنبلة طنجة، يخبره بالخسائر الـتي وقعـت وأن الأسـطول اتجـه نحـو العرائش والربـاط والصويرة لقنبلتها.

قدّر عدد القذائق التي استعملت ضد طنجة بـ 6000، أصابت على الخصوص المسجد وهدّمت كل التحصينات. E.Renard, *op. cit.*, p. 44

رسالة من بيجو Bugeaud للأمير جوانفيل بتاريخ 16 يوليوز 1844م. A.E.P, C.D.M. 5.

عبد الرحمن بن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 5، ص. 56 – 57.

(20) رسالة من جوانفييل لوزير البحرية يوليوز 1844م. A.E.P, C.D.M. 5

وفعلا كانت الصويرة التي بناها سيدي محمد بن عبد الله في 1764م من أنشط المـدن المغربيـة، حيث جلب لها أنشط العناصر اليهودية في المغرب واحتفظت التجارة في هذه المدينة بنشـاطها، رغـم الأزمـات المتعـدّدة مـن مجاعـات وأوبئـة واضطرابـات داخليــة، وهجومــات القراصنـة الأجانب. إذ كانت الميناء الأمامي لمراكش. كما كانت موجودة على الطريق التجاريـة المـارّة من الساحل إلى الصـحراء ومنها إلى إفريقيا المدارية، وكذلك ميناء لنقل الحجاج، كما كانت على علاقة مباشرة مع إنجلترا، وهولاندا. زيادة على أنها جذبت إليهـا كـل النشـاط التجـاري الذي كان يمر من أكادير. ونشاطها التجاري هذا جعـل الـدول الغربيـة، تعين فيهـا قنـاصل محترفين منذ 1836م. وقد شجعت التعرفة الجمروكية التفضيلية التي طبقّها المخـزن في الصويـرة على هذا النشاط مثلا 50% من الصوف الـتي كـانت تصـدر مـن المغـرب، كـانت تخـرج مـن الصويرة. وبصفة عامة، كــان نشــاط مينـاء الصـورة، يمثـل 36 إلى 51% مـن مجمـوع النشــاط التجاري البحري المغربي.

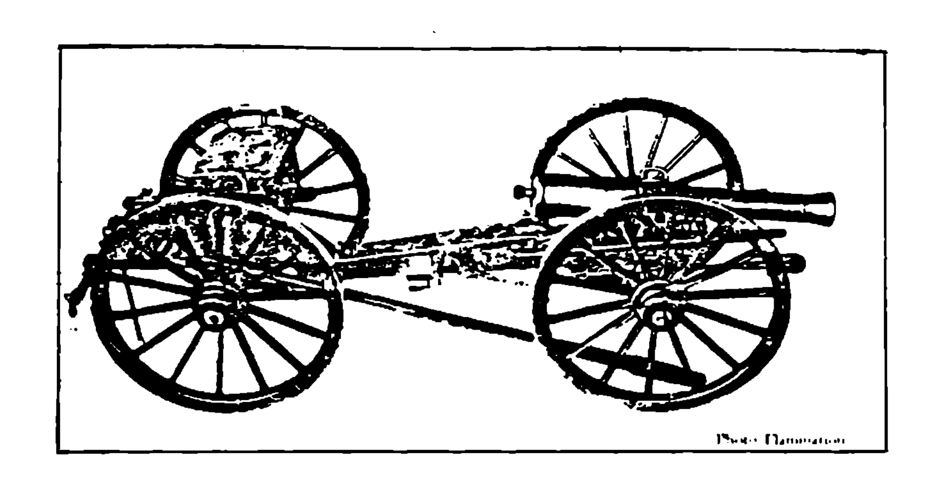
حول نشاط الصويرة :

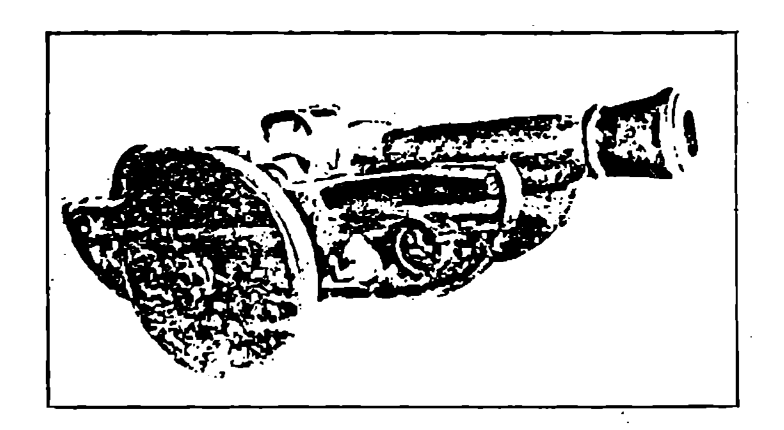
J.L. Miège , « Mogador », in *Encyclopédie France d'Outre Mer* , 1957.

وحينما قنبل الأسطول الفرنسي الصويرة أنزل بها 500 من المشاة البحريين لم يخرجوا منهـا إلا بعد توقيع معاهدة طنجة.




الجنرال بوجو الذي لقب بدوق معركة إسلي بعد انتصار
على الجيش المغربي في 14 غشت 1884





نوع المدافع المستعملة من طرف الفرنسيين في حرب إسلي

ليضمن لها كل حظوظ النجاح[21].

أما مولاي عبد الرّحمان، فقد أراد أن يقوم بدوره السياسي الديني والعسكري ويظهر القوّة العسكريّة، من جهة، ليستجيب لرغبة الرعية في الجهاد، ومن جهة أخرى لإرهاب العدو، دون أن يشعل حربا شاملة[22]، خصوصا وأن

---

(21) بعد قنبلة طنجة قرر Bugeaud الذي كان موجودا في وحدة الهجوم على المعسكر المغربي الذي كان في إسلي. وفي اليوم السابق للمعركة أثناء استقباله من طرف الفرقة الثانية لجيش إفريقيا قام بتفسير الاستراتيجية التي سيتبعها في المعركة وهي تشكلة جيشه على شكل "رأس خنزير" تتظافر فيه الجهات الأربعة كما بين لهم الدور الذي خصص للفرسان وكان هذا بحضور الجنرال Lamoricière : Général Weygand, *op. cit.*, pp. 236 - 277

(22) يظهر هذا من الرسائل المتعددة التي أرسلها مولاي عبد الرحمن قبل إسلي مباشرة، إما لابنه سيدي محمد، أو لعامل طنجة، أو لعامل الرباط، أو عامل سلا، والتي يتكلم فيها السلطان عن "الأعداء أهلكهم الله حسبوا كل بيضاء شحمة. وقويت أطماعهم". "يجب إظهار القوة الإسلامية، والاستظهار بالعدة والعدد، ليرى ما يسوؤه" و"القصد بهذا إظهار عزة الإسلام، وإلا فالعدو قصمه الله في هوان"، والاستظهار بالعدة فإن ذلك يفت في عضد الكافرين ويرهب المشركين، ويرعبهم"، "ليرى من ذلك ما يسوؤه، ويبلغ الشاهد الغائب". "إرسال جيش القبائل خيلا ورماة للصويرة، وعمارة ساحتها بلعب البارود".

كما أن رسالة سيدي محمد بن عبد الرحمن، التي أرسلها لأبيه بتاريخ 20 رجب 1260هـ، أي 15 عشر يوما قبل وقوع معركة إسلي، توحي بأنه لم تكن له أوامر بالقتال، وإنما كلف بالمفاوضات من أجل خروج الفرنسيين من مغنية والتزامهم تفنة، كحد بين الجزائر والمغرب. ويظهر منها أنه كان حائرا بين الأوامر التي تلقاها، وبين ضغط القبائل التي اجتمعت عليه حين وصوله إلى المناطق الشرقية، والتي كانت تريد مبادرة الجيش الفرنسي بالقتال. وتقول :

"إن تمادى على البقاء بها، مع توفر أسباب إخراجه منها الآن، وذهبت هذه الجموع وبقي بها مدّ يده ورجله. فلا ينفع إلا الجدّ. وإن تفرقت هذه الجموع، وكذا الحراك قالوا إن رجعنا وأبقينا هذا الكافر بمحله ذهب عملنا".

ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 38- 54 .

كما أن Bugeaud في تقرير له بـ 17 غشت 1844م للأمير جوانفيل يقول بأن الجيش المغربي لم يكن يوحي بأنه يريد المعركة، وأنه يشعر بأن المغاربة كانوا يريدون فقط القيام بمناورات

أحداث 30 مايو[23] و15 يونيو 1844م[24] التي ذهب ضحيتها 275 من مشاة القبائل، ودخول الجيوش الفرنسيّة لوجدة، وردود الفعل العنيفة للسكان والإنذار والشروط التعجيزية التي وضعتها فرنسا على إثر الحادث، لم يترك مجالا للاستمرار

---

يستغلونها كانتصار. وبما أنه لم يكن يريد أن يكتسب المغاربة قيمة في أعين إخوانهم في الدين، فإنه استغل هذه "الفرصة المشروعة وهجم عليهم لا رغبة في هزم المغاربة ولكن للمصلحة الجزائرية". AE.P, C.D.M. 5

(23) في 30 ماي 1844م هاجم فرسان من المخازنية الجنرال لاموريسير Lamoricière الملقب "بيوهراوة" الذي كان مخيما في سيدي عزيز على الحدود الجزائرية المغربية، وقد صعّدت فرنسا الحادث، خصوصا وأنه كان من بين المهاجمين الشريف سيدي مامون بن الشريف، الذي له صفة مخزنية. فأرسل وزير الخارجية كيزو Guizot تعليمات واضحة للقنصل الفرنسي في طنجة نيون Nion من بينها مطالبة الإمبراطور بسحب الجيوش المغربية الموجودة في وجدة، وجعل حد لشراء الأسلحة لما في ذلك من تهديد للجزائر. والتزام الحياد وجعل حد لإعانة عبد القادر، وطرده من المغرب. ومعاقبة قائد وجدة والمسؤولين عن الحادث. وفي انتظار الرد المغربي قامت بمناورات بحرية أمام طنجة.

(24) في 5 يوليو 1844م دخل الجنرال بيجو Bugeaud الذي كان موجودا في فرنسا إلى مرس الكبير. وفي 12 من نفس الشهر، ذهب إلى الحدود بفيالق من الجيش لإعانة Lamoricière، ونظم لقاءا بين عامل وجدة، والجنرال Bedeau، للمفاوضات في بني وشين. وفي 15 يونيو من نفس السنة اجتمع الفريقان وكان على رأس الفريق المغربي بن الطيب الغنجاوي الذي تلقى الأوامر بأن "لا يفاتح بقتال" وعلى رأس الفريق الفرنسي الجنرال Bedeau ووراء كل منهما جيوشهما الجيوش الفرنسية تحت قيادة Lamoricière والجيوش المغربية تحت قيادة العربي الكبيبي. وأثناء المفاوضات وضح الغنجاوي أنه لتفادي هجومات القبائل يجب أن يعتبر الفرنسيون تافنة كحد بين المغرب والجزائر، وحينما سأله Bugeaud وإذا رفضنا، أجابه الغنجاوي : "إذن الحرب" وانتهت المفاوضات بانسحاب الجيش الفرنسي نحو مغنية ولكن الجيش المغربي هاجم مؤخرته فرجع Bugeaud وهجم على الجيش المغربي مخلفا بين 275 و300 قتيل، ثم دخل وجدة وعاث فيها.

رسالة من Bugeaud إلى الأمير دوجوانفيل A.E.P., C.D.M. 5 مؤرخة بـ 26 يوليوز 1844.

Renard Decard, *op. cit.*, pp. 46 - 47.

في سياسة التريث، فأعطى الأوامر من مرّاكش لابنه سيدي محمّد بالخروج من فاس للذهاب لتفقّد الحدود[25].

وفي صباح يوم الخميس 15 شعبان 1260هـ موافق 14 غشت 1844م خرجت الجيوش الفرنسيّة التي كانت على علم بتحرّكات الجيش المغربي[26] من لالامغنية بقيادة المارشال بيجو Bugeaud على هيئة النظام الذي حدّد لها من قبل لتهاجم الجيش المغربيّ الذي لم يعرف بخروج الجيش الفرنسيّ ولا بوجهته إلا ساعات قليلة قبل المعركة[27].

واجتازت الجيوش الفرنسيّة نهر إسلي للمرور إلى الضفة اليسرى منه، وحينما أصبحت مقابلة للجيش المغربيّ اجتازت النهر من جديد في حركة هجومية عنيفة.

---

(25) ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 42 ـ 47.
حينما وصل سيدي محمد لأحواز وجدة قبض على علي بن الطيب الغنجاوي، وخيم بجنوده بين وجدة والضفة اليمنى لوادي إسلي، ويسمى كذلك واد بونعيم. وهو من روافد نهر ملوية، في ناحية سهلية رغم نصيحة الأمير عبد القادر لهم بالتخييم بوادي زا، حتى تبقى المحلة في أمن من غارة الفرنسيين.

(26) كان Bugeaud على علم بتحركات الجيش المغربي وبما كان يصل من جيوش القبائل بواسطة جواسيس محليين. فقد أخبر في 3 يوليوز بوصول 1200 فارس بقيادة الشريف ميمون وبوصول 1000 من المشاة بقيادة القائد حميدة قائد سابق لوجدة رسالة من بوجو لجوانفيل :
A.E.P., C.D.M. 5.

(27) خرج الجيش الفرنسي في عشية 13 غشت وتوقّف في المساء. ثمّ استأنف السير من جديد في الثانية ليلا. وقد وصل أعرابيان في اللّيل للمعسكر المغربي، وأخبرا بتحرّك العدوّ، ولكنّ حاجب الأمير الطيب اليمني بوعشرين، رفض أن يوقظ الأمير من نومه ثم جاء أربعة أناس آخرون بنفس الخبر، فتلقّوا نفس الجواب. و لم يخبر الأمير إلا حينما استيقظ لصلاة الصبح.
**أحمد** بن خالد الناصري، **الاستقصاء**، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 51.
Augustin Bernard, L'Algérie, *op. cit.*, p. 218.

ورغم أن الجيش الفرنسيّ وجد نفسه محاطا بقوات تفوقه من ناحية العدد(28) وتقاتل "باندفاع" فقد استطاع بفضل الاستراتجية المحكمة، التي اتبعها بوجو، أن ينتصر في المعركة. فقد أعطى الأمر للفرسان الذين كانوا في أوّل الهجوم، في وسط التركيبة، يحيط بهم المشاة، بالمرور إلى الجانب الأيسر. وقام الكولونيل يوسف الذي كان يقود ستّ فرق من الإصباحية، معززة بثلاثة فرق من القناصة، بهجوم مكثف على المحلّة التي أطلقت مدفعيتها بعض الطلقات قبل أن تسقط بما فيها، في يد الفرنسيّين(29). وفي نفس الوقت كان الكولونيل موريس Morris الذي كان يقود ستّ فرق من الفرسان، يواجه الفرسان المغاربة الذين قاموا بهجوم مكثّف على الجانب الأيمن للجيش الفرنسيّ، وقد كانت هذه المرحلة أحرج المراحل التي واجهها الفرنسيّون في معركة إسلي، حيث دامت المعركة نصف ساعة، قتل فيها ثلاثمائة فارس مغربيّ خصوصا من العبيد، وكاد الكولونيل موريس Morris أن يتراجع، لولا الدّعم الذي قدّمه له الجنرال بيدو Bedeau قائد الجناح الأيمن حيث

---

(28) كان الجيش الفرنسي يتألف من 9500 جندي، في حين قدر المغاربة المشاركين في معركة إسلي بـ 30000 فارس و10000 من المشاة.

(29) غنم الفرنسيون 11 قطعة مدفعية، و18 علما، والأفراك الأميري والمظل ومراسلات الأمير سيدي محمد.

وقد أرسل أفراك سيدي محمد إلى باريس وعرض في حدائق قصر تويلري Tuilleries وتطلّب نقل الخيمة من المغرب 40 بغلا. وفككت إلى 148 حمل. ولإعادة تركيبها أحضر فرّاشا Tapissier وميكانيكيين يعملون بالأوبرا تحت مراقبة فونطين Fontaine مهندس الملك. وكان شعاعها 8 أمتار وعلوها 5 أمتار.

أما المظل فكان وزنه 7 كيلوغرامات ودائرته تبلغ 4 أمتار و34 سنتيمتر وعلوه 2 أمتار و38 س، وفي أعلاه كرة من الفضة المذهبة. وكان من الحرير الأحمر المطرز بخيوط ذهبية وفضية، وداخله من الحرير الأخضر. وكانت الأعلام الثمانية عشرة مختلفة الألوان والأقمشة فقد كانت مصنوعة إما من الصوف أو الخيط أو القطن أو الحرير وكثير منها كان ينتهي بأهذاب كما كان البعض منها يحمل كتابات مذهبة وهلالا.

J. Caillé, *La petite histoire du Maroc*, seconde série, 1727-1850, Edition Atlantique, Paris, 1950, pp. 115 - 117.

أطلق فرقة زواوة Zouaves[30] والفرقة الخفيفة والفرقة العاشرة لقناصة أورليان التي أرغمت الفرسان المغاربة على الانسحاب نحو الجبل. وفي هذه الأثناء انطلق قسم من فرسان الجيش المغربيّ من الضفة اليسرى في محاولة لاستعادة المحلّة الأميرية، ولكن المدفعيّة الفرنسيّة التي استقرت على الضفة اليمنى شتتت المهاجمين المغاربة، وحمت بطلقاتها المشاة الفرنسيّين في فرقة هوسار Hussards[31] والإصباحية[32] الذين كان يقودهم الكولونيل بانْيو Bagnon، إلى أن مرّوا للضفة اليسرى حيث شتّتوا حشود الجيش المغربيّ، واقتفوا أثره مسافة ميل، إلى أن تفرّق الهاربون، قسم منهم في اتجاه تازة، وقسم آخر في اتجاه الوديان المؤدّية لجبال بني زناسن، فرجع الجنود الفرنسيّون الذين كانوا قد أنهكتهم الحرارة والعطش والتعب للاستراحة في المحلة الأميرية[33].

(30) فرقة من المشاة أسّست داخل الجيش الاستعماري في الجزائر سنة 1831م، أصل الكلمة من زواوة وهي قبيلة من ناحية القبائل في الجزائر. في 1860م أسست فرقة الزواف البابوية من المتطوعين للدفاع عن الأراضي البابوية ضد الجيوش الملكية الإيطالية. وحلت هذه الفرقة سنة 1871م بعد انتهاء الحرب الألمانية الفرنسية.

(31) Hussard التسمية من أصل هنغاري Huzar .بمعنى vingtième 20/1 لأن الفرسان في هنغاريا كانوا في القرن الخامس عشر يجندون من البادية، على أساس فارس لكل 20 نار "كانون". وأطلقت التسميّة في فرنسا على فرقة الفرسان الخفيفة في القرن السابع عشر، لأن لويس الثالث عشر شكل في سنة 1692م فرقًا من الفرسان الهنغاريين. وبقيت هذه التشكلة، تتميز بالطابع الهنغاري. وكان الهوسار: مسلحين بسيف من الطراز التركي، وبندقية، ومسدسين، ويمتطون خيلا صغيرة.

(32) الإصباحية Spahis تشكلة من الفرسان أسّست في تركيا في القرن التاسع عشر على يد السلطان مراد الأول. وحين احتلت فرنسا الجزائر عاضدها الإصباحية واستعملتهم داخل جيشها بصفة ظرفية في إخضاعها للقبائل الجزائرية. وفي سنة 1833م أسست منهم فرقة نظامية أدمجت فيها عناصر أهلية مؤطرة بأطر فرنسية وبعد استعمار فرنسا لتونس والمغرب كونت تشكلات على نفس النمط.

(33) وصف المعركة جاء في تقرير للمارشال Bugeaud لوزير الحرب بتاريخ 19 غشت 1844م ونشر في صحيفة مونيطور إنيفرسيل Moniteur universel في 30 غشت 1844م وهذا

## 3 ـ حرب تطوان

وإذا كانت معركة إسلي لم تدم إلا عدّة ساعات، فإنّ حرب تطوان التي اندلعت في يوم السبت 15 ربيع الأوّل 1276هـ ـ نوفمبر 1859م قد دامت ما يقرب من أربعة أشهر، بقيت خلالها الجيوش الإسبانية بقيادة أودونيل تتوغّل داخل التراب المغربيّ من سبتة إلى تطوان(34).

---

الوصف لا يختلف كثيرا عن الوصف الذي جاء به المؤرخون المغاربة كمجهول الابتسام، والناصري، وأكنسوس، وابن زيدان، الذين يذكرون أن الأمير عبد القادر، نصح الأمير سيدي محمد، بأن لا يضرب محلته في منبسط إسلي، بل في منطقة جبلية، حتى لا يركز عليها الفرنسيون هجومهم. كما يذكرون أن الاضطراب أصاب الجيش المغربي، بمجرد ما ظن المحاربون المغاربة، أن سيدي محمد قد قتل حينما سقط المظل. ولعل نهب المحلة الأميرية من طرف الجنود المغاربة الذي يؤكده كل المؤرخين، داخل في إطار التسابق بينهم وبين الجيش الفرنسي حول الاستيلاء على المحلة. فتقرير بيجو ذكر أن المعركة كانت حامية الوطيس، حيث أن أغلبية القتلى الفرنسيين 27 والجرحى 90 أصيبوا في المرحلة الأولى للمعركة.

(34) كان السبب المباشر لحرب تطوان هو تمزيق أفراد من قبيلة أنجرة للعلم الإسباني وتلطيخه، وهدمهم لمخبإ بنته إسبانيا على حدود سبتة التي وسعتها على إثر الاتفاق الذي انتزعته من المخزن مباشرة بعد معركة إسلي سنة 1845م. والحادث في حد ذاته كان شيئا عاديا حيث لم تنقطع هجومات القبائل المغربية على حدود مليلية وسبتة منذ احتلالهما من طرف إسبانيا.
ولكن إسبانيا التي كانت تعيش أزمة داخلية حادة، اكتست طابع حرب أهلية، أعطت للحادث حجما دينيا ووطنيا لتوجيه وتوحيد الطاقات الداخلية المتطاحنة نحو حرب خارجية. كما أن الحادث أتاح لها الفرصة لتأكيد "حقوقها التاريخية" في المغرب أمام النفوذ الفرنسي المتزايد منذ معركة إسلي، والنفوذ الإنجليزي الذي توج بالمعاهدة التجارية المغربية الإنجليزية في 1856م. في حين بقي المغرب، يعتبرها "الجنس الدليل". وتدل الشروط التعجيزية التي وضعتها على سيدي محمد مباشرة بعد توليه العرش على أنها كانت عازمة على اغتنام الحادث لإعلان الحرب على المغرب. فقد كان من بين الشروط إعدام 12 فردا من قبيلة أنجرة في حامية سبتة أمام الملأ، وتوسيع أراضي سبتة. وقد انطلقت الحرب داخل حماس شعبي كبير، سواء في إسبانيا أو في المغرب.

وأثناء هذا الزحف واجه الجنود الإسبانيون الذين كان عددهم إثني عشر ألف جندي إسباني الذين كانوا مدعّمين بالمدفعيّة الخفيفة والسّفن[35] "الجيوش" المغربيّة التي كان نوعها وعددها وسلاحها يختلف حسب ساعة وموقع المعركة.

فعند ابتداء الهجوم لم يواجه الإسبانيون إلا المتطوعة من قبائل الأنجرة والقبائل المجاورة الذين لم يكن عددهم يتعدى خمسة آلاف، والذين كانوا مسلّحين بأسلحة تقليدية قديمة من خناجر وسيوف، وشواقير وبعض المكاحيل (البنادق) الحجرية[36] ومع هذا استطاع المتطوعة أن يوقفوا زحف الجيوش الإسبانية أكثر من خمسة عشر يوما، وأن يجعلوها تفضل التقدم عن طريق البحر والنزول بالفنيدق، حيث بقيت محاصرة هناك من طرف القبائل والجيش المخزني[37] الذي كان يقوده مولاي العباس[38]، ثم تقدّم الجيش الإسباني إلى "النكرو"[39]، وحوصر هناك ثمانية

(35) كان عدد الجنود الإسبان، في أول الحرب 44000 مدعمين بـ 14 بواخر حربية، وقد لجأت إسبانيا إلى تجار فرنسيين وإنجليز تكلفوا بكراء البواخر كالتاجرين المرسيليين بلوا Bloix، ولاكرانج Lagrange.

Ghanchar, *Espagne et Maroc, campagne de 1859 - 1860*, Paris, 1862, p. 2.

(36) بقيت قبائل الأنجرة ومن عاضدها من القبائل الهبطية تناوش الجيش الإسباني مدة 15 يوما.

الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 86.

محمد داوود، **تاريخ تطوان**، مطبعة كريماديس تطوان، الطبعة الثانية بدون تاريخ، الجزء الرابع، ص. 135.

(37) قدر عدد الجيش المخزن 32000 من المشاة وتسعة آلاف 9000 من الفرسان وقسم بين مولاي العباس وأخيه مولاي أحمد، وابن عودة عامل سفيان وبني مالك، والقائد محمد بن علي.

(38) ابن السلطان مولاي عبد الرحمن اشتهر بالعلم والحفظ، استشاره السلطان في أمر الخلاف المغربي الإسباني. وكان يميل للسلم، ويعتبر عمل قبائل الأنجرة "فضول لا يقال فيه جهاد".ولكنه فشل في إقناع أودونيل عن التنازل على الشرط المتعلق بإعدام 12 من قبيلة الأنجرة، الشيء الذي كان يعتبره مولاي العباس" إهانة المسلمين المؤدية لإهانة للدين". كلّفه السلطان بالإشراف على تسيير الحرب وبقيادة الجيش المخزني وبعد احتلال الإسبان لتطوان، شجع السلطان على قبول الغرامة الباهظة التي كانت تبلغ عشرين مليون ريال ذهبي، التي

أيام تعرّض خلالها لهجومات غير منتظمة من طرف القبائل، في حين لم يتحرّك الجيش المخزني من مكانه لإيقاف تقدم الجيش الإسباني[40] وكان "المدد" يصل هذا الأخير من سبتة عن طريق البر والبحر، إلا حينما وصل إلى أسمير وانقطع عن سبتة برا وبحرا مدة ثلاثة أيام، بسبب الأمطار وهيجان البحر وفيضان وادي أسمير. وأصبحت الاتصالات بينه وبين إسبانيا منعدمة، وتعرض الجنود الإسبان للمجاعة حتى سمّي المحل بمعسكر الجوع Campamento Del Hambre. ولم تغتنم الجيوش المغربيّة هذه المدة للهجوم عليه لانعدام التنسيق بينها.

وبعد انقطاع الأمطار تقدّم الجيش الإسباني نحو المضيق، ومنه فارق الساحل، ليتجه نحو تطوان. وفي فم العليق تكبّد خسائر فادحة في الأرواح والعتاد إثر معركة واجه فيها أيت يمور وأهل فاس وزرهون وأهل تطوان، ثم تقدم لبرج مارتيل وبقي هناك ثلاثة أيام، جدّد فيها قوته وعتاده، واستراح فيها الجنود دون أن تهاجمه القوات المخزنية الموجودة هناك : فمحلّة المولى العباس كانت نازلة بمحلّ بمرتفع بمدشر الفلاليين لايتعدّى دورها دور ملاحظ، ومحلّة المولى أحمد بن عبد الرّحمان التي أرسلها السّلطان من مكناس لتعزيز الجيوش المغربية، كانت نازلة بفم الجزيرة تنتظر الأحداث، ولاتأخذ أيّ قرار، ومدفعيّة مارتيل ظلت صامتة لم

---

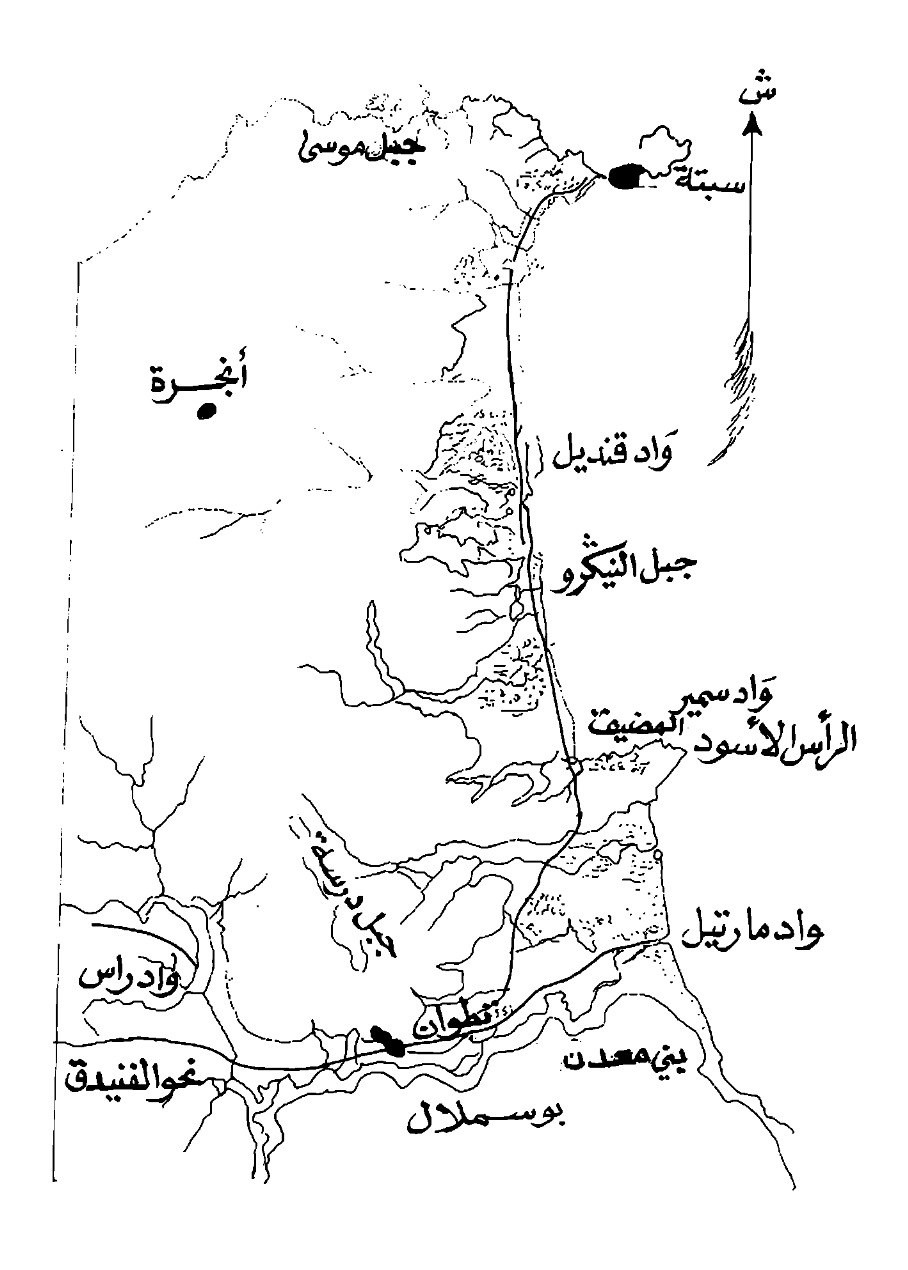
اشترطها الإسبان للخروج من المدينة قائلا "وكل ما كان من مال أو غيره الله يخلفه لمولانا ومن عنق البغاة يخرج". كما شجعه على إقامة السلم مع إسبانيا، حتى "يتفرغ سيدنا لأمور عظام كالاشتغال بالعسكر، والنظر في أمر هذه القبائل الذي هو آكد من ضرب العدو". رسالة مولاي العباس للسلطان في 8 رمضان 1276 هـ - 1860 م، أوردها ابن داوود، **س.ذ.**، ج. 4، ص. 134.

سكن مولاي العباس طنجة بعد حرب تطوان، وبقي السلطان يكلفه بمهام دبلوماسية مع النواب الأجانب، وخصوصا الإسبان - كان الفرنسيون يعتبرونه مرشح الإسبان بعد وفاة أخيه سيدي محمد - توفي يوم الثلاثاء 8 شعبان 1296هـ حول مولاي العباس، ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 112- 423.

A.E.P, M.D.M. 10, Rapport du 14 Mai 1866.

(39) محمد داوود، **تاريخ تطوان**، **س.ذ.**، ج. 4، ص. 134.

(40) أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء**، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 88.




**تصميم عام لمسرح الحرب الإسبانية المغربية**

**1860 - 1859**



مواقع الجيش المغربي والأسباني

تطلق ولو طلقة واحدة[41].

ثم لما استرجع الجيش الإسباني قواه انقسم إلى قسمين، وهجم على المحلتين في وقت واحد، دون أن يلقى منهما مقاومة تذكر، فقد تشتتت محلّة المولى أحمد عند الصدمة الأوّلى، وتقهقرت محلة مولاي العباس بدون قتال، إلى أن تركت تطوان بينها وبين الجيش الإسباني، وفتحت تطوان أبوابها للجيش الإسباني بعد أن تعرّضت للنهب. وباحتلال تطوان انتهى الدور العسكريّ للجيش المخزني، ولم يبق مرابطا بناحية تطوان إلا للمفاوضات من أجل الصّلح، في حين بقيت جيوش المتطوعيّن تكبّد الجيش الإسباني خسائر فادحة حتى بعد عقد الصلح[42].

## ثانيا - المخزن بين الضغوط الخارجية والداخلية

لم ينحصر انهزام المغرب في إسلي وتطوان في النطاق العسكريّ الضيّق، ولم يكن فقط تراجع جيش تقليدي ذي أسلحة عتيقة، ينقصه التنسيق والنظام، أمام جيوش نظامية مجهّزة بأسلحة عصرية، تتحرّك تبعا لتخطيطات محكمة ودقيقة ولاستراتيجية واضحة، بل أنّ هذا الانهزام تعدّى هذه الجوانب واكتسى صبغة أوسع وأكثر خطورة، صبغة صراع بين حضارتين تتراجع إحداهما تحت ضربات الأخرى.

فالمسألة لم تعد في الواقع مسألة مشادّة ظرفية، لايتلوها سوى تأرجح ضئيل في النفوذ، يمكن اعتباره ثانويا وأحيانا تجاهله كلياّ، لأنّه هامشي لا يمسّ بالأساس ولا يمسّ سيادة البلاد وجوهر نظامها ومؤسّساتها. بل بالعكس، إذ أصبحت

---

(41) M. Jolly, « La vie intérieure de la ville de Tetouan", in *A.M.*, T.VII, p.135.

(42) حينما احتلّ الإسبان تطوان قسّموها إلى أربع قيادات وأعطيت القيادة العليا للجنرال ديكو دو لوس ريوس Diego de los rios ؛ وحوّل الفدان إلى كنيسة سمّيت "سيدة النّصر"Nuestra dama de las victoria، ووقع الخلاف بين مولاي العباس وبين القواد الريفيين حول استئناف القتال. ورماه قائد يلقب بالحاج بالجبن، وكان هذا سببا في مقتل هذا الأخير.

M. Jolley, *op.cit.*, p. 135.

حول معركة تطوان :

Yviarte, *Sous la tente, récits de guere et voyage*, Paris, 1890.

Germond de la Vigne, *Les Espagnols au Maroc*, Bayle éditeur, Paris, 1889.

المعطيات الجديدة مخالفة تماما للنّماذج المعتادة، بحكم تغيّر طبيعة الخطـر وتحوّلـه إلى ضربات مميتة تستهدف النّيل من البلاد برمّتها.

وممّا زاد في تعقيد الأمور واستفحالها، تداخل المعطيات الخارجيـة، أو بعبـارة أدقّ الأطماع الأمبريالية، مع المعطيـات الداخليـة المتأزمـة، والارتبـاط الجـدلي بـين الضّغط الاستعماري بمختلف ألوانه، وانعكاساته الداخلية، وكذا الصبغـة التراكميـة لنتائج الجانبين، كلّ جانب يغذّي الآخر ويدعّمه.

## 1 ـ الضغوط الخارجية وعجز المخزن عن مواجهتها

لم تنقطع العلاقات بين أروبّا والمغرب بحكـم الجـوار الجغـرافي منـذ العصـور القديمة، وكانت دائما علاقة مدّ وجزر، تتقلّب بتقلّب ميزان القوة، وتتّخـذ شـكلا توسّعيا حينما تميل الكفّة لصالح أحد الطرفين، وشكل مبادلات تجارية ودبلوماسـية سلمية حينما تتكافأ القوى وتتساوى.

وإذا كان عهد المولى سليمان، في أوائل القرن التاسع عشر قد سـجّل فتـورا نسبيا على هذا المستوى، فليس معنى ذلك أن اهتمّام الطرفين ببعضهما قـد انقطـع وانتهى، بل بالعكس.

ففتور المرحلـة الممتـدّة مـن سـنة 1792م إلى حـدود 1821م أو 1830م، وهـي مرحلة يعتبرها المؤرّخون مرحلة انتظارية أو ترقّبية، دفع المغرب إلى محاولة الانعزال، علما منه أن الانفتاح علـى أروبـا وتعزيـز العلاقـات التجاريـة مـع دولهـا، أصبحـا يشكلان على الأمد البعيد، خطرا على استقلال البلاد وسـيادتها، وتهديـدا للنظـام السياسـي والاقتصـادي والاجتمـاعي القـائم. إلا أن اسـتراتجية الاحـتراز كـانت في الواقع محاولـة عقيمـة، وغـير منسـجمة مـع متطلّبـات العصـر التقنيـة والاقتصاديـة والعسكريّة، خصوصا وأن أروبّا التي تفرّغت منذ سنة 1815م عنـد انتهـاء الحـروب النابوليونية صارت تشنّ غارات متشدّدة على "الثغور" المغربيّة، كـالعرائش وسـلا، مستهدفة الأسطول ووسائل الدّفاع البحري.

والواقع أن تنظيم ردود فعل عنيفة "لتطهير" البحر الأبيض المتوسـط والمحيـط الأطلسي مــن "القراصنـة"، سـواء كـانوا مـن أهـل سـلا أو الجزائـر، أو تونـس أو طرابلس الغرب، وتأمين الحركة الملاحية، تزامن مع تزايد الاهتمّام الأروبـي بمـوارد

المغرب الطبيعية الفلاحية في الدرجة الأولى، وبإمكاناته الاستهلاكية، ممّا دفع بالعديد من الدّول، إلى إبرام اتّفاقيات مع "سلطان فاس" مكناس مرّاكش وسوس، مثلا معاهدة صيد مع البرتغال سنة 1821م، وتجديد المعاهدة التجارية مع انجلترا سنة 1824م، ومع فرنسا سنة 1825م، ومع بلجيكا سنة 1834م، وكذلك تجديد معاهدة الصّداقة والسّلام مع الولايات المتحدة سنة 1836م.

إلا أنّ تحكّم المخزن الشبه المطلق، في مبادلات البلاد البحرية، بواسطة فئة "تجّار السّلطان" والسلاح الجمركي، كان يشكّل عائقا أساسيا يحول دون تنمية هذه المبادلات، وذلك ما دفع بالدّول الأروبية، إلى بذل قصارى جهودها لانتزاع معاهدات تضمن "حريّة التجارة" التي كانت في صالح موادها المصنّعة، ولاقتناء حاجاتها من الموادّ الأوّلية، وأن تركز ضغطها على الخصوص على المخزن الذي كان مخاطبها الوحيد، لاحتكاره الميدان.

وقد أصبحت هذه المرامي نسبيا سهلة المنال بعد 1830م، وزادت سهولة بعد 1844م ثم بعد 1860م على الخصوص(43)، حيث اشتدّت الأطماع الاستعمارية، وارتبكت جوانبها التجارية بجوانبها الترابية. فبعد احتلال الجزائر، تحرّكت فرنسا لإتمام سيطرتها على إفريقيا الشمالية كلها، فضاعفت ضغوطها العسكريّة والسياسية والاقتصادية على تونس والمغرب، في انتظار الظروف الدبلوماسية الدّولية السانحة لإقحامهما في إمبراطوريتها.

ولمواجهة الأطماع الفرنسيّة بكيفية غير مباشرة، والمحافظة على التوازن في حوض البحر الأبيض المتوسط، ومضيق جبل طارق الاستراتيجي، نهجت إنجلترا مع سلاطين المغرب سياسة مماثلة إلى حدّ ما لسياستها تجاه الإمبراطورية العثمانية والصينية فكانت تقدّم لهم"نصائح" بواسطة ممثّليها وخصوصا ج.ذ.ه.J.D Hay الذي بقي على المسرح المغربيّ نصف قرن تقريبا، وتشجّعهم على القيام بإصلاحات تقدّمها على أساس أنّ من شأنها أن "تقوّي البلاد اقتصاديا وعسكريّا وسياسيا" وتصون سيادتها ووحدتها الترابية. غير أن سياسة "المحبّة" والصداقة هذه كانت

(43) انظر كلام الناصري : "ووقعة تطوان هي التي أزالت حجاب الهيبة عن بلاد المغرب، واستطال النصارى بها وانكسر المسلمون انكسارا لم يعهد مثله"، **الاستقصاء**، س.ذ.، ج. 9، ص. 101.

تتناقض مع سياسة انجلترا في الدّفاع عن مصالحها التجارية والضّغط الذي تمارسه لانتزاع تنازلات مخزنية لتسهيل تصريف منتوجاتها ودعم نفوذها في البلاد. وقد ارتفع هذا الضّغط منذ انهزام المغرب في معركة إسلي، حيث عملت انجلترا على انتزاع المعاهدة التجارية المغربيّة الأنجليزية سنة 1856م، وهذه المعاهدة شكّلت عاملا من العوامل الرئيسية التي أضعفت المخزن وتسبّبت في تأزّم البنية الاقتصادية التقليدية.

أما إسبانيا التي كان بينها وبين المغرب قرون من التاريخ المشترك، فقد اكتست العلاقات معها شكل مدّ وجزر، لتتحوّل منذ نهاية سيطرة الإمبراطورية العثمانية في حوض البحر الأبيض المتوسط بعد معركة لبانت Lépante سنة 1571م والتطهير العرقي للمسلمين في الأندلس، إلى حركة مدّ إسبانية. وقد اتّسمت علاقاتها مع المغرب عموما بالعنف منذ قمع المورسكيين، ونزوحهم للمغرب. وكانت الأماكن التي تحتلّها على ساحل البحر الأبيض المتوسّط، تتعرّض بدون انقطاع لهجومات الجيوش المخزنية، أو القبائل المجاورة من أنجرة وقلعية وغيرها، لتحريرها وإعادتهما للحضيرة المغربيّة، ولكن بدون جدوى.

ورغم احتلال إسبانيا لما كانت تسمّيه مواقع "السيادة" بدعوى أن المدينتين والجزر السالفة الذكر مجرّد امتداد لأراضيها، فقد كان نفوذها الاقتصادي محدودا قبل انتصارها في حرب تطوان، أو ما سمّته هي بحرب إفريقيا مبرزة بذلك أهمية أطماعها.

وقد كان ضعف المبادلات التجارية وأحيانا انقطاعها التام بين سبتة ومليلية من جهة، والمناطق المجاورة من جهة أخرى، وهجومات القبائل الريفيّة، من بين العوامل التي دفعت إسبانيا إلى التفكير مرارا في بيع هذه المواقع خصوصا وأنّ التكاليف المالية المترتّبة عن مرابطة الجيوش كانت مرتفعة.

إلا أنّ احتلال الجزائر وانتصار فرنسا على المغرب في معركة إسلي، غيّر الخريطة الجيوسياسية في المنطقة. فعوض فكرة التخلّي والانسحاب من المغرب، صارت إسبانيا تبحث عن الطّرق الكفيلة لبسط نفوذها وتحقيق أطماع توسّعية

جديدة. وقد غذّت حكومة مدريد هذا "الحنين" المغربيّ لتصرف أنظار الشعب الإسباني عن مشاكل البلاد الدّاخلية[44].

ومند معركة إسلي فرضت فرنسا وإنجلترّا وإسبانيا نفسها على مسرح الأحداث المغربيّة بصفة متواصلة، وتحكّمت إلى حدّ ما في تطوّر أوضاع البلاد السياسية، واحتلّت الصّدارة على هذا المستوى، رغم تحرّكات المنافسين الآخرين من إيطاليين وألمان سيما بعد 1869م - 1870م بعد الوحدة الإيطالية والألمانية.

ويمكن القول إن الأوربّيين بصفة عامّة، وبصرف النظر عن تطاحناتهم وتسابقهم للأسواق الخارجية، والأقطار "الشاغرة"، كانوا يصفّقون لانتصار "الحضارة والتقدّم" على العالم الإسلامي "المتأخر" و"الظلامي"، وتجلّى هذا الالتحام والإجماع "الحضاري" مثلا خلال حرب تطوان، إذ رحّبت القيادة العليا الإسبانية بعدّة بعثات عسكريّة أروبية، واستضافت ضبّاطها، كما استضافت المراسلين الصحفيين وقدّمت لهم كلّ المساعدات لتتبّع العمليات وتسجيل انتصارات قوّات أودنيل. وقد أبرز قنصل السّويد إحساس الأروبيين الجماعي بقوله: "إن كل إنسان محايد سيصحب بدعواته الجيش الإسباني، متمنيا له النصر تلو النصر"[45]. كما عبّر الجميع عن فرحتهم وهم يلمسون عن كثب انهيار الدّولة التي طالما هدّدت سفنهم التجارية، وألزمت بعضهم بدفع "ضرائب" سنوية لتأمين حريّة مرور أسطولهم في عرض الشواطيء المغربيّة. وممّا زاد في ابتهاجهم، اكتشافهم لموادّ البلاد الطبيعية وإمكانية استغلالها لفائدة سكّان أروبّا وتحسين

(44) حول هذه المشاكل وسياسة الملكة إيزابيل في تصريفها نحو الخارج وإكسائها طابعا دينيا، حيث أنها طرزت الأعلام الإسبانية بصورة العذراء :

Germand de la Vigne, *op.cit.*, pp. 32-33.

وبالفعل فقدخلق النّداء للحرب ضدّ المغرب تكتّل اشعبيا قضى لمدّة على الخلافات الدّاخلية وكانت الجيوش تبحر وسط حماس وتجمهرات شعبية كما كان الجنود يباركون من طرف الأساقفة بحضور جماهير غفيرة راكعة. وشبّه المؤرخون الجو الذي كان يسود إسبانيا عند إبحار الجنود بيوم استرجاع غرناطة من يد المسلمين.

(45) J.L. Miège, Le Maroc et l'Europe, *op.cit.*, T.II, p. 386.

تغذيتهم. "وأن القمح في المغرب ينمو بصفة سحرية، وأن في استطاعته إطعام قسم من أوربا"(46).

وهذه الضّغوط التي تعرّض لها المغرب بعد ظهور ضعفه العسكريّ شملت جميع الميادين. ففي الميدان الاقتصادي مثلا سارعت الدّول لانتزاع معاهدات تعترف لها بامتيازات متزايدة سخّرتها لتنمية المبادلات التجارية وتحطيم الهياكل التقليدية محدثة بذلك أزمات في قطاعي الفلاحة والحرف وتحوّلات في بنية البلاد الاجتماعية التي شهدت نتيجة تفاحش الضغوط الاستعمارية تعميقا للتناقصات بين مختلف الفئات وتحويل بعضها إلى بروليتاليا و"تكديحه" كالفلاحين الذين أفلسوا بسبب مخالطتهم مع الأجانب وعجزهم، نظرا لتعاقب سنوات القحط وارتفاع الضّغط الجبائي المخزني على الفلاحين تسديد ديونهم وإغناء نسبة محدودة وتقويتها إلى حدّ ما، خصوصا عددا من تجّار السّلطان السابقين الذين تخلّوا عن المخزن للتّعامل المباشر مع الأروبيين والاحتماء بهم(47).

وظاهرة الحماية هذه المرتكزة قانونيا على معاهدات قديمة، قبلها السلاطين بهدف تنمية التجارة البحرية وتنويع مداخيل بيت المال، ورفع مستوى المداخيل الجمركية، تفاحشت بالخصوص إثر حرب تطوان. فقد كان للمحميين بمختلف أصنافهم، من موظفين ومستخدمي الممثلين الأجانب والقناصل والسماسرة والمخالطين، من رعاة ومزارعين ومحميّين سياسيين، أمثال شريف وزان مولاي عبد السّلام والحاج محمّد المصلوحي، وعلى اختلاف درجات حمايتهم سواء كانوا محميين حقيقيين أو مجرّد زبناء لبعضهم، مسؤولية خاصة في تقلّص سلطة المخزن وانهيار مداخيله وذلك باعتبار مناعتهم القضائية والجبائية التي كانت تجعلهم يتملّصون من تأدية كلّ أنواع الضرائب، بل صارت تسمح لهم كذلك بالإفلات من الخدمة العسكريّة عند شروع المخزن في تغيير النظام العسكريّ وبعدم الاستجابة للمخزن في حالة تعبئة قبيلتهم.

---

(46) Godard, *Notes d'un voyageur*, Paris, 1880, p. 9.

(47) حول الحماية :

M. Kenbib, *Les protégés, Contribution à l'histoire contemporaine du Maroc*, Publications de la F.L.S.H., Rabat, 1996.

وقد كان المخزن يقوم بمساع لدى الدّول الأوروبية لطرح هذه المشاكل وإقناع الحكومات بضرورة مساندته للتغلّب عليها. وممّا ورد في مراسلة قدّمها سفير سيدي محمّد بن عبد الرّحمان الحاج محمّد الزبدي خلال زيارة قام بها لهذه الغاية للندن لوزير "الأمور البرّانية للدولة الإنجليزية" في شأن الحماية أنّها:

" أدخلت على الدّولة ضررا عظيما بكون جلّ المتلبسين بها يتمرّدون على الحكّام ويتجاسرون بما لايمكن الصّبر عليه وكثير ممّن يحتمي إنما هو أهل الجرائم والدّعارة ومن يريد الامتناع من دفع الواجب عليه من الأعشار والكلف وغير ذلك"[...] "وسبب كلامنا على إبطالها بالبادية هو أن التجاوز والخلائف الذين يتّجرون يختارون أعيان القبائل وأغنياءها الذين عليهم مدار في المخزنية وفي جمع الحركة وقت الاحتياج إليهم، وعليهم في الواجب من الزكاة والأعشار مال له بال، ويمتنعون من الحركة ومن دفع الواجب عليهم ولايخفي مافي هذا الفساد والضرار العظيم على المخزن فإذا بقوا على هذه الحالة لم يجد المخزن من يعيّنه في الخدمة ولا في الحركة ولا في المال(48).

## 2 ـ ردود الفعل الداخلية وضرورة مواجهتها

وهذه الضغوط الاستعمارية، سواء منها الاقتصادية كفتح البلاد للتجارة الغربية وربطها تدريجيا بالسوق والرأسمالية العالمية، والضغوط العسكريّة كالمجابهات المباشرة وقصف الموانئ وتنظيم مناورات في عرض الشواطيء المغربيّة، والمالية كالغرامات الحربية، والتعويضات، والترابية كاغتصاب أراض لتوسيع حدود سبتة، وفي منطقة أفني، وواحات توات، وفكيك فيما بعد، وعجز المخزن عن مواجهتها منذ انفضاح عجزه العسكريّ، أدخلت المخزن في تناقضات أزّمت الحالة الداخلية.

فبالرغم من الإجماع حول مبدإ استقلال البلاد وأمل الحفاظ عليه، هذا بصرف النظر عن بعض الحالات الاستثنائية، المتمثلة في بعض المواقف الاستسلامية والانهزامية فإنّ هذا الإجماع لم يكن يعني على الإطلاق إجماعا حول كيفية الوصول إلى هذه المرامي وتحقيقها.

لقد تجلّى ذلك في اتساع الهوّة بين السياسية الرسميّة المتّسمة بالليونة تجاه أروبّا مع محاولة استغلال التنافس الاستعماري واللجوء إلى "المماطلة" على حدّ تعبير الممثلين والقناصل الأجانب، وبين المواقف "اللامسؤولة" و"تهوّر من لا

(48) ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 2، ص. 301.

يتدبّرون العواقب" و"طيش الرّعاع" في نظر المخزن، وهي المواقف الداعية للعمل المباشر وتعبئة المسلمين للقيام بالجهاد والتصدّي "للكفّار". إن التناقض بين هاتين الظاهرتين : غاية سليمة واحدة، وأساليب مختلفة ومتضاربة لتحقيقها، برز بوضوح مرّة أولى فيما بين 1830م و1847م. فأثناء الفترة الممتدّة من إنزال الجيوش الفرنسيّة بالجزائر إلى استسلام الأمير عبد القادر، واجه السّلطان مطالب وضغوطا قام بها علماء وتجّار وأعضاء بارزون من المخزن لإقناعه بضرورة التدخّل وحمل راية الجهاد، ففي ردّه عن سؤال الأمير عبد القادر قال ابن عبد السّلام التسولي، وهو عالم من علماء القرويين، في هذا الشأن :

"إذا نزل عدوّ الدين بأرض الإسلام أو قريبا منها، مريدا الدخول إليها، فإن الجهاد فرض عيّن على أهل ذلك البلد وعلى إمامهم شيوخا وشبانا، أحرارا وعبيدا، بل وعلى امرأة إن كانت لها قوة. ولا يتوقف قتالهم للعدو النازل، على مشورة الإمام ولاسيما إن بعد منهم، وإن لم يكن لهم إمام، تعيّن عليهم مدافعته ونصب الإمام، فإن لم يقدر أهل البلد مع إمامهم على مقاومة العدو، تعيّن على أقرب الأئمة إليهم، وعلى رعيته أن يعيّنوهم، فإن لم تكن فيهم كفاية ومقاومة أيضا، وجب على من والاهم. وهكذا حتى يأتي الوجوب قسميا على جميع المسلمين. فقطر الجزائر مثلا حيث لم يقدروا على دفعه لعدم من يضبط كلمتهم، ولعدم وجود القوة منهم، بدليل أن يتردد العدو إليهم، ويأخذ شيئا فشيئا، فإنه على من والاهم من أئمة المشرق، وأئمة المغرب، إلى سوس الأقصى وإلى بغداد بل وإلى الهند مثلا أن يعيّنوهم بالجيش والقوة والعدد وإن استعصى [...] فحرضوا أنفسكم وأشياعكم عليه ــ الجهاد ــ بقلب وقالب وجازم الاعتقاد، وأكثروا من الأهبة والنفر إليه، بادروا له بغاية الاستعداد، فإن لم تشغلوهم شغلوكم، وإن لم تقاتلوهم قاتلوكم، كيف وهم لكم بالمرصاد [...] فانتبهوا أيدكم الله. فإنكم بهذه الآيات القرءانية المخاطبون، وبالأحاديث المصطفوية المقصودون، إذ بيدكم الحل والعقد، والرعية في طوعكم، فكيف عن أمرها بالجهاد تتخلون، وأنتم خلفاء الله في أرضه، كيف على دينه لا تغيرون، أو أنتم أمنتم مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أم اتخذتم عند الله عهدا، فأنتم عليه متوكلون، أم تعتقدون أن كفاركم اليوم لايقصدوكم بالقتال والجلاد، أم تقولون نحن اشتغلنا اليوم بجهاد أنفسنا ورعيتنا وبالخدمة على الأولاد، فالجهاد فريضة على من نزل بهم عدو الدين، فأيقضوا أنفسكم من وسن الغفلة، وانتهزوا من العدو الفرصة، ما دامت منكم فسحة الاستعداد، قبل أن يتفاقم الهول ويحق القول، ويسد الباب، ويحق العذاب، وتسترق بالكفر الرقاب. فإنكم إن لم تستعدوا فهم لكم بصدد وفائهم باستمرار العهود، وعدم نقضهم للمثياق المعهود.

فإن ذلك كله مردود. إذ لا ميثاق ولا عهد لأعداء الدين وأهل الفساد، ونحن لانعتبر عهودهم وشهادتهم، بالإضافة إليهم، فكيف نعتبرها بالنسبة إلينا، بإجماع أهل العلم والجهاد"[49].

إن موقف التسولي هذا يمكن اعتباره على العموم، موقفا يعبر عن آراء أغلبية العلماء والفقهاء، رغم اختلاف أساليبهم ومناهجهم. وما قيل عن فاس وغيرها يجوز إلى حد ما تطبيقه على شيوخ بعض الزوايا، ففي رسالة موجّهة إلى مولاي عبد الرّحمان قال محمّد بن عبد اللّه بن عزوز أحد المقرّبين منهم :

"اعلم أيها المنصور بعون اللّه، المجاهد في سبيل اللّه، المخلص الأعمال للّه، أنّ النصارى ملكوا الجزائر، وسبوا نساءها، وأخذوا أولادها، وغنموا أموالها، فلم يكفهم ذلك، وانتشروا في ساحتها حتى وصلوا إلى وهران وتلمسان وأم عسكر وتافنة، وغير ذلك من الموانئ القريبة والبعيدة عنها، وتجاسروا على القريب منهم والبعيد عنهم، وطمعوا في هذا المغرب، وفي الوصول إلى مدينة فاس التي هي دار ملكك، ومحل حكمك ورايتك، فوجب عليك ــ نصرك اللّه ــ التهيؤ لهم وجمع العساكر للقائهم"[50].

هذا النداء للجهاد كانت تتحمّس له أيضا شخصيات مخزنية. واتّضح ذلك بصفة خاصّة حينما قرّر المولى عبد الرّحمان الاستجابة لمساعي أهل تلمسان، وقبول بيعتهم، ثم إرسال جيشه لمساعدتهم، ولتجسيد الروابط الجديدة التي أصبحت تجمعهم بإيالته.

وتشكّل قصائد الوزيرين ابن إدريس العمراوي الفاسي[51] ومحمّد بن

---

(49) النص جاء به المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، ص. 17-18.

(50) **ن.م.س.**

(51) محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس بن الحاج الزّموري العمراوي كان أبوه كاتبا في عهد مولاي سليمان، وصار كاتبا لأبي قاسم الزياني. ثم رئيس الكتاب في عهد مولاي عبد الرحمن. وبقي "مرضى المقال ومستجاب السؤال" إلى سنة 1246 هـ ـ 1831م حيث عزل بعد ثورة الودايا، وسجن، وامتحن مدة 5 سنوات. ثم عاد للكتابة مع الوزير المختار الجامعي. وولى الوزارة والحجابة سنة 1252هـ ـ 1836 م. إذ "أعطى بعده الطابع فكثر ماله وسراريه وعياله، وعسكره وخدامه ونعمه وعقاره". توفي سنة 1264هـ 1846م. وشاع الخبر أن وفاته

عبد الله غريط المكناسي(52) نموذجا لصدى الجهاد على المستوى "الرسمي" حيث جاء في شعر الأول :

يــا أهــل مغـربنا حـق النفـير لكـم      إلى الجهاد فمـا مـن حـق من غلط

وفي قصيدة أخـرى :

يـا سكــان الغرب الجهاد الجهـــاد      فالكـفـر قـد شـاركـكـم في البـلاد
مــا هــذه الغـفـلة عـن ضـدّكـــم      وأنـتـم فـــي الحرب أشــدّ الجــلاد

أما الثاني محمّد بن عبد الله غريط فقد نادى "للواجب المقدس" قائلا :

مالي أرى أجفن أهل الغرب وسنانا      مــن بـعـدما أخـذ الـرّوم تلمسـانـا

إلى أن يقـول :

أيـــن الأباة لمشــي الضيم مالهـــم      إلــيـه لـم يـنـفـروا رجــلا وركبانـا
كــأن أهـــل الجزائر وغــيرهــــم      لـيسـوا لـنا بـاعتبـار الـدين إخوانـا

---

كانت بسبب جراح على إثر ضربة مفتاح من يد مولاي عبد الرحمن الذي اكتشف أنّـه كـان يكاتب سرّا عبد القادر.

كان أديبا وشاعرا له عدة أشعار في مدح مولاي عبد الرحمن.

مجهول الابتسام، مخ.خ.ع.، رقم ج. 114، ص. 396 وكذلك :

عبد الرحمن بن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 4، ص. 189–239.

(52) غريط، محمد بن عبد الله، كان يلقب بالفقيه بوغندو، كان كاتب العامل الوديني بفاس إلى أن عزل هذا الأخير على إثر ثورة أهل فاس ضده وقيامهم بلعنته في المساجد. فسماه مولاي عبد الرحمن كاتبا ثم صدرا أعظما. وبعد استقالته عوض بعبد الله الصفار.

اشتهر بزهده ونزاهته وتخوفه من المسؤولية، له أشعار متعددة منها مـا قالـه في الجهـاد، ومـدح السلطان، ومنها ما قاله في هجاء العبيد.

وعـــار علـى الحر المقام ببلدة      يكـــون بهــا نـذل العبيـد شريفا

تولى ابنه الوزارة في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن ومولاي الحسن.

ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 4، ص. 248.

إلا أن الشعور بضرورة تعبئة الطاقات البشرية منها والمادّية لمناصرة "الإخوة في الدّين" والدفاع عن حوزة البلاد كان لاينحصر في التحريض السلمي ومدح الإجراءات الجزئية المتّخذة لهذه الغاية أو تقديم انتقادات غير مباشرة والاكتفاء بالتلميح في حالة غياب أيّ إجراء، بل اكتسى أحيانا طابع العنف وحمل السلاح لإنهاء التردّد واستنكاره.

تجلّى ذلك مثلا إثر انهزام إيسلي، حيث إن بعض القبائل أغارت على الجيش المتراجع، وهاجمت العناصر التي "طارت بها خيولها و لم تقف إلا وراء نهر ملوية"(53). يجوز حقّا التساؤل عن سبب هذه الهجومات، والقيام بها في ظروف حرجة، انفضحت فيها خطورة ضعف البلاد العسكريّ، هل كان الأمر يتعلّق فقط بهجوم لايقصد أصحابه سوى نهب المحلة، واستغلال تجزئتها وعزلة جنودها بصرف النظر عن انهيارها أمام الجيش الفرنسيّ.

إنه من الصعب في الواقع حصر المسألة في نطاق "النهب" لأنّ تصرّفات القبائل المجاورة للتخوم المغربيّة الجزائرية شمالا وجنوبا قبل وبعد غشت 1844م توحي بتأثير عوامل أخرى، منها التعبير بعنف عن سخطها على مخزن لم يقم بواجبه على الوجه المطلوب، و لم يحقّق الانتصار على العدوّ. وتمثلت تصرّفات القبائل هذه، في رفضها الاستسلام والخضوع لالتزامات المخزن تجاه فرنسا خصوصا منها ما يتعلّق "بحياد المغرب"، والكفّ عن تقديم أيّ مساعدة للمقاتلين الجزائريين، وكذا مطاردة الأمير عبد القادر باعتباره "خارجا عن القانون"(54).

---

(53) ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 4، ص. 55.

(54) وقّع المعاهدة عن الطرف الفرنسي : دونيو De Nion ودوكلوكشرك De Glucksherg وعن الطرف المغربي الباشا بوسلهام عامل المنطقة الشرقيّة. وكانت شروطها مستوحاة من الإنذار الذي أرسلته فرنسا قبل معركة إسلي، ومن بينها جعل حد لإعانة عبد القادر وطرده من المغرب. وزيد على الشروط السابقة إخلاء الفرنسيين للصويرة ووجدة بمجرد ما ينفذ السلطان الشروط. وقد تعرض وزير الخارجية الفرنسي كيزو Guizot لانتقادات المعارضة والبرلمان الذي اعتبر أنه فرط في المصالح الفرنسية إرضاء لإنجلترا.

E. Rouard De Gard, *op.cit.*, pp. 53-57.

فقبائل بني يزناسن والريف الشرقي تجاهلت الالتزامات الرسميّة، وواصلت دعمها للأمير، معرضة بذلك نفسها للهجومات الفرنسيّة، ولـ"توبيخ" السّلطان والتهديد بتنظيم حملات "تأديبية"، شأنها شأن القبائل "العاصية"، وإن كان "العصيان" هنا يكتسي شكلا أخطر من الرفض الجبائي العادي.

والملاحظ هو أن التهديدات الموجهة للقبائل كانت لاتنطلق فقط من الاعتبارات "القانونية"، وضرورة احترام اتفاقيتي طنجة بتاريخ 16 ستنبر 1844م ولالا مغنية بتاريخ 18 بتاريخ مارس 1845م، ذلك أن المخزن كان يريد اجتناب كلّ ما من شأنه أن يعطي لفرنسا فرصة ممارسة حقّ "المطاردة" والتوغل داخل الأراضي المغربية كما كان من جهة ثانية، يحاول أن يظهر سلطته وتحكمه في رعيته، خصوصا وأن الأمر يتعلّق بأقاليم "حساسة"[55] كانت فرنسا تمهّد للاستحواذ عليها. وقد عبّأت لذلك الشريف مولاي عبد السّلام الوزاني، الذي زار منطقة واحات توات، وقام باتصالات هناك خدمة للمصالح التوسعية الفرنسيّة[56].

(55) كان الفصل 5 من اتفاقية طنجة ينص على "أن تحديد الحدود بين الجزائر والمغرب سيكون موضوع اتفاقية خاصة تعقد في عين المكان. وتكلف بالمفاوضات في نفس الشأن Le conte de la Rüe الذي كان يساعده ليون روش Léon Roche، وحميدة بن علي الشجعي عامل وجدة، والكاتب المخزني أحمد الأخضر بغياب القبائل المعنية. ودامت المفاوضات شهرين وقعت على إثرها معاهدة الحدود التي بقيت "مبهمة" رغم استعمال الفرنسيين 5 خرائط. وقد بقيت هذه الاتفاقية موضوع النزاع إلى بداية القرن العشرين. إذ أن مولاي عبد الرحمان رفض في الأوّل توقيع الاتفاقية لأنها لا تحترم الحدود المتفق عليها مع الترك معتبرا أنه غرر بممثل المغرب، وأنه "قد فسد الزّمان وأهله".

رسالة مولاي عبد الرّحمان في الموضوع، بتاريخ 27 ربيع الأول، عام 1261هـ ــ 1845م، أوردها ابن منصور في الوثائق، س.ذ.، المجموعة 1، ص487.

(56) بدأ اهتمام فرنسا بالزوايا كأداة لنشر النفوذ الفرنسي في المغرب، يتأكد منذ معركة إسلي. ومنذ 1853م دخل مولاي عبد السلام في اتصال مباشر مع الفرنسيين، على إثر قيامه بسفر على متن السفينة الفرنسية ألباتروس Albatros التي خصّصها القنصل الفرنسي في الرباط بوميي Auguste Beaumier لحجّ بعض أعضاء المخزن البارزين، ولمولاي علي الدرقاوي "لاكتساب صداقتهم، واعترافهم بالجميل". وفي هذا السفر، أظهر كلّ من مولاي عبد السلام، ومولاي

إن سلوك قبائل المغرب الشرقي هذا، واستمرار علاقات متأزمة مع الفرنسيّين، له ما يعادله في باقي أنحاء البلاد، لاسيما بالنسبة للقبائل المجاورة لسبتة ومليلية، حيث إنها كثيرا ما كانت تصطدم بالإسبانيين مورطة بذلك المخزن في اشتباكات ونزاعات تفوق طاقته. فمناوشات أنجرة مع حامية سبتة أعطت لإسبانيا الفرصة لإعلان الحرب على المغرب. إلا أنّ المخزن لم يواجه انهزامه أمام الجيوش الإسبانية فقط، بل تعرّض أيضًا لأوضاع داخلية خطيرة تمثلت في اندلاع انتفاضات

---

علي - كلّ على حدة - للقنصل الفرنسي سخطهما على الأوضاع، وأملهما بأن لا يصل للحكم ابن السلطان سيدي محمد الذي "فرّ في إسلي قبل بداية المعركة" مما جعل الفرنسيين يعتبرون الزاويتين حليفين موضوعيين.

ومنذ ذلك الحين استعملت فرنسا مولاي عبد السلام في "مهمات" كتدخّله في وجدة لإقناع السكان بعدم التعرض للبعثة الفرنسية سنة 1877، وفي المفاوضات مع ولاد سيدي الشيخ والقبائل المغربية الجنوبية الشرقية منذ 1883.

وكان أوردكا الوزير المفوض الفرنسي في طنجة الذي حرص على إعطاء الحماية لمولاي عبد السلام سنة 1884م، يعتقد أن هذه الحماية "ستجعل فرنسا تتحكّم في نصف المغرب" كما كان يعتقد أنّ مولاي عبد السلام قادر على أن يؤثر على الجزائريين وعلى القضاء على انتشار حركة المهدي في المستعمرات الإفريقية.

وفي الحقيقة كانت السّلطة التي اكتسبها مولاي عبد السلام، وأولاده بالحماية، أكثر من السلطة التي كانت له كشريف، إذ لم يكن يتمتّع لا باحترام أبيه، ولا بتقدير السكان - بسبب انحلال حياته الشخصية -. ويظهر هذا من التسمية التي كان يعطيها إياه أبوه، ومن لقب بوزرواطة الذي كان السكان يطلقونه على ولده. كما يظهر استهزاء بعض المغاربة بالتقدير الذي كان بعض العامة يولونه لمولاي عبد السّلام من المثل الذي كان متداولا في المنطقة والذي يقول " مولاي عبد السّلام هو اللي خلق الدّنيا والدّين والنّبي اللّه يرحم مسكين" لكنّه منذ حصوله على الحماية كبرت سلطته وصار يمارس نوعا من الاستبداد على المنطقة، سواء بالنسبة للسّكان أو بالنسبة لقوّاد المخزن.

حول الموضوع :

A.E P., M.D.M. 10, Juillet 1853.

E. Michaux-Bellaire, « La maison de Wazzan », in *R.M.M.*, T.IV, pp. 23 - 89.

وتعدّد الاضطربات في مختلف أنحاء البلاد. وهـي اضطرابـات يمكـن اعتبـار أن مـن أسبابها إلى حدّ مـا "استسـلامية" المخـزن مـن جهـة و"الرفـض" القبلـي مـن جهـة أخرى.

فاحتلال تطوان أثار من جديد الإحساس بعجز المخزن، وقام بعض العلماء بالنداء الصّريح للجهاد من أعلـى المنـابر، وقـام آخـرون بإرسـال رسـائل للقبـائل يستنفرونها. فمثلا عبد الكبـير بـن المجذوب الفهـري الفاسـي، في إحـدى خطـب الجمعة في مسجد القرويين بفاس، قام بدقّ ناقوس الخطر والإنذار بأنّه "لا يأتي يوم إلّا وبعده شرّ، ولاسوء إلّا وما بعده أدهي وأمرّ، ونحن غافلون نعّسـا نعلّـل أنفسـنا للخير بلعلّ وعسى كما كنّا هذه مدّة نعلّلها بأخبـار الواردين وأنّ النّصـر والغلبـة لحزب اللّه والمجاهدين" (وهذا تلميح إلى الأخبار التي كـان يروّجهـا المخـزن طـوال حرب تطوان عـن انتصـار المسـلمين وخـذلان العـدوّ الكـافر). ثـمّ نـادى للجهـاد "فانهضوا رحمكم اللّه لإعلاء كلمة اللّه سراعا وكونوا لقتال أعداء اللّه أطول باعا، وتداركوا رمق الدّين قبل أن يموت. ولا تقتصروا على نصر كنصر النّسـاء بالبكـاء والتحسّر". كما أنّ أحد أعلام سوس العربي بن إبراهيـم الأدوزي السّـملالي، قـام بإرسال رسالة إلى قبـائل هشـتوكة وهـوارة وهلالـة وغيرهـا يطلـب مـن "خاصّـة المسلمين وعامّتهم تّعجيل المسير والنّفير" وأن يقوموا لإغاثة "أهل نون وبني بعمرانة (كذا) ومن جاورهم من هجوم العدو الكافر عليهم".كما انتشرت قصـائد جزليـة شعبية تنتقد حالة البلاد وتقول : "اتّلهينا بالدّينار واتعاطينا في الدّنيا بخـود وآرى" وتتحسّر على طاقات البلاد الغير المعبّـأة "فلغـرب جنـود كثـار مـا يرضـاو الذّمـام والحزارا، منهم أبطال اللي لو صابوا الجهاد يوقع لو صاروا ليوث احرار."

فردود الفعل التي أعقبت انهزام إسلي و"انهيار" تطوان، ردود فعل واضحـة وضعت تحت المجهر عنصرا أصبح يشـكّل العمـود الفقـري للعلاقـات القائمـة بـين المخزن الواعي بتحوّل ميزان القوة الدّولي وضرورة "التعقل" والاكتفـاء بالمنـاورات الدبلوماسية، والرعايا "الطائشين".

هذا هو بـالذات مـا يفسّـر أنّ الانعكاسـات المباشـرة الـتي أعقبـت أحـداث 1844م وتفاحشت بعد 1860م، لا تشكّل حالات استثنائية وعابرة. ذلك أن ما بـرز على نطاق واسع تحت تأثير ضربات عسكريّة أجنبية عنيفة كان العمل جاريا به في

مراحل "السلم" العادية. مثلا حينما كانت بعض القوى الأروبية ترسل بوارجها للقيام بمناورات في عرض الشواطيء المغربيّة لممارسة الضغوط على المخزن وإخضاعه لمطالبها.

إن ظهور هذه البوارج كان يثير قلق القبائل وغليانها ضدّ التهديدات الأجنبية وضدّ عجز المخزن السافر، وعدم قيامه بأي تحرّك للتصدّي لها عسكريّا، وفي بعض الأحيان، كان هذا الغليان يتحوّل إلى عمل مباشر، والاشتباك مع البحّارة الأروبيين، رغم تدخّل القواد وإلحاحهم على ضرورة التزام الهدوء وعدم الاستجابة للاستفزازات[57].

ومثل هذه الاشتباكات كانت تندلع أيضا في حالة نزول أوربيين، وتنقّلهم داخل البلاد ولو بعد حصولهم على رخصة مخزنية، وظهير يوصي القواد والسكان بالإحسان إليهم، وعدم التعرّض لهم، ذلك ما حدث في جنوب البلاد عندما حاولت إسبانيا تحديد موقع "سانت كروز"[58] وفي الصحراء عندما حاول

---

(57) حول هذه الاشتباكات :

J. Caillé, *Ch. Jagershmidt Chargé* d'affaires *de France au Maroc 1820 -1 894*, Librairie Larose, 1951, pp. 66 - 67.

(58) ينص البند الثاني من معاهدة الصلح التي عقدت بعد حرب تطوان بين المغرب وإسبانيا على إعطاء إسبانيا على ساحل المحيط Santa Gruz la Pequena، مساحة أرضية لإقامة مركز تجاري كالذي كان لملكة إسبانيا". وهذا البند بقي غامضا مما دفع إسبانيا للادعاء أن Santa Cruz هي أكادير لوجود آثار الحصن الذي بناه نبيل برتغالي خوواو ولوبيز دي سكيرا Joao Lopes de Sequeira في 1505م في شمال أكادير، على ساحل البحر، ثم باعه للملك إمانويل Emmanuel. وسمّي الحصن الذي عمّر بالجنود والصناع بسانتاكروز "الصليب المقدس"، لأن صليبا كبيرا وضع على أعلى الحصن... وقد بقي هذا الحصن في يد البرتغال إلى أن حاصره محمّد بن الشّيخ السّعدي سنة 1531م حينما بويع سلطانا في سوس، وبنى قاعدة عسكرية في تامراخت على بعد 12 كيلومتر من الحصن. وسقط الحصن في يد السّعديين بعد مقاومة طويلة سنة1541م. وكان تحير سانتاكروز سببا رئيسيا في انتصار السعديين على خصومهم في الدّاخل وفي سقوط الموانيء الأخرى المحتلة من طرف البرتغاليين الواحد بعد الآخر.

حول سقوط سانتاكروز : R. Ricard, *L'occupation portugaise d'Agadir*, 1505 - 1541

الفرنسيّون القيام بالدراسات الطبوغرافية الأوّلية قبل إنجاز مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء[59].

كل هذه التحرّكات كانت تبلور استعداد القبائل للتصدّي المباشر للأطماع الاستعمارية، إلا أنّها كانت كما سبقت الإشارة لذلك، تضع المخزن في موقف حرج وتعطي للقوى الأروبية الفرصة لاستغلال ضعفه وعدم تمكّنه من فرض سلطته على الرعايا لتدّعي أنّ المناطق النائية مناطق "شاغرة" لا تربطها أية روابط "بالإمبراطورية الشريفة".

---

(59) لاقت مشاريع تأسيس السكك الحديدية معارضة قوّية من طرف المغاربة، الذين كانوا يرون في هذه المشاريع وسيلة للتغلغل الاستعماري. و لم يكن اقتناعهم هذا خاطئا. فمثلاحينما قدم Berlier سنة 1898م مشروع سكة حديدية بين فاس وطنجة وتلمسان، كتب للوزير الصّدر غريط يفسر له أن هذا سيكون "سببا في ازدهار هذه الإمبراطورية الفسيحة". ولكنّه في نفس الوقت كتب لوزارة الخارجية الفرنسية يقول "إن هذا الخط سيرفع من قوة مستعمراتنا في الجزائر ويفتح لنا هذا البلد المنغلق على الحضارة".

كما أن سفير فرنسا في إسبانيا بورجوا Bourgois كتب لوزير الخارجية الفرنسي يقول: "إن السكة الحديدية بين الدارالبيضاء وسطات، ستكون أداة عسكرية فعالة في احتلال الناحية. إن إفريقيا لن تفتح للاستعمار والحضارة، إلا بجهاز قوي من السكك الحديدية".

وقد بدأ التّفكير في إقامة خطّ سكّة حديدية عبر الصّحراء منذ 1879حيث قدّم المهندس الفرنسي دوبونشيل Duponchel المشروع ،ثمّ بعده المهندس جورج رولان Georges Roland ولكنّ المشروع لم يحض بالاهتمام من طرف الحكومة الفرنسية لأن "الفرنسيين لم يكونوا قادرين على تأسيس سكك حديديّة بثمن معقول". ولكنّ تطوّر التّقنيات منذ تأسيس الخطّ الحديدي في أستراليا Northern territorie أحيا من جديد المشروع خصوصا وأ نّ الفرنسيين اكتشفوا سنة 1898 مناجم للفسفاط وبعض آثار للزّنك في الجزائر وتونس وكذلك بعد "الدّرس الذي أخذوه في فاشودا" ممّا جعل إنجاز خطّ حديدي عبر المناطق الصّحراوية شيئا حيويا استراتيجيا واقتصاديا وسياسيا.

P. L. Beaulieu, « A propos de l'affaire de Fachoda », in *B.C.A.F.*, n° 6, année 1899, pp. 4 - 7.

A.E.P., C.P.M. 180.

فالملاحظ إذن أن طابع الضغـوط الأجنبيـة طـابع تراكمـي متمثّـل في تكبيـد هزائم للمخزن وإثارة سخط الأهالي واصطدامـات داخليـة وبالتـالي إضعافـه أكـثر فأكثر، وإجباره على تقديـم تنـازلات وامتيـازات، وهـي ضغـوط وتنـازلات مـن شأنها أن تزيد في اضمحلال هياكله وذوبانهـا.

وقد حاول المخزن، ابتداء من معركة إسلي، اتخاذ مجموعة مـن الإجـراءات، تأكّدت خصوصا بعد هزيمة تطوان، وإن كانت إجراءات متفرّقة لا تخضع لتخطيط واضح ومتكامل، بهدف صيانـة استقلال البـلاد والدّفـاع عـن سيادتها بتقويتهـا اقتصاديا وعسكريّا. إلا أن المبادرات المتّخذة التي كانت في بعض الأحيان، استجابة لإرشادات ونصائح الصديق الإنجليزي، حرّفـت وشـوّهت لأنّ منبعهـا كـان منبعـا أجنبيا، ولأنّهـا لم تنـل رضـى الأهـالي، ولم يضمـن لها شـروط النجـاح، وبالتـالي شكّلت عامل تفرقة وانسلاخ بين السّلطة المخزنية والرّعية، وكلّما حـاول المخـزن فرضها زادت الهوّة بين الطرفين اتّساعا، لأنّ غالبية السـكان، لم تستـوعب مغزاهـا ولم تقبل تحمّل أعبائها وتناقضاتها ممّا يفسّر ردود الفعل السـلبية والعنيفـة في بعـض الأحيان.

وبزيادة الضّغط الأجنبي، فقدت هـذه المحـاولات معناهـا الأصلـي، وبالتـالي مشروعيتها وتحوّلت إلى سلاح يخدم مصالح الأجنبي، عوض أن يقوّي البلاد ويضع حدّا للأطماع الاستعمارية وتهافت الدّول حولها.

ولعـلّ أبلـغ تعبـير لتلخيـص الجدليّـة القائمـة بـين الضّغـط الأوروبّـي ومحاولـة الإصلاح ونتائجها هي العبارة التي جاءت في رسالة مولاي الحسن لبركاش بمناسبة عقد مؤتمر مدريد حيث قال "ولا تكن كمن جا يطبّ عماه وكمن ذهـب يطلـب قرنين فرجع بلا وذنين أوكمن غسـل دمـا بـدم"(60). وهـو كـلام يـدلّ عـن مـدى الوعي بسلبيات التدابير التي كان المخزن يتّخدها، وعجزه علـى مواجهـة الضغـوط الخارجية التي رافقت جلّ النصائح والإرشـادات في هـذه البـاب، ممـا أضفـي صفـة الغموض والتردّد على سياسة الإصلاح.

(60) ظهير مولاي الحسن لبركاش، ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 2، ص. 406.

كل هذا أسقط المخزن في نهاية المطاف في حلقة مفرغة تميّزت عموما باستقالته أمام القوى الأوربية، وتعبئة ما تبقى له من نفس لمواجهة رعاياه، ممّا انعكس على السياسة العسكريّة، وعلى الإجراءات التي اتّخذت لتقوية الجيش.

## ثالثا - الإجراءات المتّخذة لتقوية الجيش المخزني

### 1 - محاولة تجديد الهياكل

لقد أكّدت معركة إسلي، شعور المخزن بضعف النّواة العسكريّة الدائمة. فمولاي عبد الرّحمان حاول إعادة تنظيم الجيش قبل 1844م. وإذا كانت الوثائق اللازمة غير متوفّرة لإبراز نوع النظام الذي حاول السّلطان إدخاله على الجيش التقليدي ومدى ارتباط هذه المحاولة بالاحتلال الفرنسي للجزائر وبثورة الودايا، فإن الرسائل السّلطانية المتعلّقة بالعبيد وبجيش الثّغور تدل على أنه كانت هناك على الأقل حركة اهتمّام بالجيش، تمثلت في تبديل قائد جيش البخاري، وإعادة النظر في "تسراده" ومحاولة الحدّ من سيطرة القوّاد العسكريّين و"ظلمهم" للجنود وفي الاهتمام بجيش الثّغور والمدن وإعادة النّظر فى أجورهم وكسوتهم[61].

ويؤكّد هذا ما ذكره بعض الأجانب الذين زاروا المغرب قبل معركة إسلي : "تحت تأثير بعض التّجار والقناصل الإنجليز، حاول السّلطان إدخال شيء من الانضباط على "عصاباته"، لكن إذا لم تترك للعبيد أملا وطمعا في النهب، فإنك لن تجد أمامك سوى متآمرين ومتمرّدين، يسعون إلى قلب الحكم"[62].

وقد جاءت التطورات التي شهدتها البلاد منذ سنة 1844م لتؤكّد أن الهيكل العسكريّ القديم القائم على نواة دائمة من العبيد وقبائل الجيش وقوات احتياطية من القبائل، لم يعد ملائما للظروف السياسية الجديدة، متيحة بذلك الفرصة للمخزن لتحقيق ما لم ينجح فيه فيما قبل.

فمتطلّبات العصر و"الجهاد"، صارا يتطلّبان إعادة النظر في بنية الجيش، خصوصا وأن الكلّ استخلص من دروس إسلي وتطوان وما أعقبهما من

(61) انظر الفصل المتعلق بعبيد البخاري في القسم الثاني ؛ والظهائر السّلطانية الموجودة في المحفظة 5/2، خ.ح.

(62) Ch. Didier, *Promenade au Maroc*, Paris, 1844, p. 360.

اضطرابات أنه يتوجّب السير في طريق غير طريق التعبئـة الشـاملة، وإعـلان الجهـاد بمعناه التقليدي. ويظهر هذا من خلال مختلف التعاليق التي قام بها المقرّبون للمخزن والفتاوي التي تتكلّم عن جيش النظام، فالزّياني يقول عن معركة إسلي : "فـأقبلت الجنود المجنّدة من جميع الأقطار بالأعداد التي لاتحصى غير أنها جزافا بلا ترتيب ولا هيئة حرب وما أصيبت هـذه المحلّـة إلا مـن كـثرة الجمـوع بـلا ترتيـب ولا رئيـس حروب حنّكته التجارب ومباشرة الحروب"[(63)].

أما الناصري فيلخص انهزامات الجيش المغربيّ بقوله :

"فالحاصل أن جيش مغربنا إذا حضروا القتال وكانوا على ظهور خيلهم، فهـم في تلـك الحال مساوون في الاستبداد لرؤساء الجيش، لايملكـون مـن أمرهـم شـيئا وإنما يقـاتلون هداية من الله لهم، وحياء من الأمـير، ولمـا شـهدوا مـع الخليفـة سـيدي محمـد بـن عبـد الرحمان وقعة إسلي، جاؤوا بها شنعاء غريبة في القبح، ولولا أنه قام بنفسـه ليلـة الحـاج عبد القادر، ومنع الناس من الركوب لربما عادوا إلى فعلهم، وأحسن ما كانت حالهم في هذا الحرب، فإنهم قاوموا العدو وفرقوا صفوفه غير ما مرة، لكنهم أتوا من عدم الضبـط الذي هو ضبطه. فعدم ملاقاتهم للعدو في الكيفية القتالية هو الذي أضرّ بهم"[(64)].

ويقول الكردودي :

"ورأيت العدو الكافر دمره الله وأهلكه، وظفـر أيـدي المسـلمين بجميـع مـا ملكـه، قـد استولى على مملكة الجزائر، وقهر كل ذي سطوة فيها من ملـك أو ثـائر، بحـروب علـى هيئة مخصوصة، وصفوف كأبنية مرصوفة، ثم مديد عزمه، وكشـف علـى سـاق حزمـه للقتال أهل المغرب الأقصى، وأخذ ثغوره التي لا يعد فضلهـا ولايحصـى، فتوجـه لقتالـه جيش لا معرفة له بحقائق الحروب وأوصافها، ولا علم عنده بتفاصيل أنواعها وأصنافها، ومن كان منهم ببعض ذلك عارفا، كان له الجبن أو ضعف الإيمان عـن مباشـرة القتـال صارفا"[(65)].

ويقول الناصري معلقا على حرب تطوان[(66)] :

---

(63) الزياني الترجمان، **المغرب عن أخبار المشرق والمغرب**، س.ذ.، ج. 9، ص. 97.

(64) الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 87.

(65) الكردودي، **كشف الغمة لبيان حرب النظام حقّ على هذه الأمة**، س.ذ.، ص. 98.

(66) الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 98.

"... والحاصل أن المسلمين لم يكونوا يقاتلونه على ترتيب مخصوص، وهيئة منضبطة، وإنما يقاتلون وهم متفرقون أيدي سبأ، فإذا حان المساء تفرقوا إلى محالاتهم في غير وقت معلوم، وعلى غير تعبئة، فكان قتالهم لا يجدي شيئا، وكان العدو يقاتل بالصف وعلى ترتيب محكم".

ثم يضيف ناقلا عن ابن خلدون :

"الحروب الواقعة بين أهل الخليقة منذ أوّل وجودهم على نوعيّن، نوع بالزحف صفوفا، ونوع بالكر والفر. وقتال الزحف أوثق وأشد من قتال العرب، وذلك لأن قتال الزحف ترتب فيه الصفوف، وتسوى كما تسوى للقيام للصلاة، ويمشون بصفوفهم إلى العدو قدما، فذلك يكون أثبت عند الصراع، وأصدق في القتال، وأرهب للعدو، لأنه كالحائط الممتد، والقصر المشيد، لايطمع في إزالته"[67].

ومن خلال هذه الانتقادات، والفتاوي التي طلبها المخزن في موضوع الجيش، منذ عهد مولاي عبد الرّحمان إلى عهد مولاي الحسن، يظهر الإطار الذي أعطى للتغييرات التي كان المخزن يريد القيام بها في هذا الميدان.

فقد كانت كلّها متفقة حول نقطتين :

- وجوب اتخاذ جيش النظام، فقد أكّد العلماء على هذه النقطة، وجعلوها شرطا من شروط الجهاد، لأن فيها "مقابلة الشيء بمثله" و"حفظا لشريعة جده عليه السّلام"، فيقاتل به "أهل الخزي، والآثام، ويسقي الكفرة كؤوس الحمام، فإنه لا وجود في الشرع ما يمنعه، لأن النظام كما يعلم وربما أشعر لفظه بمعناه، هو عبارة عن نظم أمور في الجيش، راجعة لتقوية فائدته ونتيجته"[68].

- وعلى أن مفهومهم لجيش النظام، غير واضح تمام الوضوح من خلال هذه الفتاوي، فهم بصفة عامة، يحصرونه في جيش يحارب بالصف والزحف، بعكس النظام المستعمل داخل الجيش التقليدي، الذي هو الكرّ والفرّ. وقد حاول بعض العلماء أن يؤكّدوا أن هذا النّوع من النظام، هو النظام الشرعي في الحرب، معتمدين على الآية "إن اللّه يحبّ الذين يحاربون في سبيله صفّا كأنه بنيان مرصوص".

---

(67) **ن.م.س.**، وكذلك ابن خلدون، **كتاب العبر**، **س.ذ.**، ج. 1، ص. 479 - 493.

(68) فتوى القاضي محمد بن المهدي، **س.ذ.**.

ـ وتقوية الجيش بالعدّة فكلّ العلماء كانوا متّفقين على أن اقتناء الأسلحة، واجب على الإمام، وخصوصا البارود والمدافع، ويستدلّون كلهم، بنفس الآية "وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل" ويتوصّلون بالمنطق والقياس والأحاديث إلى أن المعنى بالقوة هو "الرّمي"، وبما أنّ الرّمي صار بالمدفع والبارود، فإن اقتناءهما "واجب شرعا".

وبالفعل فقد تمحورت السّياسة العسكريّة طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حول هاتين النقطتين.

### أ ـ تأسيس جيش نظامي

اكتشف المخزن في معركة إسلي، وحرب تطوان، فعالية الجيوش النظاميّة، وجاءت فتاوي العلماء ليرتكز عليها، لتقوية نواة الجيش الدائمة، دون تحديد نفوذ قبائل الجيش وإعطائها هيكل جيش نظامي يجعل المخزن في غنى عن القوّة العسكريّة القبليّة، سواء لمواجهة الضغوط والاستفزازات الأجنبية، أو لإخماد الانتفاضات الداخلية، كيفما كانت دوافعها ومصادرها.

وقد استلزم التّحرّك نحو هذا الاتجاه توسيع قاعدة الجيش المخزني وتوفير الموارد الضرورية للنفقة عليه وإعادة النّظر في هيكله وتأطيره وتدريبه.

وإذا كان العلماء قد وجدوا من الآيات والأحاديث ما يؤكّدون به وجوب اتّخاذ جيش النظام واقتناء السلاح، فإنّهم لم يدلوا بأيّ وسيلة عمليّة مقنعة، شرعية أم غير شرعية، يعتمد عليها المخزن لجمع العسكر والنفقة عليه. فمنهم من اكتفى بالقول إن جيش "النظام" يتخذ من كافّة الناس، تاجر وحرّاث ومحترف، ومكتسب بالغنم والبقر وغير ذلك[69] ومنهم من حرّض على الجهاد، وأظهر ثوابه وفضائله.

ويظهر أن المخزن هو الآخر، لم يستطع أن يجد الوسائل الكافية لتجاوز النظام العسكريّ التقليدي، وتلبية النزعة المركزية التي صارت تطرح نفسها بإلحاح، وتأمين المرحلة الانتقالية وتسهيلها على نفسه وعلى رعاياه.

فتأسيس جيش نظامي، لم يكن يتوقف فقط على تكييف النظام العسكريّ مع التطور التقني والعلمي الذي شهدته الجيوش التي هزمت المغرب، وحصر هذا في

(69) ابن سودة، م.ذ.

إطار تقني محدود، بل إن هذا التكييف كـان مرتبطـا ارتباطـا وثيقـا بحالـة الاقتصـاد العام والحالة السياسية الاجتماعية.

فقد كان الأمر يقتضي إيجاد الوسائل لجعل سكان بلـد ذي اقتصـاد فلاحـي يساهمون بصفة دائمة في تكوين وحـدات نظاميـة، وإقنـاع محـاربين تعـودوا علـى "ركوب الخيل لأنفسهم"، بأن يركبوها لحساب المخزن فقط، ومقـابل راتـب وأنّ هذا لم يكن إهانة[70] وكذلك التغلب على كلّ الحواجز التي قامت دون ذلـك منـذ زمن طويل ودفعت بالسلاطين إلى اللجوء للعلـوج والأتـراك والمسيحيين والعبيـد، وقبائل الجيش.

لقد دشّن مولاي عبد الرّحمان هذه المحاولات بتجنيد بعض العناصر الجديـدة التي أضفى عليها صفة وحدات دائمة بتموينها ودفع رواتب لها، وذلك انطلاقا من سنة 1261هـ - 1844م[71].

ومن المؤكّد أنّ فرقا من هـذا العسـكر كـانت موجـودة سـنة 1846م داخـل الجيش المخزني، وأن المخزن كـان يعتمـد عليهـا في حمايـة تـازة مـن غـارات عبـد القادر، والقبائل الموالية وأن مولاي عبد الرّحمان كان مقتنعا بفعاليـة هـذا العسـكر الجديد، كما يظهر ذلك من الرّسالة التي أرسلها بتاريخ رمضـان 1263هـ - 1846م لابنه سيدي محمّد الذي كان مكلّفا بأمور الجيش والتي يأمره فيها "بالاستكثار مـن

---

(70) يعبر عن هذه العقلية محمد الحاج الدلاني إذ يقول "من ركب الخيل لنفسه دون راتب المخزن لا ترضى همته أن تهان" الرّسالة جاءت في الضعيف، **تاريخ الضعيف**، **س.ذ.**، ص. 41.

(71) ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 77.

محمّد المختار السّوسي، **حول المائدة**، مطبعة المغرب، بدون تاريخ، ص. 12، يروي عن القائد منّو أنّ أباه الحاج محمّد منّو ذهب للحج في أواسط دولة مولاي عبد الرّحمان وأنّه سمع مناديا للجهاد فبادر للانتظام في الجندية العثمانية هو وعدد من المغاربة. وصار ضابطا صغيرا ثمّ أرسل في جيش عثماني إلى طرابلس وهناك سمع أنّ سلطان المغرب شرع في تنظيم جيش على النظام الحديث فلمّا دخل المغرب وجد الأمير سيدي محمّد منغرقا في ذلك بعد واقعة إسلي فدخل الجيش.

العسكر النظامي" إذ ظهر ثباته وإقدامه ونكايته في العدوّ، واستكثر به على قانونه وإعداد عدّته"[72].

ويتّضح من نفس الرسالة أن المخزن صار يفرض عددا من العساكر على كلّ قبيلة، مثلا :

| | |
|---|---|
| رماة العرب | : مائة |
| أولاد نصير | : مائة |
| ذوي منيع | : خمسون |
| شجع | : خمسون |
| رماة الجبل | : ثلاثمائة أوأربع[73] |

ويظهر إيمان مولاي عبد الرّحمان بأهمّيّة الرّماة وعزمه على "الاستكثار" من العسكر الجديد، من خلال الرّسالة نفسها حيث جاء فيها : "وخذ الأهبة والاستعداد لعمارة تازة وشحنها بالرماة النفاعة التي تكون حامية ومانعة، فإن الرّماة أكثر معونة وأقلّ مؤونة".

غير أن مولاي عبد الرّحمان لم يستمر في سياسة تبديل الهياكل هذه، رغم ما أظهره من حماس بالعسكر الجديد، وما أثاره "عسكر النظام" من مدح في قصائد الشعراء. فيوسف بن بدر الدين المديني يقول[74] :

أميـــر المؤمنين لـه مزايـــا ... يـضيف النشر عنها والنظام
وأعظمها إذا ذكرت وعدّت ... كانت بأجمعها عظام
"نظام" عقده للدّين عقدا ... نفير زان جوهره نظام

وابن إدريس الوزير يقول :

للّه في هذا الوجود خلاصة ... هداة لهم في كلّ صالحة ذكر
"عساكر" فتح عود اللّه رفعها ... إذا قوبلت يرى لناصبها الكسر

(72) ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 82.

(73) **ن.م.س.**

(74) جاء بهذه الأشعار: المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، **س.ذ.**، ص. 56-57.

فقد قرّر الرّجوع إلى النّظام القديم قائلا "إنّ عسكرنا حين يأتينا العـدوّ هـو ما نجمعه من الجموع وعلى هذا كان أسلافنا". ويمكن تفسير هذا الـتراجع، زيـادة على الاقتناع بفعالية التّعبئة العامّة في وقت الخطر الخارجي، بالصعوبة التي واجهها المخزن في تعميم فرض إدالات دائمة من العسكر علـى القبـائل والمـدن، وصعوبـة الاحتفاظ بهذا العسكر والنّفقـة عليـه. وهـذه الصّعوبـة لم يتجاوزهـا مـولاي عبـد الرّحمان رغم لجوئه إلى اللين، كما يظهر من نصيحته لابنه سيدي محمّد "بجعل نظام التناوب داخل العسكر حتى لايملّوا ويلجئوا للهرب. "حتى إن كـان الطّـول يملّهـم اجعل لهم الإدالة يتبدّلون بعد الشهر والشهرين، ولا يلحقهم ملل ولا ضجر"[75].

ورغم لجوئه إلى سياسة إقناع دينية كما تدلّ على ذلـك الرّسـالة السّـلطانية التي طاف بها الفقيه ابن عبد السّلام على عمّال المملكة في جمادى الأولى من سنة 1267هـ - 1855م والتي كانت مليئة بالوعظ والحثّ على احترام مبـاديء الديـن مـن صلاة وصيام وزكاة والابتعاد عن المنكر، ومضيفا "الجهاد المشروط بتعلّم قواعده :

"وكما وقع التساهل في أصول الدّين المذكورة، وقع التّسـاهل في فروعهـا، وبـالأحرى كالجهاد، فإنه وإن كان فرض كفاية يسقط الطلب عن البعض بسبب قيام البعـض بـه، فربّما يصير فرض عين إن فاجأ العدوّ. قال خليل في مختصره :

" وتعيّن لفجأ العدوّ ولو على امرأة، يحتاج الإنسان إلى نيّته ومعرفة أحكامه، وتعلّم مـا يقوّى به عليه من رماية، وفروسية، وغير ذلك. قال تعالى "وأعدّوا لهم ما اسـتطعتم مـن قوّة ورباط الخيل" وقال عليه الصلاة والسّلام : "من مات ولم يغز ولم ينـو الغـزو مـات ميتة جاهلية"[76].

ومع هذه السّياسة " لم ينتظم في ذلك السّلك غير من لايؤبه به من "أخـلاط الرّعاع" "فارتكبوا ما هو من شأنهم من كل شنيع"[77]، وهذا المشكل لم يتجـاوزه السلاطين الذين جاؤوا بعد مولاي عبد الرّحمان.

---

(75) ابن زيدان، **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 5، ص. 96-97، وكذلك : **العزّ والصّولة**، س.ذ.، ج. 2، ص. 215.

(76) **ن.م.س.**، ص. 70.

(77) مجهول الابتسام، **س.ذ.**، ص. 61، الذي يقول : "لم ينضم إليه إلا أخلاط الناس لإباية قبائل الجيش من الدخول إليه".

فبالرغم من ظهور عـزم سيدي محمّد بعد معركة تطوان على استئناف السياسة التي بدأها في عهد والده، وتأكّد هذه السياسة في عهد ولده مولاي الحسن، فقد بقيت مشكلة جمع العسكر ومنعهم من الهروب ومستوى العناصر التي تكون هذا العسكر والنفقة عليه من المشاكل التي لم يتغلّب عليها، رغم الحجج الدينية، وفي بعض الأحيان الوسائل التعسفّية التي كانوا يلجئون إليها.

فسيدي محمّد بن عبد الرّحمان، دفعه انهزام الجيش المغربيّ في1860م أمام الإسبان، لإحياء المشروع الذي بدأه في حياة أبيه، مستفتيا العلماء[78] ومن بين العلماء والفقهاء والقضاة الذين افتوا في هذا الشأن :

القاضي محمّد بن عبد الرّحمان العلوي المدغري ؛

القاضي محمّد المهدي بن الطالب بن سودة المتوفي سنة 1868م ؛

الشيخ محمّد بن محمّد بن حمادي المكناسي ؛

الشيخ محمّد مسواك ؛

القاضي الحاج محمّد بن محمّد الفيلالي ؛

الشيخ أحمد كلا بن أحمد بناني الفاسي المتوفي سنة 1306 هـ/1888م[79].

وهذا اللجوء المستمرّ لفتاوي العلماء في شأن الجيش، لا يدلّ فقط على الاقتناع بضرورة الالتزام بمقتضيات الشريعة الإسلامية، والسّهر على تجنّب كلّ ما من شأنه أن يقال عنه "بدعة شنيعة" بل يعكس أيضا الصعوبة التي كانت تعترض المخزن كلّما قرّر رفع عدد عساكره، وكذا عجزه عن الاحتفاظ بما يجتمع له من جنود، وتعبئتهم بصفة منتظمة ونهائية.

ويتّضح ذلك كلّه من خلال بعض كنانيش الجيش.إذ لا نكاد نجد مائة

---

(78) زيادة على اقتناع سيدي محمد بضرورة إعادة تنظيم الجيش منذ عهد أبيه، فإنّ المغرب تعهّد في البند السادس من اتفاقية الصلح التي عقدت بينه وبين إسبانيا بعد حرب تطوان في مايو 1860م بتكوين فرق نظامية على حدود سبتة ومليلية، لمنع ومعاقبة الهجومات القبلية.

(79) اللائحة جاء بها المنوني، س.ذ.، ص. 263 ـ 273.

A.Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830-1912,* Paris, 1977, p. 280.

واحدة كاملة. فعدّة مئات لا تتكوّن سوى من 6 أو 7 انباشيات[80] عوض 8 وعـدّة انباشيات لاتشتمل إلا على 5 وفي بعض الأحيان 4 أسماء عوض 12 وحينما يحتوي انباشي على عشرة أسماء نلاحظ أمام عدة أسماء "فارّ"، أو "غائب"، أو "لم يحضر"، أو "مريض"، أو "سرّح" أو "رحمه الله"، أو "أخرجـه النفـع"[81] فـإذا زدنـا عليهـم المتغيبين الذين لايذكرهم التقييد، لأن كثـيرا مـن القـوّاد، كـانوا يسـلكون سياسـة "رجل التبن" أو النفخ[82] ولا يحذفون أسماء المتغيبين من هراب وموتى حتى يحتفظوا لأنفسهم بالأجور، استنتجنا أن العساكر المتوفّرة فعلا، كانت أقلّ بكثير من العـدد المفروض على القبائل والمدن، حيث تصل نسبة المتغيبين في بعض الدواوير إلى أكـثر من الثلث[83] بالرغم من وجود وسائل الترغيب والترهيـب. فمن وسـائل الـترغيب مثـلا، تكلـف المخـزن بكسـوة العسـكر الـتي كـانت في الأوّل مـن "الملـف الرفيـع وكسوة رووساءه مزركشة ومرصّعة بخيوط الذهب ونعـالهم مـن جلـد أحمـر، أمـا سلاح الجيش فكان من أعلى طراز"[84] وكذلك تأديته رواتـب يومية للمنخرطـين بينما لم يكن يؤدّي لجيوش النايبة أيّ راتب، حتى أثناء الحركة، ومـن بـين وسـائل الترهيب، إلقاء المسؤولية على كلّ الدوار أو الحومـة، في حالة فـرار أحـد أفـرادها المجنّديـن فمثلا في فاس، كان أعيان كلّ حومة من الحومات الثماني عشر، وعلـى رأسهم المقدّم، يقومون بتوقيع تعهّـد للمخـزن، يضمنـون فيـه عـدد العسـكر علـى حومتهم. ومن رفض توقيع التعهّد سجن. كما كان الهارب يعوّضـه أخـوه أو ابنـه أو والده وإذا قبض عليه عوقب "بأزفل" أو بالسجن[85].

(80) الإنباشي : كلمة تركية مرادفة Escouade، فرقة من 12 فردا.

(81) خ.ح.، **بيان عدد العسكر في شراكة وولاد جامع**، الكنـاش 2، خ.ح.، **بيـان عسـكر السراغنة**، كناش د 319، 3034، عام 1292.

(82) ترجمة Homme de paille و Gonflement، الزيادة في الأعداد، حول هذه الوسائل.

عبد الوهـاب بـن المنصـور، **أعـلام المغـرب العربـي**، المطبعـة الملكيـة، الربـاط، 1979، ج. 1، ص. 342.

(83) متغيبو عسكر دوار الزناكية بلغوا 12 من مجموع 34.

(84) ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 5، ص. 76.

(85) كناش يتعلق بالعسكر الفاسي، د 3024، خ.م.

وبارتفاع حاجة المخزن إلى العساكر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وحاجته إلى فرض أكثر ما يمكن من العسكر على أكثر عدد من القبائل، لجأ المخزن إلى وسائل أكثر تعسّفا، كإرسال العساكر المفروضة بالأكبال تجاه العاصمة وكيّهم بالحديد المحمي حتى يحتفظوا بعلامة تسمح بالتعرّف عليهم في حالة الفرار، والقيام بحركات خصيصا لجمع العسكر[86]. وقد زاد من هذا التعسّف عدم وضع قوانين قارّة لكيفية تجنيد العسكر الجديد ولمدّته[87].

فعدد العسكر الذي كان يفرض على كلّ ناحية أو مدينة إعطاءه، كان المخزن يحدّده دون وضوح المقاييس التي كان يعتمد عليها في هذا التحديد. فمولاي الحسن مثلا، فرض في أوائل عهده على سكّان الحواضر والقبائل أعدادا تتراوح بين 200 و2000 نفر[88] :

| | |
|---|---|
| العرائش | 200 : |
| فاس | 500 : |
| الرّباط سلا | 600 : |
| دكالة | 2000 : |
| الشاوية | 2000 : |
| الرحامنة | 2000 : |

ولا تتوفر لنا وثائق تفسّر لنا المقياس التقني لهذا التحديد، والغالب على الظن، إنه كان على علاقة بعدد السكان ونسبة "طاعة القبيلة"، وهذه مقاييس تقديرية وظرفية لعدم وجود إحصائيات رسميّة لعدد أفراد كلّ قبيلة أو مدينة.

فقد كان المخزن يفرض العدد الإجمالي لكلّ ناحية، وحسب هذا العدد كان كلّ عامل يحدد العدد اللازم لكل قبيلة، وكل قائد قبيلة يحدّد العدد الواجب لكلّ دوّار أو جماعة، وكلّ مقدّم يحدّد العدد الذي كانت كلّ عائلة أو كانون، ملزما

---

(86) A.M.G.V., C. 5, Mission militaire française, 25 Mars 1900.

(87) يقول مجهول الابتسام، س.ذ.، ص.62 : "وأراد أن يجعله لقانون التّرك فلم يستقم له ذلك لتعذّر وجود القانون في المغرب".

(88) J.L. Miège, *op.cit.*, T.III, p. 224.

بإعطائه ورئيس كلّ عائلة يعيّن الأفراد الملزم تقديمهم[89]، فكلّ عائلة كانت مبدئيا ملزمة بإعطاء فرد للعسكر. ولكنّ هذا لم يكن يطبّق بتدقيق، إلا على قبائل الجيش التي كان عدد أفرادها مبدئيا مضبوطا في سجلات مخزنية.

أما بقيّة القبائل، فكان أمرها يفوّض "للولاة" وهذا التفويض الذي كان يترك للعمال والباشوات الذين يعرف المخزن "فسادهم، "يفسّرأن أغلبية الذين صاروا يدخلون العسكر، كانوا من المراهقين وبدون مهنة[90] ومن لا "عبرة لهم" ومن "أخلاط الرعاع"[91]. كما أن الجنود الذين يدخلون العسكر كانوا ينسون فيه، ولا يفارقونه إلا إذا فروا أو ماتوا[92]. وإلى جانب صعوبة إيجاد الوسائل القانونية والعملية لجعل القبائل والمدن، تعطى عددا معيّنا من العسكر، واجه المخزن المشاكل المادية الناجمة عن ضرورة تأدية الأجور والكسوة للجنود وتسليحهم، خصوصا وأن موارده المالية تقلّصت كثيرا بعد المعاهدة الإنجليزية المغربيّة التي قيّدت حرّية المخزن فيما يخص الضريبة المفروضة على الصادرات والواردات، وزادت تقلّصا بعد حرب تطوان حيث استنزفت كلّ أموال بيت المال، ورهنت مداخيل الديوانة، مقابل الدين الإنجليزي لأداء ما تبقّى من غرامة الحرب الإسبانية، وكذلك لارتفاع الحمايات وإعفاء الأجانب من كثير من أنواع الضرائب. أما الضرائب الشرعية أي الزكوات والأعشار فإنها لم تكن أبدا كافية حتى في السنوات الخصبة، وفي عهد طاعة القبائل لتغطية هذه التكاليف.

لجأ سيدي محمّد بن عبد الرّحمان، بعد أن ظهر عدم كفاية الوسائل المتوفّرة ورغم جمعه التبرّعات من تجّار فاس، إلى العلماء لتبرير المكوس المفروضة على الأبواب، وإضفاء صبغة شرعية عليها. وجاء في رسالة موجهة لأمناء المراسي حول

---

(89) A.M.G.V.,C. 2, Rapport de la M.M.F., 1878.

(90) في أوصاف العسكر المذكورة في كنانيش العسكر السابقة تتردّد كلمة صبي، أو حديث النبات، أولا نبات له، وكذلك : لا حرفة له.

(91) العبارة لـ : ابن زيدان، **س.ذ**، ج. 5، ص. 59.

(92) يؤكّد هذا رسالة من سيدي محمّد بن عبد الرحمن لبركاش يذكر فيها السّلطان أن "العسكري إذا دخل العسكر وشهد عليه دخوله فلا سبيل لخروجه منه".
**الوثائق**، ج. 4، ص. 242.

هذه النقطة بالذات[93] :

"وبعد، فإننا لما أخذنا في جمع النظام للمصلحة المتعيّنة الواضحة، فصير عليه في شهر واحد، فاجتمع فيه عدد كثير، فكيف إن جمعنا منه عددا معتبرا يحصل به المراد، ويكون قذي في أعيّن الفسّاد. اقتضى الحال ذكر ذلك لكبراء التجار لينظروا فيما يستعان به على أمرهم، إذ لا بد من كفايتهم، وإلا انحل نظام جمعهم. وفي ذلك ما لا يجهله من له عقل ومحبة في الدين. فأشاروا بفرض إعانة لا ضرر فيها للرعية، وسطّروها في ورقة، وهي كلا شيء بالنسبة لما ارتكبه الملوك في مثل هذا للاستعانة به على المصالح المرعية، وللضرورة أحكام تخصها كما هو معلوم مقرر ومسطر، في غير ما ديوان محرر، ثم اقتضى نظرنا أن نسند الأمر في ذلك لأهل العلم ليقرروا للناس حكمه تقريرا تنشرح له الصدور، ويعمل بمقتضاه في الورود والصدور، وإن كان جلهم يعلم هذا، إذ من المعلوم أن الرعية لايستقيم أمرها إلا بجند قوي با لله، ولا جند إلا بمال، وهو لا يكون إلا من الرعية، على وجه لا ضرر فيه، وقد أخذ الناس هذه مدة بحضرتنا العالية با لله وبمكناسة وتازا والعدوتين ومرّاكش، وسلكوا في ترتيبه أحسن المسالك، ولا نشك أن بركة ذلك تعود عليهم في أموالهم وأوّلادهم وأنفسهم. فبوصول هذا إليكم، قوموا على ساق الجد في القبض من الناس على الباب، على نحو ما في الورقة المشار إليها، ولا دخل للنصارى في ذلك. وا لله أسأل أن يبارك للمسلمين في مالهم، ويعوضهم خلفا آمين. والسّلام في الثاني والعشرين من رجب الفرد الحرام عام سبعة وسبعيّن ومائتين وألف".

ويمكن أن نستنتج من بعض الوسائل التي اقترحها على السلاطين بعض الذين اهتمّوا بمسألة العسكر وجمعه، ظهور الصعوبة التي كانت متوقعة منذ الأوّل، في توسيع قاعدة الجيش وجعل كل المناطق تساهم في تكوينه وإيجاد الموارد للنفقة عليه. وهذا نموذج لهذه الاقتراحات جاءت في رسالة العبد الضعيف، إلى السّلطان الأعظم الشريف[94]. وهي رسالة يظهر أن صاحبها كان على علم بالوسائل التي استعملها الفرنسيّون لإرغام الجزائريين على الدخول في الجيش الفرنسي، ويريد من المخزن أن يستعملها لجمع العسكر والنفقة عليه. فهو يقترح

---

(93) الرسالة جاء بها الناصري، **الاستقصاء، س.ذ.**، ج. 9، ص. 102.

وقد فرض مولاي عبد الرحمن في الأول المكس على الجلود في المدن على يد مصطفى بن الجيلالي المالطي، والمكي القباج، ثم في البهائم ثم عمّم على كل المبيعات.

(94) ابن عزوز، **رسالة العبد الضعيف إلى السلطان الأعظم الشريف**، مخ.خ.ح. رقم د 1623.

في الفصل الثاني الذي يشتمل على "القانون الأكبر المشتمل على مكايد جمع العسكر من مرّاكش وفاس وبجميع ميادين المغرب والقرى والبوادي والبرابر استعمال الحيل الغريبة والمكايد العظيمة".

"فمع أهل مرّاكش يجمع السّلطان منهم الأغنياء وأهل الفضل والخير، ويكرمهم ويلاطفهم، ثم يطلب منهم دفع سبعمائة من أوّلادهم، لنتبرك بهم ونجمع العسكر عليهم، وبعد سبعة أيام يجمعهم ثانيا، ويأخذ منهم سبعمائة آخرين، وهكذا أربع مرات. بعد ذلك يعلمهم أن أوّلادهم يتعلّمون علم العسكر أوّل النهار إلى آخره، وينهبون إلى ديارهم. ويأخذ السّلطان "بخواطرهم" ما أمكن، ويأمر صاحب الديوان يفعل معهم خيرا، ولا يكلفهم بشيء. ثم إذا عزمت للخروج للجهاد ترجعهم إلى الصويرة قريبا منهم ومن أراد منهم ولده فليحضر إلى الصويرة".

أمّا مع أهل فاس، فيقترح على السّلطان استعمال العنف كأن يرسل الجنود لإحضار الأغنياء من منازلهم بالقوة، وإخراج ما خزنوه من الأموال، وأخذ بغالهم وتوبيخهم، ثم يهجم الجنود ليلا، على كل دار وحومة، ويرقمون ما فيها من الشباب والبالغين، وفي الصباح، يقسم الجند فرقا. فرقة تجمع ما زمم في الليل، وفرقة تحرس حرمات السادات حتى لاتلتجئ إليها الناس، وفرقة تذهب إلى الفنادق والأسواق والحمّامات وللأرحية والمصاري والفرارين، وتأتي من هناك بأهل سوس وأهل القبلة، ومن بعد وطنه، ويجمع الجميع في موضع حصين، ثم يحمي مسامير ويكوي بها كل فرد من أفراد العسكر المقبوض، كيتين، أحدهما تحت كوع اليد اليمنى، والثانية على اليد اليسرى، ثم يقسم هذا العسكر أربع فرق : فرقتين من أهل المدينة : الواحدة للقتال، والأخرى للطبخ، وفرقتين من أهل البادية، أحداهما لنصب الفساطيط ولرعي دواب العسكر، والأخرى للقتال على ظهور الخيل، ثم تراقب أبواب المدن وتعطي جوازات للمرور لمراقبة الفارّين.

أما من يسخط عليه السّلطان من القبائل فإنه "لايسجنهم بل يكلّفهم بجمع القمح والسمن للعسكر، ولايبقى له إلا ما يأكل هو وزوجته وأولاده مدّة سنة كاملة. ويؤخذ من بلغ من الولد ومن شب ويدفع للعسكر. وهكذا يكون قهر القبائل حتى يشتغل كل واحد بنفسه".

ومن الحيل التي يسكن بها "روع" أهل المدن والقرى ينصح السّلطان بـ"أخذ بعض أولادك المراهقين، وألبسه لباس العسكر، ثم مر باجتماع أهل المدينة التي أنت

فيها، ثم يأتي فقيه ومعه الصبي، ويقدّمه للناس، ويقول لهم (ادخل النزام) وأنه يريد جمع 000 300 من العسكر، ولتجهيز هذا العسكر يأتي بالسّلاح من بلاد النصارى، ويأمر أهل المدن من حرفيين ويهود القرى بتجهيز الفساطيط والكراريط، وأدوات الأكل والرايات".

### ب ـ التدريب

وقد اتبع المخزن في سياسته العسكريّة الجديدة السياسة التي اتبعها بايات تونس في إصلاح الجيش التونسي قبل الاستعمار الفرنسيّ. إذ أعادوا هيكلته، وأرسلوا بعثات للتدريب في الخارج، واستدعوا بعثات لتدريب الجيش التونسي، وسلّحوا هذا الجيش بأسلحة أروبية حديثة.

وإذا كان بايات تونس، قد قلّدوا مباشرة النّمط الأروبي، فإن "إصلاح" الجيش، في المغرب مر بمرحلتين : مرحلة تنظيم الجيش على النّمط التركي ومرحلة النّمط الأوربيّ.

**ـ النّمط التركي :** لم تكن هذه أوّل مرة يقلّد فيها المغرب النّمط التركي في الجيش، فالسّعديون كما تقدّم، أخذوا الكثير عن الأتراك، ورغم أن المولى إسماعيل قضى كثيرا على هذا التأثير ليعطي أكثر ما يمكن للجيش طابعا مغربيّا محضا، فقد بقيت بعض العادات التركية عالقة بهذا الجيش، منها على سبيل المثال المظل والفرقة الموسيقية التي تصحب الجيش.

ويمكن أن يفسّر اللجوء إلى الأتراك لإعادة تنظيم الجيش بعد معركة إسلي بحرص المخزن على أن تبقى "الإصلاحات" في إطار إسلامي، تلافيا لمعارضة ذات طابع ديني.

وظهر العزم على الاقتداء بالجيش التركي منذ البداية. وقد تكون كلمة نظام أو نزام نفسها التي صارت مرادفة لكلمة العسكر، و"الإصلاح"، يرجع أصلها إلى الكلمة التي استعملت في الجيش التركي بعد إصلاح الجيش وتأسيس المدرسة العسكرية النظامية ببغداد، التي تنسب لنظام الملك. ورسالة محمّد الرزيني إلى مولاي عبد الرّحمان التي يتحدّث فيها عن سفارة المسمّى عبد السّلام إلى مصر تدلّ على الأقلّ أنّه كان يوجد في حوزة المخزن نماذج للمنهج العسكريّ التركي، إذ جاء فيها : " سال عن مولانا وعن أمر المغرب، وقال هل عند مولانا نزام ؟ قال :

نعم، قال : هل المعلمين مسلمين قال نعم، قال للكاتب : اعطه كتب النزام فأعطاه خمسة وثلاثين، وفيهم واحد طيّب جيّد غاية، وهذا الحاج عبد السّلام يفهم في أمر النظام ؟".

لجأ المخزن في بداية الأمر إلى مدرّبين تونسيين وجزائريين كعليّ وحمودة الجزائري ومحمّد الخوجة التونسي، وكان عدد من الجزائريين يوجدون داخل الجيش المخزني منذ استيلاء الفرنسيين على الجزائر حيث كانوا عارفين بالطّبجية وصنعة "البونب "والمدافع والمهاريس كما استعمل مغاربة كانوا قد انخرطوا في الجيش العثماني بقصد الجهاد ضد روسيا ودخلوا المغرب حينما علموا أن السلطان شرع في تنظيم جيش"النظام"[95] كما قام بإرسال طلبة من الجيش لمصر في عهد سيدي محمّد بن عبد الرّحمان كما تدلّ على ذلك الرسالة التالية[96].

"خديمنا الأرضي محمّد بن سعيد السلاوي وفقك اللّه وسلام عليك ورحمة اللّه تعالى وبركاته. وبعد فإن هذه الخطط الجهادية من علم البحر وتطبجيت ضعفت في الغرب حتى كادت أن تفقد، وقد اعتنى بها ملوك الإسلام في هذا الوقت فانتفعوا بها انتفاعا بيّنا وأدركوا منها ما لم يدركه غيرهم. وقد بلغ إسماعيل باشا اهتمامنا بالأمور الجهادية حيث وجّهنا من يتعلّم عمل البارود وغيره على الكيفية المعروفة عندهم فأجاب بأنّه اعتنى بأمرهم وطلب تكليفه بما يتعلّق بهذا الأمر، ووعد بالوقوف فيه غير أنّه طلب أن يكون المتعلّمون صغارا لأنّهم أقبل للتعليم وأسرع نجابة من الكبار. فاقتضى نظرنا تعيّين ثلاثين من الأولاد الصغار والنجباء وتربيتهم بحضرتنا الشريفة في تعلّم ما لا بد منه من مقدمات ذلك، من حساب وتوقيت وهندسة وشبه ذلك، ثم نوجّههم بعد لمصر، وأردنا انتخابهم من أولاد الجيش البخاري وأهل فاس والعدوتين وأهل الصّويرة.

---

(95) يدلّ على وجود عدّة جزائريين داخل الجيش المخزني منذ الهجوم الفرنسي على الجزائر ظهير مولاي عبد الرحمان لعبد الرّحمان أشعاش المؤرّخ في جمادى الأولى من سنة 1246هـ/1834م، وهي موجودة بالمحفظة 5/2 خ.ح.
وحول دخول مغاربة كانوا قد تجنّدوا داخل الجيش العثماني لمحاربة روسيا : انظر محمّد المختار السّوسي، **حول مائدة الطعام**، بدون تاريخ، ص. 12، ويتعلّق الأمر بالحاج محمّد منّو السّوسي هو ومغاربة آخرون كانوا داخل الجيش العثماني وفارقوه حينما سمعوا أن سلطان المغرب شرع في تأسيس جيش النّظام.

(96) ابن زيدان، **الإتحاف**، ج. 5، ص. 242.

فنأمرك أن تنتخب من أولاد خدّامنا أهل سلا الصّغار ثلاثة. وقد أمرنا عامل الرّباط بانتخاب ثلاثة من أولاد الرّباط، ليكون ثلاثة طبجيّة وثلاثة بحريّة. وليكن سنهم من أربع عشرة سنة إلى خمس عشرة سنة، فمن يعرف الكتابة والقراءة وظهرت مخايل النّجابة والذّكاء والفطنة وعدهم وأهلهم بالإحسان التّام من جانبنا العالي بالله في حال التعلّم، على ما يترقّبونه من إحراز المزيّة والمرتبة العلّية لمن برع منهم فيما عيّن له.وحين تعيّنونهم لحضرتنا الشّريفة بعد أن يدفع لهم الأمناء ما يتزوّدون به ويكتروا لهم ما يركبون عليه واصلين لحضرتنا العاليّة بالله، فاطلعهم على كتابنا هذا ليعملوا بمقتضاه، والسّلام. 5 حجة الحرام عام 1283 هـ/11 أبريل 1867م".

كانت بعض الكتب التي استعملت لوضع قوانين العسكر في الأوّل مؤلّفة بالتّركيّة ثم ترجمت للعربيّة، فمثلا كتاب "القوانين الداخليّة المتعلّق بمشاة العساكر الجهاديّة في سبيل اللّه"، كتبه مؤلّفه بالتّركيّة ثمّ نقل منها للعربيّة(97) وكل الألفاظ التّقنيّة بقيت بالتركيّة.

ويؤكّد محمّد بن أحمد الخوجة التّونسي الذي كان قائدا لطابور مكناس، وألّف نظام الجيش وكيفيّة القتال لسيدي محمّد بن عبد الرّحمان حينما كان خليفة لأبيه ضرورة الالتجاء للألفاظ التركية، فهو يقول في مقدّمة رسالته(98) :

"إن لغة العسكر هي لغة التّرك ومزجوها بلغة الرّوم والفارسيّة". ولم يقتصر تقليد النّظام العسكريّ التّركي على الألفاظ بل تعدّاها إلى النّظام نفسه. فالتّقسيم العسكريّ الجديد كان يشبه التّقسيم التّركي الذي يشبه التّقسيم القديم لوحدات الجيش الفرنسي"(99).

فالطّابور : "الرحى القديمة" ينقسم إلى 6 أو 8 مائة والمائة تنقسم إلى اثنين وأربع وثمان وحدات سمّيت انباشيات وقائد الرحى صار يسمّى أغا. وصار الطابور وقوف يشكل على النّمط التالي(100) :

---

(97) كتاب القوانين الداخلية المتعلقة بمشاة العسكر الجهادية في سبيل الله، خ.ح.، رقم 57.

(98) محمد بن أحمد الخوجة التونسي، خ.ع. رقم 2733.

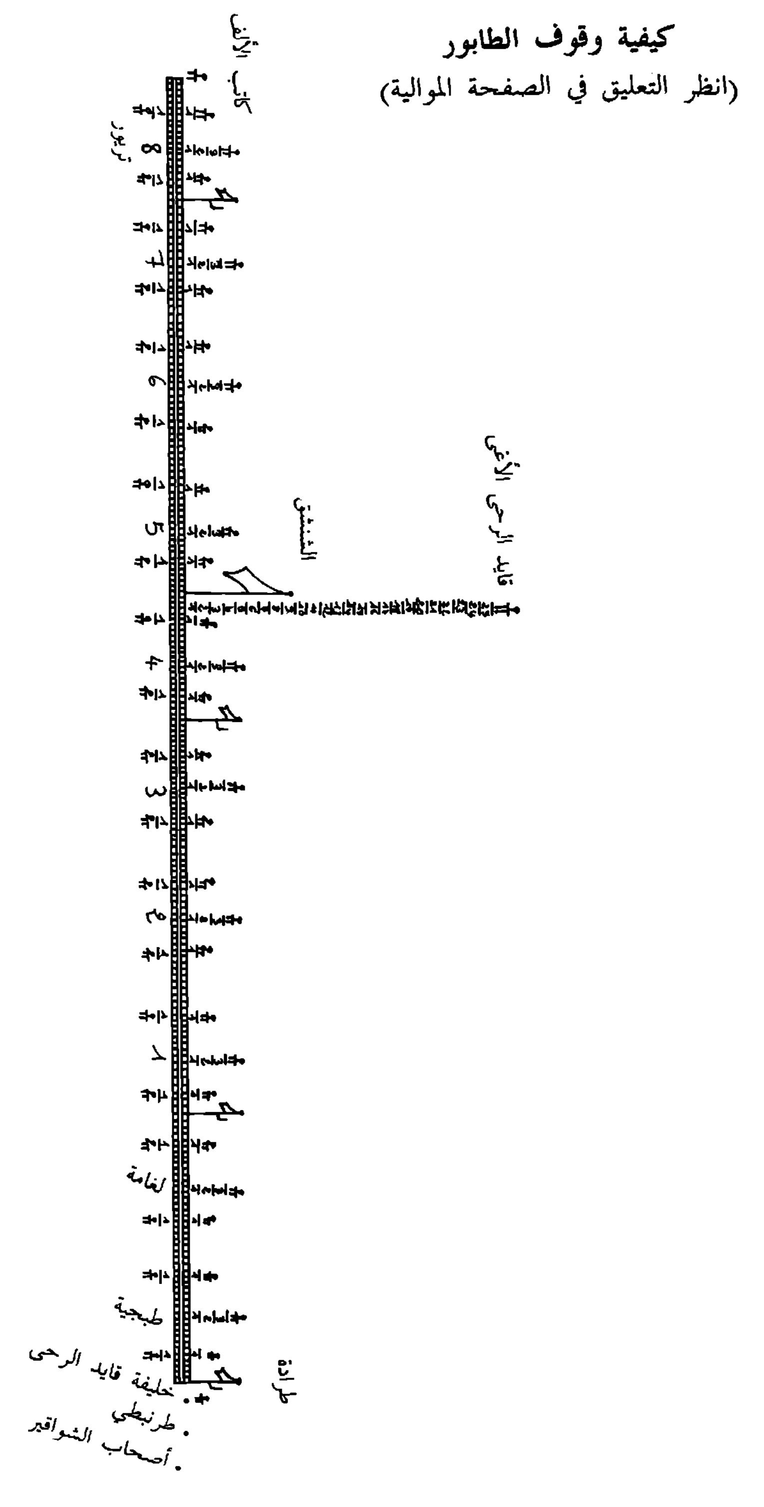
(99) تقرير للبعثة العسكرية الفرنسية أرسله :

Le Commandant Martin Breuille; A.M.G.V., C. 3, 1882.

(100) الجداول موضوعة حسب الرّسم والمعلومات التي جاءت في كناش رقم ك 2733، خ.ع. وينسبه الأستاذ المنوني للخوجة التّونسي.

## كيفية وقوف الطابور

(انظر التعليق في الصفحة الموالية)



## وقوف الطابور

| | |
|---|---|
| المائة الأولى | طبجية. |
| المائة الثانية | اللغامة : مهندسون مهمّتهم وضع المتاريس وحفر الألغام، ويسهّلون الطريق أمام العسكر. |
| المائة الأخيرة | مروحية (تريور) وتبدأ بالقتال حتّى تترتّب صفوف العسكر. |
| طرّادات (علامات لوقوف الطابور) | الأولى في المائة، الأولى من العسكر ؛<br>الثانية في المائة الرّابعة ؛<br>الثّالثة في المائة الأخيرة. |
| الشّنشق الكبير | وهو الركيزة للألف في وسط الألف، بين المائة الرابعة والخامسة وعليه يقتتلون، لايبلغ العدو للشنشق حتّى تفنى العساكر التي أمامه أو خلفه عليه. |

## كيفية سير الطّابور

ثلاث من الخيل على اليمين وثلاث على الشمال وستّة في الوسط، وتسمّى عسّة الخيل ؛

الرّماة : العسّة الخارجية ؛

أصحاب الشّواقير ويرتدون صدريات من الجلد (تسمّى بالعامّية التبنديرة)

طرنبطي : (أصحاب الكرنيطة) ويعلنون عن أوامر رئيس الجيش حسب رموز موسيقية أثناء الحركة ؛

يصحب الطّابور عدد من البغال ؛

عدد أمراء الطّابور : مائة وثلاث عشرة.

### التّسميات الجديدة داخل الجيش

| الوظيفة | العربية | التركية | الرومية |
|---|---|---|---|
| حينما يبلغ الجيش ثلاث طوابير | الجيش | جيش آلاي | ريجمان |
| رئيس الجيش | | أمير آلاي | كرونيل |
| الخليفة الأيمن | | قائم مقام | |
| الخليفة الأيسر | | آلاي أمير | بطيلوك ماجور |

### تكوين المائة

| العربية | التركية | الرومية |
|---|---|---|
| قائد المائة | يزباشي | قبطان |
| أربع مقدّمين | شاوش | سرجان |
| أمين | مقدّم العدّة | |
| كاتب | بلوك أمين | فروا |
| خليفتان | ملازم | فسيال |

### السّلاح

| | |
|---|---|
| قائد الرحى (الأغى) | السّيوف وفي بعض الأحيان المسدّس |
| القائد وخليفته | السّيوف |
| العسكر | المكاحيل (البندقيات) |

كما أن بعض الألقاب والدّرجات الموجودة داخل الطّابور أصبحت بالتّركيّة : مثلا نجد المائة الأوّلى من "العسكر السعيد من أهل فاس الجديد" تتكوّن من الرتب الآتية :

الأغا ؛

خليفة ؛

قائد المائة ؛

ملازم أوّل ؛

ملازم ثاني ؛

باش شـاوش ؛

شاوش أوّل ؛

شاوش ثاني ؛

شاوش ثالث ؛

شاوش رابع ؛

بلوكمـير ؛

طنبرجي أوّل (الرماة بالمدافع) ؛

طنـبرجي ثاني ؛

طرنبـطي أوّل (الـذي يستعمل " الطرنبطـة وهـو المزمـار ينفـخ فيـه لجمـع العسكر، إما للأكل أو للتدريب أو للصلاة) ؛

طرنبطي ثاني ؛

ملازم طنـبرجية ؛

الحراب (القائد، المدرّب).

كما نجد هذا الطابع التركي في المصطلحات المستعملة في التدريبات فمثلا :

| | |
|---|---|
| ازرون | : رد بالك |
| جارة بربر | : يمين يمين |
| جولة بربر | : شمال شمال |
| على | : أمام |
| جارة بلك | : رأس يمين |
| دور | : قف |
| ازدور | : قدموا السّلاح[101]. |

ونجد هذا التقليد كذلك في البدلة العسكريّة. فبينما كان المخازنيّـة يلبسـون القفطان، والفرجيّة والشاشيّة، صار العسـكر يلبسـون بدلـة علـى الطّـراز التّـركي، بسروال أخضر أو أزرق، وبدعيّة وكبّوط أحمر ونعالا بنيّة، أو تمـاك[102] وطربوشـا

(101) A.M.G.V., C. 1, Manuel de l'officier, 1845.

(102) Botillon.

أحمر. وقد ظلّ هذا الطّابع التّركي يطغى على مظهـر الجيش حتى بعدما أو كـل تنظيمه وتأطيره وتدريبه إلى أطر أوربيّة، منذ عهد مولاي الحسن، ممـا يفسّـر تنـوّع البدلات العسكريّة في هذه الفترة، حيث كان أفراد نفس الطّابور، يرتـدون خليطا من بدلات تركيّة ومن كل أنواع البدلات الأوربيّة[103].

ـ **النّمط الأوربيّ** : وشيئا فشيئا تجاوزالمخزن مرحلة النّمـوذج التّركي ليمرّ إلى مرحلة النّموذج الأوربيّ، ففي نفس الوقت الذّي كـان المخـزن، يحاول إعـادة تنظيم الجيش بأطر تركيّة، وبإرسال بعض المغاربة للتدرّب في الشّرق، لجـأ كذلـك إلى إرسال أفواج أخرى للتّدرّب على الطريقة الأوربيّة والاستعانة بأطر أوربيّة.

ـ **البعثات المغربيّة للخـارج** : شـرع المخـزن في إرسـال أفـراد مـن العسـكر للتدرّب في الخارج في عهد سيدي محمّد بن عبد الرّحمان.

فبين سنتيي 1870م و1873م أرسل 200 من العسكر ينتمـون لمختلـف القبـائل إلى جبل طارق[104] وبين سنتي 1873م و1877م تـدرّب أربعمائـة وخمسـة وعشـرون عسكريّ في جبل طارق. وهذه البعثات كانت ترسل في أفواج من خمسة وعشرين عسكريّا كل سنة، حيث كانت كلّ بعثة تعوض التي ترجع للمغرب[105].

وإذا كان سيدي محمّد بن عبد الرّحمان قد أرسل بعض الطلبة إلى أوربّا كما يؤكد ذلك مؤلّف الحلل البهيّة[106] :

"ووجّه لتعلّم الهندسة والحرب عددا من طلبة المسلمين لبلد الرّوم، فتعلّموا ما يكفي من ذلك وما يحتاج إليه من علم الهندسـة وكيفيـة حـرب النّظـام" فـإن هـذا لم يـبدأ بصفـة واضحة إلا في عهد مولاي الحسن حيث اتسعت الرقعـة الجغرافيـة الـتي صـارت ترسـل إليها هذه البعثات، وصارت تشـمل عـدة بلـدان أوربّـة، بـل وحتّـى الولايـات المتحـدة الأمريكية".

---

(103) Augustin Bernard, *Le Maroc*, Felix Alan, Paris,1915, p. 255.

(104) J.L. Miège, *le Maroc et l'Europe, op.cit.*, T.IV, p. 96.

(105) **ن.م.س.**

(106) **الحلل البهية**، مخ.خ.ح.، رقم 1090 ض، ص. 223.

ـ ففي سنة 1291هـ ـ 1874م أرسل إلى معهد المهندسين الملكيّين بشاطام، ثلاث طلبة اختيروا من بين خمسة عشر طالب كانوا قد أرسلوا إلى طنجة لتعلّم المبادئ الأوّليّة في الحساب واللغة وهم :

محمّد الجبّاص الفاسي الذّي احتل فيما بعد عدّة مناصب عليا في المخزن، من بينها نائب وزير الحرب ثمّ النّيابة في المفاوضات حول الحدود في عام 1901م وتولّى منصب وزير الحرب في عام 1903م. ثمّ صار وزيرا صدرا وإدريس بن عبد الواحد الذي تكلّف بطبجية طنجة ثم بالتلغراف سنة 1883م والزّبير سكيرج الذي عمل في تحصين الموانئ وفي المدفعيّة، ثم ترجمانا .ودام تكوينهم ستّ سنوات تقريبا. وبعد رجوعهم، كتب النائب بركاش للسّلطان مولاي الحسن في شأنهم يذكّره بهم ويثني عليهم[107] :

"أنهي لكريم علم سيّدنا أيده اللّه، أن الطّلبة الثّلاثة الذّين كان أمر سيّدنا بتوجيههم للوندريز بقصد التعلّم، فقد تعلّموا واستوفوا، المقصود بسعادة مولانا أعزّه اللّه في هذه المدّة القريبة التي غيرهم يستحقّ ضعفها. وقد مدحوهم لا في القابليّة والفهم والنّجابة ولا في المروءة ومقابلة ما كانوا بصدده. وقد وردوا الآن وهم المذكورين بالطّرة. وأخبرنا سيّدنا أيده اللّه بذلك ليأمر بما يقتضيه نظره السّديد في شأنهم طالبا من مولانا رضاه والسّلام 1 ربيع الأوّل 1297.هـ ـ 12 فبراير 1880م".

الطالب محمّد الجبّاص الفاسي.
إدريس عبد الواحد.
الزبير السكيرج.

وفي سنة 1884م أرسلت بعثات إلى فرنسا منها ما توجّه إلى الأكاديميّة العسكريّة بـ توران Turin والبعض الآخر إلى أكاديمية موديـن Moden وليفورن

---

(107) **الوثائق**، المجموعة الثالثة، الرباط، 1976، ص 498 وهناك رسائل متعددة في شأن الطلبة الثلاثة، من بينها رسالة من هاي يطلب من المخزن أن يرسل كسوة جديدة للجباص لأنه كان سيحضر احتفالا رسميا يحضره ابن السلطانة.

خالد ابن الصغير، **س.ذ.**، ص. 433.

تفاصيل حول هذه البعثة في "مذكرة الزبير سكيرج"، مجلّة **دار النيابة**، العدد الثامن، 1965، ص. 29.

Livourne ومونبولي Montpelier كما أرسل طلبة إلى مدينة إسن Essen بألمانيا لتعلّم الرّمايّة على مدافع كروب Krupp .

وهؤلاء الطلبة هم :

العربى بن الصّديق ؛

أحمد بن القايد محمّد الدّردب ؛

محمّد بن لفقيه ؛

محمّد الفيلالي ؛

محمّد النّجار ؛

أحمد الحجّام ؛

محمّد سباطة ؛

أحمد الشديد ؛

وإلى جانب هؤلاء الطلبة،أرسل خمسة عشر من العسكر هم:

السباعي البرطاعي ؛

أحمد الرّحماني ؛

محمّد القصري ؛

ابن ميلود المكناسي ؛

محمّد العوني ؛

أحمد الحمري ؛

مبارك العبدي ؛

محمّد الدّودي ؛

العربي المكناسي ؛

محمّد السّوسي ؛

محمّد السّفيوي ؛

سعيد الحمري ؛

محمّد بن الحاج الهشتوكي ؛

محمّد الوعدودي ؛

ابن أبي شعيب الدّكالي.

وأرسل البعض إلى برلين للتدرّب داخل الحرس الألماني منهم :

الميلودي الرّياضي ؛

الحسين الوديي ؛

عبد السّلام الدسولي.

وتوجّه ثلاث طلبة إلى الأكاديمية العسكريّة بكوادلخارا بإسبانيا :

السيّد أحمد بن الحاجّ العبّاس بن شقرون الفاسي

السيّد عبد السّلام الرّباطي،

السيّد محمّد الشرادي الرّباطي.

كما أرسلت بعثة للتدريب في معمل السّلاح بلييج Liège ببلجيكا وكانت تتركّب من :

المعلم محمّد بن علي الفاسي، تعلّم صنعة تحدادات وتركيب المكينات ؛

محمّد المنظري الفاسي، تعلّم صنعة تحدادات وتركيب الميكنات وتخديم المخاريط ؛

الحسن الجندي، تعلّم صنعة تحدادات وتركيب المكينات ؛

أحمد الجندي، تعلّم صنعة تفصيل مكينة النجارة وتركيبها ؛

محمّد الودغيري، تعلّم كيفية فرغ المدبر وتركيب المكينات ؛

عبد الرّحمان البغدادي، تعلّم كيفية تصفية المعادن ؛

حمّان بن التهامي، تعلّم صنعة فرع النحاس ؛

علي بن قدور الحياني، تعلّم كيفية فرغ المدبر وتركيب المكينات ؛

محمّد بن ميمون، تعلّم صنعة المدافع وتركيب المكينات ؛

إدريس وحود، تعلّم صنعة فرغ المدبر ؛

محمّد الحمدي الصفروي، تعلّم صنعة تفصيل مكينة النجارة وتركيبها وقد "قطعت يده أثناء التدريب" ؛

حمان المرّاكشي، تعلّم صنعة فرع الدّبر وفرع المعادن وتصفيتها وتخديم مكينة النجارة ؛

المعطي بن ابراهيم تعلّم صنعة تصفية المعادن ؛

إدريس زولو ـ تعلّم صنعة القرطوس ؛

الجيلالي بن مبارك، تعلّم تخديم مكينة القرطوس ؛
المختار المكناسي ؛
العرفاوي بن الطاهر ؛
محمّد حيات ؛
المكي بريطل ؛
الحاج عبد القادر الركاني ؛
أحمد بن موسى، تعلّم صنعة قرطوس الصيد ؛
المحجوب البزيوي ؛
الوعدودي البيضاوي؛ تعلّم تخديم مكينة النجارة وسبك الحديد الآن ؛
أحمد بن الحسن، تعلّم تركيب بابورات البّر وسائر المدافع وهو حاضر ؛
محمّد بن الحفيان، تعلّم تركيب المكينات وتخديم مكينات النّجارة ؛
أحمد ابن علي العلج، تعلّم تركيب المكينات وتخديم برمات البخار ؛
محمّد بن المودن، تعلّم تركيب با بورات البّر وسائر المدافع وتخديم برمات البخار ؛
عبد اللّه الزموري، تعلّم تخديم الزرات وفرغ المدبر ؛
أمان العبّاسي، تعلّم تخديم بابورات البر ؛
سالم ابن إبراهيم، كذلك ؛
عبّاس بن المصطفي، كذلك ؛
العرفاوي بن الحاج، كذلك ؛
محمّد بن زروق، كذلك ؛
ابن عيسى بورواين، كذلك ؛
أحمد المرّاكشي، تعلّم صنعة القرطوس ؛
الحسن الخلطي، تعلّم صنعة القرطوس عمل في طابور الحرابة ؛
عبد السّلام الوديي، كذلك ؛
المعلم محمّد المكناسي، تعلّم صنعة الزنادات ؛
العباس بن قاسم ؛
عبد القادر بن الميلودي ؛

محمّد بن العربي، تعلّم صنعة السرائر ؛
ابن عيسى بن محمّد، كذلك ؛
محمّد بن الرامي، كذلك ؛
عبد النبي البوحلي، كذلك ؛
أحمد ابن صالح، تعلّم صنعة الجعاب ؛
بوسلهام بن حمو، كذلك ؛
إدريس الحداد، كذلك ؛
محمّد ابن العباس كذلك، هؤلاء كلهم عيّنوا على يد بركاش وعلى يد التازي ؛
الحاج محمّد التاغزوتي، تعلّم صنعة الزنادات ؛
الحاج محمّد لفيتة ، تعلّم صنعة جعاب المكاحل ؛
محمّد بن ميمون، تعلّم حل المكاحل وشدها وطلائها ؛
عبد السّلام العلمي، كذلك ؛
إدريس ابن الحاج العربي الفيلالي الجعايبي ؛
إدريس الجيسي الزنايدي ؛
أحمد ابن العربي الفيلالي الجعايبي ؛
وقد عمل بعض هؤلاء الطلبة بعد رجوعهم في معمل القرطوس في مرّاكش.
وأرسلت بعثات إلى إيطاليا : الأولى مركّبة من ثلاث طلبة هم : المختار الرّغاي البخاري محمّد البناني الفاسي والسيّد عبد السّلام الودي، وأرسلت أخرى في سنة 1306هـ 1888م مكوّنة من تسعة عشر طالب من فاس وسلا والرّباط والعرائش وطنجة، وقد درسوا في المدرسة الملكيّة الدّوليّة بتورينو Turin .
وهذه أسماء واختصاصات البعض منهم [108] :

(108) اللوائح مأخوذة من المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، س.ذ.، ص. 128-137.

| الأسماء | المدينة | الاختصاص |
|---|---|---|
| أحمد الجبلي العيدوني | الرّباط | المدفعيّة |
| محمّد الحريزي | الرّباط | الخيالة |
| الحسين الزعري كاتب المذكرة | سلا | المشاة |
| علي السوسي | العرائش | المشاة |
| محمّد الوزّاع | الرّباط | المشاة |
| محمّد التدلاوي | الرّباط | المشاة |
| محمّد طجة | الرّباط | المشاة |
| محمّد بن سالم | الرّباط | البحرية |
| محمّد الشرقاوي البهالي | الرّباط | البحرية |
| محمّد ولد الباشا | الرّباط | البحرية |
| التهامي امبيركو | الرّباط | السلاح |
| فضول بن صالح | العرائش | السلاح |
| مصطفى الوديي | العرائش | السلاح |
| محمّد البرجالي | العرائش | السلاح |
| محمّد ابن إسماعيل | سلا | السلاح |
| أحمد حرضان | طنجة | السلاح |
| العربي حركات | سلا | |
| عبد الله التيال | سلا | |
| محمّد القجيري | سلا | |

وقد عمل أغلبية هؤلاء الطلبة في معمل السلاح بفاس، كما أرسلت بعثة للتدريب في معمل السلاح بونشتر بالولايات المتحدة[109] .

وهكذا يكون قد تدرّب في الخارج ما بين سنة 1870 و1894 عدة مئات من المغاربة في الميدان العسكريّ.

(109) J.L. Miège, *op. cit.*, T.IV, p. 96.

وأهمّ الميادين التي ركّزت عليها التّدريبات هي : الهندسة العسكريّة لوضع المفرقعات وتكوين مدرّبين "حرابة" خصوصا للمشاة، وللرّماية بالأسلحة الحديثة وخصوصا منها المدافع، وكذلك البحريّة وصناعة السّلاح.

وتوجد عدّة ظهائر سلطانية في شأن البعثات[110] منها ما هو موجّه لبركاش ومنها ما هو موجّه لبعض رؤساء الدّول كالإمبراطور "غليوم عاهل ألمانيا"، ومن خلال هذه الرّسائل تظهر الآمال التّي كان السّلطان مولاي الحسن يعلّقها على هذه البعثات والمقاييس التي كان يفرضها لاختيار "الطلبة"، فقد كان يطلب من بركاش ومن العمّال أن يختاروهم صغار السنّ، قابلين للتّعليم. ومن "وجهاء القوم".

### ج ـ التأطير

إلى جانب المدرّبين الأتراك والمغاربة استعمل المخزن لتدريب العسكر مدرّبين أوربيّون منهم العلوج ومنهم مرتزقة أوربّيون جاؤوا بصفة شخصيّة لبيع مهاراتهم في المغرب ثمّ تطوّر الأمر بدخول بعثات عسكريّة رسميّة أوروبيّة.

**ـ العلوج** : وقد كانوا خصوصا إما من الإسبان اللاجئين السّياسيّين الذّين يدخلون الإسلام أو من الجنود الفارّين من حامية المدينتين المغربيّتين المحتلتين سبتة ومليلية، أو من حامية جبل طارق، ثمّ بعد سنة 1830م من الجنود الفرنسيّين، أسرى الأمير عبد القادر أو من اللّفيف الأجنبي، الفارّين من الجيش الفرنسيّ في الجزائر، وأغلبيتهم كانوا إمّا محكوما عليهم في جرائم في بلادهم، أو من المغامرين. وكان بعضهم يصل إل أرقى المناصب في الجيش، وإن كانوا في أغلب الأحيان لا يتمتعون بالاحترام داخل المجتمع المغربي"[111] وأغلبيّتهم كانوا يعملون في المدفعيّة والموسيقى. فرئيس الفرقة الموسيقيّة العسكريّة في عهد مولاي الحسن كان علجا إسبانيا. ومن

---

(110) **العزّ والصولة، س.ذ.**، ج. 2، ص.ص. 148 ـ 149.

**الإتحاف، س.ذ.**، ج. 2، ص. 460 ـ 470.

**مظاهر يقظة المغرب الحديث، س.ذ.**

وثائق بركاش، خ.ع.، ميكرو فيلم 2171f.

(111) Doutté, *Les moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900,

أشهر العلوج عبد الرّحمان دوسولتي[112] وميكيل دوكاسترو البرتغالي وانطونيو بلوتي الملقب بسليمان[113] وإسماعيل الإنجليزي[114] ويظهر أنّ عدد العلوج الذي انخفض منذ انتهاء القرصنة بدأ يرتفع مع الإصلاحات العسكريّة[115] وأن مشاكلهم تفاقمت بارتفاع الضّغط الأوربي إذ أصبح المخزن يواجه مشاكل مع الدّول التي ينتسبون إليها، فالقنصليات صارت تتدخل في أمورهم، ولم يبقوا على الحالة التي كانوا عليها، من خضوع وطاعة ويظهر هذا من الرّسالة التي أرسلها مولاي الحسن إلى بركاش، في شأن علوج إسبان أسلموا وارتدوا عدّة مرّات، وتدخّلت قنصلياتهم في القضيّة (رسالة مولاي الحسن في صفر 1280).

---

pp. 71-121.

Brives, *Voyages au Maroc*, 1901-1907, Alger, 1909, p. 150.

وكان السلطان يزوجهم بمسلمات.

(112) عمل في الجيش في عهد مولاي عبد الرحمن، وسيدي محمد، ومولاي الحسن، واكتسب ثقة المخزن، لأنه كان قد نصح مولاي عبد الرحمن بعدم خوض معركة إسلي.

حول عبد الرحمن، دوسلت : A.M.G.V., C.3, H.1

R. Le Tourneau, *op. cit.*, pp. 131 et 181-182.

وكذلك :

J. Erckman, *op. cit.*, p. 19.

(113) ولد في بسكايا وكان يصنع السلاح في عهد شارل الرابع، واتهم بالمشاركة في الثورة التي سلمت إسبانيا لفرنسا، فر من مليلية والتجأ لفاس، حيث أسلم وتزوج يهودية أسلمت كذلك، وسمّى نفسه أحمد بنسليمان.

(114) إسماعيل الإنجليزي : جندي أنجليزي، فر من حامية جبل طارق لقتله لرئيسه. أسلم وعمل مع مولاي الحسن حينما كان خليفة لأبيه في مرّاكش. نظّم له طابورا من أهل سوس، وقد أعطاه مولاي الحسن دارا في فاس وأخرى في مكناس وثالثة في مراكش.

A.M.G.V., CH. 1.

(115) قدّر عددهم بعدة مئات :

P. Godard, *Notes d'un voyageur*, Paris, 1900, p. 44.

الحمد لله وحده                                        وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فإن العلوج الذين هم تحت نظر
قائدهم [illegible] في العسكر من الإصبنيول فمنهم من قدم فاراً إلينا في وقت الحرب ومنهم من قبض في الحرب وأتي به مقبوضاً
فأسلموا كلهم بعد [illegible] عليهم ووقع الإشهاد عليهم بقبولها [illegible] ثم بعد وقوع الصلح خيرناهم
في الرجوع لبلادهم والبقاء [illegible] المنعقد [illegible] العباس ومنهم من اختار
الرجوع [illegible] ومن اختار البقاء ووقع الإشهاد عليه باختيار البقاء والثبات على دين
الإسلام [illegible] ووقع الإشهاد عليه [illegible] الرجوع
لبلادهم [illegible] الرجوع [illegible] منهم ورجع [illegible] ووقع الإشهاد عليهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في 24 صفر
عام 1280




رسالة من السلطان مولاي الحسن لبركاش حول مشاكل العلوج

صار المخزن يصادف مشاكل في ما يخصّ المرتزقة الفارّين من الجيش الفرنسيّ في الجزائر، خصوصا منذ دخول البعثة العسكريّة الفرنسيّة للمغرب وكان مضطرّا في أغلب الأحيان إلى إرجاعهم للسّلطات الفرنسيّة في الجزائر(116).

ـ **المدرّبون الأوربيّون** : بدأ مولاي الحسن يستعين بمدرّبين يعملون بصفة شخصيّة حسب عقدة مع المخزن، كالبلجيكي كرينيار Grignard الذي تكلّف بمعمل القرطوس بمرّاكش، والإنجليزيان ماك هوك ودونالدMac Hugh et Donald اللذين تكلّفا بالمدفعيّة بطنجة وإدوارد سيلفا Edouard Silva من جبل طارق(117).

ـ **البعثات العسكريّة الرسميّة** : وإلى جانب هؤلاء الأفراد الذين كانوا يعملون بصفة شخصيّة حسب عقدة مع المخزن بدأت بعثات عسكريّة أوربيّة بكاملها تدخل لتدريب العسكر المغربيّ، وأوّل بعثة هي البعثة الفرنسيّة التي فتحت الباب على مصراعيه أمام البعثات الأخرى، من إنجليزية وإيطالية وإسبانية وألمانية التي تبعتها في نطاق التّنافس التّقليدي بين الدّول الأوربيّة داخل المغرب حيث كانت كلّ دولة تحرص على الحصول على ما حصلت عليه غيرها على الأقل.

* **البعثة الفرنسيّة** : فالفرنسيّون الذين اهتمّوا منذ استقرارهم في الجزائر بكل ما يتعلّق بالجيش المغربيّ كانوا ينتظرون أوّل فرصة للتّدخّل مباشرة في هذا الجيش. وقد بدأت فرنسا تفكّر في إرسال بعثة عسكريّة إلى المغرب حينما حضر ممثل ألمانيا في المغرب ويبير H.Z. Weber إلى فاس بصحبة ضبّاط بروسيين وراجت الإشاعات بأن هؤلاء الضباط سيبقون في المغرب كمدرّبين. وبالرّغم من أنّ هذا لم

---

(116) في زيارة الجنرال الفرنسي أوسمون Osmont لتطوان سنة 1876م فر17 إصباحي من الحرس الذي كان يصاحبه وأدخلهم مولاي الحسن لجيشه، وعند احتجاج المفوّض الفرنسي في طنجة، أجاب بركاش بأنه ليس له علم بالقضية وعند حضور دوفرنويي De Vernouillet لتقديم أوراق اعتماده في فاس سنة 1877م، طرح المشكل، وأرجع بعض الفارّين.

مراسلة 1876/12/14، A.E.P., C.D.M. 59

مراسلة 1877/04/09، A.E P., C.P.M. 40

(117) J.L. Miège, *op. cit.*, T.III, p. 227.

يكن له أساس من الصّحة فإن الفرنسيّين احتفظوا بالفكّرة[118]، وقد سنحت لهم الفرصة سنة 1876م حينما قدم الجنرال أوسمون Osmont على رأس وحدات من جيش وهران إلى وجدة للسّلام على مولاي الحسن، وقام بمناورات أعجب بها السّلطان، خصوصا وأن جيوشه كانت قد انهزمت في حركة ضد بعض القبائل الشرقيّة[119].

وسواء كان تعبير السّلطان عن رغبته في تدريب جيوشه على النّمط الذي رآه قد جاء عفويّا أو بتدبير مسبق من طرف الجنرال الفرنسيّ الذي كان حضوره لوجدة مخطّطا لهذا الغرض، فإنّ مولاي الحسن مالبث أن تراجع عن رغبته. ولكن فرنسا بقيت متشبّثة بفكّرة إرسال بعثة عسكريّة لتدريب العسكر المغربيّ معتبرة طلب السّلطان تعهّدا من طرفه.

وقد حثّ وزير الخارجية الفرنسيّ دوكاز Decazes الوزير المفوّض الفرنسيّ دوفيرنوي De Vernouillet الذي عيّن في هذه الأثناء، أن يحصّل على طلب رسميّ من السّلطان، وبالفعل، لمّا حضر هذا الأخير إلى فاس لتقديم أوراق اعتماده كان أوّل ما طرحه على السّلطان هو مشكل المدرّبين ولم يرجع من فاس إلا بعد أن حصل من طرف الوزير احمد بن موسى على طلب رسميّ في هذا الشأن[120].

وقد بقي المخزن مع هذا "يتماطل" في قبول البعثة مؤكّدا أنّه يريد فقط مدرّبين مسلمين، وإذا تعذّر هذا، مسيحيّين يدخلون في خدمة المخزن بصفة شخصيّة ويقومون بتدريب العسكر على الرّمايّة، في حين كانت فرنسا تحرص على أن تكون البعثة رسميّة ومرتبطة مع وزارة الدفاع، وتمّ الاتفاق في الأخير على قبول المخزن لبعثة عسكريّة دون طابع رسميّ "لمساعدة السّلطان على تنظيم وتدريب وحدات جيشه".

---

(118) A.M.G.V., H. 268, Les origines de la mission française au Maroc.

(119) Renè Tailaillandier, *Les origines du Maroc français récit d'une mission, 1901 - 1906*, Paris, 1930, p. 19.

(120) A.E.P., C.P.M. 40.

وهذه البعثة الأولى كانت كلّها مكوّنة من عناصر عسكريّة من الجيش الفرنسيّ في الجزائر، وكان الحاكم العامّ الفرنسيّ في الجزائر هو الذي اقترح أفرادها[121].

وكانت تتكون من أربعة ضباط وأربعة ضباط صف :

وقد أرسلت هذه البعثة في دسمبر 1877م إلى وجدة لتدريب طوابير المغرب الشرقيّ وابتدأت أوّلا بتدريب طابور شراردة، وأرسل اثنان من أعضائها وهما إيركمان Erckman وبايرن Payerne إلى مرّاكش لتدريب الطبجية وصارا يصحبان المدفعيّة التي تتبع السّلطان في كلّ تنقلاته.

وبعد سنتين من العمل المتقطّع لم يدرّب خلالهما إلا خمس أو ست من الطوابير وكل ما تعلّموه هو الوقوف بدون حركة والسّكوت، والمشي بانتظام والامتثال للأوامر. نقلت البعثة الفرنسيّة من وجدة إلى الرّباط في دسمبر 1879م على إثر إلحاح البعثة، وكذلك على إثر اضطرابات في وجدة ومحاولة اغتيال تعرّض لها اليوتنان جورني Journé وإظهار القبائل لاستيائها رغم كتابة شريف وزان لأهالي وجدة يطلب منهم أن يحسنوا علاقاتهم مع الفرنسيّين[122] ومن الرّباط صارت البعثة تقوم بتدريبات طوابير الرّباط والدّارالبيضاء والجديدة.

أما إيركمان الذي صار رئيسا للبعثة خلف بايرن فقد قام في الأوّل بتدريب ثلاثين قائد مدفعيّة، بإعانة ترجمان. واختار من بينهم مدرّبين لتعليم مائة من الطبجية. وقد توالى على رأس البعثات الفرنسيّة عدّة رؤساء بعد إيركمان Erckman إذ خلفه لوفالوا Levallois ثم دوبري De Breuille ثم كوشميز Cauchemez ثم بيروبرجي ومانجان Mangin ولاراس Larras، واتسعت الدّائرة الجغرافيّة

---

(121) A.M.G.V., 3H3. تعدّى دور الجيش الفرنسي في الجزائر المهمّة العسكرية، وتعدّدت اختصاصاته حسب الأنظمة التي تتالت على فرنسا، وكان الجيش في أغلب الأحيان يقرّر سياسيا وعسكريا واقتصاديا.حول الموضوع :

D. Nordman, *Armée, guerre et politique en Afrique du Nord*, Paris, Presses de l'E.N.S., 1977, p. 33.

(122) تقرير البعثة الفرنسية في وجدة 1878/12/09.

لهذه البعثة حيث منها ما استقر في الأوّل في وجدة ثمّ في الرّباط ومرّاكش وطنجة ثم فاس.

## لائحة البعثة العسكرية الفرنسية الأولى

| | | |
|---|---|---|
| القبطان باين | رئيس البعثة | من الرماة |
| اليوطنان جورني | مدرّب المشاة | زواف(زواوة) |
| اليوطنان إركمان | مدرّب المدفعيّة | المدفعيّة |
| الماجور ليناريس | طبيب | |
| مرشال ريشكير | مدرّب المدفعيّة | المدفعيّة |
| اليوطنان ماجور فبيل | مدرّب مشـــاة | زواف |
| اليوطنان محمّد ابن احمد | مدرّب مشـــاة | رمـــاة |
| منصور ابن ابراهيم | مدرّب مشـــاة | |

ورغم الاعتراض الإنجليزي والإسباني والألماني وإلحاح ممثّلي حكومات لندن وبرلين على خطورة الاعتماد علـى بعثة عسكريّة فرنسيّة، فإنها تسارعت هي الأخرى لإرسال بعثاتها. وقبل المخزن مجيئها للحفاظ علـى التّوازن التّقليدي بين القوى الأجنبيّة بالمغرب واستغلال تنافساتها وتطاحناتها. فرعيا لهذا التّوازن تمّ الاتفاق مع ممثّل إنجلترا ج.د.هاي علـى استدعاء ضابط من الضبّاط البريطانيّين المرابطين بجبل طارق وتكليفه بتدريب طابور الطبجيـة[123] وفي مارس 1877م كان ماكلين أوّل ضابط أجنبي في خدمة المخزن، إذ بدأ عمله قبل وصول البعثة الفرنسيّة وما لبث ماكلين أن التحق بالقصر السّلطاني حيث صار يحمل لقب قائد وتكلّف بتدريب طابور الحرابة الذي كانت أطره تتكوّن من متخرجي جبل طارق، حيث صار يدرّب هذا الطّابور على مدفعيّة كادنير وماكسيم Maxims. وهذا الطّابور كوّن الحرس الخاص بالسّلطان. وإلى جانب ماكلين كان يوجد أخواه اللذان صارا يدرّبان عشرين طابورا من عسكر المشاة.

(123) توجد مراسلات متعددة بين المخزن وج.د. هاي في هذا الشأن في و.و.خ.إ.، سنة 1876م – 1889م، FO/174.

* **البعثة الإيطالية** : وقع الاتفاق بين المخـزن وإيطاليـا سـنة 1887م علـى قبول بعثة إيطالية، وقد استقرّت هـذه البعثـة في فـاس سـنة 1888م وتكلّفـت ببنـاء ماكينة السّلاح داخل بناية المشور القديـم وكـانت تظّـم بريكـولي والضـابطFalta الذي خلفه ليوتنان كولونيل فرارا Ferrara سنة 1889م. وكـان يوجـد داخـل البعثـة خبيران تقنيّان في السّلاح جيوسبي نوطاري وألفريـدو كويـو[124].

* **البعثـة الألمانيـة** : في سـنة 1888م، قبـل السّـلطان حضـور قبطـان مـن لانـدوار Landwehr،"الجيش الألمـاني" وهـو قبطـان مهنـدس غوتلنبـورغ، ليسـتقبل مدافع كروب التي اشتراها المخـزن، ثـم حضـر مهندسـان عسـكريّان آخـران عـام 1892م هما بوني ونييلسن Nielsen et Bony وضابط آخـر عـام 1896م Meyer. وقـد تكلّف هذا الأخـير بتدريب رمـاة الحامـية عـلى المدافـع[125].

* **البعثة الإسبانية** : في دسمبر 1889م استطاعت إسبانيا بعد سنين طويلـة من المحاولات أن تعيّن مدرّبين : الكومندار خوسي ألفاري José Alvaré والقبطـان بلارد Belarde وقد عوّضا بـالقبطانيين تروخيو Trujillo وكاميسـاريس Camisares سنة 1892م، وكان يساعدهما ضابطان مغربيّان من حامية سبتة. وقد كـان هـؤلاء المدرّبون مكلّفين مبدئيّا بالهندسة العسكريّة وتكوين تقنيّـين في ميـدان ترميـم وبنـاء الجسور[126]. والتحق بالبعـثة الطـبيـب كـورتيس بايونا خواكيم Cortès y Bayon Joaquim الذي استطاع شيئا فشيئا أن يحتلّ مكانة داخل المخزن وبقي يزاول مهامّه كطبيب في القصر والمحلّة إلى سنة 1904م.

## 2 ـ التجهيـزات العسكريّة

وهذه النّقطة في إصلاح الجيش كانت أكثر وضوحا واستمراريّة من النقطـة الأوّلى. فقد أخذت شكلا تصاعديا منذ معركة إسلي ووجدت تشجيعا مـن جميـع

---

(124) حول البعثة الإيطالية : عبد الرحمان بن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 2، ص.486 ـ 495.

(125) P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc 1870-1905*, Paris, 1967, pp. 163.

(126) تقرير Cauchemez، فاس 1822/01/21.

A.M.G.V., C. 3.

الأطراف، سواء الأجانب الذين وجدوا فيها ميدانا للرّبح وللتنافس، أو المخزن الذي وجد في فتاوي العلماء دعما وسندا لاقتناء أكثر ما يمكن من السّلاح، لما كان يضمنه له هذا من تفوّق على الجبهة الدّاخلية وربح مادّي لبعض أعضاءه.

ويمكن تقسيم الإجراءات المتّخذة في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة هي:

تقوية وسائل الدفاع البحري ؛

تزويد الجيش بأسلحة مستوردة ؛

إنشاء نواة صناعية لإنتاج السلاح ؛

## أ ـ تقوية وسائل الدفاع البحري

والملاحظ أن تقوية الثغور وصيانتها وإعادة تجهيزها كانت لا تستجيب لاعتبارات دفاعية وعسكريّة فحسب حيث أظهر القصف الذي قام به الأمير جوانفيل سنة 1844م ضرورتها الملحّة بل كانت الغاية منها أيضا تأمين الحركة التّجاريّة البحريّة وخصوصا وأنّ الدّول الممثّلة في طنجة أكثرت الضّغوط للمطالبة بإصلاح الموانئ وتسهيل التّصدير والاستيراد حتى أن بعض الدّول الأروبيّة جعلت من حذف القرصنة وإصلاح الموانئ شرطا من بين شروطها للاعتراف بمولاي عبد الرّحمان[127].

وقد بدا الاهتمّام بالموانيء منذ بداية عهد مولاي عبد الرّحمان، ولم ينقطع طوال عهد مولاي الحسن واستمر في عهد مولا عبد العزيز ومولاي حفيظ.

ويمكن تلخيص التّدابير المتّخذة في هذا الشّأن في ما يلي :

تفقد الثغور وإحصاء ما كانت تفتقر إليه ؛

ترميم الحصون والأبراج القديمة ؛

بناء حصن جديدة ؛

فمولاي عبد الرحمان شرع في تفقّد الموانيء والاهتمام بأمور البحارة والطبجية البحرية حيث فرقت عليهم الكسوة والرّاتب والهبة كما يظهر من الظهائر المتعدّدة لأشعاش وعبد السّلام السّلوي.

---

(127) عبد الرحمان بن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 5، ص. 153.

وهكذا تمّ إحضار عدّة مهندسين للقيام بتقييم ما كان موجودا واقتراح الإصلاحات الضروريّة، وما يجب اقتناؤه من مدافع وأسّرة.

في عهد سيدي محمّد أحضر مهندس فرنسيّ فأحصى تجهيزات أبراج الرّباط، كبرج القصبة وبرج الدار وبرج العالية وبرج الصقالة الوسطى، وبرج الصّراط وبرج الرّابطة وباب القصبة وأشبار. كما أحصيت معدّات أبراج سلا، من برج الجديد، والصقالة الوسطى، والصقالة القديمة.

وبصفة عامّة كانت التّقارير تتّفق حول تآكل التّجهيزات، وضرورة إعادة بناء كثير من مرافق هذه الأبراج، واشتراء مدافع جديدة خصوصا منها المشرّطة، والتي تعمّر من القعر وتوحيد نوع المدافع، وبناء محلات لائقة بها، وخزائن للكور والبارود. كما أُحضرمهندس أنجليزي في عهد مولاي الحسن لتفقد أبراج طنجة. كما يظهر من رسالة الحاجب الجامعي للزبدي :

"وصلنا كتابك وعرفنا ما ذكرته في شأن المهندس الكبير الذي وجهه قائد جبل طارق من طوافه بأبراج طنجة وبسورها ونظره البناء الذي فيه ورجوعه لجبل طارق ليبني ما يستحقه الأبراج من تجديد بناء أساسها وبناء المخازن لإقامتها وغير ذلك وتوجيه بعد ذلك تقييد ما ذكر الموجه تعريبه مع كتاب الباشادور من إجابة لما تضمن والجواب يصلك"[128].

الغالب أن هذا التقرير كان هو التّقرير الذي أنجزه العقيد كالوي Galleway الذي تكلّف بجلب مدافع أمسترونغ لأبراج طنجة. وكان أساس "الإصلاحات" التي قام بها المهندسان الإنجليزيان، ضولان وإدوارد سبلييه.

وقد اتّخذت عدّة تدابير لتقويّة الدّفاع البحري، من أهمّها :

- مشروع بناء أبراج جديدة بسلا والرّباط والصويرة والجديدة وعلى بعض المرتفعات الساحلية خارج المدن كالصخيرات ؛

- إعادة بناء أبراج طنجة وتزويدها بمدافع جديدة ؛

- بناء أسرية لبطارية المدافع ذات العيار الضّخم كما حدث في الرّباط حيث أسند الأمر للمهندس الألماني روتنبوغ Rottemburg. وقد وصف ما أنجزه روتنبورغ بما يلي : "شيدت شركة كروب قلعة تحيط بها خناديق وشبابيك من الحديد تطل

---

(128) عبد الرحمان بن زيدان، **العز والصولة، س.ذ.**، ج. 11، ص. 197.

منها مدافع ضخمة إن قلعة روتنبورغ هذه بضخامة وبروز مدافعها العارية لتنسجم وشكل المدينة التاريخي"[129] .

وإلى جانب، تفقّد الأبراج وتقويّتها، قام المخزن باشتراء بواخر أوروبيّة لتجديد الأسطول البحري. وإذا كانت إعادة تأسيس أسطول بحري قد فشلت في عهد مولاي عبد الرّحمان وسيدي محمّد بن عبد الرّحمان كما سبق توضيحه من قبل فإنّ مولاي الحسن قد أعطاها نفسا جديدا. ففي عام 1876م وقع الاتفاق في الدار البيضاء مع سفير إيطاليا شكوفسكو Scovasso لشراء مقنبلتين من أوراش ليفورنة، وفي انتظار تسلّمها، أرسل مولاي الحسن أحد أبناء بركاش إلى بلجيكا وإنجلترا، فتمّ شراء باخرة من ليفربول Liverpool وصلت إلى المغرب سنة 1882م سمّيت بالحسني وهذه الباخرة كان يبلغ طولها 87م وعرضها 11م وحمولتها 1164 طن وقوتها 140 حصان، وكان من بين بحّارتها إنجليزيون ودانمركيون وسويديون[130].

أما المقنبلة التي التزمت إيطاليا بصنعها وفرضت على المخزن أداء ثمنها مسبقا 1500000 مليون وخمسمائة فرنك فإنها لم تسلّمها إلا سنة 1897م، بعد وفاة مولاي الحسن، وهذه المقنبلة هي "بشير الإسلام بخوارق الأعلام"، التي أشير إليها "بالبشير" وقد كانت حسب بعض التّقاريرمن الطّبقة الثّالثة، حمولتها 1100 طن ومجهّزة بأربعة مدافع[131] و12 حسب مصادر أخرى وكان طاقمها يتكوّن من بحارة مغاربة من بينهم بعض الطّلبة الذين تدرّبوا في إيطاليا.

وبالإضافة للحسني والبشير، اشترى المخزن من معامل كروب بألمانيا سنة 1892م مقنبلة أخرى أصغر حجما أطلق عليها إسم "السيد تركي".

ولم يكن تزويد البلاد بهذه الوحدات سوى بداية لما كان يريد السّلطان مولاي الحسن أن يقتنيه من البواخر. "فالسّلطان كان في نيّته أن يطلب البواخر من

(129) Commandant Ferry, *La réorganisation militaire marocaine*, Publication, Comité du Maroc, Paris, 1905, p. 24.

(130) تقرير ب،ع.، A.M.G., V.C. 1900/03/25

(131) المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، س.ذ.، ص. 63.

عدة جهات"[132]، فالمقبلة التي بقي مولاي الحسن ينتظرهـا مـن إيطاليـا و لم تسـلم سوى بعد وفاته كان ينوي استعمالها كباخرة تعليميّة يسـيّرها مدرّبـون إيطـاليون. وكانت هناك سفينة رابعة تصنع في معامل ليفورن. كما كانت المفاوضـات تجـري بين المخزن وبين مصنع "مصاهر وأوراش البحر الأبيض المتوسط" لتزويد الأسـطول بباخرة سريعة مخصّصة لحراسة السّواحل ومقاومة التهريب. ويظهـر عـزم السّـلطان مولاي الحسن على تأسيس أسطول بحري من خلال عدد الطلبة الذين أرسلوا إلى الخارج للتّدريب في ميدان البحريّة[133].

## ب ـ تزويد الجيش بالأسلحة المستوردة

بعد أن كانت الأسلحة في عهد مولاي عبد الرّحمان تشتري على الخصـوص من جبل طارق حيث كان القمح يسـتبدل بالسـلاح بواسـطة الحـاج الطـالب بـن جلون والقنصل اليهودي المغربيّ هناك بن عليل Beneliel صـار المخـزن يقتنيهـا مـن عدة بلدان كبلجيكا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا والولايات المتّحدة وحتى مـن رومانيـا وصار المخزن لايبرم الصفقات مع الحكومـات الأجنبيّـة فحسـب بـل مباشـرة مـع الشّركات والمصانع نفسها كشركة فاليس وترومان Felix et Truman في لييج Liège وشركة كروب Krupp بإسّن وشركة ونشستر بالولايات المتحدة.

وقد أولى الاهتمام على الخصـوص للبنـادق ذات القـذف السّريع والمتعـدّدة الطلقات والمدافع باعتبارها موطن الضعف الأساسي.

ففي سنة 1860م أرسل سيدي محمّد بن عبد الرّحمـان عبـد الجليـل إلى أروبّـا لشراء الأسـلحة ثـم مبعوثـين آخريـن سـنة 1862م و1863م لإنجلـترا لاقتنـاء المدافـع واشترى من شركة فـاليس وترومـان مـن لييـج ببلجيكـا 3500 مكحلـة و8 مدافـع و30000 من القرطاس.

وقد نشطت حركة اقتناء الأسلحة خصوصا في عهد مـولاي الحسـن حيـث أرسل بعثات متعدّدة لأروبّـا لهـذا الغـرض. ففـي سـنة 1302هـ ـ 1885م وحدهـا، ذهبت بعثة لبلجيكا لاشتراء المكاحل وأخرى لإنجلترا لاشـتراء 18 مدفعـا مـن نـوع

---

(132) A.M.G.V., bb 4-1368, Rapport d'un informateur au ministère de la guerre.

(133) انظر لوائح البعثات المغربية في الخارج.

أمستزونغ Amstrong لتحصين طنجة. وطلب من فرنسا عدّة آلات حربية كالكراريط لحمل المدافع ومدافع الجبال ومن ألمانيا 6 مدافع Krupp وهذه المدافع التي خصّصت لتحصين قلعة الرّباط كانت من فرمة 10/78 سنتم تعمّر من القعر ومعها مهراس صغير سمي بالشيطان يعمّر من القعر كذلك من فرمة 10/78سنتم.

وقد ركّز المولى الحسن خصوصا على المدفعيّة حتى تضاعف عدد البطّاريات في عهده خمس مرات تقريبا : 1859 = 16

1883 = 50

1894 = 91

كما أن المدفعيّة الخفيفة من مدافع الجبال ومدافع الميدان ارتفع عددها :

## لائحة المدافع في عهد مولاي الحسن(134)

| | |
|---|---|
| 6 مدافع مشرّطة من عيار 4 للجبال | 6 canons rayés de montagne |
| 4 مدافع مشرّطة من عيار 4 للبادية | 4 Canots analogues de campagne |
| 6 باروط | 6 Parrots de 10 livres |
| 6 ويتورط للجبال | 6 Withworth de montagne |
| 6 مدافع البادية صافية | 6 canons de campagne lisse |
| 3 رشاشات كاتلينك | 3 Mitrailleurs Gattling |
| 1 رشاشة هاتيكي | 1 Miltrailleuse Hachkiss |
| 2 مهاريس عيار 15 ـ فرنسا ـ | 2 Mortiers de 15 - Français - |
| 1 مدفع رمسوونغ يفكك | 1 Canon Amstrong démontable |
| 24 مدافع للجبال من النحاس ـ اسبانيا | 24 Canons de montagne lisse en bronze (Esp) |
| 1 باطرية وبتوورت في حالة سيئة | 1 Batterie Withworth (anglais trés mauvais) |
| 4 رشاشات بليجيكية تفكّك | 4 Mitrailleuses belges (démontable) |
| 6 مهاريس من عيار 15 سنتمتر | 6 Mortiers d'environ 15 cm |

(134) تقرير للكومندار شلمبرج Schlumberger، حول إدخال السلاح والعتاد للمغرب :
A.M.G.V., C. 6.

وقد قدّر عدد الأسلحة من مكحلات وبندقيات في يد المخزن في 1894م بما يلي[135] :

| العدد | النوع | |
|---|---|---|
| 10 000 | Gras; Mle 74 | كري |
| 15 000 | Martini إنجليزية | مارتيني |
| 1 000 | Comblain | كوميلان |
| 5 000 | Winchester Mle 735 | ونشستر735 |
| 5 000 | Remington Mle 1 | رومنكتون نوع 1 |
| 3 000 | Verndl et Divers | فردنيل وغيره |
| 48 000 | | المجمـــوع |

وإذا كانت المدفعيّة قد احتلّت في أوربّا الصدارة منذ أواخر القرن السّابع عشر، حيث صارت، كما قال نابليون بونابرت : "تحدّد المصير الحقيقي للشعوب والجيوش"[136]، وعرفت تطوّرا مستمرّا وسريعا خصوصا منذ أوائل القرن التاسع عشر بسبب التنافس الصناعي الأروبي، فإنّها على أهميّتها التقليديّة في المغرب أُهملت منذ انتهاء تحرير المدن السّاحلية في عهد سيدي محمّد بن عبد اللّه ولم يعد الاهتمام بها إلاّ منذ معركة إسلي وقد شمل هذا الاهتمام جميع الأوساط من مخزن ووزراء وكتّاب وعلماء وشعراء، ففتاوي العلماء تؤكّد على ضرورة الإكثار من المدافع والمهاريس وتقيس حكم المدافع بحكم الخيل في الآية : "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل". وتجعل اقتناءها واجبا "والاستعداد" بالمدافع والمهاريس وعسكر النّظام "أمرا حتما قطعا على الإمام"[137] .

---

(135) ن.م.س.

(136) Le Général Weygand, *op.cit.*, p. 284.

(137) محمد الحسني إدريس الجائي، **مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام**، مخ.خ.ح.، رقم 1035.

وقد تسابق الأوروبيّون لكسب السّوق المخزنيّة ووقعت منافسة حادّة بين الفرنسيّين والإنجليز والألمان كانت نتيجتها تنوّع المدافع المخزنية، وذلك "لحسم النّزاع" ومنحت الأسبقيّة في التّداريب للتدريب على المدافع سواء خارج البلاد أو داخلها وترجمت كتب في فن المدفعيّة[138] وألفت أخرى في كيفية استعمال المدافع منها ماهو على شكل أراجيز "كنزهة المجاليس في علم أحكام المدافع والمهاريس"[139] التي ألّفها المعلّم الطبجي عبد النبي بن العبّاس الصنهاجي الرّباطي الذي شارك في حرب تطوان ويقول فيها :

يا سائلا مختصرا يكون في ... علم المدافع والمهاريس الطرف

ويتكلم فيه: عن كيفية معرفة قطر المدفع واستدراج القطر من القطر وبيان هيئة المدفع الكامل، فيقول :

يا واقفا منظما أمرا تعيد ... في حكمة النحاس أو من حديد
وسحوه دافع النار من جوفه ... وعدم المنجنيق به وغيره
المدفاع الأصلي هو الكامل ... لو (36) في قطر الفم حكم عادل
والعرض لو (36) أقطار مصلا ... مقسوم إلى ثلاثة مفضلا
وصوله لب (32) على التمام ... كان كامل الحكم والمقام
وحيطه الجوف على خمس عشر ... وسره التعديل من اثني عشر
وتسعة العنف في صم الخبر ... قد انتهى وصف المدفع واشتهر

وتكلّم كذلك عن "هيئة ليعرف شكله" وعن بيان ثلاثة أرباع هيئة المدفع وبيان هيئة النصف طولا وعرضا وهيئة المربع طولا وعرضا وأخذ الموازين وعمل الموازين الشرعية فيقول :

---

(138) الكناش رقم 24، خ.ح.

(139) عبد النبي الصنهاجي، **نزهة المجالس في علم إحكام المدافيع والمهاريس**، مخ.خ.ح.رقم 1043.

| | |
|---|---|
| فـــأوّل المـــدفـــع حـــيـــث بــــدى | مـــن الأحـــد لـــو (36) قـــد نـــشـــى |
| وفـــي التحقـيـق بـــدوه مـــن اليمين | مـــائـــتـين مـــن الأرطـال فـي الميزان |
| وخـــص ذلك بـــمـــدفـــع الـــحـديـــد | وللنحـاس الـــربـــع إن لـــم تـــزد |

وكيفية التفـاوت والنّقصـان بـالتضعيف وبيـان رفـع المدافـع علـى السـرائر، وكيفية العمل بصنعة خيط النار المركّب على القطر ووصية على البارود من كـلام العارفين، وباب موازين المهارس والبنيات وهيئتها.

ومن تفسيراته يظهر أنه يتكلم على مدافع صافية تشـحن مـن الفـم : وهـذه المدافع وإن كانت لا زالت مستعملة في أوربّا في تلك الفترة، وخصوصا في فرنسا، فإنها كانت قليلة الدّقة في الرّمـي، ومسـافة رميهـا قصـيرة، وعوّضـت منـذ 1858م بمدافع مشرّطة تسمح باستعمال قذائـف ذات شـكل أقلّ استدارة ووزن يسـاوي ضعف وزن قذائف المدافع "الصافية" مما حسن دقة الرّمي (الشّارة) ومسافته. ونجد نفس الإيضاحات حول المدافع والبارود في أرجوزة أخرى هي "تذكرة المجـالس في علم المدفع والمهاريس "للمسمّى المكـي بـن قصابـة الرّبـاطي، أعطـى فيهـا رسـوما عديدة حول المدافع والشّارة. وهذه المعلومات لم تكن تفوق في شـيء المعلومـات التي كانت للطّبجيين في القرن السّابع عشر في عهد السّعديين [140].

(140) يظهر هذا من مقارنة هذه المؤلّفات بمؤلف يرجع تاريخه إلى سنة 1008هـ/1630م ألّفه "رايس" يسمّى إبراهيم بن أحمد غانم بن محمّد بن زكريا الأندلسي لمراد داي تونس بالإسبانية ،وترجمه للعربيّة أحمد بن قاسم الأندلسي الذي كان ترجمانا للسلطان السّعدي مولاي زيدان. وأخرج المخطوط محمّد بن عثمان الحشاشي الذي كان مكلّفا بخزائن الكتب سنة 1893 واسم التّأليف **كتاب العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، المخطوط موجود في خ.ع. تحت رقم ج. 87، فيلم 64.

الإشارة le tir - صارت مسافة القذيفة منذ اختراع المدفع المشـرط في 1858م تصـل إلى 3000م وارتفعت هذه المسافة منذ 1870م باستعمال الصلب عوض البرونز في صنع المدافع.

ومن بين الكتب التي ألّفت في المدافع وصناعة البارود كذلك "**الباز في علم المدفع والمهراز**" ألّفه صاحبه المسمي أحمد البوقيلي المدعو الحاج عنقود في عهد سيدي محمّد بن عبد الرّحمان، ويتكلّم عن المدافع فيقول :

"فاصبر أخي ما صبر الكرام، يرجى لك السّداد والإنعام، وذلك في صواعب البنيان، هاتكة المدن والقوّات ثم الحصون والقصور والرّقاب فعنيت لمن أراد الاختراب متقنة في صنعة الشطار، ذي الكفر والبغي والاحتقار أحنها الإسلام من عندهم فخربوا بيوتهم بأيديهم، وقد تولّى أمير المؤمنين..."[141].

ثم يعطي معلومات بدائية عن كيفية صنع البارود :

"إذا أردت تشمير الملح، ثلث الماء : واجعل في قدح من نحاس أو حديد، بحيث يصير على الوقود، وثلث الملح أبيض أبيض، واحدة برطل فيه تقضي. واحذر هداك اللّه من صفرتها، واعرك باليد إلى أن تمتزج واجعل في النّار إلى أن تنتضج، وحيث يكثر له الغليان والخبث من فوقها قد بان... فانزعها من فوقها ثم إن ظهر غيره لتدرنا الخبر... فافرغ ما في الدر لأن تبتدر : ثم إذا فرغت صف الماء بخرقة صفّيه فتخرج القاطر منها كالزلل وبارود. فذاك تكميل الغرض. شمّس للشميس حين المصيف ــ دار الشتاء كالربيع، كالخريف إن ترد فصلها عن البارود.

وهذه الكيفية البدائيّة والسّهلة لصناعة البارود التي لاتتطلّب آلات خاصة، تفسّر انتشار صنع البارود في المغرب حتى قبل القرن التاسع عشر، سواء على المستوى الرسميّ حيث نجد صناعتها منتشرة في عهد مولاي إسماعيل في الرّباط وتطوان مثلا، أو على المستوى "الخاص"، فالقبائل كان بإمكانها صناعة بارودها بنفسها، وهذا ما يفسّر محاولة المخزن احتكار معدني الملح والكبريت، وبالتالي احتكار صناعة البارود.

وقد كانت صناعة البارود "البارود الأسود"[142] تتطلّب ثلاثة مواد الملح، والفحم، والكبريت. الملح الخمّة كانت تشتري أو تستخرج من تراب الكهوف والأسوار القديمة، حيث تطبخ في طناجير (تشحر) ثم تترك حتّى تيبس، وكانت

---

(141) **الباز في علم المدفع والمهراز**، خ.ع.، رقم 3368.

(142) وهو بارود يخلف كثيرا من الدخان. ولم يخترع البارود بدون دخان poudre proxilées إلا في 1884م.

هناك درجات متفاوتة في تشحير الملح [143]، فالملح الذي يدخل في البارود المخصّص للمخزن يشحّر مرتين "فوق النهاية" ويخزن حتى ترتفع جودته. وكان الفحم يستخرج من عود الدفلة أو عود الريش، حيث كان يحرق ويدقّ في مهاريس[144].

والكبريت كان يستورد من أروبا وفي أغلب الأحيان من إيطاليا على شكل طوب ثم يطحن في أرحاء حجرية ويغربل من السمار والحرير ثم تمزج هذه العناصر الثلاثة بنسب متفاوتة[145] :

| | الملح | الكبريت | الفحم |
|---|---|---|---|
| بارود الحرب | 75% | 12,5% | 12,5% |
| بارود الصيد | 78% | 10% | 12% |

وكان البارود المعدّ للمخزن يزدّج : إذ كان يسقى عدّة مرّات ويترك في الخزين إلى أن يطلع "لوستري"[146] التزديج.

وكانت طريحة البارود تؤخذ منها "عرابين" تحضر لدار المخزن بمحضر أمناء وعدول ومحتسب وبعض الطبجية، وتجرّب إمّا بالحكّ على خشبة أو بوضع "أوقية" في قرطوس، ويمسّ بنار ويختبر بمهراس : وكان البارود العادي يقبل إذا قطع مسافة مائتي وستة قدم كبيرة[147]، والمزدّج يقطع مائتين وستة عشر قدم ثم يوضع البارود

---

(143) كان البارود المصنوع من الملح المشحّر مرة واحدة يسمى البارود "الحجلاوي" أو البارود "الصيادي" لأنه كان يستعمل على الخصوص في الصيد، والبارود المصنوع من الملح المشحر مرتين يسمى البارود السباعي.

(144) رسالة في شأن البارود من السلطان مولاي الحسن إلى المحتسب محمد بن العربي آجنا الذي تكلف بدار البارود بمكناس، ابن زيدان، **العز والصولة، س.ذ.**، ج. 2، ص. 8.

(145) هذه النسب كانت تستعمل كذلك في أوربا.

(146) الكلمة تحريف لكلمة Lustre وكانت مستعملة في عهد مولاي الحسن.

(147) بقيت الأوزان والمقاييس في المغرب مغايرة تماما للأوزان والمقاييس الغربية إلى حدود دخول الاستعمارالفرنسي. كما كانت تختلف من جهة إلى أخرى، وحسب المهن. ففي ما يخصّ

في خناشي : ويوضع على كل خنشة اسم المهراس والمختبر، والميزان وأمناء الخدمة وأمناء الحيازة ليدخل الخزين على يد أمينه المكلّف[148]. وصار المخزن يستعمل قسما من هذا البارود في صناعة القرطاس، التي كانت تحتاج للقرطوس إما المستورد أو المصنوع في ماكينة فاس وإلى "حبة التلحيق أوالرصاص، التي كانت تستورد.

وإلى جانب البارود "البلدي" كان المخزن يستورد "البارود الرّومي" والعمارة من القرطاس الذي زخرت به مخازن فاس ومرّاكش ومكناس والرّباط وكانت تشتري من انجلترا وفرنسا وبلجيكا وألمانيا والولايات المتحدة.

ففرنسا وحدها باعت للمغرب خمسة ملايين من القرطاس في سنة 1890م. وفي سنة 1893م باع التاجر الفرنسيّ كوتش الذي كان مستقرّا في طنجة مليون من القرطاس مارتني ومليون من القرطاس كوميلان. وقد استمرّت تجارة الأسلحة في الازدهار بعد وفاة مولاي الحسن رغم المشاكل المالية التي عرفها المغرب، فقد قدرت الأسلحة التي دخلت للمغرب أثناء 6 أشهر الأولى من سنة 1900م.

| التاريخ | العدد | النوع |
|---|---|---|
| يوليوز 1900م | 1 080 | مارتني هنري |
| 7 يوليوز 1900م | 1 500 | مكحلة كري |
| 6 دسمبر 1900م | 7 500 | مكحلة كري |
| 15إلى 18 دسمبر 1900م | 10 000 | مارتني هنري من روما |
| المجموع | 20 000 | |

مقاييس الطول كان هناك مقياس في البناء والمساحة وآخر في الخشب وآخر في القماش. ففي البناء كانت توجد "القامة" ويبلغ تقريبا مترا وخمسة وستّون سنتمترا ويقاس بمد الذراعين على شكل صليب، و"الذراع" تقريبا خمسة وخمسون سنتمترا، والشبرتقريبا سبعة وعشرون سنتمترا والقدم الكبيرة والصغيرة بين 25 و30 سنتمترا.

حول الموازين والمقاييس :

R. Le Tourneau, *Fès avant le protectorat*, éditions la Porte, Rabat, 1987, p.277.

(148) معلومات من ظهير من السلطان مولاي الحسن إلى باشا مراكش : تقاييد رقم 199، خ.ح.

وفي نفس الفترة اشترى المغرب من القرطاس :

| التاريخ | العدد | النوع |
|---|---|---|
| 6 دسمبر 1900 | 750 000 | من رومانيا |
| 8 إلى 15 دسمبر1900 | 100 000 | من رومانيا |

وفي نفس السنة وهي 1900م، وصل من إسن إلى ميناء الجديدة ومنها إلى مرّاكش بتاريخ 2 أكتوبر1900م ما عدده 144 صندوق تحتوي على عتاد المدفعيّة تحتوي على اثنى عشر مدفعا من نوع كروب من مدافع الجبل من عيار 7/5 و106 صناديق من العدة التي تحتاجها هذه المدافع(149).

وكان يتكلّف بهذه الصفقات مبعوثون متعددون يعيّنهم السّلطان أو العلاف الكبير كالحاج ابن جلون والقنصل اليهودي المغربيّ في جبل طارق بن عليل Beneliol في عهد مولاي عبد الرّحمان والحاج العربي جسوس.والنائبان السّلطانيان الخطيب ومحمّد بركاش الذي كان تاجرا في جبل طارق قبل أن يصبح نائبا سلطانيا في طنجة سنة 1860 وولده والإخوة ماكلين الذين احتكروا تقريبا كل الصّفقات التي تعقد مع الإنجليز والولايات المتّحدة وجبل طارق(150).

## ج - تأسيس صناعة محليّة للأسلحة

وإلى جانب هذه الأسلحة المستوردة حاول المخزن إحياء وإصلاح مصانع الأسلحة القديمة مثل مصنع الحبّة في مرّاكش وفي فاس وطريحية تطوان لصنع المكاحل(151) التي أحياها سيدي محمّد بن عبد الرّحمان، كما يظهر من هذه الرّسالة التي يعطى فيها تعليمات دقيقة لحثّ المعلّمين على إتقان الإنتاج وصيانة الأسلحة

(149) Commandant Schlumberger, *op.cit.*

(150) ابن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 2، ص. 493.

(151) طريحة تطلق على ما ينتج في كل دفعة من المكاحل أو البارود "نفس المعنى الذي لها في الفرارين" ويظهر في الرسالة أن كلمة طريحية كانت تطلق كذلك على المصنع الذي كانت تصنع فيه المكاحل في تطوان.

التي تمّ إنتاجها :

" وصلتنا المكحلة التي وجهت مشطرة من المائـة مكحلـة الطريجيـة واخترناهـا فالفيناهـا جيّدة وعلمنا أنّها طلعت بأربع وتسعيّن أوقية، فالعمل عليها ونـأمرك أن تحزم المعلّمـيْن في خدمتها واجتهد في الوقوف عليها حتى لا يؤخّر شيء مـن طريحة الشّـهر إلى شـهر بعد أجل لا يمضي الشهر إلا وقد فرغ مـن دفـع طريحة الشـهر. وأخبرت أنّـك كنـت دفعت لمخازنية تطوان المكاحل الرّومية ولم تصلح لهم، وطلبت أن تعـرض عليهـم هـذه المكاحل التي تعمل في الطريجية، فقد أذناك فاجمع الرّوميّة التي كنت فرقتها عليهم وادفع لهم بدلها من هذه الجديدة. والرّوميّة التي تحوزهـا منهـم اتركهـا تحت يـدك في الخزين، حتى تحتاج إليها. وكن تتعاهدها بالمسح والتّرتيب تارة حتى تبقى محفوظة والسّلام".

وهذا العزم على إقامة صناعة محلّية للسّلاح كان واضحا حتّـى قبـل موقعـة إسلي كما يظهر من الظّهائر الرّحمانية المتعـددة لعبـد الرّحمـان أشـعاش في العرائـش والتى تؤكّد إرادة السّلطان "في إحياء الصنعة لنفع المسلمين، ولـو أردنـا غـير ذلـك لجلبنا العدّة من برّ الرّوم بأقلّ ممّا تطلع به هنا"[152].

وفي عهد مولاي الحسن شرع في بناء معمل القرطـوس في أكّـدال بمرّاكـش سنة 1304هـ ـ 1887م كما يظهر من الرّسالة السّلطانية :

"يعلم من كتابنا هذا أعلاه اللّه في جو اليمن والإسعاد بوأه وشيّد أركانه، أنّنا بحول اللّه المتعالي عن المستقرّ والمأوي والعـالم السّـر والنّجـوى، كلّفنـا خديمنـا الأرضـي المحتسـب مولاي عبد اللّه بن إبراهيم البوكيلي بالوقوف على بناء المحلّ لمكينـة القرطـوس بـأكدال السّعيد، فنأمره بالقيام في مقابلة ذلك على ساق، والسّلوك في أمره أحسن مساق، كمـا نأمر الواقف عليه من خدّامنا العمّال والأمناء بإعماله والجريان معه على منواله، والسّلام 12 شعبان الأبرك عام 1304هـ ـ 6 ماي 1887م[153].

كذلك بنى دار السّلاح بداخل مشور دار المخزن بفاس.

وقد كلّف المخزن ببناء هذه الماكينة الفرنسيّ روجي Roger سنة 1887م ثـمّ ما لبث بعد ذهاب هذا الأخير سـنة 1888م أن كلّـف بهـا البعثـة الإيطاليـة الـتي كـان يرأسها ليوتنان كولونيل بريكولي Bregoli وخليفته Falta مـاجور في المدفعيّـة الـذي

(152) الرسالة مؤرّخة في رجب الفرد عام 1249هـ/1835م. وهي موجودة في المحفظة 5/2 في خ.ح.

(153) رسائل سلطانية، خ.ع.، رقم D3410.

عوضه سنة 1889م فرارا Ferrara. وقد أولى مولاي الحسن اهتماما بالغا لهذا المصنع وكلّف بالإشراف على بنائه المدني بنيس والحاج عبد السّلام المقري، وكان يزوره من حين لآخر أثناء البناء، فمثلا في يوليوز 1892م زار السّلطان المعمل بصحبة حريمه، كما أحضر له العمّال من مرّاكش. وعند انتهاء سنة 1890م ـ 1308هـ، فتحه السّلطان في مهرجان كبير بعد حفلات عيد المولد النّبوي الذي احتفل به في فاس.

وأنشد بعض الشّعراء بهذه المنّاسبة[154] :

وشيّد دار السلاح عظيمة وشيدت حبا للعبادة مسجدا

وهذا المعمل كان يشتمل على أربعة محرّكات قوّة كلّ واحدة منها 125 حصان تعمل بالقوى المائيّة.

وكان مقسّما إلى ثلاثة أقسام :

قسم يصنع البنادق ؛

قسم يصنع القرطوس ؛

قسم لضرب السّكة ؛

وكان هذا المعمل يستخدم عددا من الطّلبة العسكر الذين درسوا في إيطاليا وفرنسا ومن بينهم محمّد الصغير والمختار الرّغاي ومحمّد ابن الكعاب وإدريس الفاسي والطّاهر ابن الحاج الأوديي ومحمّد المنعري وعبّاس بلقاسم. وقد كان العاملون فيه يقدّرون بثلاثمائة عامل يخضعون لنظام عسكريّ حيث كانوا يقسّمون بين قواد المائة لكلّ قائد مقدّم وملازم.

وقد تسارعت مختلف الشّركات الأجنبيّة لتقديم نماذج من الآلات لتجهيز هذا المعمل : فقد قدم ماكلين نماذج إنجليزية لآلات صنع القرطاس وقطعه وصنع "جعاب" المكاحل والتفالات[155].

---

(154) المنوني، **يقظة المغرب الحديث**، س.ذ.، ص. 72.

(155) كناش خ.ح.، رقم 124، ج.II IV ، سنة 1302، ص. 33 - 76.

وانتهى الأمر باشتراء الآلات من إيطاليا. وقد وصلت هذه الآلات إلى العرائش في 1450 صندوق واستعمل في نقلها إلى فاس 800 جمل و50 عربة اشتريت من إسبانيا.

وبدأ هذا المعمل ينتج مكاحل بوحفرة ومارتيني وهي مكاحل بالتفالة. وتدلّ رسالة الوزير الصدر غريط إلى نائب الدّولة الإيطالية في المغرب حول وصول البعثة التي تكلّفت بالمشروع على نوع المشاكل التي طرحتها سياسة "الإصلاحات" منذ البداية، والتي ستأخذ حجما كبيرا بتدهور الأوضاع السيّاسية والاقتصاديّة في أواخر القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، من ارتفاع مصاريف المخزن وعدم حريّة تصرفه، وتوقّف نجاح سياسته على الدّول الغربيّة :

"المحبّ العاقل النّاصح السّاعي في الخير بين الدّولتين المحبّتين نائب دولة الطّليان الفخيمة الكبلير مايسي. بعد مزيد السؤال عن أحوالك ومحبّة أن تكون بخير دائما، فقد وصل كتابك بأن المحبّ الباشدور الصّائر ما تصير إليه كلّ نفس كان أخبر سلطانكم المعظّم بما طلبته الحضرة الشّريفة من جلب مهندسين طليانيين... بقصد النّظر في أمر فبركة الأسلحة وغيرها وأذنت دولتكم الفخيمة في توجيه ثلاثة فيسيالات مهندسين من الجيش الطّلياني للحضرة الشّريفة، وأن هؤلاء الفسيالات يطلبون أن يسبق لهم الجناب الشّريف العدد الذي بيّنت من قبل صائر سفرهم من إيطاليا لطنجة واشتراء ما يحتاجون من الحوائج لقدومهم، وأشرت بإنهاء ذلك لشريف علم مولانا نصره اللّه ليأمر أيّده اللّه بتنفيد العدد المشار إليه لهم أن اقتضى نظره الشّريف المساعدة على مطلبهم، وذكرت أنّهم حيث يردّون لطنجة يكون صائرهم على المخزن والمال المسبق لهم لا يحسب عليهم لكوْنه من قبل صائر السّفر، وأطلعت بكتابك شريف علم مولانا، فرحب نصره اللّه بالفسيالات المذكورين وقبلهم وثنى على دولتك الفخيمة ودعا لها بمزيد الضّخامة والشّامة والثّروة والفخامة وأمرني أيّده اللّه أن نجيبك بأن تجازيها خيرا على لسانه الشّريف على اعتنائها بأموره الدال على محبتنا وصداقتنا وبأن تجيبها عن الفسيالات بأنّ المصلحة اقتضت تأخير توجيههم في هذا الوقت إلى أن ينصرف من هنا الفسيال المحترف بمثل حرفتهم، لأنّهم إذا وردوا قبل انصرافه يجعل ورودهم سببا للإقامة هنا

وعدم الانصراف وحيث ينصرف يصدر لك الإذن الشّريف بتوجيه عليهم مرحبا بهم وبكل من يأتي من دولتكم المحبّة وينفذ لهم آيّده اللّه سفرهم على يدك ودمت بخير وختم في 2 ربيع الأوّل عام 1305م - 18 نونبر 1887م"[156].

المفضل بن محمّد غريط اللّه لـه.

(156) الرسالة أتى بها ابن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 2، ص. 496.

# القسم الرابع:

# نتائج الإصلاحات

# نتائج الإصلاحات

جاءت أحداث السنين الإثنى عشرة الأولى من القرن العشرين لتظهر أن المجهودات التي بذلها المخزن طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر لإنشاء قوة عسكرية منظّمة ومسلّحة تسليحا عصريا تحمي البلاد من الأطماع الخارجية وتقوّي السلطة المركزية داخليا، قد ذهبت سدى، ولم تحقّق الأهداف المتوخّاة منها فقد عكست هذه السياسة العسكرية مدى ضعف المخزن وعدم تمكّنه من إدخال تغييرات جوهرية على الهياكل العسكرية التقليدية لتأسيس قوّة نظامية عصرية منذمجة تمام الاندماج في هياكل الحكم ومشكّلة أداة فعّالة توازي فعاليتها التقنية التضحيات البشرية والمادّية التي عبّئت من أجلها وتكون قادرة على تعويض النظام العسكري القديم.

كما أن الضغط الأجنبي حرم المخزن من الوسائل المالية والمعنوية ومن المناخ الملائم لجعل العسكر الجديد جيشا له وزن في الخارج وفي الدّاخل. ويظهر هذا الفشل من النتائج التقنية والسياسية لهذه الإصلاحات .

## أوّلا ـ النتائج التقنية "للإصلاحات" العسكرية

### 1 ـ الهيكل الجديد

أدّت التعديلات التي أدخلت على تنظيم الجيش القديم إلى خلق جهاز عسكري مخزني دائم يتكون من ثلاثة عناصر يطلق على مجموعها اسم "الجيش" وهذه العناصر هي :

#### أ ـ العسكر

وهوالعنصر الجديد الذي أحدثه المخزن ليستغني به عن التبعية لقبائل الكيش وقبائل النايبة، وقد قدّر عدده في أواخر القرن باثني عشر ألف مجنّدا 12000 وكان

يشتمل خصوصا على المشاة، ومقسّما إلى طوابير تحمل أسماء القبائل التي تنتمي إليها، أو اسم قائدها أو المدن التي تكون مستقرّة فيها[1] .

### ب ـ الكيش

وهو العنصر التّقليدي الذي كانت تشكّله قبائل الكيش وكان أساس الجيش المغربي قبل الإصلاح. وقدْ قلّ عدده تدريجيا، فبعد أن كان عدده يقدر بعشرين ألف مخزني في أوائل القرن التاسع عشر انخفض إلى ثلاثة آلاف وتسعمائة عام 1883م[2] وإلى ألفين وأربع مائة في أواخر القرن[3]، منهم ألف وثلاث مائة في خدمة السّلطان "المسخرين"، والباقي عنصر "احتياطي"، في حين أدمج باقي أفراد الكيش في العسكر. وهذا الجهاز كان يتكون خصوصا من الخيالة[4].

### ج ـ الطبجية أو المدفعيّة

وهو القسم العسكري الذي ركّز عليه المخزن في الإصلاح إلى جانب العسكر، وجعل منه وحدة مستقلة. وكان معظم الطّلبة العسكريين المغاربة في الخارج يرسلون من أجل التدريب على المدفعيّة، كما أن أغلبيّة أفراد البعثات العسكرية الأجنبية في المغرب كانوا من المختصين في الطبجية. ومما يدلّ على اهتمام المخزن بهذا القسم في الجيش، وخصوصا في عهد مولاي الحسن، المكانة التي احتلّها داخل المخزن ضابط فرنسي يسمى إيركمان Erkman، وهو الذي كلّفه مولاي الحسن بتدريب فرقة المدفعيّة. وكذلك تخصيص السّلطان يوما من الأسبوع، هو يوم الإثنين، لحضور التدريبات بنفسه[5]. وقد ارتفعت نسبة عدد

---

(1) A.M.G.V., C. 6, Rapport de la mission militaire française, Mars -Avril,.1890.

(2) J. Erckman, *Le Maroc moderne*, *op. cit.*, p. 244.

(3) L. Voinot, « Le tribus guichs du Haouz de Marrakech », in *Bull soc , géog, arch, d'Oran*, 1909, pp. 59-82.

(4) A.M.G.V., C. 6, Rapport, *op .cit.*

(5) Augustin Bernard, *Le Maroc*, Librairie Felix Alcan, 1915, p. 249.

وكذلك : و.و.خ.ف.، A.E.P., C.P.M. 41

الطبجية بالمقارنـة مـع بقيـة الجيـش، إذ فـاق عـدد المدفعيـين ألفـين[6] أي أنّ نسـبة المدفعيين في الجيش الجديد بلغت السدس.

وعمل المخزن على أن تبقى هذه العناصر الثّلاثة مستقلّة عن بعضها البعض، حيث صارت رئاسة العسكر توكل منذ عهد سيدى محمّد بن عبـد الرّحمـان لكبـير العسكر أو العلاف الكبير، في حين بقيت رئاسـة الكيـش توكـل لكبـير الكيـش أو رئيس المشور، ففي عهد مولاي الحسن مثلا، كان كبير العسكر أو العلاّف الكبـير هو السيّد محمّد الجامعي الملقّب بالصّغير، أخ الوزير المعطى الجامعي في حـين كـان قائد الكيش هو إدريس بن العلاّم البخاري[7].

وقد حرص السّلاطين على أن يكون رئيس العسكر، أي العـلاّف الكبـير أو وزير الحرب، كما صار يلقّب فيما بعد، من أقرباء السّـلطان أو مقرّبيـه مـن أفـراد قبائل الكيش الثابتة الطاعة أو من أقرباء الوزير (الصـدر)، لكـي تبقـى هـذه القـوّة الجديدة تحت مراقبتهم. ففي عهد سيدى محمّد بن عبد الرّحمان كان العلاّف الكبير هو الحاج عبد اللّه بن أحمد أخ الحاجب موسى بن أحمد، أمّا مـولاي الحسـن فقـد أوكل وزارة الحرب إلى خاله أبي عبد اللّه الكبير بن العربي الجامعي، وحينما تقلّـد هذا الأخير الوزارة، أوكلها إلى أخيه محمّد الجـامعى وفي أوائـل عهـد مـولاي عبـد العزيز أعطى الحاجب أحمد بن موسى بن أحمـد، الملقـب ببّاحماد الذى كانـت بيده كلّ السلط، وبقي صاحب الحلّ والعقد إلى وفاتـه في 18 مـايو سـنة 1900[8]،وزارة

---

تقرير بتاريخ 16 أبريل 1872م للعقيد اسطروهل Strohl الذي صاحب De Vernouillet حـين قدم هذا الأخير، أوارق اعتماده لمولاي الحسن بفاس. ويتكلّم فيه عن اعتنـاء مـولاي الحسـن بالمدفعية وبراعته فى الرّماية. كذلك :

Ch. Malo, « L'armée marocaine », in *Revue militaire, Journal des débats* , 10 Janvier 1903.

(6) و.و.ح.ف.ف، تقرير للبعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، 31 يناير، A.M.G.V., C.3, 1899

(7) وهذا يفسّر إلى حدّ ما العداوة التي كانت بين الرجلين، والتي جعلت إدريـس بـن العـلام قـائد الجيش ينضم إلى الحاجب بّاحماد بعد وفاة مولاي الحسـن، للإيقـاع بـالوزير الجـامعي وأخيـه وزير الحرب. زيادة على أن باحماد وابن العلام كانا معا من البخاري.

(8) أحمد بن موسى بن أحمد بن مبارك،1257 هـ ـ 1840م/1318هـ ـ 1900م.

من عائلات عبيد البخاري التي اكتسبت نفوذا كبيرا منذ بداية القرن التاسع عشر إلى نهايته. وهو نفوذ وصل الى حد الاستبداد في أوائل عهد مولاي الحسن، وأوائل عهد مولاي عبد العزيز. كان جده أحمد بن مبارك حاجبا لمولاي عبد الرحمن، وأبوه موسى حاجبا لسيدي محمد، ثم لمولاي الحسن. وبسبب الدور الذى لعبه في أخذ البيعة لمولاي الحسن دون إخوته، بقي صاحب الحل والعقد إلى وفاته. بعد موته، حرص مولاي الحسن أن لا يعيد نفس التجربة، ففرق مهامه بين الجامعي كوزير صدر، وبين ابنه أحمد كحاجب، وأذكى الصراع بينهما. كانت أمه يهودية، وبدا حياته المخزنية كحاجب عند مولاي إسماعيل أخ السلطان مولاي الحسن وخليفته في فاس. ثم صار حاجبا لمولاي الحسن، ولم يجد من نفوذه في هذه الفترة إلا حذر السلطان، ومضايقته له بالجامعي وأخيه الشيء الذي جعل البعض ــ بعد وفاة مولاي الحسن أثناء رجوعه من تادلة ـ يتهم أحمد بن موسى بقتله ممّا جعل بعض الصحف الأجنبية كصحيفة "الحاضرة" التونسة تكتب" بأنّه. يشاع أنّ السّلطان مات مسموما".وقد كان لإخفائه وفاة السلطان باتفاق مع زوجته الشركسية، نور الشمس، الملقبة بلالا رقية، إلى أن أخذ البيعة لابنها مولاي عبد العزيز أصغر أبناء السلطان، بداية حكمه المطلق إلى وفاته سنة 1900.

فقد أوقع بالحاج المعطي الجامعي الوزير الصدر وأخيه محمد الصغير وزير الحرب. وتقلد منصب الوزير الصدر، وأعطى وزارة الحربية لأخيه سعيد، والحجابة لأخيه إدريس، وجعل أخته عربية عريفة كبيرة داخل القصر. ولم يترك من مخزن مولاي الحسن، إلا علي المسفيوي في وزارة المصالح،لأنّ هذا الأخير كان يهابه لدرجة أنه كان ينحني له، ليمتطي ظهره حينما يريد ركوب فرسه. وعبد السلام التازي أمينا للأمناء، وعين عبد الكريم بن سليمان محل المفضل غريط وزير الأمور البرانية.وكانوا كلهم يهابونه. ولم تكن لهم من الوزارة "إلا الإسم". اشتهر بالقسوة. ففي ثورة الأشعا ش سنة 1315 ــ 1897م،حاصر الذين نجوا من القتل والسجن والتجؤوا للكهوف إلى أن ماتوا جوعا داخلها.

كان استبداده الذي دام 6 سنين، إلى جانب ارتفاع الضغط الأوربي، من أهمّ العناصر التي مهّدت للفتن، والاضطرابات، والتوتّر الذي اندلع في المغرب بمجرّد وفاته. وكان الجميع يأمل أن يأخذ مولاي عبد العزيز زمام الأمور بعد وفاته، كما فعل مولاي الحسن بعد وفاة موسى أبيه، ولكن هيبة المخزن اضمحلّت بوفاته حيث اتّضح أنّه "وحده كان المخزن".

حول أحمد بن موسى الذي كان يلقب بباأحماد.

الحرب، إلى أخيه سعيد وبعد وفاة هذا الأخير، عيّن الجبّاص نائبا عنـه فقـط، علـى رأس هذه الوزارة.

وبعد وفاة موسى بن أحمد والتحوّلات التى طـرأت علـى المخـزن ،وظهـور تأثيرا ت داخلية وخارجية جديـدة عليـه، دشّـن مـولاي عبـد العزيـز بدايـة حكمـه الحقيقى بإعطاء وزارة الحرب لمقرّبه المنبّهى، وبعد تـأكّد النّفـوذ الفرنسـي أوكلـت الوزارة للجبّاص، وفي أوائل عهد مولاي حفيظ أعطيـت للمدنـي الكـلاوي الـذي كان صهرهذا الأخير وعماده العسكري ثمّ إلى عيسى العبدي..

بقيت فرقة المدفعيّةكذلك مستقلّة عـن العسـكر حيـث كـانت تحـت أوامـر السّلطان مباشرة، وتشرف عليها عناصر إما تركيّة أو من العلوج أو من الأوربيين.

و في ما يلي لوحة لتركيب الجيش المغربي وعـدده ومواقعـه في ينـاير 1899[9]

ولكن هذا الهيكل الجديد بـالرغم مـن أنـه صـار مركّبـا مـن عنـاصر دائمـة ومحترفة، فإن قيمته لم ترتفع إلى حدّ يسمح له بالقدرة على مواجهة جيش أوربـي، أو أن يستغنى به عن مشاركة قبائل النايبة، فقد بقي المخزن إلى سنة 1912 يلجـأ في حركاته الدّاخلية إلى جيش القبائل "التي تنالها الأحكام" لتشارك إلى جـانب الجيـش النّظامي إمّا بحركة أو نصف حركة.

---

الحجوي، س.ذ.، ص. 43 ــ 44.

ابن زيدان، س.ذ.، ج. 1، ص. 372 - 412.

اليمني بوعشرين، **التنبيه المغرب لما آل إليه الآن حال المغرب**، س.ذ.، ص. 36 - 45.

Michaux-Bellaire, « Au palais du sultan marocain » in *R.M.M*, T.V, p. 647.

(9) A.M.G., C.86, Rapport de la mission Française au Maroc, 31 Janvier 1899.

# تركيبة الجيش المغربي في سنة 1899م

| اسم الطابور | العدد | المجموع | أسماء رؤساء الطابور | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| العسكر | | | | |
| البواخر | 50×14 | 700 | العربي بن حمو | |
| العبيد | 45×18 | 810 | القائد بلخير | ألف ومائة في مراكش ثلاثمائة في فاس. |
| الحرابة | 40×17 | 680 | القائد هواش | قائد واحد ومائة و15 مدربون في وحدة |
| شراكة | 50×10 | 500 | القائد البشير | |
| الأوداية | 70×7 | 490 | سي محمد بن زريف | مائة دربتها البعثة الفرنسية |
| شراردة | 40×12 | 480 | عبد الله بن شاوية | دربتها البعثة الفرنسية |
| أهل سوس | 20×7 | 140 | ابن عبد النبي | مراكش |
| منابهة | 20×14 | 280 | القائد العربي | بقرب مراكش |
| بطاطحة | 50×6 | 300 | السي محمد البطاي | مائتان بمراكش وأربعمائة بفاس دربتهم البعثة الفرنسية |
| الخلط | | 6900 | | |
| مطاع | 55×19 | 1045 | محجوب المطاعي | مراكش |
| دكالة | | 2000 | قائد الرحا | أربعة طوابير تافيلات 11 الحدود الجزائر |
| سراغنة | 20×5 | 100 | فكراني | |
| | 20×6 | 120 | العربي الشرعي | |
| | 40×4 | 80 | علال بن التهامي | نتيفة |
| | 20×7 | 140 | المكي بن منصور | مراكش |
| زرهون مسفيوة | 35×10 | 350 | القائد إدريس | |
| كلميورة | 15×3 | 45 | لا أحد | نتيفة |
| | 20×2 | 40 | لا أحد | نتيفة |

| اسم الطابور | العدد | المجموع | أسماء رؤساء الطابور | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| | | العسكر | | |
| أخدامة | 25×2 | 50 | لا أحد | تنيفة |
| المومني | 10×1 | 10 | المومني | الريف |
| | 30×5 | 70 | | |
| حاحا | 30×5 | 150 | أحمد وسعيد | |
| دمناتة | 35×7 | 245 | القائد سعيد | |
| متوكة | 45×10 | 450 | القائد مبارك | |
| الكندافي | 50×1 | 50 | القائد الكندافي | بقرب تازة |
| الرحامنة | 15×5 | 75 | القائد علال التباني | مراكش |
| | 10×4 | 40 | القائد البودالي | مراكش |
| | 15×5 | 75 | ولد بن التونسي | مراكش |
| زمران | 15×3 | 55 | مولاي الجيلالي | مراكش |
| | 15×4 | 60 | القائد قدور | مراكش |
| | 20×4 | 80 | القائد خليفة | مراكش |
| علي | 50×24 | 1200 | الحاج علي | تافيلات |
| الحسناوي | 15×5 | 75 | أحمد الحسناوي | قائد الطابورصغير السن من 16 إلى 17 سنة في مراكش |
| إدريس بناني | 15×5 | 75 | إدريس بناني | مراكش |
| أربالة | 20×5 | 100 | الملالي | مراكش |
| مويذة | 20×10 | 100 | محمد ويدة | تافيلات |
| الكداري | 20×1 | 20 | الكداري | تافيلات |
| الشاوية | 40×7 | 280 | العربي بوكرشة | زيان الغرب |
| أبراج | 25×3 | 75 | أراح السباعي | تنيفة |
| التوكاني | 15×5 | 175 | ولد سيدي لحسن | مراكش |
| | 15×5 | 175 | سي ناصر التجالي | مراكش |
| | 15×3 | 75 | ولد القائد عبد الرحمان | مراكش |

| اسم الطابور | العدد | المجموع | أسماء رؤساء الطابور | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| (عسكر المراسي) | | | | |
| تطوان | 3م×10 | 30 | محمد الفيلالي | |
| طنجة | 5م×20 | 100 | محمد بن زعير | |
| العرائش | 5×20 | 100 | عبد السلام الوديني | |
| سلا | 3×25 | 75 | لا أحد | طابور دربته البعثة الفرنسية |
| البيضاء | 3×60 | 180 | غانم بن توغزة | طابور دربته البعثة الفرنسية |
| أزمور | 5×16 | 80 | أحمد الزموري | |
| الجديدة | 5×20 | 100 | عبد السلام | |
| أسفي | 3×20 | 60 | لحسن المسفيوي | |
| الصويرة | 4×25 | 100 | الباجوري | |
| الرباط | 3×20 | 60 | أحمد الشدادي | طابور دربته البعثة الفرنسية |
| الجيش<br>1 - خيالة : ورجالة احتياطيين | | | | |
| البواخر | 34×25 | 850 | الباشا حمو | مكناس |
| شراكة | 25×25 | 725 | ولد باحمد | خمسمائة في مراكش عشرون في فاس |
| الودايا | 15×25 | 375 | علال بن بوعزة القائد | فاس الرباط ثلاثمائة مراكش 2 |
| | | | قاسم - القائد علي | زاوية الشرادي |
| شراردة.الغرب | 2×25 | 50 | القائد عباس | قبيلة الشراردة |
| | 3×25 | 75 | القائد المكي الدليمي | تازة |
| | 2×25 | 50 | القائد الحفاظ | مراكش |
| | 2×25 | 50 | القائد عمر بن المكي | مراكش |
| | 2×25 | 50 | القائد ميلود التكني | بقرب الرباط |
| | 2×25 | 50 | القائد عمر الشباني | مراكش |
| شراردة الحوز | 3×25 | 75 | الحاج إدريس | زاوية الشرادي قرب مراكش |

| اسم الطابور | العدد | المجموع | أسماء رؤساء الطابور | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| الجيش<br>خيالة ورجلية احتياطون | | | | |
| | 25×7 | 175 | بن حميدو | مراكش |
| | 25×5 | 125 | القائد يحيى الدليمي | مراكش |
| | 20×5 | 100 | الركراكي الدبلالي | مراكش |
| | 50×10 | 500 | بن لحسن الحريبلي | تافيلات |
| | 10×15 | 150 | المهدي المنبهي | مراكش |
| الربع | 60×5 | 300 | القائد حدو | ثلاثمائة قصبة أيت الربع، تادلة 2 مراكش |
| 2 ـ المخازنية (المسخرين) | | | | |
| البواخر | 10×30 | 300 | الباشا حمو | مكناس |
| الشراكة | 20×10 | 200 | ولد باحماد | خمسمائة مراكش والباقي بفاس |
| الودايا | 20×7 | 140 | عبد الله بوزلافة | فاس الرباط 3 مائة بمراكش 2 زاوية الشرادي. ـ نتيفة |
| شراردة | 35×7 | 145 | علال بن الشيخ | |
| أهل سوس | 25×7 | 155 | العربي السوسي | مراكش |
| عبدة | 10×15 | 150 | ولد سي عيسى | مائتان في مراكش و13 في القبيلة |
| فاس العالية | 15×3 | 45 | محمد بوقرش | مراكش |
| ولاد سيدي علي | 10×7 | 70 | سيد أحمد بن عبد السلام | مراكش |

| اسم الطابور | العدد | المجموع | أسماء رؤساء الطابور | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| **3 ـ الطبجية** | | | | |
| البواخر | 20×2 | 40 | محمد الهيدالي | مراكش |
| الودايا | 15×7 | 105 | مولاي أحمد الصوري | مراكش رئيس هذا الطابور يسير المدفعية والطلبة المهندسين |
| شراردة | 20×2 | 40 | القائد محا | مراكش |
| أهل سوس | 20×3 | 50 | | مراكش |
| **4 ـ الحمارة** | | | | |
| | 10×35 | 350 | 34 مقدم | لا ينقسمون إلى مائة بل إلى طوابير يرأسها مقدم |
| **5 ـ المهندسون** | | | | |
| | 10×12 | 120 | 12 مقدم، علال السوسي | يلحقون بالحمارة |
| | 10×40 | 400 | 40 مقدم، محمد الزواوي | |
| **المجموع** | | | | |
| العسكر + عسكر المراسي | 725 + 11270 | 11995 | | |
| الكَيش | مسخرين + مخازنية | | | |
| | 1305 + 3700 | 5005 | | |
| الطبجية | 1800 + 245 | 2045 | | |
| الحمارة | حمارة + مهندسون | | | |
| | 520 + 350 | 870 | | |
| المجموع | | 19915 | | |

## 2 ـ التّكوين العسكري

بقي التكوين العسكري ضعيفا إن لم نقل منعدما لانعـدام انتظـام التدريـات وضعف التأطير، إذ أن الأطـر المغربيّـة الـتي تكوّنـت في الخـارج وكذلـك البعثـات العسكرية في المغرب لم تعط النتيجة المتوخّاة لأسباب متعددة.

### أ ـ الأطر المغربية المكّونة في الخارج

بالرغم من المدّة الطّويلة التي كان يستغرقها التعليم في الخارج، والتي تعـدّت في بعض الأحيان تسع سنوات[10] فكثير من هؤلاء الطّلبة لم يكونوا يتوفّـرون علـى الحدّ الضروري من التعليم الذي يسمح لهم باستيعاب ما كانوا يدرسونه في أروبـا وإن كان البعض منهم قد تلقّى تكوينا أوليّا في المدارس التي فتحها سيدي محمّد بـن عبد الرّحمان في دار المخزن بفاس وفي أسـفي والصويـرة وطنجـة قبـل ذهـابهم إلى أروبا[11].

وهذا نموذج للبعثات المغربية التي كانت ترسل للتّكوين العسـكري في أروبـا وهي البعثة التي ذهبت إلى مدرسة الهندسة العسكرية في مونبـولي 1885م علـى مـتن باخرة حربية فرنسية تسمى أرتمـيز[12]. وكـان يرأسـها العلـج البرتغـالي دون ميكـل دوكاسترو Don Miguel Decastro. وقد ذهـب في نفس السّـفينة وفـد مغربـي متوجـه إلى فرنسا لدراسة الحدود الجزائرية المغربية يتركـب من عامل وجـدة وقـاضي فـاس وخمسة قواد ومعهم الوزير المفوض الفرنسي في المغـرب. وبعـد وقـوف في طولـون وصل المتدّربون إلى مونبـولي في يـوم 28 يوليـوز حيـث اسـتقبلهم كولونيـل الفرقـة الثانية في الهندسة واسمه وليوندبل، وكانت البعثة المغربية تتكون من :

محمّد بن عبد الرّحمان دسولتي ؛

محمّد بن سعيد علام ؛

---

(10) رسالة محمّد بن محمّد الكعاب الشركي أوردها المنوني محمد، **مظاهر يقظـة المغـرب الحديـث**، الرباط، ص. 96.

(11) J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, op.cit.*, T.III, p. 230.

(12) J. Caillé, « Les Marocains à l'Ecole du génie de Mont Pelier", 1885 -1888, in *H.T,* 1954, T.XI, pp. 131-145

صلاح بن محمد ؛

علال بن محمد من عبيد البخاري ؛

علام ؛

العربي بن عبد السلام من سلا ؛

محمّدالزواني من أسفي ؛

عمر محمّد حسني ؛

أحمد الخالي من تطوان، طبجي يتعاطي الخرازة ؛

محمّد بن دحمان من تطوان، طبجي يتعاطي الخرازة ؛

وكان المخزن يتكلّف بنفقات اللّباس الذي كان لباسا أروبيا مع طربوش. ويؤدي للطّلبة 2 فرنك في اليوم يصرفون منها 1 فرنك يوميا للأكل. وكانت التّداريب الأولى على الميدان بوليكون Polygone والقناطر والقنابيل والمفرقعات والدّيناميت وإقامة الخيام وتحضير مواد الحصار، سالبيون.

وهذا البرنامج كان يقتضي الإلمام بالحساب والهندسة. ثم صار التّكوين ينقسم إلى قسمين :

- دروس نظرية : الحساب والهندسة والفيزياء والكمياء.
- تداريب عمليّة : على التلغراف والتلفون وآلات النظر.

وفي سنة 1888م، غادر من تبقى من البعثة مونبولي.

ومن التقارير التي كان يكتبها ريونديك يظهر أن الطلبة بالرغم من حسن إرادتهم لم تكن لهم المبادئ الأولية للتّعليم الضروريّة لاستيعاب ما كانوا يدرسونه، وأن جلّهم لم "يكن يرجى أي نتيجة من تعليمهم". وكان لايونديل يتعجب من "الإرادة السيّئة المذنبة للموظّف الذي اختار هؤلاء الطّلبة العاجزين" وقد طلب عدّة مرّات أن يتبدل هؤلاء الطّلبة بطلبة أكثر أهليّة.

وهذه بعض نتائج هذه البعثة :

بعد سنة من التّدريب، أي في سنة 1886م، أرجع إثنان إلى المغرب لسلوكهما القبيح، وهما محمّد الزواني والعربي بن عبد السّلام.

بعد سنيتن رجع التّرجمان العلـج لأن الطّلبـة تعلّمـوا الفرنسـيّة. أمّـا الطّـالب علال بن محمّد فقد نعت بقلّة الذّكاء والمواهب العقليّة، وبقي طول مـدّة إقامتـه لا يتلقى أي تدريب .

الطبجيان الخرازان، أدخلا إلى الإصطبل لتسريح الخيل بعد أن وقع اليأس من تعليمها الهندسة التي جاءا من أجلها.

محمّد بن عبد الرّحمان سولتي استعمل بعد دخوله كمـدرّب في الطبجيـة[13]. والبـاقون، إذا كـانوا قـد دخلـوا في طـابور الطبجيـة كمهندسـين، كمـا يقتضـي تكوينهم، فإنه من المتعذّر الحكم على النتائج التي أعطاها هذا التكوين لأنـه لم يـرد لأسمائهم ذكر. كما أنه من المستحيل معرفة ما إذا كانوا قد حقّقـوا تمنّيـات الوزيـر الفرنسيّ المفوّض في المغرب الذي كان يرجو من وراء تدريب العساكر المغربيّـة أن تنطبع عقول البعثات "بعظمة فرنسا وحضارتها"[14] .

ولم يكن بعض أفـراد هـذه البعثـات يستخدمون بعـد رجوعهـم في المكـان الملائم لتكوينهم، فعدد ممن تعلم الهندسة العسكرية كانوا يستخدمون كتراجمـة أو يتكلّفون بالخيل أو بمصاحبة المدرّبين الأجانب[15]. وعـدد منهـم نسـي في الخـارج، كما تدلّ على ذلك الرّسالة التي أرسـلها أحـد الطّلبـة الذيـن أرسـلوا للدّراسـة إلى فرنسا ثم إلى بلجيكا ابتداء من 1879[16] حيث قال :

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله حفظ الله بمنه، ورعى برعيّتـه مقـام الفقيه الأجل الفاضل الأفضل السيد أحماد بن موسى، حفظ اللّه سناءك وسناك، وأظفـر يمناك بمناك، وسلام تام، ختامه مسك ومزاجه مـن تسـنيم، ورحمـة اللّـه وبركاتـه مـادام الفلك وحركاته.

---

(13) حول محمد بن عبد الرحمن دوسولي : أنظر

J. Erckman, *Le Maroc moderne*, *op. cit.*, p. 181.

(14) **ن.م.س**، J.Caillé, *op.cit.*, p.145

(15) رسالة محمد المفضل غريط وزير "الأمور البرانيـة" إلى الوزيـر المفـوض الإيطـالي بـ 10 رمضـان 1305هـ، أوردها ابن زيدان في **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج.ح.، ص. 496 - 497.

(16) محمد المنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، **س.ذ.**، ص. 191 - 192.

وبعد، كما هو في كريم علم سيادتك وأنّنا كنّا بعثنا من جملة الطّلبة الذين كانوا تعيّنوا لقراءة الروميّة في منتهي رجب سنة 1291هـ/12 شتنبر 1874م، ثمّ بعد الإقامة نحو من السّتة سنين ونصف بثغر طنجة كنّا سافرنا في 18من ذي الحجة سنة 1297هـ/22 نونبر 1880م المذكور أعلاه لتعلّم ما كنّا بصدده من أربعة سنين ونصف، أعني إلى 22 من شعبان 1309هـ/17 يونيو 1884م اليوم الذي أتانا فيه الأمر الشّريف على يد الحاج محمّد بركاش في شأن انتقالنا من بُلد فرنسا إلى بلد بلجيكا لنقف على من كان بعث من المتعلّمين إلى بلد بلجيكا لأخذ علوم الصنائع المفقودات عن المغرب ولقبول الحاجات المطلوبات بإذن الحضرة العاليّة باللّه عند جماعة كريل فبريكة المدفع ومكينات فبريكة القرطوس، فعند رجوع المتعلّمين وتوجيه ماذكر من الحاجات كنا طلبنا من وزير الأمور البرّانية السيّد محمّد بركاش رحمة اللّه علينا وعليه أن يرفع أمرنا لسيّدنا نصره اللّه ليجد علينا بصلة الرّحم، فأجابنا وأن في إثر كتابه إلينا يأمرنا بأن نأذن جماعة ككريل في شروع صناعة مكينات السّكة، وبعد تمام هذا الحاجة يوفي لنا بالعهد، لكنّ موت وزير الأمور البرّانية وولده قطعت علينا جميع الأخبار، فلا إذن أعطي لصناعة المكينات السكة ولا نحن رجعنا لصلة الرّحم وننظر ما بقي لنا من الأهل.

والآن تفهم سيادتك، وأن منذ مات السيّد محمّد بركاش ومكاتبتنا تصبّ على نائب الحضرة العليّة السيّد الحاج محمّدالطريس ليرفع أمرنا إليكم ونعرف ماهو حلوسنا بهذا البلد : بقولنا في كل كتاب أن لم يكن يفضي للحضرة العاليّة باللّه نريد الرجوع. وكذلك جماعة ككريل هذه ستّة أشهر وهي تكتب وتطلب ما صيّرته علينا وعلى السّبعة المتعلّمين القائمين ببلد بلجيكية لأخذ علم صناعة السلاح رفقة رفيقنا السيد الطّاهر بن الحاج الأودي، فلا جماعة ككريل ولا نحن قبلنا جوابا عما كتبنا عليه : أعني جماعة ككريل تتبع فيما صيّر علينا وعلى 7 المتعلمين، ـ كما ذكر أعلاه ـ إلى يوم السبت 9 من جمادى الثانية سنة 1304هـ/5 مارس 1887م مسيحية هو من الأفرنك هكذا : 2320050.

والآن فتفهم سيادتك، وأن هذه سبعة سنين ونصف ونحن مفقودين عن الأهل والوطن، والأعداء لا تنظرنا إلا بعين الاحتقار، حتّى صرنا لا نستلذ طعامنا ولا شرابنا.

وعليه فالمرجو من كمال سيّدي وعلو همّته أن يكون شفيعا لنا عند سيدنا نصره اللّه، لينظر من حالنا ويجود علينا بطلق سراحنا لصلة الرّحم، فها نحن رفعنا أمرنا إلى اللّه وإليك أيّها الوزير لتنظر من حالنا وللإخوة في الإسلام، فاللّه يجازيك بجاه خير الإمام، وفي 18 من جمادى الثاني 1304م/1887م.

خادم الحضرة العليّة باللّه : محمّد بن محمّد بن الكعاب الشركي وفقه اللّه، في بلد بلجيكا بمدينة صيرن عند جماعة ككريل".

إن عددا من هؤلاء الطّلبة بقوا في حيز الإهمال لعدم ثقة المخـزن بهـم، لأن المخزن كان مقتنعا بأن أعضاء البعثات بعدما أقـاموا في أروبـا سـنين "عـادوا منهـا جهالا متنصرين"[17].

وقد أظهرت بعض الحالات أن المخزن كان على صواب في عدم ثقته هـذه، فمثلا : الطالب محمّد بن عبـد الرّحمـان دوسـولتي الـذي تلقـى تكوينـا في مدرسـة الهندسة الحربية في مونبولي وتكلف بالمدفعية صار من جواسيس البعثة الفرنسية[18].

## ب ـ نتائج البعثات العسكرية الأوربية في المغرب

بقي دور البعثات الأجنبية في التّكوين العسـكري للجيـش وتحسـين مسـتواه التّقني ضعيفا، و لم تكن نتائجـه في مسـتوى المصـاريف الباهظـة الـتي كـان المخـزن ينفقها على هذه البعثات، وهذا بشهادة البعثات نفسـها. ففـي التّقريـر الـذي بعثـه رئيس البعثة عن نتائج المدرّبين الفرنسيّين في وجدة في 9 د جنبر 1879م نجده يقول:

"إن نتائج هذه البعثة سلبية، ولا تناسب أبدا المصاريف التي أنفقها المخـزن، و لم تـدرب هذه البعثة إلا 280 رجلا، وقد وجد صعوبة كبيرة في تعليم العساكر الوقوف في الصف بدون حركة والسكون والخطوات والنّظام"[19].

وبالفعل، فنفقات المخزن على هـذه البعثـات كـانت مرتفعـة. فزيـادة علـى الأجور التي كانت تساوي ضعف الأجور التي تؤديها لهم حكوماتهم، كان المخزن يتكلف لهم بالسكن[20] والخيل وتعويضات عن رجوعهم لبلادهـم وتعويضـات إذا

---

(17) **ن.م.س،** أخذها المنوني من **الاستبصار،** ص. 96.

(18) E. Doutté, *Les moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900, p.71.

(19) A.M.G.V., C.2, Rapport de la mission militaire d'Oujda, 9/12/1878.

(20) حينما نقلت البعثة الفرنسية من وجدة إلى الرباط، كلف السلطان مولاي الحسن عامل الربـاط عبد السلام السويسي باكتراء دار لهم "ولكنها لم تكفهـم" فأكـترى دارا ثانيـة. الـدار الأولى كانت لمحمد الدكالي ثمنها أربع ريالات في الشهر والثانية للحاج أحمد بلافريج بـأربع ريالات. ولكن ذلك لم يكفهم مع أنه لم يكـن " في السـوق أحسـن ممـا يسـرنا لهـم" كمـا أن العـامل أضافهم ثلاثة أيام. ابن زيدان، **الإتحاف، س.ذ.،** ج. 6، ص. 104 – 105.

أصابهم ضرر في سنة 1887 مثـلا أدّى المخـزن لهـذه البعثـات 000 250 ريـال ذهـبي كأجور و000 100 ريال ذهبي تعويضا عن قتل الكومندار سميت [21]. ومقـابل هـذه النفقات بقي التّدريب الـذي تلقّتـه بعـض طوابـير العسـكر دون أيّ مفعـول لعـدم وحدة التّداريب وتنوع الأساليب، فمثلا إيركمان وجد صعوبـة كبـيرة في تدريـب أعضاء المدفعيّة لأن كثيرا منهم سبقت لهم تداريب في جبل طارق، وكذلك صعوبة فهم العسكر لما يلقّنهم إياه المدرّبون الأجانب بلغات أجنبيـة. وقـد قضـى المدرّبـون الفرنسيّون عدّة أشهر في تلقين طابور سلا : الفصل الخامس من القسـم الأول مـن "مـدرسـة الجندي"[22] .

كما أن عدم الانسجام بين مختلف البعثات، وأحيانا بين أعضاء نفس البعثـة، كان يجعلها تتوقف عن العمل، وتقضي وقتها في خلافات هامشـية[23] .

ويمكن القول، إنه في أواخر القرن، لم يكن داخل الجيش المغربـي إلا طـابور واحد، مكوّن من عناصر درّبت تدريبا عسكريّا عصريّا هو طابور "الحرابـة" الذيـن درّبـوا في جبـل طـارق، وعلـى يـد مـاكلين الإنجليـزي، ليقومـوا بتأطـير وتدريـب العساكر الأخرى، ولكنهـم جمعوا في طابور واحد صار جيشا خاصا بالسّلطان[24].

---

(21) L. Miège, *op. cit.*, T. IV, p. 110.

قتل القبطان سميت من قبل فردين من قبيلة زمور. وطالب الفرنسـيون المخـزن بتـأديب القبيلـة ولكن المخزن أجاب بأن الدية التي أدتها القبيلـة وسـلمت لزوجتـه تعفـي القبيلـة شـرعا مـن العقاب.

A.M.G., C.3, Rapport de la mission militaire française, à Rabat, 1881.

(22) Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, *op. cit.*, pp. 160-161.

و.و.ح.ف.، A.M.G., C.5, Rapport du Commandant le Vallois, 25/1/1886

(23) حول هذه النزاعـات : و.و.ح.ف.، رسـالة مـن Schlumberger إلى وزيـر الحـرب 4 نوفمـبر 1896م وA.E.P., N.S.M, 272

(24) و.و.خ.، إ.، FO. 99/185 et 5/9/1979وكان يرأس طـابور الحرّابـة في عهـد مـولاي الحسـن الآغا الحرّاب أحمد بن الشّيخ المكناسي .و كانت عائلة بن الشيخ من أكبرعائلات مكناس.

### 3 ـ التجهيزات العسكرية

#### أ ـ صناعة السلاح

لم تعط إلا نتائج هزيلة، فمعمل صنع البارود، في مرّاكش كانت بعض أقسامه لم يتم بناءها في عهد مولاي الحسن، بينما كانت أقسام أخرى قد تهدّمت وكثير من آلاته قد نهبت، كما يظهر من التّقرير الذي أرسلته اللجنة المكلّفة بالإطّلاع على حالة الفابريكة"[25].

ويغلب على الظن أن مولاي الحسن اتّخذ قرار بناء "معمل القرطوس" بأكدال بمرّاكش بعد أن اكتشف عدم صلاحية "فابركة" الجبة بالسجينة. ولكنّ هذا المعمل الذي شرع مولاي الحسن في بنائه في عام 1885م، لم يعط نتائج تذكر، بالرغم من جهود السّلطان واهتمامه به. فالآلات التي اشتريت من شركة وينشستر كروب كومباني Winchester Krup Company، لم تكن قد استعملت إلى حدود 1891م، حيث كلّف بتسيّير المعمل علج إسباني اسمه عبد القادر ولكن "القرطوس" الذي صنعه كان من نوع رديء ومرتفع الثّمن، وقبل وفاة مولاي الحسن بقليل كان يقيم مفاوضات مع إيطاليا لإرسال عمال متخصصين.

أما دار السلاح بفاس فقد كلّفت المخزن في أواخر عهد مولاي الحسن خمسة ملايين ريال ذهبي (000 000 5) منها خمسمائة ألف ريال (000 500) للبناء وثلاثمائة ألف ريال (000 300) للتجهيز، والباقي لأجور البعثة الإيطالية والأمناء والعمّال[26]. ولكنّ إنتاجها بقي ضعيفا لا يغطي حاجة المخزن، لا من السّلاح ولا من القرطاس الذي بقي نوعه رديئا، بل كان هذا الإنتاج لا يغطي حتى مصاريف المعمل : فإنتاجها في الأول لم يكن يتعدّى أربعة بندقيات (مكاحل) في اليوم[27].

---

(25) خ.ح.، ر. الكناش 124، ج. IIV 1302.

(26) A.M.G.C. 6 Juillet 1892، قبل مجيء البعثة الإيطالية سبق المخزن للمهندسين الإيطاليين نفقات السفر من روما إلى طنجة ومبلغا لاقتناء حاجياتهم، و لم يعتبر هذا تسبيقا فيما بعد لأنه لم يخصم من أجورهم.

حول الموضوع، رسالة الوزير محمد المفضل غريط للوزير المفوض الإيطالي بطنجة، في **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 2، ص. 496.

(27) تقرير A.M.G.V., C. 6 1896/10/1

**التقرير الذي أرسلته اللجنة التي أرسلها مولاي الحسن لتفقد أحوال فابركة البارود بمراكش**



تصميم لدار البارود تابع للتقرير

Essai de poudres
exécuté à Marakech le 15 mai 1899

Bouche à feu employée : Mortier lisse de 15[c]
Nature de la poudre : à grains fins
Poids de la charge : 30 grammes
Angle de tir : 45 degrés
Mise de feu : au moyen de la mèche à canon.
Poids du projectile : 7 kg 200.

| Poudre employée. | Portées obtenues. | Moyenne des 3 coups. | Observations. |
| --- | --- | --- | --- |
| Poudre de Fez ancienne | 17m,4 – 17m,3 – 20m,7 | 18m,5 | |
| Poudre de Fez nouvelle | 15,4 – 11,3 – 7,8 | 11m,5 | |
| Poudre de Marakech ancienne | 40,0 – 36,8 – 35,8 | 37m,5 | |
| Poudre anglaise | 52,2 – 58,4 – 52,9 | 54m,5 | 32 gr. de poudre MC30 fournissent au projectile de 7 kg 500 une portée de 100 mètres. |

اختبار أنواع البارود بمراكش

وقد أظهر السّلطان مولاي الحسن عدّة مرّات استياءه من نتائج هـذا المعمـل الذي صارت مهمّتـه في 1894م تكـاد تنحصـر في "إصـلاح أوانـي الطبـخ لمختلـف الشخصيّات المخزنيّة "[28]. وقد اضطر السّلطان لإغلاقه عدّة أشهر ليعاد النّظـر في آلاته وتنظيمه، ومع هذا بقي إنتاجه غير منتظم[29] :

ـ من 11 رجب إلى 5 شعبانّ 1311م/ 2 يناير إلى 17 فبراير1894م كـان الإنتـاج: 40 بندقية (مكحلة) بتفالتها.

ـ مـن 5 شـعبان إلى 12 شـعبان 1311 هـ/ 17 فـبراير إلى 24 فـبراير 1894م كـان الإنتاج: 40 بندقية (مكحلة) بتفالتها.

ـ من 12 شعبان إلى 22 رمضان 1311هـ/24 فبراير إلى 29 مارس 1894م كان الإنتاج: 50 بندقية (مكحلة) بتفالتها

ـ من 22 رمضان إلى 13 قعدة 1311هـ/29 مارس إلى 18 مـاي 1894م كـان الإنتـاج: 60 بندقية (مكحلة) بتفالتها ا[30].

من 13 قعدة إلى 18 حجة 1311هـ/13مـاي إلى 22 يونيـو 1894م كـان الإنتـاج: 40 بندقية (مكحلة) بتفالتها.

أي أن معدل الإنتاج لم يكن يتعدى 46 مكحلة في الشهر.

وكان إنتـاج البـارود كذلـك غـير منتظـم لايتعـدّى غالبـا 000 320 حبّـة في الشّهر، ويتوقّف لأتفه الأسباب كعدم وجود "عود الدّفلة" مثلا[31].

فبعـد البعثـة الأولى الـتي كـانت مؤلّفـة مـن ثلاثـة تقنيـين[32] هـم جورجيـو Georgioبريكـولي Brégoli، ولويـس فالطـا Luis Falta وباريسـطا وطـني Barista Watani، تعاقبت على هذا المعمل عدّة بعثـات إيطاليـة، إذ جـاءت بعثـة أخـرى في

---

(28) ن.م.س.

(29) ن.م.س.

(30) الكناش رقم IIV م، شؤون الجيش، خ.ح.

كانت المكاحل المصنوعة من نوع Martiny ويسميها المغاربة بوحفرة.

(31) مراسلات سلطانية، من شوال 1314هـ إلى ذي الحجة 1324هـ. الكناش رقم 429، خ.ح.

(32) Dr Weisgerber, *Le Maroc moderne*, Rabat, 1949, p. 79.

1895 يرأسها فـرارا يعينـه كابـا Capa وطرْونلـي Tronelli ثـم عـوّض هـذا الأخـير بالمسمّى كالدرا Caldra ثم عاد نوطيرا من جديد.

وانتهي الأمر بإغلاق دار السّلاح سنة 1321 هـ/1903م[33].

## ب ـ التحصينات السّاحلية والأسطول البحري

وأكثر التحصينات الساحلية لم تتم بالرغم من المـدّة الطويلـة الـتي اسـتغرقها الخبراء في ذلك، ورغم ما صرف عليها.

فأبراج طنجة التي بدأ الاهتمام بها منذ بداية الإصلاحات، كانت في أواخـر القرن "مفرطة(أى مهملة) ومملوءة بالأزبال والمدافع مشتّتة والإقامة منتشرة، ومنهـا ما كان لازال في حوزة المهندس الإنجليزي"[34].

وحصن الرباط وسـلا التّسـعة الـتي كـان مـن المقـرّر أن ينجزهـا المهنـدس الألماني لم ينجز منها في آخـر القـرن إلاحصـن الرّبـاط الـذي كـان يسـمى حصـن الألماني. وحتّى هذا الأخير لم يكن تحصينه قد انتهى بعد عشر سنوات من الأشغال بالرغم من أنه كلّف المخزن عدّة ملايين مـن الريـالات الذهبيـة، صرفـت في مـواد البناء وعلى تجهيزات لحمل قطع من أربعين طنّا مـن الميـنـاء إلى محـل التحصـين، أي مساحـــة 800 1 متر، وعلى اشتراء بـاخرة خاصـة تحمـل مدافـع كـروب، وعلـى أجور الخبراء الأجانب، كالخبـير الألمـاني الـذي جـاء لتفقّـد الـبرج وتصويـره، ولم يمكث في المغرب إلاّ شهرا واحدا تقاضى مقابله 000 6 ريال[35] وهذا الحصن الذي ظهرت فيه شقوق عند أول تجربة للمدافع[36] لم يكـن مـن جملـة تحصينـات أخـرى

---

(33) J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, *op.cit.*, T.IV, p. 109.

في سنة 1888م وسنة 1903م، ضربت بها السكة النحاسـية الصولـدي ثـم أغلقـت. وفي عهـد الحماية اشترتها شركة فرنسية.

(34) أتـى ابـن زيـدان، في **العـزّ والصّولـة**، المطبعـة الملكيّـة، الربـاط، 1962، الجـزء الثّـاني، ص. 197–202 بعدّة رسائل عن حالة الأبراج.

(35) رسالة سلطانية لبركاش رقم 55/42، **وثائق بركاش**، خ.ع.

وكذلك رسالة إدوارد سبليبي ، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 2، ص. 485.

(36) Guillen, *op. cit.*, p. 323.

كحصن طنجة(37) مثلا، قادرا على مواجهة أيّ هجوم للبوارج الأجنبية، كما عبّر عن ذلك أحد الضّباط الفرنسيّين(38) .

"غير أنّ قصف هذه القلعة (قلعة الرّباط) وتحطيمها أمر سهل بالنسبة للبوارج الرّاسية في الميناء عرض الرّباط. وإذا كان مظهر عظمتها يرضي السّلطان، فإن تحطيمها بسرعة من شأنه أن يحطّم ثقة المغاربة في جودة وفعالية مباني كروب ".

وأغلبية الأشغال التي قام بها المخزن في الموانيء كان نفعها لا يعود إلا على التّجارة الأجنبية، ففي كلامه عن الفنار الذي أقامه سيدي محمّد في رأس سبارتيل في طنجة، يقول أحد الضباط الفرنسيين : "إنّ سيدي محمّد ينفق ماله لينجي من الغرق الإنجليز الذين ينظرون إليه من عل والإسبان الذين يستفزّونه والفرنسيّين الذين هزموه في إسلي".

كما أن الأسطول البحري وإن كان قد أدّى بعض الخدمات للمخزن كحمل العسكر والزاد والعتاد في بعض الحركات كحركات مولاي الحسن للجنوب سنة 1882-1886م وحركات الرّيف في عهد مولاي عبد العزيز، فإنّه لم يكن كافيا سواء من ناحية العدد أو من ناحية السّرعة و القوّة، لمواجهة لا حركة التهريب ولا تحرّكات السّفن الحربية الأجنبية التي كانت تظهر باستمرار على السّواحل المغربية لتدعيم مطالب الدول الغربية، بل لم يكن يلبّي حتّى حاجة المخزن الذي بقي يلتجيء في أموره إلى البواخر الأجنبية(39) .

---

(37) حول برج طنجة : الكناش رقم 309، خ.ح.

ابن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 2، ص. 475.

اقتنى المخزن لتحصين أبراج طنجة الثّلاثة بريشة، المرسى، وطبانة، ستّ مدافع أرمستونغ ومدفعين كروب، وكلّف بالإشراف على العملية الحاجّ عبد الخالق فرج محتسب الرّباط، وتكلّف بالإشراف على السّلاح مهندسون من بينهم الزّبير سكيرج.

(38) Le Commandant Ferry, « La réorganisation marocaines » *P.C.M.*, Paris, 1905, p. 24.

(39) J.L. Miège, *op. cit,* T.IV, p. 107.

وكانت أجور المدرّبين والبحارة والفحم والإصلاحات تجعل تكاليف هذا الأسطول باهظة مقابل خدمات قليلة.فالزورق المسمى "الحسني" الذي كلّف شراؤه سبعمائة وخمسون ألف فرنك ذهبي لم يستعمله المخزن إلاّ مرّات قليلة في حركة سوس، كما قام ببعض العمليّات في محاربة التهريب كتعرّضه للسّفينة الإنجليزية تورملين Tourmeline في عرض سواحل سوس سنة 1898م[40] .وكان أغلبية الوقت غير صالح للاستعمال بسبب الأعطاب الفنيّة والإهمال وبقي راسيا في ميناء طنجة إذ الم يرسل للإصلاح لقادس أو جبل طارق أو إنجلترا، وانتهى الأمر ببيعه في 1902م لصانع سفن إنجليزي[41] .

---

التجأ المخزن لتدريب الطلبة المغاربة على "ترياسة" والماكينة"، إلى بواخر إنجليزية وفرنسية وإيطالية وإسبانية. ولكن إنجلترا رفضت لأن القوانين البحرية الإنجليزية كانت تحرم عمل الأجانب على ظهر السفن الإنجليزية.

وفي حركة سوس الثانية، اكترى مولاي الحسن سفينة أميلي Amélie الفرنسية لحمل الزاد من الدار البيضاء والصويرة لسوس عبر أكادير.

Gérinton, *op. cit.*, p. 270.

(40) M. Kenbib, *op. cit.*, p. 266.

(41) حول الإهمال الذي أصاب السفن: رسالة مولاي الحسن لبركاش في 2 ذي الحجة عام 1302.

حول بيع الحسني : Dr Weisgerber, *op. cit.*, p. 155

وكذلك : « La Martinière » , *I.H.E.M*, 1947, p. 84-85

وكذلك :

A.M.G.V,C.10, Rapport du Commandant Schlumberger, Marrachech, 1er Septembre 1897.

يذكر في هذا التقرير أن "السلطان في نيته التخلي نهائيا عن البحرية".

كذلك : J.L. Miège, *La marine marocaine*, *op. cit*:

وحول بقاء الحسني في مرسى طنجة : A.M.G.V., C. 8, Schlumberger, Fés, 30/11/1894

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش رفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد وصل كتابك بأنك اجتمعت
بجانبنا العالي بالله عند توجيه بابور جانبنا الشريف لسوس في غير مرة بأنك تخوفت من توجيهه في هذا
الآن بإبان نزول القطب للبابور في التكوشطة أخبرهما بخلين حتى فيه صحيح واجتمع عليه بابورات أخبرهما
بابور جانبنا العالي بالله ومنوي من جرى والنفقة بغرانة تعامل مع رئيسه بعشر 4000 بسيطة من الإنزات ولما
أخرجه وأوصله إلى جبل طارق خاطب رئيس هذا البابور من النفقة بطلوع بالعود المذكور على كنابيته ووجهها
إلى التاجر بلمينط بالوندريز وأنه كان وزود جوابه بنقضها لتطابع علامتنا الشريفة بذلك جاء الجواب
بأن ذلك يكفيه المصاريف التي تعلقت في حالة البطالة وطلب عشر العطل المجعول من أول يسير توجهت له
نسخة منه والعقد المذكور تخرج منه مصاريف البحرية التي تحمل معه الرئيس من صحة وغيره لك والسادة في
بحوز منه رئيس البابور وجريدة أسماء الملك والتلفات بحوز منها جانب المخزن والبابور الثاني تلو نصيب جرى
الرباط بحرى بابور بجبل طارق ولما تخوفت من توجيهه لسوس بسبب ما ذكر بعثت عمر بكريه فالتقيت
من الرئيس ذكره على ثلاثة أشهر بـ 950 بسيطة في الشهر وجميع مصاريفه تكون على المخزن [illegible]
الرئيس كذا على ثلاثة أشهر بـ [illegible] بسيطة في الشهر وجميع المصاريف عليه إلا أنه لا يعمل إلا السير إلا على
العود والبحرية وجريه من الرئيس على مدة بـ 2000 بسيطة في الشهر وجميع المصاريف عليه وحيث سيرة
بغير هذا اليوم كما جاء بعث [illegible] صغيرة أو كبيرة تكون كلها عليه [illegible]
[illegible] وقد أمرنا الشريف لك بتوجيهه لسوس [illegible] ولو على شهرين
وثلاثة ولا يطلب بناء ما يكون عليه [illegible] العرض بسوس إذ ذاك اقتضى نظرنا الشريف عدم
توجيهه له وذكرت أن التاجر [illegible] مشترى هذا البابور على ترك وجدت حسابه فبقيت زائدا منه
على الثمن المشترى به ثمانية آلاف [illegible] فهم لذلك معنى وراجعته بأن يرتب الحساب ويضم كل حاجة لما يناسبها
ليسهل فهمه وحيث يوجه لك توجهه لحضرتنا الشريفة وطرزه بالبال فأما ما تخوفت من توجيهه
لسوس فأنت الناصب والبصير [illegible] فالعمل على ما ظهر لك من عدم توجيهه وأما
إنفاذ البابور المذكور [illegible] للأرواح التي به [illegible] وسعادته [illegible]
بالكورنة وأما مطالب رئيسه مع رئيس البابور المنفذ بما بينته 4100 من الإنزات وإخراج المطاريف من هذا
العود وحيا ذا الرئيس والبحرية [illegible] والتلفات بالعمل على ذلك حينئذ كل معمول
به وأما [illegible] فأنت أعرف بما [illegible] فانظر في أمره
[illegible] ما ظهر لك فيه نفع وصلاح فاستخر الله فيه وأقدم عليه وأما مراجعتك التاجر



ظهير السلطان مولاي الحسن لبركاش
حول مصاريف السفن

بحمد الله وحده          وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد بلغنا
بلوغ تحقيق أن بابور جانبنا العالي بالله صار على أضرار الة بالمرسى بطنجة الوافع له من
الحال الذي كان به عشي أن فلوكة تلاشت بطول حبسها وعدم تعهدها بالنشر والتشميس
وضاعت بعض حوائجه وآلاته وعطلت قلايعه وتهمل العساكر به مع أن بابورات
الناس تأتي علينا البابور العزيز لم يطلهم فيها شيء من الخلل وحالها كتبنا لك
بالكون على بال منه والاعتناء بشأنه فلذا به جعلته بزوايد الاهمال والعاصين بمنزل
التعرض للوافع فيه عرفه عليك والسلام في ٢٠ من الحجة عام ١٣٠١

12 شتنبر 1884

ظهير السلطان مولاي الحسن لبركاش
حول قلة الاعتناء بالسّفن

والزورق المسمى بـ"البشير" الذي كلف شراؤه مليون وخمسمائة ألف فرنك ذهبي بدأ المخزن يفكّر في بيعه لإسبانيا وفنزويلا قبل البدء في استعماله وانتهى الأمر ببيعه للحكومة الكولمبية بثمن ستّمائة ألف بسّيطة فقط بعد ثلاث سنوات لم يستعمل خلالها إلا نادرا[42].

وهكذا لم يكن قد بقي في أواخر القرن التاسع عشر من الأسطول البحري الذي كان مولاي الحسن يطمح إليه إلا باخرة السيد تركي التي استعملت في حمل الدقيق للجيوش التي كانت في الريف سنة 1898 وفي حمل المساجين من طنجة إلى الجديدة ومن الرّباط إلى طنجة كما استعملت في حمل مدافع كروب للرباط وحمل قطع من السكك الحديدية والعربات وحاملات الأثقال في 25 أكتوبر 1892[43].

ويمكن أن نأخذ فكرة عن المشاكل التي كانت من أهم الأسباب التي عاقت تطوير هذا القطاع كغيره من القطاعات الأخرى،.من إهمال، وارتفاع تكاليف الإصلاحات والتلاعب في الأثمان " حيث ترتفع المصاريف من واحد إلى ألف "كالخنطقرة والقمار " من خلال الرّسالتين السّلطانيتين التاليتين[44].

---

(42) شرع في استعمال البشير في عهد مولاي عبد العزيز الذي أسند النظر في أمور المركب البحري "السعيد المحفوف برياح الظفر والتأييد، المسمى بشير الإسلام بخوارق الإعلام " للنائب الحاج محمد بن العربي الطريس في 29 رجب عام 1317م.

ظهير عزيزي جاء به ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج.، 2، ص. 505 ـ 508، وفي هذا الظهير يطلب من الطريس أن يؤكّد على العاملين بالمركب أن يقرؤوا "حزب البحر" صباح مساء.

ووقع بيع البشير لكولومبيا في باريس بين منتصف الليل والثانية صباحا في حانة بقرب الأوبرا.

وفي نفس الفترة كان مولاي عبد العزيز يبيع بجوهراته بثمن بخس عن طريق بعض التجار بسبب ضائقته المالية وكذلك لاحتياجه لقوّة عسكرية يواجه بها الثّورات.

Dr F.Weisgerber, *op. cit.*, p. 154.

(43) حول باخرة السيد تركي :

A.M.G.V., C.6, Cauchemez au ministre de la guerre, Novembre 1892.

وكذلك :

A.M.G.V, C8, Rapport du 1/11/1894.

Dr F. Weiscerber, *op. cit.*, p. 154.

(44) وثائق بركاش، **س.ذ.**

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله
وبعد فقد وجهنا لك أمر نائب الترك بحيازة بابور حاجبنا الحاج بالله من
بلغنك والإتيان به لمرسى طنجة وأعلمنا وزدنا لك من الآن الحزم التعجيل
بذلك فإنه قد أدى عنه للمتعلمين ماله كلها لمصاريفه وتحصيل الواجب العلا
كالمخنفكرة والقمارة والسلام في 7 رجب عام 1302 الموافق 22 أبريل 1885



ظهير السلطان مولاي الحسن لبركاش
حول التلاعب في مصاريف السّفن

يقول في الأولى:

"فقد بلغنا تحقيق أن بابور جنابنا العالي باللّه صار على أسوء حـال بـالتفريط الواقـع بـه بالمحل الـذي كـان بـه حتـى أن قلوعـه تلاشـت بطـول طيّهـا ، وعـدم تفقدهـا بالنشـر والشمس وضاعت بعض حوائجه وآلاته وغطى فلاكه وظهر الفساد في حرمـه مـع أن بابورات الناس تأتي عليها السنون العديدة ولايظهر فيها شـيء مـن ذلـك وطالمـا كتبنـا لك بالكون على بال منه والإعتناء بشأنه فإذا به جعلته في زوايا الإهمال والحاصل فهذا التفريط الواقع فيه عهدتـه عليـك. والسـلام في 22 ذي الحجـة عـام 1302هــ موافـق 2 أكتوبر 1885".

أمّا في الثّانية فيقول:

"فقد قدّمنا لك أمرنا الشريف بحيازة بابور جانبنا العالي با لله من فلامنكـو والإتيـان بـه لمرسى طنجة وإعلامنا وزوّدناك هذا تأكيدا لتعجل بذلك فإنّهما دام عنده لا تخسم مادّة طلبه لمصاريفه وتصييره الواحد ألفا كالخنطقرة والقمار والسّلام. في رجب عام 1302هـ موافق 22 أبريل 1885".

### ج ـ الأسلحة العصرية المستوردة

استنزف استيراد الأسـلحة مداخيـل المخـزن مـن مكـوس ومداخـل المراسـي فمثلا : في سـنة 1863 كـان ثمـن صفقـة مـن 1 500 مكحلـة مـع 12 صنـدوق مـن القرطاس يساوى مائة وخمســة وستّون ألـف فرنـك ذهـبي وهـو مـا يعـادل قـدر الضرائب التي أدّتها قبائل عبدة لنفس السنة(45).

وفي سنة 1302 هـ 1885 م كان ثمن صفقتين من المكاحل(46):

| | |
|---|---|
| 2016مكحلة مارتيني وكمبلن Martini Comblain | 19780ريال |
| 1 000مكحلة ونشستر | 977239 ريال |
| المجموع | 239977 ريال |

(45) A. Ayache, « Les aspects de la crise économique », in *R.H.*, CCXXL, Octobre Décembre 1958, p. 271

(46) خ.م.ر.خ IIV 124، كناش بين الحكومتين البلجكية والإنجليزية من جهة والحكومة المغربية من جهة لشراء الأسلحة شوال 1302.

وهذا يساوي تقريبا مداخيل مكـوس الدارالبيضاء[47].

أمّا مدافع كـروب السّتّة الـتي اشـتراها المخـزن سـنة 1884بمبلـغ ثمانيـة مائـة وثلاثين ألفا ومائـة وستّين ريـال فكـان ثمنهـا يعـادل ضعـف زكـاة قبيلـة الخلـط وطليق[48] لنفس السنة.

وكـان المخـزن في أغلـب الأحيـان يـؤدي الثمـن الأصلـي لهــذه الأسـلحة مضاعفا، بسبب الفوائد التي كانت تتراكم عليه عندما يبطئ في الأداء[49] والأغلاط "المتعمّدة" وغيرالمتعمدة في الأثمان[50]، والنقل الذي كـان يسـبب المشـاكل العديـدة للمخزن لانعدام التجهيزات والطرق المعبّدة فعلى سبيل المثال احتاج مدفـع واحـد من مدافع كروب الستة لستّة جمال لحمله. واحتاج المخزن لمئتين وستّين من الإبـل لحمل المدافع الستة بعدّتها .

تضاف إلى ما ذكر، الشروط القاسية التي كانت الشركات الأجنبية تفرضهـا علـى المخزن حسبما يتضح مثلا مـن العقـدة المبرمـة في مدينـة إيسـن Essen وهـي مقـر كروب Krupp بتاريخ 2 يوليوز 1884 بين نائب السّلطان الحاج محمّدبركاش وممثلين عن " دار كروب".

ينـصّ الفصـل الأول مـن هـذه العقـدة علـى أن دار " فريدريـك كـروب" Friederick Krupp تقوم بتسليم أجهزة المدفعية المتفق عليها لفائدة إمبراطور المغرب بقيمة إجمالية قدرها : ثلاثمائة وخمسة وتسـعون ألـف وتسـعمائة وخمسـون فرنـك ذهبي.

وبمقتضى الفصل الثالث يلـتزم المخـزن بدفـع سـبعة آلاف وخمسـين فرنـك ذهبي من المبلغ الإجمالي المتّفق عليه مباشـرة بعد توقيـع العقـدة.

---

(47) خ.م.، مستفاد مرسى الدارالبيضاء، كناش 178.

(48) خ.م.، مداخيل بيت المال من المكس لمدن مختلفة، كناش 11.، ح.ر. 11.

(49) و.و.خ. إ. FO. 174/89

رسائل بين هاي وموسى بن أحمد وبن هاي وبركاش حول مكاحل ومدفـع لم يسـد ثمنهـا في الوقت المحدد وارتفاع الفوائد.

(50) انظر هذه الأغلاط في الرسـائل المتعـددة الـتي جـاء بهـا ابـن زيـدان، **الإتحـاف**، **س.ذ.**،ج. 2، ص. 473–484.

Entre les soussignés

1) Sidi Hadj Mohamed Barguache

agissant au nom de Sa Majesté l'Empereur du Maroc

d'une part, et

2) la maison Fried. Krupp à Essen (Prusse Rhénane),

d'autre part,

il a été convenu ce qui suit :

Article I.

A la suite de négociations qui ont eu lieu, Sidi Hadj Mohamed Barguache agissant au nom de Sa Majesté l'Empereur du Maroc

charge la maison Fried. Krupp de la fourniture du matériel d'Artillerie spécifié et détaillé dans l'annexe [illegible] [illegible], faisant total de Francs 3959.50 trois mille neuf cent cinquante neuf francs cinquante centimes

Article II.

La maison Fried. Krupp accepte cette commande et s'engage à l'effectuer dans les termes et délais de livraison énoncés dans l'annexe I, ~~et suivant les dessins et tableaux de dimensions et de tolérances également annexés au présent contrat~~. Le délai de livraison commencera à courir du jour de la date du paiement de la moitié stipulé ci-après et de l'ouverture de crédit prescrite à l'article trois, si ces deux opérations sont simultanées, sinon du jour seulement où sera réalisée l'ouverture du crédit, si elle n'a lieu que postérieurement au paiement de la première moitié en espèces. Le fabricant s'engage aussi à faire profiter la fourniture, objet de la présente commande, des améliorations, perfectionnements et progrès qui pourraient être découverts et introduits dans le cours des travaux et qu'il croirait utile d'y appliquer.

Article III.

Le commettant versera, en espèces au fabricant, à la signature du présent contrat, la moitié du montant total stipulé à l'article premier; en même temps il ouvrira, chez une maison de banque acceptée par le fabricant, un crédit irrévocable pour la seconde moitié [illegible] montant de sorte que cette maison de banque deviendra débitrice du fabricant pour la dite somme, payable soit en total, soit en partie, [illegible] de l'achèvement des pièces, [illegible] jours après l'avis qui en sera donné par le fabricant tant au commettant qu'à la maison de banque susdite. — Le commettant sera en droit de faire vérifier pendant ces [illegible] jours l'exactitude de cet avis. — Si le commettant préfère payer à l'expiration du contrat plutôt que la moitié de la somme totale, le fabricant s'engage à lui tenir compte d'un intérêt annuel de cinq pour cent sur l'excédent à partir du versement jusqu'au terme d'échéance, savoir le quatorzième jour après la date de l'avis précité.

Article IV.

Après l'achèvement des objets, y compris le tir de [illegible] coups pour chaque canon, le fabricant fera vérifier par ses ingénieurs tout le matériel sur la base des données se trouvant dans les contrats et remettra au commettant le tableau constatant les résultats de cette vérification avec les objets mêmes.

Le fabricant s'engage à reprendre et à remplacer chaque pièce dans laquelle on constaterait des dimensions dépassant les tolérances admises ou des défauts de matière qui pourraient mettre en doute son aptitude au service. Ces réclamations doivent être faites dans les 30 jours qui suivent l'arrivée des objets au lieu d'expédition désigné par le commettant. Ces 30 jours écoulés, le commettant n'aura plus le droit à aucune réclamation.

Le commettant a cependant le droit de faire la vérification et la réception à l'usine même et d'assister au tir d'épreuve. Dans ce cas aucune réclamation ultérieure ne sera admise.

Article V.

La livraison aura lieu dans les usines du fabricant à Essen (les poudres à la poudrerie), le fabricant se charge néanmoins de l'expédition aux frais, risques et périls du commettant, à moins que des cas de force majeure n'y portent empêchement. Si les objets doivent être emmagasinés à l'usine, ils le seront aux frais et risques du commettant.

Article VI.

Toutes les pièces et écritures annexées à ce contrat en font partie intégrante.

Article VII.

En cas de difficulté sur l'interprétation et l'exécution du présent contrat, les parties contractantes choisiront chacune un arbitre, ces deux arbitres s'adjoindront un troisième, la décision de la majorité de ces trois arbitres fera loi pour les contractants.

Ainsi, fait en deux expéditions pour un seul et même effet.

Essen le 2 juillet 1877

محمد بركاش

[illegible] Jencke

عقد استيراد الأسلحة من شركة كروب

يحدّد الفصل الخامس شروط تسليم المدافع والدخيرة وشحنها ونقلها وكذا الحفاظ عليها في مستودعات حالة تعذر شحنها لأسباب قاهرة "والكل على حساب المخزن ونفقته".

أما "دار كروب " فإنها تتعهّد بمقتضى الفصلين الأول والرابع على الخصوص بتجريب المدافع تسع طلقات وإبدال القطع الفاسدة حالة ظهور فساد خلال التجريب. كما أنها تتعهّد بإدخال منافع لآخر الاكتشافات التقنية المنجزة على المدافع قبل تسليمها.

وبالرغم من قساوة الشروط المالية وغيرها، فإنّ المخزن كان معجبا بجودة الأسلحة الألمانية مما أتاح لكروب فرصة التفوق النسبي على منافسيه واحتلال مرتبة مرموقة في المغرب خصوصا في قطاع المدفعية ، ابتداء من عهد مولاي الحسن.

وعلى أن المخزن كان يشترط على الشركات التي يتعامل معها ضمان حكوماتها لجودة السلعة "بوضع طابعها الرسمي على الأسلحة" فإنها كثيرا ما كانت تظهر فيها أعطاب تجعلها غير صالحة للاستعمال ممّا لم يكن يعفي المخزن من أداء ثمن الصفقة.

كما أن منها ما كان من الأسلحة التي استغنى عنها الأوربيون وعوّضوها بأسلحة أحدث. فمثلا المدافع الجبلية الستة التي طلب ايركمان من حكومته في عام 1877 أن ترسلها للمغرب حينما علم أن ألمانيا تحاول بيع مدافع للمخزن كانت من المدافع المصنوعة سنة 1858 التي استعملتها فرنسا في حرب 1870 - 1871 و لم يبق لها أي قيمة عسكرية أو تجارية[51] .

ومدافع باروط Parrot التي باعتها فرنسا للمغرب في عام 1878، كانت فرنسا قد استغنت عنها منذ استعمالها في الجزائر[52] وكذلك كان الأمر بالنسبة للسلاح

---

(51) Magali Chappert, « Jules Erckman et les débuts de la mission militaire française au Maroc, 1877-1883 », in *Revue historique et diplomatique*, Juillet et Décembre, 1978, p. 18.

(52) ن.م.س.

الخفيف الذي كان المخزن يكتشف في بعض الأحيان أنّه قديم و"مرقّع"(53).

وكلام الناصري في هذا الموضوع يدلّ على أن المخزن كان يعرف أنّ الأسلحة التي كان يشتريها كانت عاجزة عن مواجهة أيّ تدخّل أجنبي وأنّ الأوربيين صاروا من "القوة والاستعداد واليقين في أروع الآلات الحربية إلى حيث صارت آلاتنا عندهم هي والحطب سواء، والدليل على ذلك أنهم يبيعوننا أنواعا من الآلات الحربية نقضي العجب من جودتها وإتقانها ومع ذلك ينقل لنا عنهم أنهم لايبيعوننا منها إلا ما انعدمت فائدته عندهم لكونهم ترقوا عنها إلى ما هو أجود منها واستنبطوا ما هو أتقن وأنفع"(54) .

كما أنّ كثيرا من المدافع السّاحلية لم يكن من الممكن استعمالها لاحتياجها إلى قطع لم ترسل.

وتعدّد أنواع الأسلحة ومصادرها كان يخلق مشكل تعدد أنواع العدة وأنواع قطع الغيار ممّا كان يجعل إصلاح "الفاسد " منها مشكلا صعبا، وكثير منها يصبح غير صالح للاستعمال لأدنى عطب، ويجعل تدريب العسكر على استعمالها صعبا، ممّا يفسّر أن كثيرا من الجنود كانوا يفضلون المكاحل (البنادق) القديمة المحلية إلى البنادق الأروبية الحديثة كما يظهر من رسالة سيدي محمّدبن عبد الرّحمان في غشت 1862.

---

(53) رسالة من موسى بن أحمد إلى هاي FO.174/89 في 1877م في شأن مكاحل وجدها السلطان "مرقعة ومصلوحة"

وكذلك :

E.Gérenton, « Une page d'histoire de Souss » in *Afrique française*, n° 9 , septembre 1924, p. 269.

يذكر فيها أن "الجيش المغربي كان مسلحا بكل الأسلحة التي تخلصت منها الجيوش الغربية.

كذلك : **الوثائق، س.ذ.**، ج.7، ص. 67.

كما كتب باطنوتر Patenôtre إلى شولير Schüller وزير الخارجية الفرنسي يقول : " نحن في صدد بيع مكاحل لم تعد مستعملة".

A.E.P. C.D.M. 59, 21 Juillet 1889.

(54) أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء، س.ذ.**، ج. 9، ص. 174.

SYNDICAT LIÉGEOIS
POUR LA
FABRICATION DES ARMES DE GUERRE
HERSTAL-Liège

Herstal, le 19 Novembre 1884

Nous soussignés, Contrôleurs d'armes du Gouvernement Belge, certifions avoir visité Cinq-cent soixante-seize fusils des systèmes Comblain et Martini Henry pour le Gouvernement Marocain, nous y avons apposé nos marques comme ci-dessous, après avoir constaté qu'ils sont bien faits et de bon service.

Les 288 Comblain sont dans les caisses GM H 1-31
Les 288 Martini Henry " " GM 31-42

Herstal, le 19 Novembre 1884

Les Contrôleurs

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

خطوط ... [illegible]

شهادة رسمية تثبت جودة الأسلحة

"وأخبرت أنك كنت دفعت لمخازنية تطوان المكاحل الرومية و لم تصلح لهم وطلبت أن تفرق عليهم هذه المكاحل التي تعمل في الطريحية فقد أذناك في ذلك فاجمع الرومية التي كنت فرقتها عليه"(55) .

وكتلخيص لكلّ المشاكل التي واجهها المخزن سواء في بناء التحصينات أو في شراء الأسلحة نورد رسالة أرسلها السّلطان مولاي الحسن إلى الحاج محمّد الزبدي جاء فيها :

"خديمنا الأرضي الأمين الحاج محمّد الزبدي وفقك اللّه وسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته وبعد وصل كتابك أخبرت فيه بتوقفك في حساب السلف على ورود بعض حسابات اللوندريز وأخذك في حساب ما يتعلق بالمدافع ووجه لك باشدور النجليز نائبه وبيده حساب 2 ورد من أرباب الفبركة باللندريز مدركا على جانبنا العالي باللّه فيه إبرات : 789011. فعبرتموه فالفيتم فيه صوائر قدرها ابرات/ 143510 ليست عندك في الحساب منها مذكورة صار ومنها ما قدروه لما بقي عندهم هناك فطلبت منهم بيان ما ورد من ألات المدافع وما بقي منها فبينوه فالفيت قدر ثمن الباقي هناك ابرات 113311302 ومن هذا الباقي الكور والبارود وغيرها حسبما في ورقة الحساب الذي وجهت لحضرتنا الشريفة ثم بعد ذلك وجه لك الباشدور نائبه أيضا بحساب 3 ثمن الإقامة التي كانت وردت بقصد الأبراج من جبل طارق وغيره ومضمن جميعها ريال 4010 كبير بزيادة الربح فحزته منه لتطالعه وتلاقيت مع الباشدور وتذاكرت معه في حساب اللوند ريز بما هو محسوب على جانبنا الشريف فيه يات فأجاب بأن سبب تأخيره هو عدم محلّ نزوله وإن أردنا إنزال البارود والكور بأحد المخازن إلى أن يتهيّأ محلّ نزول ذلك يأتي فسكت عنه ثم قال لك هذه التسعة عشر ألف ريال التي وردت من الجديدة وهي تحت الأمناء يدفعون منها ثمن الإقامة المجلوبة للأبراج فإن أربابها يترددون في طلب ثمنها وطالت مدتها حتى حسبوا عليها ما ذكر والباقي يبقى تحت يد الأمناء حتى يكمل عليه ما بقي لأرباب الفبركة فظهر لك أن ذلك هو الصواب فأجبته لدفعها، ووقع الكلام مع الأمناء بعد ما اعترفوا بوصولها وحازوا حساب أربابها ودفعوه وأثبتوه داخلا وخارجا في صائر الأبراج حسبما في الورقة التي وجهت ملخصا فيها صائر الأبراج كل شهر وما صار فيه مع بيان زيادة السكة فيه ابتداء الخدمة فيها إلى منسلخ ذي الحجة الفارط متمّ عام 97 كما وجّهت أيضا ورقة حساب المدافع بخط يدك على مقتضى الحساب الوارد من اللوندريز مبينا في وجه منها ما كان مقيدا عندك من مكاتب الباشادور ونائبه، وفي الوجه المقابل له نسخة من حساب الوندريز لنعلم

(55) ابن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 2، ص. 474 ـ 478.

منها الفرق الزائد وفيها أيضا بيان ما بقي للوندريز ومابقي يخصهم ريال 20 142 ووجّهت لحضرتنا الشريفة حساب الوندريز وورقة تعريبه وورقة حساب إقامة الأبراج وما معها وإن اقتضى نظرنا الشريف نزول البارود المذكور بدار البارود والكور بأحد المخازن نأمر بالتوجيه 4 على مابقي منهما بالوندريز وبأداء ما بقي يخصّهم لتمام المال وهو الخمسة والعشرون ألف ريال والمائة والإثنان والأربعون ريال المذكورة أعلاه.. فأمّا توقفك في حساب السلف وورود بعض حسابات الوندريز وأخذك في حساب يتعلق بالمدافع فصار بالبال، وقد وصلت الحسابات التي وجهت وعرفنا مضمنها فأما الحساب 2 الوارد من أرباب الفبركة فقد علمنا منه مازاد به على الحساب الذي توجهت به من هنا وهو أربع عشرة مائة إبرة وخمس وثلاثون إبرة وشلين واحد عشر بنك مع ما يزيد في ثمن البارود بعد حطّ ثمن السلسلة منه فبقي منه مائة إبرة وثمان وثلاثون إبرة وإن هذا العدد المزيد مصروف في مسائل ليست في حسابنا حقّا كما ذكرت وأن الستة آلاف إبرة والثلاثمائة والسبع عشر إبرة والخمسة عشرة شلين مدرجة في الحساب...

وبقيت مدركة علينا من جميع المسائل وأن هذا الثمن الذي قسطوها عليه لم يفهم إلا تقديرا كما ذكرت حقيقة وأن في تلك الأثمان المقسطة عليه في أثمانه بعينها وأما حساب 3 الإقامة التي وردت بقصد الأبراج من جبل طارق وغير المتضمن جميعه أربعة آلاف ريال وعشرة ريال التي أجبت الباشدور لدفع مضمنه المذكور والتسعة عشر ألف ريال الواردة من الجديدة علمناه ونظر سديد كما علمنا أنه فضل من التسعة عشر ألف المذكورة أربعة عشر ألف ريال وسبعمائة ريال وخمسة ريال باندراج صرف السكة فيها وهو ستمائة ريال وخمسة وستون ريال وإن هذا العدد إذا حط مما بقي من ثمن المدافع وهو تسعة وثلاثون ألف ريال وسبعة وأربعون ريالا الواجبة في صرف السبعة آلاف إبرة والثمانمائة إبرة والتسعون إبرة المذكورة أعلاه يبقى يخصهم من ثمنها خمسة وعشرون ألف ريالا ومائة ريال وإثنان وأربعون ريالا حسبما تضمنته ورقة حساب المدافع التي بخط يدك على مقتضى الحساب الوارد من اللوندريز، وأما التوجيه على ما بقي من البارود والكوروانزال البارود بدار والكور بأحد المخازن، فنعم، يوجّه عليه وأما أداءه مابقي يخصّهم لكمال المال وهو الخمسة والعشرون ألف ريال والمائة والإثنان والأربعون ريالا المذكورة أعلاه فقد أمرنا الأمناء هناكم ليدفعوا لكم مما تحت أيديهم من دين أولاد الدكالي سبعة آلاف ريال وثلاثة أربع الريال وبأن يدفعوا لكم أيضا الأربعمائة ريال والثمانية والستين ريالا 468 البقية عندهم من الخمس والعشرين مائة ريال التي كانوا استسلفوها وأمروا بالتصيير منها على الأبراج فقد راجع أمناء أعتابنا الشريفة حساب صائر الأبراج فالفوا مدركا علينا من الخمس والعشرين مائة ريال المذكورة ألفين ريالا واثنين وثلاثين ريالا وباقيا عندهم منها أربعمائة ريال والثمانية والستون ريالا المذكورة كما يدفعون لكم الخمسة آلاف ريال التي كنّا قدّمنا

أمرنا الشريف لأمناء مرسى العدوتين بأن يوجهوا لكم مما تحت أيديهم من الوفر اثنى عشر ألف ريال وأربعة وخمسين ريالا وربع ريال 1205441 / 1 يصير الجميع خمسة وعشرون ألف ريال ومائة ريال واثنين وأربعين ريالا لكن ينبغي لك أن تحوز خطّهم بأنهم لم يبق لهم صائر على شئ من المدافع لاسابق ولاحق وأن صائرها تمّ وأحسم مادة ذلك الأبراج فإنّه لايجلب في المستقبل شيء لبنائها من بلاد النصاري وإنما تبني بما هو موجود في البلاد من الآجر والجير، ولم يبق صائر إلا على الأجرة والإقامة البلدية فقط. والسلام في 11 صفر الخير العام 1298 موافق 14 يناير 1881"[56].

ففي هذه الرسالة يتكلّم السّلطان عن ثمن مدافع اشتريت من إنجلترا والزيادات التي طرأت على هذه الأثمان من جهة بسبب الصوائر وبسبب "الربح" أي الفائدة التي زيدت على الثمن الأصلي للبطيء في الأداء ومن جهة أخرى بسبب أغلاط يدّعي محمّد الزبدي أنها غلط من طرف الإنجليز ولايعرف سببه .

كما يتكلم عن عدة " محسوبة " على الجناب العالي ولكنه لازال لم يتوصّل بها وأن الإنجليز يفسّرون ذلك بأنهم لم يحدّد لهم المكان لإنزالها .

ويتكلّم كذلك عن صوائر الأبراج وما دفعه الأمناء وما يزيد في ثمن هذه الصوائر بسبب تدهور النقد المغربى ويذكر السّلطان في الرسالة أن هذه الأثمان لا تفهم إلا تقديرا بسبب التقسيط وزيادة المصاريف وزيادة السكة.

ويمكن أن نستخلص من هذه الرسالة مدى الحظوظ التي أعطيت لسياسة "الإصلاح". فالحسابات الواردة فيها والتي تحتاج لعقل إلكتروني لفهمها بالضبط تتعلّق بعملية بسيطة وهي اشتراء مدافع كانت فى الغالب المدافع الإنجليزية التي استعملت في تحصين طنجة- ولكن هذه العملية البسيطة يتكلف بها السّلطان شخصيا والنائب السّلطاني وأمناه المراسي أي أنه بعد مرورسبع وثلاثين سنة تقريبا على بداية "الإصلاح" لم تؤسس إدارة خاصة، مسؤولة عن شؤون الجيش كالسلاح والمؤونة وصوائر العسكر. ولم تكوّن ميزانية خاصة بهذا الجيش، وهذا كان يخلق خلطا كبيرا في المصاريف فكثير من الصّفقات يكلّف بها في الأوّل تاجر أو نائب سلطاني ثم يتمّمها مسؤول أخر، فإذا زدنا على هذا ما يزاد في الثمن بسبب الفوائد حينما يبطئ المخزن في الأداء ومصاريف النقل، والخزن، والأخطاء

---

(56) ن.م.س.

في الحسابات والتحوّل المفاجئ والمستمر في قيمة الريال وتعدّد العملات والتقسيط في الأداء وتعدّد أمناء المراسي الذين يدفعون المال، أمكننا أن نقدر من جهة، الوقت الذي تستغرقه كل صفقة سلاح من وقت وطاقة السّلطان الذي يسهر بنفسه على تتبّع العملية، وأن نتصوّر من جهة أخرى تكاليف هذه الصفقات واستحالة مقارنتها بالثمن الأصلي.

وهذه الأسلحة العصرية التي استنزفت اقتصاد البلاد وجهود المخزن أصبحت لاتضمن الانتصار حتّى على القبائل بسبب انتشارها عن طريق تجارة التهريب[57] حتّى ولو كان المخزن يحتكر مبدئيا تجارة السلاح وكلّ ما يرتبط به من بارود وملح وكبريت كما يظهر من الرسالة السّلطانية التالية للطالب بركاش :

"خديمنا الأرضي الطالب محمّدبركاش وفقك اللّه وسلام عليك ورحمة اللّه تعالى وبركاته وبعد أن أجرينا الخفيف مجرى آلة الحرب مثل الكبريت والبارود وملحته وصدر أ مرنا الشريف لأمناء المراسي، وأن لايختصّ به إلا المخزن ليلا يتوصّل الفسّاد به إلى أغراضهم واعلمناك بهذا لتكون على بصيرة وتتكلّم مع نواب الأجناس لياتون تجارهم بعدم جلبه وإجراء ه مجرى غيره من آلة الحرب. والسلام في 13 جمادى الأولى 1286هـ موافق 22 غشت 1869"[58].

وبالرّغم من هذا الخطر فإنّ المخزن أصبح عاجزا عن مقاومة تجارة تهريب الأسلحة ( الكنتربندو) بسبب فساد وضعف الإدارة من جهة ومن جهة أخرى لتعذّر المراقبة لارتفاع حجم التجارة الخارجية وعدد الأروبين والمحميين[59].

فقد عرفت هذه التجارة تطورا كبيرا في القرن التاسع عشر وخصوصا في أواخره، فالأروبيون وجدوا في بيع الأسلحة للقبائل تجارة رابحة. "لأن تجارة الأسلحة هي أكبر التجارات ازدهارا في المغرب"[60].

---

(57) حول تجارة تهريب الأسلحة كنبيب محمد : M. Kenbib, *op. cit.*, pp.262 -266

(58) خ.ع.ر.، **وثائق بركاش**، وقد بقي المخزن يحتكر تجارة الكبريت وملح البارود رغم احتجاج الدول الأجنبية، وخصوصا هاي الذي كان يقول أن هذا كان يشجع على "الكونطربند".
FO. 174/137

(59) M. Kenbib, *op. cit.*, p. 120.

(60) A.M.G.V, C.8, Maroc, 1/4/1894.

وقد التجأوا إلى عدّة وسائل منها التي تخصّص فيهـا " الحـرّاب" الإنجليزي مـاكلين وأخواه وهي أن يعقد تجار أروبيون مع المخزن صفقة لبيع الأسلحة بثمن منخفض، وحينما تصل الأسلحة ويحصّلون على رخصة لإخراجهـا مـن المرسى، يزيـدون في ثمنها معلّلـين ذلـك بارتفـاع الأثمـان في الأسـواق العالميـة، وحينمـا يرفـض المخـزن اقتناءها بالثمن الجديد تفسخ العقدة ويقوم التجار ببيعها في القبائل[61].

كما كانت الأسلحة تدخل المراسي مخفية في سلع أخـرى فـالخرطوش كـان يدخل مع الشاي والصابون، والبنادق كانت تدخل مع الحديد[62].

فعلى سبيل المثال وقع في سـنة 1888 أن دخلـت سـفينة هيدويـك وورمـان Hedwic وWoerman الخارجة من أنفير Anvers إلى طنجة محمّلة بأسـلحة وعتـاد مـن بينها مكاحل البيني Albiny بلجيكيـة وونشسـتر Winchester مـن عيـار 44 مخبـأة في أثاث موجه لأحد السكان في طنجة[63].

وفي سنة 1889 بيعت 50000 بندقية على السّواحل الريفية[64] كما أنّه في سـنة 1900 أرسل قائد أكادير إلى مرّاكـش عـدّة مـن البنـادق والعـدّة ضبطهـا مـع تجـار انجليزكانوا يحاولون بيعها في سوس[65] وفي أواخر القرن كذلك وجهت انجلترا عدة بنادق مارتيني هانري وونشستر إلى ماكلين وأحد أفراد المخـزن (غـير معـروف) في حين أن هذه الأسلحة لم تكن موجّهة إلى المخزن[66].

---

(61) ن.م.س.

(62) A.M.G.V., C.8, Rapport du commandant schlumberger.

اقترح هاي على المخزن لمحاربة التهريب، فتح الصناديق التي تصل للديوانة للبعثات الدبلوماسية في حالة الشك في محتواها، وأن يطلب من الأمناء التبريح بها في الديوانة.

رسالة من هاي بركاش 1877/12/12 FO. 174/141

(63) Rapport du commandant Schlumberger, *op. cit.*

(64) ن.م.س.

(65) ن.م.س.

(66) ن.م.س. ويظهر أنّ بعض أفراد المخزن كانوا يستوردون الأسلحة دون رخصة قانونيـة ؛ مثـلا الحسن البوكيلي محتسب مرّاكش استورد عشر بنادق و"زينـة مـن الكوابيـس"دون إذن مسبّق.

وقـد تخصّصـت بعـض الخطـوط البحريـة في هـذه العمليـات مثـلا خطـوط وورمان التي تشحن الأسلحة في هامبورغ وانفير Hambourg وAnvers وتحملهـا إلى جزر الكناري حيث تحمل الأسـلحة علـى ظهـر بواخـر صغـيرة إسـبانية وتـنزل في المغرب وتباع البندقيـة المشـتراة بــ 30 فرنـك في هـامبورغ بعشـرة أضعافهـا، وقـد تعاطى لهذا النوع من التهريب الإسبان خصوصا. وقد تأكّد "إن الإسبانيين يبيعـون الأسلحة بدون أي حرج كما يبيع البقّال سكّـره"[67] وكذلك الألمان مثلا نومـان Neuman من البعثة الألمانية الذي أحضـر إلى الـدار البيضـاء في 1889 عشـرين ألـف بندقية(20000) وكذلك موررويس Maurweiss. وقد شجّعت بعـض القنصليـات في طنجة هذا النوع من التجارة حيث صارت السفن تدخل محمّلة بالأسلحة " بمسمع ومرأى كل أحد "[68].

وقد قال في ذلك أحد المعلّقين : "إنه لا يمكن تصور عـدد الألمـانيين الذيـن ينزلون كل يوم في هذه المدينـة (طنجـة) فكلّهـم تقريبـا يحضـرون معهـم حمـولات كاملة من الأسلحة وخصوصا العدة ويبيعون الكل بثمن بخـس ممـا يجعـل السـكان يترامون على هذه السلعة "[69].

وقد ازدهرت هذه التجارة على الخصوص في سوس والريف وكان المحميون المغاربة يتكلفـون ببيـع هـذه الأسـلحة في الداخـل : فمثـلا المحمـي البرتغـالي أحمـد بوكوابس" كان يتكلف ببيعها في الريف وخصوصا داخل قبيلته تمسـمان وكذلـك اليهود المحميون البرازليون والإيطاليون ابن سياك وناهون وطوليدانو[70].

---

وكذلك "ألف من القرطاس " "تقفت" في الميناء. انظر رسائل السّلطان مـولاي الحسـن إلى البوكيلي، خ.ع.D 3410، ص. 28 و281.

(67) A.M.G., C.16, Rapport sur la contrebande au Maroc, 1889.

(68) A.M.G., C. 19., 1988 - 1887.

(69) **ن.م.س.** وكذلك حول إقالة نائب قنصل ألمانيا في طنجة لتورطه في تهريب السلاح :

P. Guillen, *L'Allemangne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967, p. 498.

(70) M. Kenbib, *op. cit.*, p. 119.

كان الأجانب يجدون في بعض المسؤولين من المخزن شركاء، فعامل المخزن على الصويرة عبد الرّحمان بركاش مثلا كان المخزن يعتقد أنه يتعاطى لهذا النوع من التجارة كما يظهر من الرسالة التالية:

"وبعد فقد بلغ علمنا الشريف ما أنت عليه من الانهماك في شهواتك والاشتغال بما تحتفظه لنفسك، وإعراضك عن مصالح المخزن هنالك وبغضّ الطرف عن المفاسد التي تحدث وتجرّ المضار للمخزن حتى صارت العدّة الرومية تنزل قلب البلد بكثرة وتباع جهارا على علم منك لما يحصل لك من النفع فيها الذي عاقبته وخيمة عليك وصارت القبائل المجاورة للمدينة يحدث فيها الخرق الفادح من غير التفات لها منك ولا تدبير فيما يعود عليك من سوء العقبي لأجل ذلك وعليه فنأمرك أن تبين موجب إقدامك على ماذكر ليظهر وأن تكف عن فعلك وتشمّر عن ساق الجد في مقابلة ما أنت مطوق به وتسير على نهج النجاد الرشداء المتلمح فيك لتمحي مادنس صحيفتك وإلا فإن عدت لفعلك نعمل المتعيّن فيك ولاعذر بعد الإنذار والسلام 23 محرم 1325"[71].

وانتشار الأسلحة بين القبائل بسبب تجارة التهريب من جهة وبسبب بيع العسكر "الهراب" لأسلحتهم خصوصا أثناء موسم الحرث في الصيف حرم المخزن من التفوق العسكري الذي كان يرمي إليه من وراء اقتناء أسلحة عصرية.

فمثلا في حركة مولاي الحسن ضدّ بني مطير سنة 1889 كان هؤلاء الآخرون مسلحين ببنادق ونشستر Winchester ، كذلك قبائل زمور وزعير كانت مسلحة ببنادق أمريكية متعدّدة الطلقات[72] ولم يبق للمخزن إلا ميدان واحد للتفوق على القبائل وهو المدفعية.

ويمكن القول إنّ هذا الميدان هو الذي جنى بعض الثمرات من الإصلاح. فالمدفعية المغربية وإن بقيت دون مستوى المدفعية الأروبية اكتست فعالية عسكرية كبيرة في الحركات الداخلية، فبفضلها استطاع مولاي الحسن أن يخرج منتصرا في أغلب حركاته،وبفضلها كذلك استطاع أن يركّز السلطة المركزية في الأطلس والريف، وبفضل هيبتها اكتست حركاته التّسع عشر طابع النصر حتى التي لم تقع فيها أيةّ معركة.

---

(71) خ.ع.ر.، كناش الطابع الشريف، 1695.

(72) A.M.G.V, .C. 84/4/1894.

ولكنّ هذه المدفعية بقيت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأجانب. فبالرغم من ارتفاع عدد المغاربة الذين تدرّبوا على المدفعية في عهد مولاي الحسن وصاروا "معلمين" طبجية، لم يكن يوجد داخل الجيش السّلطاني في عهد مولاي عبد العزيز ولا في عهد مولاي حفيظ من بين هؤلاء المعلمين من يسيّر المدفعية في الحركات الداخلية[73]. وهذا راجع إلى تعدد أنواع المدفعية المستعملة وتغييرها باستمرار، وقد يفسّر كذلك برسوخ القاعدة التي كانت في عهد السعديين متمثّلة في احتراس المخزن من وضع هذا السلاح "الحيوي" بين أيدي الرعايا، لهذا كان المخزن يلتجئ إلى أعضاء البعثات العسكرية الأجنبية في هذه المهمّة : كابن سديرة ومانجان[74] من البعثة الفرنسية اللذين شاركا في الحركات ضدّ بوحمارة وضد ثورات القبائل التي حاصرت فاس وبالدينغ Balding الضابط الإنجليزي الذي قاد مدفعية مولاي

---

(73) كان القائد الكبير للمدفعية في أوائل عهد مولاي عبد العزيز هو مولاي أحمد الصويري وكان شيخا وشريفا محترما. حضر قنبلة الصويرة في 1844م ووتوقّفت معلوماته عن المدفعية في هذه الفترة.

Dr F. Weisgerberger, *op. cit.*, p. 72.

(74) بيير شارل مونجان Pierre Charles Mangin ولد في اللورين في 1866م، تخرج من المدرسة العسكرية في 1890م وعمل في الجيش الفرنسي في السودان، وجرح في معركة ديرا Diérra في 30 ينا ير 1891م .ثم التحق بالبعثة العسكرية الفرنسية في المغرب. وعمل رئيسا للبعثة على الحدود، ثم رئيسا للشرطة الدولية في طنجة، ثم رئيسا للبعثة في فاس سنة 1909م. وكلف بإعادة تنظيم الجيش المغربي. قاد المدفعية ضد الهبة، وكان من منظري ومناصري الاحتلال الشامل، معتمدا على نظرية تيرس thiers وبعده بيجو Bugeaud، حيث كان يرى أن "الاحتلال المحدود مستحيل" صار يلقّب بمانجان الكبير، له تقارير متعددة حول الحالة السياسية والعسكرية في المغرب ونصائح حول طريقة الاحتلال أهمّها *La Conquête du Maroc*.

ترك كتابا حول السودان *Les lettres du Soudan* وآخر *Regards sur la France en Afrique*

H. Bordeaux, *Un printemps au Maroc,* Librairie Plon, Paris, 1931, pp. 211 - 229.

عبد العزيز في 19 غشت 1908 في معركته الأخيرة ضدّ أخيه مولاي عبد الحفيظ في نواحي وادي تساوت[75].

## 4 ـ الفعالية العسكرية لجيش النظام

إنّ "جيش النظام" الذي أسّسه المخزن ليقاوم به التدخّل الأوربي ويقضي به على الفتن الداخلية، لم تعط له الوسائل المادية ولا المعنوية لجعله يرتفع عن مستوى " عصابات" مسلّحة[76] غير قادرة لا على نشر النظام ولا على التغلّب على الخصم. فعلى المستوى المادي : بقيت أجور العسكر بالرّغم من أنّه كان يزاد فيها من حين لآخر هزيلة خصوصا مع التدهور السريع الذي عرفته العملة المغربية في أواخر القرن التاسع عشر وارتفاع أسعار المعيشة حيث كانت هذه الأجور لا تكفي العسكري لغدائه اليومي[77]. وإذا كان من المستحيل أن نعطي تسلسلا لتطوّر الأجور منذ بداية الإصلاح، لأنّها تغيّرت من فترة لأخرى وبسبب تأديتها مرّة بالمزونة ومرة بالأوقية ومرّة بالفرنك وكذلك لتعذّر تتبّع تطوّر هذه الأجور من خلال كنانيش الحسابات المخزنية على تعدّدها ودقّتها، إذ كانت مصاريف العسكر تسجّل بكيفية إجمالية دون توضيح الراتب الفردي كما كانت أجور مختلف العسكر غير متساوية فمثلا عسكر طنجة كان يتقاضى أكثر من عسكر تطوان فبالرّغم من هذا كلّه يمكن أن نكوّن فكرة عن هذه الأجور باللّجوء إلى بعض المقارنات، ففي أواخر عهد مولاي الحسن كان العسكر في الرّباط وسلا يتقاضى يوميا :

| | |
|---|---|
| قائد الطابور | 26 أوقية |
| الخليفة | 20 أوقية |
| قائد المائة | 10 أواق |

---

(75) Dr F. Weisgerberger, *op. cit.*, p. 192. وكان هذا من بين أسباب افضاض الجيش عن مولاي عبد العزيز. وقد جرح في هذه المعركة مولاي يوسف أخ مولاي عبد العزيز الذي كان صبيّا.

(76) A.M.G., C.8, Pour les nouveaux instructeurs, 18/12/1910.

(77) A.M.G., C.3, Rapport du mois Avril , 1882.

| | |
|---|---|
| المقدّم | 6 أواق |
| الفارس | أوقيتان + الشعير لفرسه. |
| الرّاجل | 3 أواق |

"هذا في وقت كانت فيه الأوقية تساوي 5 سنتيمات أي فرنك"[78].

وهذا القدر كان يدخل فيه مصاريف الطعام إذ لم يكن المخزن يتكلف بإطعام العسكر حتى حينما يكون في الثكنات.

ودون أن نقارن هذه الأجور بأجور الضباط الأجانب، أو بأجور الأمناء حيث كان أمين مرسى الدارالبيضاء مثلا يتقاضى 200 ريال في الشهر فإن هذه الأجور كانت هزيلة بالمقارنة مع الأجور التي أمر مولاي الحسن بإعطائها بادئ الأمر للمتدرّبين الذين يدخلون للعسكر إذ كان يعطي لهم 5 أواق كما يظهر من الرسالة التالية :

"كاتبنا الأرضي الطالب على المسفيوي وبعد، فإنّ قصدنا بحول اللّه بهذا العسكر السعيد الذي شرح اللّه صدرنا لجمعه هو أخذ الأهبة والاستعداد وإظهار أبّهة الإسلام والإرهاب الذي أمر اللّه به.وعليه فنأمرك أن تجمع ثلاثمائة 300 من العسكر من خدّامنا أهل ثغر طنجة وأهل الفحص والغربية، واخترهم متأصلين معتبرين في قومهم من أهل النجدة والفائدة صغارا أصحّاء أقوياء على الخدمة سالمين من العيوب التي تتنافى مع الخدمة العسكرية وباشر أمرهم بنفسك بغاية الاعتناء والحزم واجعل ذلك من أهم الأمور وآكدها فإنّ هذا أمر ديني ينبغي الوقوف فيه والاعتناء به أكثر من غيره فقم على ساق الجد في أمره حتى يتمّ بحول اللّه وقوّته، وإن كان هناك من يحسن تعليمه وتحريبه فذاك وإلا فاعلمنا لنعين لكم من هنا من يحسن ذاك.

وقد أمرنا الأمناء بأن ييسّروا لك ما يحتاج إليه من كسوتهم وآلة تحريبهم ويدفعوا لمن تجمع منهم بحساب خمس أواق للواحد في كل يوم وإن تمّ العدد المذكور وكمل جمعه وترتيبه على الوجه المطلوب فيبقى هناك مقابلا لحراسة ذلك الثغر السعيد المحروس بعناية اللّه إلى حين الاحتياج إليه، ولا عمل على ما كنّا قدّمناه لك من توجيهه فقط واللّه يعينك والسلام 10 صفر عام 1292/ 29 مارس 1875"[79].

---

(78) ن.م.س.

(79) الرسالة وردت في الوثائق، المجموعة 3. ص. 421.

وكذلك إذا قارنّاه بأجر العامل في البادية الذي كان يتقاضى بين5 و10 أواق في اليوم في نفس الفترة[80] وثمن القمح الذي كان يبلغ في بعض الأحيان 36 أوقية للمدّ.

وحتى هذه الأجور الهزيلة صارالمخزن عاجزا عن تأديتها بانتظام، خصوصا في أواخر القرن التاسع عشرْ وأوائل القرن العشرين، حيث صارت هذه الأجور تنقطع لمدة أشهر كما يظهر في الرسالة التالية :

"خدّامنا الأرضيين أمناء مرسى الدار البيضاء المحروسة با لله وفقكم ا لله وسلام عليكم ورحمة ا لله وبعد فقد أخبرنا القائد قاسم الأوديي أن إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسالون (يعني لهم مؤخّر أجر بذمّة الأمناء) للأمناء قبلكم من قبل مؤونتهم واجب أربع أشهر كما يسالون لكم واجب ستة أشهر دفعتم لهم منها واجب شهرواحد.

وعليه فنأمركم أن تدفعوا لهم ما يسالون لكم (ما بذمّتكم لهم )وللأمناء قبلكم من قبل ذلك والسلام ، في 22 حجة الحرام 1325 – 26 يناير 1908"[81] .

صار المخزن يعجز حتّىعن تجديد الكسوة التي صارت عبارة عن ثياب ممّزقة مختلفة الألوان والأشكال حتى صار قوّاده أنفسهم ينادونه بعسكر "هدّاوة"[82] .

وعجز المخزن كذلك عن توفير السكنى الكافية والملائمة، فالقصبات كانت غير كافية وأغلبية العسكر كانوا يسكنون في الفنادق وينامون على الحصير[83]. لهذا كان العسكر يتعاطون لعدّة حرف لربح قوتهم عوض أن يتفرّغوا للتدريبات والعمل العسكري، كما كانوا يفرّون في موسم الحصاد بائعين سلاحهم[84].

ومن الناحية المعنوية : أدّى هبوط المستوى الاقتصادي والطريقة المتّبعة في جمع العسكر إلى هبوط المستوى الاجتماعي والأخلاقي للجنود، فكلّ حادثة سطو

(80) J.L. .Miège, Le Maroc et l'Europe, *op. cit.*, T.III, p. 442.

(81) ابن زيدان، **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 1، ص. 434.

(82) الحجوي، مخ. **الرحلة الوجدية**. خ.ع.ر. 128، ص. 30.

(83) A.M.G.V., C.2, Compte rendu des travaux de la mission d'Oujda.

(84) A.M.G.V.C.13, Rapport du 20/1/1903.

أو سرقة أو غصب أو قتل أو عربدة كان السكان ينسبونها تلقائيا للعسكر[85] وقد أضحى هذا مسلّما به حتى من طرف المخزن الذي اضطرّ إلى أن يدخل للعسكر العناصر غير الصالحة من "الجيش القديم".

فالعبيد الذين صاروا يكونون طابورا في العسكر، كانوا كلّهم ممن لا يتوفّرون على أي حرفة ولربّما كان بعضهم ممّن قاموا بأعمال إجرامية[86]. ويظهر هذا التدنّي الأخلاقي من خلال ارتفاع نسبة المساجين المنتمين للعسكر، فمن بين مساجين سجن الدكاكين والزبالة بفاس مثلا نجد العسكر يمثلون أكثر من الثلث متّهمين بكلّ أنواع الجرائم، من سطو وقتل وسكر وسرقة مونة وسرقة الخيل والخيام والبنادق و"كسر الحركة "و"الخصام"[87].

وكانت العقوبات التي يتلقّاها العسكر على أيدى قوّاده لأتفه الأسباب، تزيد في تدهوره المادي والمعنوي، فزيادة على السجن وحذف الراتب كانوا يتعرضون لكلّ أنواع التأديب المهين، كأزفل (الضرب بالسّياط) والكبل (وضع القيود في الأرجل)[88].

وتدنّي المستوى الاقتصادي والاجتماعي والمعنوي للعسكر من بين المسائل التي تفسّر قلّة عدد المتطوّعين لدخول العسكر رغم الأزمات الاقتصادية والمجاعات التي تعرّضت لها البلاد في القسم الثاني من القرن التاسع عشر إذ لم يكن "المخلّفين" أو المتطوعين في آخر القرن يشكّلون إلّا طوابير قليلة كالطابور المكوّن من أهل سوس من الخلط، في حين نجد في نفس الفترة أفرادا من بعض القبائل الموجودة على الحدود تدخل للجيش الإسباني. وقلّة التطوّع هذه، بالإضافة إلى حالات الهروب وإلى لجوء القواد إلى "نفخ" الأعداد لسرقة مبلغ الأجور الوهمية، كان يدفع المكلّفين بجمع العسكر في وقت الحركات إلى اللّجوء إلى طرق تعسّفية لتغطية الخصاص وإلى جمع كلّ المتسكّعين والعاطلين والمعطوبين والمراهقين[89] .

---

(85) **ن.م.س.**

(86) **ن.م.س.**

(87) خ.ح.ر، **مساجين فاس بالدكاكين والزبالة**، كناش 214 II، خ.ع.ر.

(88) A.M.G.V., 3H6, Rapport du capitaine Larras 25/3/1900.

(89) Augustin Moulieras, *Le Mroc inconnu,op cit*,p78

وقد ظلّت القبائل تعتبر الدخول للجيش المخزني تعسّفا ونوعا من أنواع الغرامات المتعدّدة التي كانت تحاول التخلّص منها بمجرّد ما يظهر ضعف المخزن[90].

فقد كان لايدخل العسكر إلّا من لم تكن له الوسائل المالية لرشوة القائد أو الشيخ أو مقدّم الحومة وقد بقى أهل المدن على الخصوص يعتبرون الدخول للعسكر إهانة قصوى ويتهربون منها[91] إلى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

ففي سنة 1292هـ - 1875م لم يكن في كلّ عسكر فاس إلاّ 3 أفراد من حومة زقاق الرّمان من اللمطيين الذين دخلوا العسكر عن "طيب نفس"[92].

---

(90) كتب القنصل الفرنسي في الصويرة لوزيرالخارجية الفرنسية في 1893م "إنّ السكان هنا غير راضين عن تأسيس السلطان عسكرا نظاميا في كل أنحاء البلاد".

A.M.A.E., C.P.M. 180,1898/9/28

عند وفاة مولاي الحسن وعد سيدي محمّد الابن الأكبر للسلطان، قبائل الرحامنة بأنه سيعفيهم من الخدمة العسكرية والضرائب إذا ساندوه للوصول للعرش.

تقرير قنصل فرنسا في الصويرة : A.M.E.P., C.P.M.180 بتاريخ 1894/9/4.

(91) كان بعض الناس في فاس يجبرون عبيدهم على دخول العسكر عوضا عنهم انظر كنّاش بليمني، مخ. خ.ع.ر، ميكروفيلم رقم 4، تقييد مساجين إخوان القائد الشركي من بين المساجين عبد اسمه فاتح للسيد الحسن بن الحاج محمد "ذكر أنه حرّ بالعتق، وأراد سيده المذكور، أن يستخدمه في العسكر مكانه فلم يساعده لعدم ملك له عليه".

ويدلّ على أنفة أهل فاس من الدّخول للعسكر موقف الحاج محمّد بن المدني بنيس الذى تقبل بعد نكبته التي تلت ثورة الدباغين في فاس مباشرة بعد تولّي مولاي الحسن العرش، " كلّ أنواع الهوان، من ذل، ومهانة وهتك العرض وتضييع المال". ولكنّه حينما أراد المخزن أن يأخذ بعض أفراد عائلته للعسكر، احتج بقوة، وطلب الإذن من السلطان في الرّحيل من المغرب.

انظر رسالة بنيس إلى الوزير موسى بن أحمد في **الوثائق**، المجموعة الثالثة، ص. 335-336.

(92) سجّل العسكر الفاسي، **س.ذ.**

وقد عبّر أهل فاس عن هذه العقلية ومدى تهرّبهم من الدخول للعسكر حينما التجأوا لمولاي إدريس في عهد مولاي حفيظ ليحترموا فيه من الدّخول في العسكر وهم يصيحون : "اسيدي مانكونو عساكريا، قميص من ذر اع واحرش من تلّيس أنا مزاوك آمولاي إدريس"[93].

وانتشار الرشوة بين كل أطر الجيش من العلاف أو وزير الحرب إلى أمين الطابور وقواد ومقدمين كان يزيد الحالة الاقتصادية للعسكر تدهورا إذ لم يكن يصلهم من الأموال الطائلة التي يصرفها المخزن إلا النزر القليل[94] لهذا ذهب كلّ وقت وجهود السلاطين في البحث عن الوسائل للحدّ من التلاعبات بالأجور والأموال المخصّصة للعسكر، على حساب الاعتناء بالمسائل الجوهرية كتوفير المصالح المالية والصحّية والاجتماعية للعسكر التي بقيت منعدمة.

فمثلا مولاي الحسن كان يحضر بنفسه كلّ يوم أربعاء عند تسراد العسكر في المشور، وأداء رواتبهم.

"وتفرّغ للنظر في أمر العسكر يقوم عليهم بنفسه ويعرض عليه ويتصفح قوائمه ومؤونته ورواتبه فاطّلع أيّده اللّه على ماكان يدلّسه القائمون على ذلك من الزيادة الباطلة"[95].

ومولاي عبد الحفيظ كان يحضر علف الخيل "حتى لايسرق من طعامها"[96].

---

(93) رواية عن الأستاذ عبد الوهاب بن المنصور مؤرخ المملكة.

(94) Dr F. Weisgerber, *op. cit.*, p. 77.

وكذلك عبد الوهاب بن المنصور، **أعلام المغرب العربي**، ج. 1، ص. 319.

(95) أحمد بن خالد الناصري، **س.ذ.**، ج. 9، ص.144. وقد يكون هذا التّحقيق الذي قام به السّلطان في أمور الجيش هو الذي دفع بالمسؤول عن خزين البارود في مرّاكش سنة 1280هـ/1887 أن يقوم بإشعال النّار في الخزين حتّى لا يطّلع السّلطان على الأربعين قنطارا من البارود التي كان قد اختلسها. انظر : **محمّد السّباعي**، البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عدّ بعض مآثر **السّلطان مولانا الحسن**.مخ.خ.ع. رقم D 1346 فيلم 1823، ص. 33.

(96) إلى جانب هذه الاحتياطات أخذت احتياطات دقيقة في "تسراط" العسكر ؛ فمثلا كان السّلطان يسهر بنفسه على استعراض الجنود على هيئة تحدّ من إمكانيات التّلاعب، فقد كان

بالرّغم من هذه المراقبة ،كان العلّاف ومعاونوه يستعملون وسائل متعددة "لنفخ " الرواتب أو لتقديم "رجال التبن" ومن الأمثلة على ذلك كان نفس الطابور" يسرد" أمام السّلطان عدة مرات في ترتيب آخر(97) وإذا فرضنا أن هذه المراقبة قد قلّلت بعض الشيء من سرقة رواتب العسكر الموجودين بقرب السّلطان، فإن أجور باقي العسكر التي كان الأمناء يدفعونها لقواد الطوابير من مداخيل الموانىء والمكوس، لم تكن مضمونة. وحتى حينما يتعدّى الاختلاس "الحد المعقول" ويريد المخزن أن يحدّد المسؤولية فيها فإنه يجد صعوبة في ذلك كما يظهر من الرسالة التالية:

"خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدارالبيضاء المحروسة باللّه وفقكم اللّه وسلام عليكم ورحمة اللّه وبعد، فقد أخبر القائد إدريس بن العربي الأوديي أن إدالة إخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسئلون(تجب لهم) من قبل مؤونتهم المنفدة لهم بالمرسى هناكم واحب عشرة شهور، وقد لحقهم الضرر من ذلك وعليه فنأمركم أن تبينوا الواقع في ذلك وفي ذمة من توفّرت لهم هذه المدة وقدر ما توفر لهم فيها والسبب في عدم تمكينهم منها لنرى في ذلك. والسلام، في 32 جمادى الأولى عام 1321هـ موافق 17 غشت 1903 م"(98).

وهذه الحالة التي كان عليها العسكر في وقت السّلم كانت تزيد تفاحشا أثناء الحركات. ونجد فى تقارير أجنبية إشارات إلى هذه الحالة مثل " لم يخرج العسكر من تازة إلا للهروب من البؤس والمجاعة التي كانت تهدّدهم" .

---

قائد الكيش والعلاف يقومان معا بتنظيم "التّسراط "حسب النظام الذي كان مسجّلا في الكناش المخزني. وكان مع كلّ فريق عون من أعوان قائد المشور مكلّف بإحضار العسكر ويقوم قائد المشور باستعراض الجنود في حين يتكلّف العلاف بتقديم اللّائحة للسّلطان وينادي على كلّ فرقة "زيدوا تسرّطوا قالكم سيدي" ويقوم كلّ عون بإعلان إسم الفرقة وعددها ويقارن السّلطان العدد مع النسخة التي أعطاها له العلاف. ولكن مع هذا كان التلاعب بالأعداد جاري به العمل على كلّ المستويات من العلاف الكبير إلى المقدّم .

(97) عبد الوهاب بن المنصور، **أعلام المغرب العربي**، ج. 1، ص. 319.

(98) الرسالة وردت في ابن زيدان: **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 1، ص. 435.

"المحلّة لم تتلقّ أي مؤونة ولا أيّ مال منذ أكثر من سبعة وأربعين يوما. وقد قلّ الزاد وارتفعت أثمنة المواد الغذائية وصار الجنود يتسوّلون من بيت لبيت ومن خيمة لخيمة وارتفع عدد الفارين، وصارت حوادث السرقات والقتل والغصب شيئا عاديا. للخروج من هذه الحالة أعطيت الأوامر بالتوجّه نحو وجدة. وأثناء طريقها لم تعش المحلّة إلا من السرقة والنهب فقد تعرّضت كل الدواوير والمنازل والقصبات لنهبها"(99).

كما أن ازدياد الحاجة للعسكر بكثرة الانتفاضات منذ أواخر القرن مع قلّة المتطوّعين، وصعوبة تجنيد الناس صارت تسبّب التساهل في الشروط الصحية والجسمانية المتطلبة في الجنود إذ كان بين عساكر نفس الطابورالعجزة والمعطوبون والمراهقون(100) بعدما كان مولاي الحسن يحث في الأول على اختيارهم من بين "الأصحاء السالمين" كما يظهر من الرسائل السّابقة.

إلى جانب هبوط المستوى الاقتصادي والتقني والمعنوي للعسكر بقي المخزن قليل الثقة بهذا العنصر الجديد، يسعى دائما أن لاتكون وحدة بين مختلف الطوابير، حيث كانت كل ثلاثة أو أربعة طوابر تكوّن تقريبا جيشا مستقلا ويكون رئيسها "الأميرال" أو الآغا لا يخضع إلا للسلطان. فبالرّغم من وجود العلاف الكبير على رأسه فإنه في الحقيقة لم يكن يلعب إلا دور مقتصد إذ يتكلف فقط بالمؤونة والرواتب وخزائن الأسلحة(101).

وكان رؤساء الطوابير الذين يتميّزون بنفوذهم داخل عسكرهم وشجاعتهم، يرسلون بطوابيرهم طيلة الوقت في حركات لإبعادهم وشغلهم وكثيرا ما كانوا ينكبون فمثلا القائد منوالحاحي، قائد عسكر آيت باعمران،كان طابوره طابورا مثاليا، وكان يؤدّي له أجوره بانتظام ويخضعه لنظام صارم، حتى صارت توكل إليه المهمّات الصعبة كالقضاء على ثورة الدباغين في فاس، ولكن المخزن صار يحترس منه ويبعده دائما عن العاصمة(102) إلى أن ألقى عليه مولاي الحسن القبض

---

(99) A.M.G.V, C.13, Commandant Mangin, La Mhalla de Taza, 20/1/1903.

(100) Dr F. Weisgerber, *op. cit.*, p. 78.

(101) **ن.م.س**، ص. 52.

(102) A.M.G., C.26, Le capitaine Larras, *Projet d'occupation du Maroc*, 1902.

وبقي في السجن عدة سنين" لأنه أصبحت له دالة على المخزن"(103).

وهكذا بقي العسكر هيئة مدنية القيمة و لم يحتلّ المرتبة التي كانت للكيش سواء داخل المخزن أو داخل المجتمع المغربي، وكان المخازنية يعبرون عن احتقارهم

(103) كان الحاج محمّد منّو السّوسي أوّل "فسيال" مغربي في عهد مولاي عبد الرحمان وصار خليفة للخوجة التّركي وأسّس طابورا من العسكر "لدايل" تكلّف بحراسة القصبات المخزنية من وجدة إلى خنيفرة إلى آيت الربع .كان جنده من أكثر الفرق بطشا،حتّى أنّ السّكّان كانوا يعرفون حينما يتوجّه إلى جهة أنّ المقصود هو"عركها عركا شديدا".قبض عليه أوّل مرّة في عهد سيدي محمّد بن عبد الرحمان لخلاف بينه وبين المدرّبين الأتراك، و لم يطلق سراحه إلّا بعد أن استجار طابوره بضريح سيدي محمّد بن عيسى بمكناس، وأوكلت له رئاسة الجيش النظامي عوض الأتراك.بلغ عدد جنود طابوره في عهد سيدي محمّد 5000جندي. وساهم في إخماد عدّة ثورات في عهده، كثورة الخزازرة في الشّاوية وثورة أيت يوسي حيث فجّر قصبة الميس الكبير التي اعتصمت بها القبيلة. كما شارك في حرب تطوان، ولعب دورا في إخماد ثورة الدّبّاغين في فاس في عهد مولاي الحسن. وبلغ جنده في عهد هذا الأخير عشرة آلاف جندي. وكان يؤدّي أجور العسكر بانتظام بسبب استثماره الأموال التي كان ينهبها من القبائل . فقد أقام سوقا من كلّ ما يحتاجه الجنود يتكلّف به تجّار صغار يصحبون محلّته، وكان الجندي يشترى بالنّسيئة إلى أن تكون المونة فيقتطع له ذلك منها.كانت بينه وبين موسى بن أحمد عداوة، وكان منّو يلقّب الحاجب بالحرطاني، وقد يكون هذا من بين المسائل التي تسبّبت في إلقاء القبض عليه في مكناس ونفيه إلى تطوان وإدخال زوجته لدار المخزن.بعد رجوع السّلطان مولاي الحسن من حركة سوس سنة 1299هـ ـ 1883م أطلق سراحه ولكنّه رفض العودة للخدمة المخزنية. واستقرّ في مرّاكش حيث توفّي بمدّة قليلة قبل مولاي الحسن. تربّى ابنه إدريس مع مولاي حفيظ وتولّى عدّة مهامّ في المخزن الحفيظي من بينها باشوية فاس.كانت بينه وبين القائد المدني الكلاوي عداوة ممّا تسبّب في نفيه إلى مكناس عدّة سنوات. يرجع أيت منّو بأصلهم إلى الأدارسة، انتقلوا من الغرب إلى أيت صواب بسوس ثمّ إلى هشتوكة "أيت بوشوار" ثمّ إلى اداومنّو.

الناصري، س.ذ.، ج.9، ص. 144.

محمّد المختار السّوسي، **حول مائدة الطّعام**، س.ذ.، ص.12-19.

للعسكر بقولهم"حفنة نحل خير من شواري ديال الذبان"[104]. فقد ظلّ هامشيا حتى داخل المحلة السّلطانية التي بقيت كما كانت عليه من قبل، تضم أفراك السّلطان وخزائن قبائل الكيش وبعض القبائل والمدفعية في حين كان العسكر ينزل بعيدا عنها هو وعلافه[105] وكانت القبائل ترهبه لا لقيمته الحربية. لأنّ العسكري لم يكن يشتهر بالشجاعة، فامرأة واحدة من غياته مثلا استطاعت في إحدى الحركات أن تستولي على سلاح اثنين وثلاثين عسكري، أي اثنين وثلاثين كلاطة بوحفرة[106] وقبيلة واحدة كنتيفة استطاعت أن تهزم الجيش المخزني[107] ولكنها كانت تخشى النهب أو الخسائر التي تصيبها منه حينما يمر بأراضيها سواء كانت غالبة أو مغلوبة طائعة أو عاصية كما يظهر من الرسالة التي أرسلها السّلطان مولاي الحسن إلى صنوه وخليفته بفاس مولاي إسماعيل :

"مولاي إسماعيل وبعد، فإننا لما خيّمنا بحول الله وقوّته بعلوية بالدّار بالمرحلة الثالثة تخييم يمن وأمان وعرجنا على قصور الصلحاء من بني بحيلد عمدت المحلّة إلى "أكلها" ظنّا منهم أنها من قصور الفساد وأنها المقصود بذلك فوجّهنا من جيشنا السعيد من كفّهم عن ذلك"[108].

ونجم عن هذا الوضع أنّ بعض قوّاد القبائل الطائعة صاروا يطلبون من السّلطان تلافي مرور المحلّة من ترابهم "حتى لاتتراجع القبيلة عن طاعتها" فمثلا القائد الغزواني الموسوي طلب من السّلطان عدم المرور من قبيلته لأن "مرور المحلّة بالبلاد تروّع وتشرّد وتفرّقهم فتبطل طريق السياسة"[109].

---

(104) A.M.G.V., C.1, Guedenfeld, Les forces défensives au Maroc.

(105) كانت محلة العسكر التي تسمى الريف تستقر على بعد 500 متر من محلة الجيش :

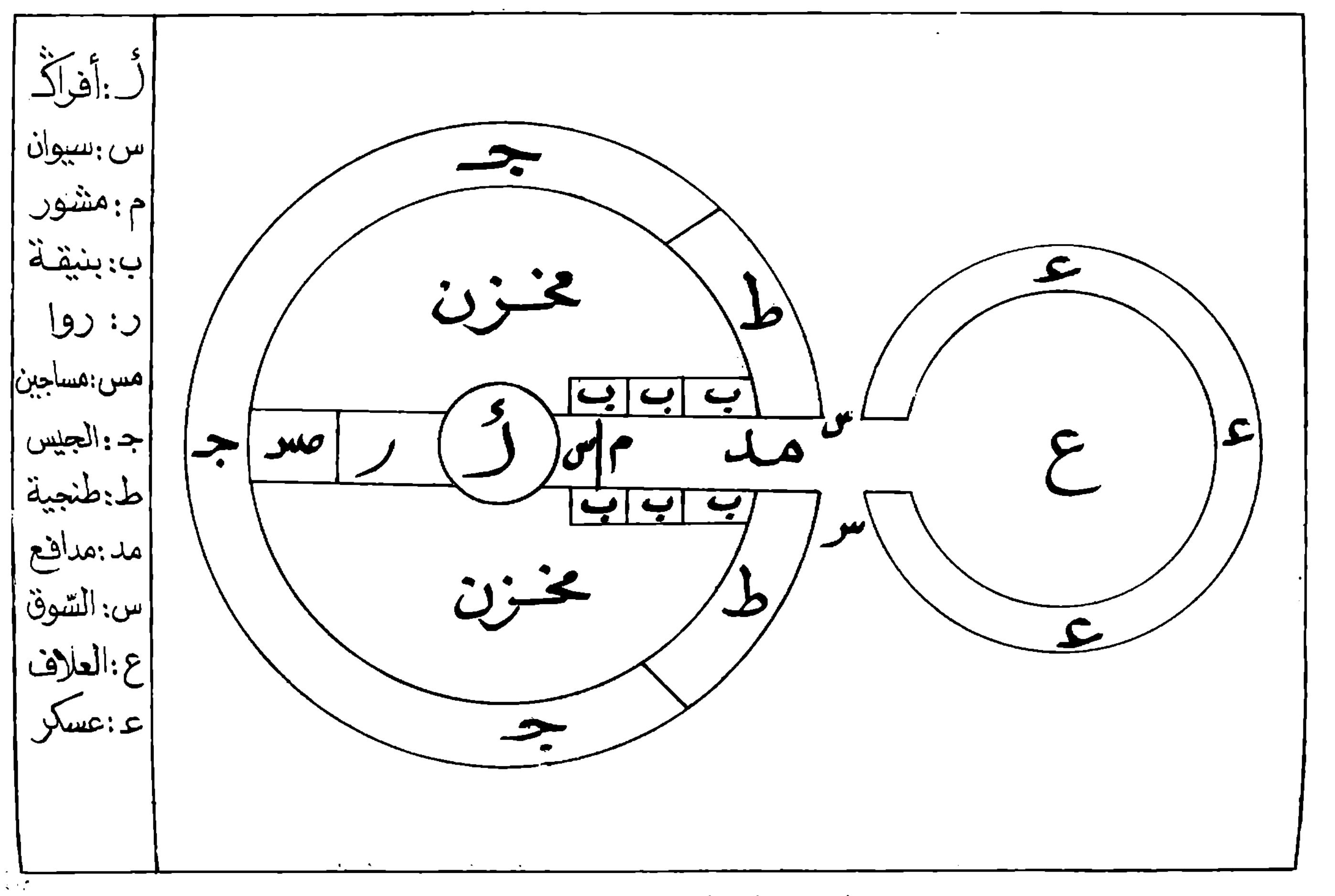
Dr F.Weisgerber, *op. cit.*, pp. 49-52.

(106) الحجوي، **س.ذ.**

(107) و.و.خ.ف.، C.P.M.180 رسالة في 18 دسنبر من الوزير المفوّض الفرنسي في طنجة إلى وزير خارجيته يخبره فيها أن "الناس قلقون لأنّ قبيلة نتيفة وحدها استطاعت أن تهزم الجيوش المخزنية".

(108) عبد الرحمن ابن زيدان، **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 2، ص. 254.

(109) **ن.م.س.**، ص. 135.




تصميم للمحلة السلطانية وضعه الدكتور ويزبرجير
الذي صاحب المحلة سنة 1828

وقد زادت الحالة المعنوية للعسكر تدهورا بارتفاع عدد المدربين الأجانب داخله إذ صار لباسهم ودخول "بعض الألفاظ الأجنبية في كلامهم يثير الاشمئزاز والاستنكار سواء في أوساط العامّة الذين صاروا يسمّونه "أولاد الكرونير" وأولاد "البيزاني"[110] أو داخل المخزن.

فالناصري السّلاوي مؤلّف كتاب الاستقصاء، مثلا بالرّغم من تحمّسه للنظام العسكري الجديد، يظهر الاستنكار من هيئته وزيّه، وإن كانت انتقاداته جاءت بصفة غير مباشرة حيث يقول: "لم يرد جمع هذا الجند إلا حفظا للدين فإذا كان الجند مضيعا له فكيف يحفظه " ويضيف : "من أهمّ ما يعتني به في شأنهم أن لايتخلّقوا بأخلاق العجم ولا يسلكوا سبيلهم في اصطلاحاتهم ومحاوراتهم وكلامهم وسلامهم وغير ذلك. فقد عمّت المصيبة في عسكر المسلمين بالتخلّق بخلق العجم يريدون تعلّم الحرب ليحفظوا الدين فضيّعوا الدين في نفس ذلك التعلّم فلا تمضي على أولاد المسلمين سنتان أو ثلاث سنوات حتى يصيروا عجما متخلّقين بأخلاقهم ومتأدّبين بآدابهم، حتى إنّهم تركوا السّلام المشروع في القرآن وأبدلوه بوضع اليد خلف الأذن فيجب على معلّمهم في حالة تعليمه إياهم أن يبدّل الألفاظ العجمية بالعربية وإن كان الأصل مأخوذا على العجم فليجتهد وبه يندفع عنهم التشبّه بالعجم المنهي عنه شرعا، فإن التزيّي بزيّهم لا يأتي بخير أبدا وهو والله من أفسد الأشياء للدين الذي نريد أن نحوطه بهم"[111].

لهذا بقيت القبائل تعتبر هذا العسكر الجديد عنصرا دخيلا وغريبا، ولم تكن في تصرفها معه تحترم القواعد الأخلاقية التقليدية بينها وبين المخزن، وهذا ما قد يفسّر مثلا غدر أيت سخمان بمائتي عسكري أثناء حركة مولاي الحسن للأطلس لإخضاع أيت ومالو سنة 1888م. فبعد أن أظهرت القبيلة الطاعة للسلطان كغيرها من باقي قبائل أيت ومالو أرسل معها فيلقا من الجيش لقبض ما وظفه عليها من

(110) تلميحا للكولونيل ماكلين ثمّ إلى الكولونيل بيزاني الذي كان يقود المدفعية في عهد مولاي حفيظ.

(111) أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء**، **س.ذ.**، ج. 9، ص. 160.

مؤن وهدايا و"إنزال"، فقام أفراد القبيلة بالفتك بعدد منهم ليلا بعد أن أمنوهم واستضافوهم[112].

وقد كان الاستياء والاشمئزاز من الطّابع الأجنبي يعتري العساكرية أنفسهم، فكثير منهم كانوا يغيّرون لباسهم قبل الدخول إلى بيوتهم[113] وتدلّ الحكاية التي رواها الحجوي عن سبب استجارة العسكر بمولاي إدريس والتجاني أثناء ثورة أبي حمارة على مدى سلبية وجود أطر "كافرة" في الجيش وإحباطها من معنوية العسكر، حيث قال :

"فسبب التجاء العسكر بمولاي إدريس والتجاني هو أنه في المعركة الأخيرة مات عسكري فوجدوا وجهه "تغير وتشوّه فجعلوه على يمينه وذهبوا ليأتوه بالكفن فوجدوه على يساره، فلما أدرجوه في أكفانه وجدوه انقلب على يساره أيضا فنسبوا ذلك للانتظام وأنّه مناف للإسلام وفهموا أن الخضوع للضباط الفرنسيين ولبس الحزمة موجب لهذا الأمر الخسيس ومحبط للإيمان بكل معنى الكلمة، ولذلك لما ذهبت منهم فرقة للعسّة ألفوا نحو الأربعين فرّوا من هناك ولحقوا بمحلة بني مطير لاعتقادهم أن النجاة من الكفر هو الانخراط في سلك هذه الفئة[114].

وساهم تدنّي المستوى الماديّ والمعنوي للعسكر الذي تفاحش مع ازدياد الضّغط الأوربي، وانعدام الوحدة بينه وبين العناصر الأخرى في الجيش، وانعدام الوحدة داخله، في القضاء على فعاليته العسكرية، حتى على الساحة الداخلية، وقد ظهر هذا جليّا بعد وفاة مولاي الحسن. فمولاي الحسن جعل من المسائل العسكرية محور اهتماماته الداخلية والخارجية، حتى بدأ الجيش المخزني في عهده يكتسي

---

(112) **ن.م.س،** ص. 200.

ونفس الحادث أورده :

L. Arnaud, *Au temps des Mhalla*, Casablanca, 1952, p. 70.

وكذلك ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 2، ص. 246.

(113) الحجوي، **س.ذ.**، ص. 50.

(114) **ن.م.س.**، ص. 51.

طابع جيش منظّم ومدرّب[115] وأخذ حجما هائلا بالنسبة لعصره[116] واستطاع أن يضفي على هذا الجيش مظهر الانسجام رغم تعدّد واختلاف العناصر المكوّنة له وانعدام الوحدة بينها. وذلك لأن عرشه كان على حصانه، فقد قاد أهمّ العمليات العسكرية التي قام بها الجيش المخزني سواء منها العمليات التي كانت الغاية منها جمع العسكر[117] أو العمليات ضد مختلف المتصارعين على الحكم من أقارب السّلطان وغيرهم[118] أو العمليات التي ترمي لاستخلاص الزكوات والأعشار وغيرها من الفرائض المخزنية[119] أو لفرض الطاعة على القبائل العاصية أو لتأكيد

---

(115) في الزيارة التي قام بها الوزير المفوض الفرنسي De Vernouillet لفاس لتقديم أوراق اعتماده سنة 1877م، ألقى عليه السلطان أسئلة تدل على إطلاعه على الحرب الألمانية الفرنسية، وعلى نوع المدافع المستعملة، كما أن الضباط الفرنسيين الذين صاحبوا De Vernouillet في مهمته، أبدوا إعجابهم بالمناورات التي قامت بها فرقة من الوداديا أمامهم، حتى إن أحد الضباط تمنى أن يكون جيش إفريقيا قادرا على القيام بنفس المناورات.

A.E.P., C.P.M. 41, Fés 18/4/1877, De Vernouillet a DeCazes.

(116) E. Gérenton, *op. cit.*, p. 275.

(117) حول الحركات لجمع العسكر : ابن زيدان، **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 2، ص. 156، يقول : "ولم يزل المترجم يجدّ في الاستعداد لكسر شوكة كل من بغى وتمرد، وجمع العسكر من القبائل إلى أواخر صفر 1293".

وكذاك ثريا برّادة،

« Quelques aspects de la question militaire au Maroc au 19ème siécle », in *Revue Le Maroc et l'Europe*, n°7, 1994, pp. 304-325.

(118) بعد مبايعة مولاي الحسن قام مولاي سليمان الملقب بالكبير، وهو ابن مولاي عبد الرحمن ابن السلطان مولاي سليمان بالمطالبة بالملك، وكان أبوه قد ثار من قبله ضد السلطان مولاي عبد الرحمن. وبعد انتهاء ثورته قامت ثورة بوعزي الهيري الذي جمعت حوله غياثة، وتسول، والبرانس، والحياينة، وبني وراين، وكزناية، وأولاد بريمة، وآيت شغروسن، وبني سدن.. فقام مولاي الحسن بحركة ضده سنة 1291هـ - 1874م.

(119) حول هذه الحركات : ابن زيدان، **الإتحاف، س.ذ.**، ج. 2، ص. 151 - 155 و157 - 160.

سلطة المخزن على الأقاليم النائية التي أصبحت محطّ الأطماع الاستعمارية[120] أو الحركات التي كانت تجمع في نفس الوقت بين المرامي الدّاخلية والخارجية [121]. وهذا ما أعطى لحركاته التسع عشرة التي ابتدأت منذ تولّيه الملك ولم تتوقّف إلا بوفاته بعد إحدى وعشرين سنة[122] طابع النصر، حتّى بالنسبة للتي تراجعت فيها

---

(120) قام مولاي الحسن بحركتين لسوس سنة 1882م و1886م لتأكيد السلطة المغربية على هذه المناطق، بعد أن ظهرت الأطماع الإسبانية والإنجليزية. فالإسبان كانوا يتعللون بالفصل 8 من معاهدة الصلح بعد حرب تطوان 1861م لإقامة مركز للصيد، وللتجارة في ناحية أكادير، كما أن الإنجليزيين ماكينزي Mackenzie وكورتيس Curtis، أقاما مركزا تجاريا في رأس جوبي ودخلا في مبادلات تجارية مع القبائل الجنوبية كتكنة ولاد دليم وآيت باعمران.
حول هاتين الحركتين :

Gérenton, *op. cit.*, pp. 237-279.

(121) كانت كلّ حركات مولاي الحسن التي قام بها لأطراف البلاد حتى منها التي تظهر ذات أهداف داخلية محضة ذات أبعاد خارجية مثلا في حركة مولاي الحسن في الشّرق ضدّ غياثة، دخل السلطان وجدة والتقى بالجنرال الفرنسي أوسمون ،كما أن اتّباعه الطريق السّاحلية في نفس السنة كان ذا أهداف سياسية حيث استقبل في الدّار البيضاء الجالية الأوربية، وفي حركته لتطوان كان يرمي إلى المرور أمام سبتة المحتلّة،كما أنّ حركته الأخيرة إلى تافيلالت سنة 1894 كانت لتفقّد أحوال القبائل والناحية بعدما أصبح الخطر الفرنسي محدقا بتوات.
حول هذه الحركات انظر : A.E.P., C.P.M.40 TANGER 29 Mai,1876 وكذلك :
الرّسالة التي وجّهها القنصل الفرنسي بالدّار البيضاء لوزير الخارجية في 8 يوليو 1876 في
A.E.P., C.C.M.
وكذلك :

Linares, *op. cit.*, p. 115.

(122) دام ملك مولاي الحسن 21 سنة وأربعة أشهر وخمسة عشر يوما من سنة 1873 إلى سنة 1894، وقدّرت بمجموع السّنوات التي قضاها في الحركات بخمس سنوات أي تقريبا ربع مدّة عهده.

جيوشه أمام القبائل[123].

فعدد جنود الجيش النظامي ارتفع باستمرار داخل المحلّة السّلطانية على حساب جيش النايبة (انظر الرّسم البياني)[124] ممّا صار يسمح بإعادة تنظيم الجيش وإعادة الكرّة فورا بعد الانهزامات، وبالقيام بعدّة عمليات عسكرية في نفس الوقت، كما أعطى للجيش المخزني مظهر الاستمرارية والقوّة[125].

---

(123) انهزمت جيوش مولاي الحسن عدّة مرّات، ولكنّ هذه الانهزامات كانت تستدرك بعد مدّة قصيرة. وكان رجوع السّلطان على رأس جيشه يأخذ دائما شكل انتصار، كما أن الظهائر التي كانت تقرئ في المساجد بعد الرجوع كانت تتكلّم دائما عن النّصر، مثلا في حركة وجدة، مرّ السّلطان بتازة ونزل بقرب قبائل غيّاثة ووضّف عليهم قدرا من القمح رفضوا دفعه فهاجمهم الجيش ولكنّه سقط في كمين نصبته القبيلة، ولم ينج السّلطان إلا باختفائه بإحدى الشّعب هو والحاجب موسى بن أحمد، وقد استطاع السّلطان بعد يومين أن يعيد تنظيم جيشه ويهاجم أراضي غياثة التي كانت قد التجأت للجبال، فأحرق الجند المداشر ونسفوها ثمّ كتب مولاي الحسن يعلم الرّعية بالنّصر ويذكر (أن الخيل والرّماة قد انتسفوا بلادهم انتسافا ودوّخوها أماما وخلفا).

النّاصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 159.

(124) الرسم البياني اعتمد على أعداد جاءت في مقالات وتقارير عسكرية أهمّها :

L. Voinot, « L'imbroglio marocain 1874 - 1876 », in *Revue africaine*, 1923, p. 221.

A.M.G., C. 2, Erkman, Rabat, 10 Juin 1879 .

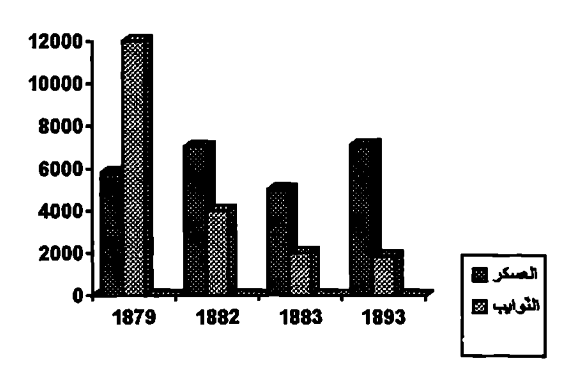
A.M.G., C. 5, De Breuille, 5 Avril 1886.

Rapport du capitaine Schmit, Marrakech, 17 Novembre 1886.

D. Nordman, « Les expéditions de Moulay El Hassan », in *H.T.* n°19, 1980 - 1981, pp. 123-152.

(125) T. Berrada, *op. cit.*, p. 304.

### نسبة الجيش النظامي في جيش مولاي الحسن في بعض الحركات




وقد أضفى سهر السّلطان بنفسه على سير الحركة من بدايتها إلى نهايتها وعلى القضايا الصّغيرة والكبيرة [126]، على الجيش إبّان الحركة طابعا من النّظام يتناقض مع المظهر العامّ لمجموع الحركة التى تظهر في أوّل وهلة كهجرات السّكّان القديمة[127]. فقد كان الجيش يسير حسب نظام دقيق سواء في الوقوف أو في السّير، وفي التوقيت، أو فيما يخصّ موقع كل فرقة بالنسبة للأخرى سواء داخل المحلّة أو في حالة الهجوم، وفي سير المدفعيّة، وفي تبديل البغال والخيل والجمال[128].

ولكن مظهرالنّظام و الانسجام والوحدة مالبث أن اضمحلّ بعد وفاة مولاي الحسن، حين صارت الحركات التي تعدّدت بارتفاع الاضطرابات، وحتّى الحركات التي كانت الاستمرارية مرهونة بنتائجها، توكل لشخصيات مخزنية لا تربط بينها أيّ روابط سياسية ولا مصلحية ولا تخضع لقيادة عليا منسّقة[129]

---

(126) J.L. Miège, «Hassan 1er 1836 - 1894 », in *Les africains*, éditions Jeune Afrique, Paris, 1977, p. 231.

(127) P. Loti, *Au Maroc*, Calman Levy, Paris, 1890.

(128) حول نظام المحلّة :

J. Berque, *L'intérieur du Maghreb 10 - 19 siècle*, Gallimard, Paris, 1978, pp. 486 - 489.

(129) يظهر انعدام الانسجام هذا أقصاه، حينما أرسل مولاي عبد العزيز سنة 1902م، ثلاث محلات، إحداهما، تحت قيادة عمه مولاي الكبير، والثانية تحت رئاسة مولاي عبد السلام المراني. والثالثة تحت رئاسة محمد المراني، لنجدة الجيوش المخزنية في ناحية تازة. وصادف هذا

وكـانت نفـس المحلّـة في بعـض الأحيـان تقسّـم بـين قـائدين أحدهمـا مـن أقـارب السّلطان والآخر إما من الجيـش أو مـن العسـكر دون أن تحـدّد اختصاصـات كـلّ منهما، ويظهر هذا من الرسالة التي وجّهها الحاجب أحمد بن موسى لكبير المحلّة في حركة عام 1897 :

"... عبّاس ولد بّاحمد، عما كان يرفع بك من الشكايات وتجيـب عنـه بالمدافعـة، فقـد ثبت ثبوت الشمس ولم يختلف فيه اثنان وكشف الحال على أن أعمالك كلها تهـورات وأقوالك كلها بهتان وأن الهلع استولى عليك حتى صـرت لا غـرض لـك إلا الاسـتيلاء على أموال الناس بغير طريق إلا بمجرد أنك كبير المحلة، ولـولا مـا تقـدم لأسـلافك مـن المحبة فينا لأطلعنا علما مولانا بذلك. فلتقف عند حدّك، ولتترك أمـوال النـاس والكـلام مع العمّال بوجه، فإنّ مولاي الحفيظ هو المكلّف، ولادخل لك في شيء ممّا ذكـر وإنّمـا وظيفتك هو القيام بضبـط المحلّـة مـن عسّـة وتعيـين مـن يـأمرك الشـريف بـه لـلركوب والفرض سواء للكلفة أو للنفع وإن رأيت شيئا مما يخالف المراد فحسبك الإعـلام وهـذا إنذار لك إن أردت السلامة إليك. والسلام في 25 جمادى الأولى عام 1315 موافق 22 أكتوبر 1897م"[130] .

وكانت المحلة في بعض الأحيان تقسّم بين عدّة قواد في نفـس الحركـة، ففـي "فتنة" الرحامنة في عهد مولاي عبد العزيز، قسمت المحلة إلى سبع قيادات منهـا مـا أعطي لأعمام السّلطان مولاي الأمين ومولاي عبد القادر، ومـولاي عبـد المـالك، ومنها ما أعطي لكبـار الجيـش[131]. وفي المحـال الـتي كـانت ترسـل ضـد بوحمـارة، كانت نفس المحلة لا تخضع لقيادة موحدة، ففي الحركة التي خرجت مـن فـاس في يناير 1903م كان يقود المحلة وزير الحرب المنبهي ورئيس المشور القـائد إدريـس بـن يعيش[132]. وفي 1904م كان يرأس المحلة قـائدان، محمّـد بوشـتى البغـدادي ومـولاي بوبكر بن الشريف العلوي.

---

شهر رمضان. ولكي يظهر كل منهم استقلاله عـن الآخـر، كـان كـل واحـد يضـرب مدفـع الإفطار والإمساك على حدة.

الحسن اليوسي، **المعسول**، الدارالبيضاء، 1960م، ج. 20، ص. 40.

(130) خ.م.ر.، الكناش رقم II V، ع. 234، حركة 1315.

(131) ابن زيدان، **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 1، ص. 381 - 388.

(132) **ن.م.س**، وكذلك : Dr F.Weisgerber, *op. cit.*, p. 52

ثمّ أوكلت رئاستها إلى أحمد بن كرّوم ومولاي مصطفي بن عبد الرّحمان والآغا أحمد المنبهي الحرّاب[133].

هذا كثيرا ما كان يخلق الفوضى في العمليات العسكرية ويفقد الجيوش المخزنية. بالرغم من ارتفاع عددها، الفعالية حتى أمام جيوش أقلّ منها عددا، كجيش بوحمارة، حينما قلّ أتباعه. في بعض الأحيان تصل هذه الفوضى حد التطاحن بين مختلف الطوابير المخزنية، كما حدث في حركة 28 رمضان 1904م، حينما هجم طابور يقوده الخليفة المكلدي، على طابور يقوده الآغا عبد اللّه الشاوي[134]. وفي حركة 1907م ضد بوحمارة كذلك، هجم طابور الآغا محمّدبن دحمان الصنهاجي على طابور الحاج المهدي الطنجي[135]. وحتى يتسنى إعطاء فكرة عن النتائج التقنية للإصلاحات العسكرية نعرض هنا حالة الجيش المغربي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كما كانت تظهر للدول الاستعمارية التي أصبح خطرها محدقا، وذلك من خلال بعض التقارير العسكرية الأجنبية، فقد جاء في بعضها :

"يجب أن لا يضرب أي حساب للجيش المغربي. الجنود المغاربة أقوياء صبورون، ولكن بدون أي تدريب ولا نظام، ليس في استطاعة السّلطان أن يواجه المسيحين في حرب نظامية. حاميات المدن ضعيفة ماعدا حامية الرّباط وسلا وفاس والصويرة، لكن مدافعها بدون عدة."، إذا كان الهجوم والسّلطان في مرّاكش، فالطابور الوحيد الخطير، هو طابور عسكر أيت باعمران، يقوده الحاج علي السوسي، لأنه يمكن أن يلف حوله المتطرفين. الفرقة الوحيدة المنظمة هي جيش الفرسان المخازنية ولكنهم غير خطيرين لأنهم مرتبطون بشخص السّلطان،المدفعية من نوع باروط Parrot مدافع الجبل من نوع إيطالي، وكروب ألماني، بدون عدة، وفي حالة سيئة، إلى جانب عدة مدافع متنوعة وقديمة، يبلغ عمرها عدة قرون، لاينبغي أن نضرب حسابا للمدفعية.البحرية : البشير

(133) انهزمت محلة أخ المنبهي وجردها الحياينة من لباسها "ودخل أفرادها فاس عرايا" قتل أخ المنبهي في إحدى الحركات ضد بوحمارة فيما بعد. انظر حول الموضوع :
بليماني، بوعشرين، **التنبيه المغرب عما عليه الآن حال المغرب، س.ذ.، ص.** 74.

(134) عبد الوهاب بن المنصور، **أعلام المغرب العربي**، ج. 1، ص. 354 ـ 355.

(135) **ن.م.س.**

الذي يرأسه كومندار ألماني في عطب في طنجة، وكذلك الحسني، والتركي الذي له كذلك كومندار ألماني، في العرائش"[136] .

وهذا تصوير أجنبي آخر لا تخفى نظرته المغرضة يحاول أن يرصد نتائج أكثر من نصف قرن من الجهود، بذلت لتأسيس جيش النظام :

" أما الحالة العسكرية للبلاد، وهذا هو الجانب الذي يهمنا على الخصوص، فإنه يجب أن لانستغرب إذا قلنا إنه في سنة 1909م لازال الجيش عبارة عن عصابات تشبه Nos Maltotiers[137] تعيش من النّهب أكثر مما تعتمد على راتب زهيد، ولا يؤدّي بانتظام. لا يوجد إلا عدد قليل من الرؤساء المقتدرين الذين يستطيعون الاحتفاظ حولهم بالجيوش بفضل وسائل تعسفية كأزفل والقيود التي يستعملها الضباط الذين يجمعون لهم العسكر. وهؤلاء العسكر الذين يجمعون من أدنى الطبقات أكثر خطرا على القبائل الطائعة منهم على العدو. وإلى جانب هذا العسكر ترغم القبائل على إعطاء عدد من الأفراد في وقت الحركة، وهؤلاء الأفراد يتلقّون رواتبهم من قبيلتهم، ولا أظن أنه من الضروري أن أضيف أن هذه الرواتب كغيرها تتعرّض للسّرقة الجاري بها العمل في المغرب وأن وزير الحرب يأخذ منها حظ الأسد.وأخيرا، الطبجية يعتبرون كعسكر ولا يحملون أي سلاح، فهم ليسوا إلا حمّارين يقودهم معلم أجنبي في أغلب الأحيان. وقد كانت المدفعية فيما قبل ميدان الأتراك، ولازال يوجد في الرّباط وسلا مجموعة من العائلات يرجع أصلها لمعلمين مدفعيين جاؤوا من القسطنطنية، وقد عوضوا فيما بعد بالعلوج أو بجرّاب من الجيش الفرنسي والإسباني : وهذا يشبه العهود الأولى لمدفعيتنا التي كانت تستعمل البندقيين Vénitiens الذين كانوا محتقرين ومهابين في نفس الوقت. وخلاصة القول فإن الجيش يتكون من عصابات تلتف حول قواد يعتبرون جنودهم ملكا خاصّا لهم وهذه العصابات المتوحّشة كان لها تفوق على القبائل قبل أن تحصل هذه الأخيرة على الأسلحة العصرية. وعلى كلّ حال فإنّ الجهاز العسكري لا يستعمله المخزن إلا للمفاوضات مع الخصم، هذه المفاوضات التي ترمي إلى تفرقته وتشتيته، وزرع الشقاق والعدواة داخله، وبعد هذا يؤدي الخصم الغرامات المفروضة عليه، فمن المبادئ المعلومة هنا أنه حينما تتقاتل القبائل بينها يكون المخزن على أحسن حال. إنه

---

(136) Larras, *Projet d'occupation du Maroc*, A.M.G.V., C.6, Rapport du 25/3/1900.

(137) كلمة كانت تطلق في القرون الوسطى في فرنسا على المكلفين بقبض Maltote .وهي ضريبة فرضت في القرن 13 و14 على المبيعات، وكانت تجمع بطريقة تعسفية.

من اللّازم على كل المدرّبين الذين يعثون إلى هنا أن يعرفوا هذه المبادئ، لأن المطلوب منا هو تحويل هذه الحالة العسكرية الفاسدة إلى حالة منظّمة"(138).

## ثانيا- النتائج السياسية

وإذا كانت المحاولات الإصلاحية قد أعطت نتائج محدودة على المستوى التقني وعلى مستوى الفعالية العسكرية فإن سلبياتها كانت أخطر في الميدان السياسي سواء فيما يتعلق بوزن الجيش على صعيد العلاقات السياسية الداخلية، أو بقدرته على القيام بمتطلبات الدفاع عن البلاد والذوذ عن استقلاله والسهر على استتباب الأمن الداخلي وفرض سلطة الدولة بمختلف شروطها ومكوّناتها.

### 1 - الوزن السياسي الداخلي

أحدثت التغييرات التي أدخلت على هيكل الجيش في ظروف داخلية وخارجية صعبة آثارا سلبية على وزنه السياسي الذي ضعف كثيرا في أوائل القرن العشرين سواء فيما يخص الكيش التقليدي أو فيما يخص العسكر النظامي. فالكيش كان القاعدة الرئيسية السياسية العسكرية للمخزن قبل "الإصلاح"، فقد كان عنصرا مهما من عناصر البيعة إذ لا نكاد نجد بيعة عامّة تخلو من مشاركة "قواد الكيش"، كما كان يشكل أغلبية "أصحاب الشكارة" من وزراء وكتّاب، ولكنه بعد تأسيس "العسكر" فقد جانبا كبيرا من دوره العسكري ثم شيئا فشيئا من دوره السياسي. وهذا الضعف السياسي للجيش، وإن كانت اماراته قد بدأت تلوح منذ عهد مولاي الحسن، فإنّه لم يظهر جليّا إلا في عهد مولاي عبد العزيز. فبعد وفاة سيدي محمّدبن عبد الرّحمان كان الجيش لازال له وزنه ولازال يؤخذ بعين الاعتبار داخل التوازن السياسي التقليدي، كما يظهر من رسالة موسى بن أحمد لمولاي الحسن بعد بيعته وجاء فيها:

"بعد تقبيل الأرض بين يدي مولانا الإمام ننهي لكريم علم سيدنا أن خدامه المغافرة، بعدما وردوا على باب الدار العالية باللّه مع قائدهم القائد محمّدبن الطيب بودلاحة بقصد التعزية وأداء البيعة طلب التوجه لحضرة سيدي مع إخوانه فكتبنا صحبته هذا ننبه سيدي علي خدامه ليباشرهم بما ينبغي أن يباشروا به من طيب الكلام والوعد بالجميل والمبالغة في الدعاء لهم، فإنهم خاصة جيشه السعيد كما لايخفى على سيدي، وكلام

(138) A.M.G.V., C.8, Pour les nouveaux instructeurs 18/12/1910.

الملوك يفرحون به وسينقلونه لإخوانهم وأولادهم ويقع منهم موقعه. واللّه يبارك في عمر سيدي والسلام على مقام سيدي ورحمة اللّه".

20 رجب الفرد 1290هـ، موسى بن أحمد[139].

وكذلك رسالة السّلطان مولاي الحسن إلى الجيش والعسكر بعد توليته العرش حيث ورد ما يدلّ على أنه في أواخر عهد سيدي محمّدبن عبد الرّحمان كان الجيش لازال لم يفقد كلّ وزنه، وأنّ العسكر بدأ يؤخذ بعين الاعتبار :

"كافّة وصافنا الأرضين، وجيشنا الصالحين الخدام المفلحين البخاري والشركي والشرادي والسوسي وسائر العساكر السعيدة المنصورة أجمعين، وفقكم اللّه وسلام الله عليكم ورحمة اللّه. وبعد فعظم اللّه أجرنا وإياكم وجميع المسلمين في مصاب سيدنا الوالد المقدس باللّه أمير المؤمنين وتغمده بسابغ الرحمات . وقد بلغنا وقوفكم في بيعتنا السعيدة بالقول والفعل وسعيكم في شأنها بالقلب والقالب واليد والرحل، فلقد قمتم بالواجب وأديتم، وذلك الظن بكم وبه عهدتم وعرفتم من الخدمة لجانبنا العالي وحسن خدمتكم وصادق نصحكم وجميع محبتكم، فجزاكم اللّه عنّا وعن المسلمين أفضل ما جوزي به خادم ناصح أمين وسترون من مكافئتنا لكم ما يسرّكم إن شاء اللّه في الحال والمآل وتعود عليكم من ذلك بركة ورشد في المعاد والمعاش والدين والدنيا . والسلام. في رجب الفرد عام 1290هـ"[140] .

وقد بقي هذا الاعتبار للجيش والعسكر إلى أواخر عهد مولاي الحسن فعناصر قبائل الكيش كانت لاتزال تشكّل نسبة مهمّة داخل المخزن بالرغم من ارتفاع عدد "التجار والأمناء". كما أنّ العسكر كان قد بدأ يكتسب قوة لايستهان بها تماما.

ولكن منذ وفاة مولاي الحسن بدأت الأمور تتحوّل بسرعة، فطبقة التجار والأمناء غزت المخزن على حساب قبائل الكيش، وحالة العسكر تدهورت للأسباب التي سبق ذكرها.

---

(139) الرسالة مأخوذة من **الوثائق**، المجموعة الثالثة، ص. 35.

(140) **ن.م.س.**، ص. 349.

وكدليل على أن المؤسسة العسكرية لم يبق لها وزن سياسي كبير في الداخل، فإن بيعة مولاي حفيظ لم يذكر فيها لا اسم الكيش ولا العسكر[141] وأن مولاي عبد العزيز بالرغم من توفّره مبدئيا على القوة العسكرية الرسمية لم يستطع مجابهة أخيه لا عسكريا ولا سياسيا.

## 2 ـ من إصلاح لمواجهة الخطر الخارجي إلى إصلاح لتوطيد الاستعمار

لقد انطلقت محاولات المخزن الإصلاحية أساسا من اعتبارات جهادية وأمنية داخلية، إلاّ أن الضغط الخارجي حوّل الإجراءات المتخذة لبلوغ الغاية المنشودة التي هي التصدي للأخطار الخارجية المحدقة بالبلاد من جهة وضمان الاستمرارية من جهة أخرى إلى عوامل إضافية في توطيد المصالح الأجنبية عوض عرقلة نموّها والوقوف في وجه التبعية للدول الغربية، وسهلت التغلغل الأجنبي داخل المؤسسات المغربية إلى أن تطور الأمر إلى سقوط هذه المؤسسات تحت السّيطرة الأجنبية.

### أ ـ مسلسل التبعية والتغلغل الأجنبي داخل المؤسسات

فالاعتماد على الأسلحة المستوردة لتحديث الجيش وتجهيزه ببنادق ومدافع على غرار الجيوش الأوروبية كان يعني في الواقع وضع البلاد تحت رحمة المصانع الأجنبية وإدخالها في طور ما يمكن أن ننعته "بالتبعية التكنولوجية" خصوصا وأن محاولة إنشاء صناعة محلّية لم تعط سوى نتائج جدّ محدودة، ومنها ما باء بالفشل التامّ. والتجاء المخزن إلى بعثات عسكرية أوربية لتدريب الجيش المغربي في وقت ارتفعت فيه أطماع هذه الدول في المغرب كان يعني سقوطه عسكريا تحت رحمتها وتبعيتها ووضع رجلها في الرّكاب المغربي.

---

(141) انظر بيعة فاس لمولاي حفيظ في :

محمد الباقر الكتاني، **ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد**، مطبعة الفجر، 1962، ص. 198 ـ 200.

وكذلك :

**جريدة السعادة**، الأحد 14 محرم 1326هـ ـ 16 فبراير1907م.

وقد كان الأمر واضحا تمام الوضوح بالنسبة للدول التي تسارعت لتقديم ضباط وبعثات ووضعها رهن إشارة السّلطان. ففرنسا مثلا منذ استقرارها في الجزائر كانت تريد من جهة، مراقبة البلد الذي يلجأ إليه المتمرّدون الجزائريون، ومن جهة أخرى، وهذه غاية أهمّ أن تكون لها "أعين تطلع على ما يروج في هذا البلد غير المحكوم، فمن غير المعقول ولا المقبول أن يبقى على أبواب أروبا وعلى مرأى من سواحلها وعلى شط مضيق لا يتعدى عرضه عدّة فراسخ بلد خصب ترويه أنهار جميلة ويسكنه أهالي يتفانون في العمل، منزويا على نفسه وحريصا على عاداته المتوحشة والبدائية[142] ."وكان لابد لها" من وجود مستمر داخل المخزن الرحال حتى نقاوم التأثيرات الضارة"فهي كانت "في حاجة إلى من يعيش داخل المخزن ويوجّه اختياره موهما إياه أنه هو الذي يختار".[143] ثم إن الحكومة العامّة في الجزائر كان يهمّها تتبع التغيرات العسكرية في المغرب وكانت غايتها هي: "دفع السّلطان الذي يريد تنظيم جيشه الى اختيار مدربيه من عندنا. إنّ جيوش جلالته الشريفة في نظرنا لن تعرف تطوّرا يمكن أن يقلقنا، ولكن من مصلحتنا أن يلتجيء إلينا في هذا عوض أن يلتجيء إلى قوة أخرى"[144].

**ـ المهمّة السياسية للبعثات العسكرية**

وبالفعل فهذا هو الدّور السياسي الذي أصبح للبعثات العسكرية الأجنبية سواء منها الرسمية كالفرنسية أو الغير الرسمية كالإنجليزية. إذ أنّ البعثات تحوّلت إلى "طابور خامس" كان له تأثير ملموس على تطوّر البلاد السياسي، فأصبح المخزن لا يواجه ضغوط ومناورات الممثّلين الأجانب المقيمين بطنجة فحسب، بل صار أيضا يواجه تحرّكات ومناورات و"إرشادات الحرّابة" المقيمين داخل البلاط السّلطاني والمشرفين على تدريب العسكر. ذلك ما ينصّ عليه تقرير فرنسي سرّي جاء به :

(142) St. René Taillandier, *Les origines du Maroc français*, Paris, 1930, p. 6.

(143) ن.م.س.، ص. 19.

(144) A.E.P, C.P.M. 40, Chanzy à Decazes ministre des affaires étrangères 18/2/1877.

كذلك :

A.M.G.V., C. 2, Chanzy- Bertraut 5/2/1877.

"حينما انتهـزت فرنسـا سـنة 1877م مـا أظهـره مـولاي الحسـن مـن اهتمـام بالشـؤون العسـكرية واغتنمـت الفرصـة لإقامـة بعثـة عسـكرية بـالمغرب، فـإن سياسـتها كـانت لاتستهدف إعانة المخزن الشريف على تدريب جيشه تدريبا عسكريا أوربيا بل إحاطـة السّلطان بهيئة قادرة على تتميم العمل السياسي الذي تقوم به قنصلياتنا"(145).

وهذا التخطيط هو ما تؤكـده كذلـك الإرشـادات الموجهـة لأعضـاء البعثـة حيث جاء في بعضها : "الواقع أن دور قائد البعثة الطبيعي هو دور سياسي محـض، فوظيفته هي وظيفة ملحق عسكري، وبما أن جيش المغرب مجرّد وهم وخيـال فـإن على رئيس البعثة أن يولي اهتمامه قبل كلّ شيء للمسائل الإسلامية والعربية"(146).

ونجد هذا التوجه في ما يلاحظه سان روني طياندي حيث قال : "إن وجـود عسكرين فرنسيين داخـل الجيـش المغربـي معنـاه اسـتقرار الجيـش الفرنسـي داخـل المخزن، وهو يعزينا عن بقاء جيشنا بـالرغم مـن قوتـه عـاجزا عـن تعـدي الحـدود بسبب اللعبة الديبلوماسية "(147).

وكذلك كما رأي سفير فرنسا "أردِكَا" الذى يؤكد في أحد تقـاريره علـى أن "دور البعثة العسكرية هو دور سياسي محض"(148).

وكتأكيد لما ورد في هذا التقرير فإن فيرو Feraud الذي خلف أُورديكا علـى رأس "السفارة" الفرنسية بطنجة يزيل كل التباس ويوضّح المسألة بقوله": إن دورهم (أي أعضاء البعثة العسكرية) ظاهريا هو التدريب، ولكـن الحقيقـة هـي أن هـؤلاء الضباط موجودون هنا ليذكروا بالنفوذ الفرنسي في شمـال إفريقيـا وبعزمنـا الأكيـد على عدم التنازل عن حقوقنا وامتيازاتنا في هذه المنطقة"(149).

ومن هذه التقارير يظهر الدور الحقيقـي الـذي كـان منوطـا بهـذه البعثـات، فزيادة على التقارير السياسية التي كانت ترسل لوزارة الخارجية، فإن التقـارير الـتي

(145) A.M.G.V.,C.2, L'historique de la mission militaire au Maroc.

(146) A.M.G.V., C.2, Anonyme, « Mémoire sur le Maroc, manuscrit de184 pages », p.90.

(147) St René Taillandier, *op. cit.*, p.7.

(148) J.L. Miège, *op. cit.*, T.IV, p. 109.

(149) ن.م.س.

كانت تبعث لوزارة الدفاع[150] والتي كانت مبدئيا تتعرّض للمسائل التقنية العسكرية كانت هي الأخرى مجموعة من التحليلات والمعلومات حول الحالة السياسية والعسكرية للبلاد وعن نقط الضعف الذي يمكن لفرنسا استغلالها وعن حركات السّلطان وسكناته ودراسة لعقلية المخزن وأفراده، وكيف يمكن استعمالهم لصالح فرنسا وعن البعثات الأوروبية الأخرى، ونواياها وسياسة حكوماتها والأسلحة التي تبيعها للمغرب، أي أنّ أعضاء البعثات كانوا في نفس الوقت جواسيس على ما يروج في البلاد، وعلى الدّول الأوروبية المزاحمة لدولتهم ونوع أسلحتها. فإيركمان مثلا في تقريره لوزارة الدفاع الفرنسية في شتنبر 1878م أعطى معلومات وتفاصيل عن مدفع كروب الذي جاء به ممثل شركة كروب ليعرضه على المخزن[151].

وهذان نموذجان للتقارير التي كانت البعثة العسكرية الفرنسية ترسلها لوزارة الحربية. النموذج الأول رسالة أرسلتها البعثة العسكرية الفرنسية التي وصلت لمرّاكش في 16دسمبر1877م وجاء فيه :

"إن البعثة تترأس 540 رجلا. يريد السّلطان أن يوحد العسكر المدربين من طرف الفرنسيين تحت قيادة واحدة ليحارب به ناحية مرّاكش. إنّ التدريبات تتوقف لأتفه الأسباب مثلا : ذهاب البغال إلى ناحية أخرى.إن السّلطان بدأ في تجريب مدافع بلجيكية. إن السّلطان لايريد أن يبقى تابعا في سلاحه لأوربا، فهو يحاول صنع البارود والقرطوس، ولكنّنا استطعنا إقناعه عن التخلي عن فكرة صنع القرطوس معلّلين ذلك بأنّ صنعها يكلف غاليا"[152].

وهذا نموذج ثان لهذه التقارير في 1899م[153] :

"أما فيما يخص القضية المغربية فإن الغياب التام للجيش المغربي والجهل بالاستراتجية من طرف رؤساء القبائل الذين يمكن أن يقودوا جيوشهم ضدّنا يتطلّب منّا أن نحسّن اختيار الموقع الجغرافي، ومن الناحية السياسية فإن المغرب نموذج للوحدة الدينية والتفرقة

---

(150) كانت التقارير التي ترسل لوزارة الخارجية، ترسل مفتوحة عن طريق قنصلية طنجة، أما التقارير المرسلة لوزارة الدفاع، فكانت ترسل كذلك عن طريق نفس القنصلية، ولكن مختومة.

(151) A.M.G.V., C.2, Erckman, Rapport 28 /6/1878.

(152) A.M.G.V., C.2, Rapport de la mission 28/05/1878.

(153) A.M.G.V., C.19, L. De Segonzac, « La question marocaine", 1899.

السياسية. فالسّلطان يعتبر "بابا" أكثر منه إمبراطور والوزير بّا احماد وهو ابن يهودية، وعبد بخاري نموذج الرجل السياسي الشرقي: الذكاء والمرونة والخداع والحيلة والبخل والشراهة والقسوة وعدم الرحمة وهو مهاب ومكروه .لشغل الجيش، يقوم المخزن بإرسال وحدات "لأكل القبائل القوية كدكّالة والشّاوية والرحامنة..يقول قوّاد الجيش : "إننا نأكل حتى لا نوكل"...لقد ذهب مولاي الامراني بطابورين إلى تافيلالت.القائد الكلاوي والقائد الكندافي يترأسان الجيوش التي أرسلت لمحاربة مسفيوة,.الباشا حمو باشا تارودانت يترأس ألف رجل.القائد السيد سعيد الكلولي يترأس ثلاثة أو أربعة آلاف رجل ويقود عمليات تزروالت..إن سياسة بّا احماد هي تقسيم المملكة إلى قيادات كبيرة وهذا يتسبّب في تشتيت العسكر، لهذا فإنّ الحكم المركزي حاليا لايستطيع أي مقاومة إذ ليس لديه أي جيش".

وبحكم دورهم السياسي والأهداف المتوخاة منهم ومساهمتهم أحيانا في العمليات العسكرية ضد القبائل المتمرّدة فإن اختيار رؤساء هذه البعثات كان يخضع لبعض المقاييس الدقيقة، لا علاقة لها بالخبرة أو المهارة الفنية، بل كانت تشترط فيهم خصال أخرى منها "مثلا الذكاء السياسي وقدرة إمعان النظر في حقيقة الأمور واستنتاج ما يمكن الانتفاع به لخدمة " المصلحة العليا " وكسب صداقة ومودة الشخصيات المخزنية البارزة[154] وبعبارة أخرى أن تتوفّر في هؤلاء الضباط كل الشروط والمؤهلات لتنفيد مهمة التجسس على أحسن وجه.

## - نماذج الضباط الأوربيين في المغرب

ويجوز اعتبار إركمان[155] بمثابة نموذج للضباط الذين استجابوا لاستراتجية حكوماتهم وتفانوا في خدمتها.

---

(154) A.M.G.V., C.2, Instructions de Chanzy à Erckman, Alger 4 - 8, 1877.

(155) جون جاك جول إركمان Jean Jacques Jules Erckman ولد في سطراسبورغ Strasbourg في 14 نوفمبر 1850م من عائلة من 4 إخوة انتقل أبوه الذي كان تاجرا إلى باريس في 1851م، حيث صار يدير معملا لصنع الأسلاك الكهربائية. ولكن مضايقات نابليون الذي كان يتحكم في الإنتاج، والذي كان يعرف ميولاته الجمهورية، جعلته يتخلى عن هذا العمل. فتعاطى للكتابة. ترك قصصا سياسية ك (le père de vendée) التي نشرت في 1868. ولكنه كان أقل شهرة من أخيه Emile الذي ترك عدة قصص.

لقد قام الجنرال شنزي[156] Chanzy الذي تكلف بمهمة انتقاء البعثة الفرنسية الأولى في 1878م باختيار إركمان على أساس اطّلاعه على العادات والتقاليد العربية، ولكي يقوم بالمهمة التي أُوكلت له بادر إركمان بعد تعيينه، بطلب إذن رؤسائه لارتداء الزيّ المغربي وبرر ذلك بضرورة التقرب من السّلطان والقضاء على نفوره

---

درس أركمان في باريس، وانخرط في الجيش في سنة 1870. ودخل مدرسة بوليتكنيك Polytechnique في 1871، والمدرسة التطبيقية للمدفعية في 1873 وصار ملازما في الفليق 16 للمدفعية، ثم في الفليق 20 في 1876 في الجزائر. عين في البعثة العسكرية الفرنسية في المغرب من 1877 إلى 1883. صار رئيسا للبعثة في 1879. وحين رجوعه لفرنسا تكلف بعمل السلاح، فتكلف بالمدفعية في لافي la fée. أحيل على التقاعد في 1899 لمرضه، وتوفي في 24 سبتمر 1901 في سان موريس. ترك معلومات ضافية حول المغرب في كتابه *le Maroc moderne*، الذي نشر في 1885، والذي يوجد مخطوطه في وزارة الدفاع الفرنسية في قصر فانسين تحت رقم C.19.

في 1923 قام ابنه بول إميل Paul Emile الذي كان مهندسا كيميائيا بنشر كتاب كتبه إركمان في 1891 تحت عنوان : *Le récit d'une mission au Maroc.*

حول إركمان :

J. Caillé, « Quelques renseignements sur le capitaine Erckman », *H.T.* XI.

وكذلك مجلة : *La marche de France*, Janvier, 1923.

وكذلك :

M. Chappert, Jules Erckman et les débuts de la mission militaire Française au Maroc, 1877 - 1883, extrait de la Revue d'histoire diplomatique, Juillet et Décembre 1978 , n° 3 - 4.

(156) ولد Chanzy في 1823، قضى القسم الأكبر من حياته العسكرية في الجزائر بدأ في فرقة Zouaves في بليدا.

ساهم بقسط وافر في محاربة المجاهد عبد القادر بين 1844 و1847. في سنة 1852 سمي رئيسا لمكتب الشؤون العربية في تلمسان. وفي 1864، بعد مشاركته في الحرب، في إيطاليا، وسوريا، رجع للجزائر، حيث صار عقيدا في الفرقة 48 في منطقة وهران. وفي 1868، صار جنرال فرقة général de brigade في نفس المنطقة. وفي 1870، ،شارك في المعركة ضد ولاد سيدي الشيخ وتوغل في الأراضي المغربية ثم صار حاكما عاما للجزائر 1875.

من الفرنسيين. وفعلا كان لهذه المبادرة واختيار اللباس المخزني عوض البدلة الأروبية انعكاس إيجابي، إذ "تغير وجه الأمور" وتخطى إركمان العراقيل التي كادت تدفعه في الأول "للرجوع من حيث أتى في أقل من ثمانية أيام". وشرع في القيام بمهمته التي جاء من أجلها وهي "إيجاد أحد داخل القصر المغربي ليؤثر على فكر السّلطان"[157]. فقد نال ثقة السّلطان الذي أسند له سلاحه الرئيسي المدفعية التي اعتبر "فقيها" فيها[158] وصار يستشيره في أمور كثيرة خصوصا منها إبداء الرأي في جودة الأجهزة العسكرية التي كانت تعرض على المخزن ويفتخر إركمان في هذا الشأن بالأدوار التي قام بها لمزاحمة الأجانب الآخرين كإفشال محاولة الألمان لبيع المدافع وفضح نواياهم "السيئة "وإثارة الشك حول تصرفاتهم وحث السّلطان على أن يرفض حتى هداياهم[159].

ومن خلال تقارير إركمان وكتاباته حول المخزن وحالة المغرب في أواخر القرن التاسع عشر، وخصوصا ما جاء في كتابه "مغرب اليوم" يتضح أن وجوده في المغرب لم يكن الغرض منه تدريب العسكر المغربي. والظهير الذي أنعم به عليه السّلطان حينما انتهت مهمته في عام1883م، وكذلك احتجاج السلطان على نقله من المغرب وتعويضه برئيس بعثة آخر، دليل على نجاحه في اكتساب ثقة المخزن[160] وقد كان اختيار كل رؤساء البعثة الفرنسية الذين تتالوا على المغرب

---

(157) حول هذه المهمة :

Instructions de Chanzy à Erckman, *op. cit.*

وكذلك :

Erckman, « Récit d'une mission », Revue *la marche de France*, Janvier, 1923, p.359.

حيث يذكر إيركمان أن مهمته كانت هي التأثير على عقل مولاي الحسن.

(158) M. Chappert, *op. cit.*, p. 18.

(159) جعل السلطان يرفض العطور التي أهداها له بعض التجار الألمان، لأنه أوهمه بأن هذه العطور مسمومة.

(160) انتهت مهمة إيركمان في المغرب في 5 غشت 1883، على إثر استياء و.م.ف. أورديكا Ordega في طنجة، من ارتدائه للزي العربي، ومن قلة سلطته على أفراد البعثة. وقد أظهر السلطان استياءه من هذا القرار الذي اتخذ دون استشارته برفضه استقبال الضباط الجدد لمدة شهر.

من بين جيش إفريقيا في الجزائر، رمزا لما كانت ترمي إليه فرنسا من وراء هذه البعثات. وإذا كانت مهمة البعثات العسكرية واضحة فيما يخصّ وجودها داخل الجيش المخزني، فإنه لازال يخيم شيء من الغموض على بعض جوانبها فيما يتعلق بتأثير ضباطها على العناصر المغربية التي كانوا يقومون بتأطيرها وتدريبها. وتساؤلات كهذه تطرح نفسها بإلحاح إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ ثائرا مثل الجيلالي الزرهوني المدعو أبو حمارة[161] كان قبل اندلاع "الفتنة" من الطلبة

تقرير :

A.M.G., C.3, Rapport du personnel de la mission chargé d'acompagner Ordega, 1882.

وكذلك : J.L Miège, *Une mission à Marrakech*, Aix en Provence, 1968

وكذلك : M. Chappert, *op. cit.*, p. 34

وكذلك :

T. Berrada, « Quelques aspects du rôle des missions militaires européennes au Maroc au 19° siècle », in *H. T*, V.25, 1985, pp. 107-125.

(161) الجيلالي بن عبد السلام اليوسفي الزرهوني. ولد في جبل زرهون، بمدشر أولاد يوسف حوالى 1865. كان مخزنيا مع القائد عبد الكريم ولد أبامحمد الشركي. كلف بأعمال بسيطة داخل القصر السلطاني، وسجن سنتين على إثر خيانة. ثم عمل ككاتب لمولاي عمر، خليفة السلطان بفاس. وهناك تعرف على المنبهي، الذي كان مشاوريا. عند وفاة مولاي الحسن ومبايعة مولاي عبد العزيز، أمر مولاي عمر بزجر الناس عن إظهار الفرح، مما تسبب في سجنهما. حقد فيما بعد على المنبهي الذي لم يعتن به حينما صار صاحب الحل والعقد بعد وفاة موسى بن أحمد، وأقسم أن "يصير أميرا بما أن المنبهي صار وزيرا".

ابتدأ حياته السياسية بالاتصال بشيوخ زاوية بكيورة في مستغانم، وببعض الشيوخ في عمالة وهران، والصحراء الجزائرية، ومن هناك عاد للمغرب حيث انطلقت ثورته. التي دامت أكثر من 6 سنوات. انتحل اسم أخ مولاي عبد العزيز مولاي محمد، واستغل ضعف المخزن العزيزي بسبب السخط الذي عم جميع أنحاء البلاد، من جراء ارتفاع الضغط الأوربي، وارتفاع الضغوط الجبائية والعسكرية لبسط نفوذه على المنطقة الشمالية الشرقية. وحين احتلاله لوجدة، اتخذ مظاهر الملك، من طابع ومظل سلطاني، وكون مخزنا، وخطب باسمه في المساجد. بلغ نفوذه درجة أن الفرنسيين اقترحوا على مولاي عبد العزيز بواسطة وزير الخارجية عبد الكريم بن سليمان، اقتسام المملكة بينهما لم يبدأ نفوذه في التراجع إلا بعد

المهندسين الذين أسند تدريبهم للقبطان طوماس من البعثة العسكرية الفرنسية، ومما يثير الانتباه أيضا أنّ أحد مستشاري بوحمارة البارزين ورئيس أركان الحرب بعاصمة "الثائر" وهي قرية سلوان، هو دلبيل Delbel كان هو الآخر عضوا سابقا في البعثة الفرنسية، ورافق الحركة السّلطانية إلى تافلالت سنة 1894.

ورغم تحفظ بريطانيا العظمى وغموض سياستها العامة اتجاه المخزن، حيث كانت من جهة ترشده للقيام بإصلاحات[162]. ومن جهة أخرى، تتسابق مع الدول الأخرى لانتزاع الامتيازات القانونية والاقتصادية التي تعوض هذه الإصلاحات، فإن دور أحد ضباطها السابقين وهو ماكلين Harry Maclean[163]، الملقب بالقائد

---

مبايعة مولاي حفيظ، وانفضاض الناس من حوله بعدما ظهر تعامله مع الإسبان والفرنسيين. قبض عليه القائد نجم الدليمي في زاوية مولاي عمران، في قبيلة مسترة، ومثّل به في قفص، ثم قتل في 9 سبتمر 1909 بعد أن حاول القناصلة الأوربيون التدخل للعفو عنه.تذكّر تسمية بوحمارة بتسمية بوحمار التي كان يلقّب بها الحاج موسى من درقاوة في الجزائر سنة 1833.

حول بوحمارة : عبد الوهاب بن المنصور، **أعلام المغرب العربي**، ج. 1، ص. 303–397

وكذلك الحجوي، **انتحار المغرب على يد ثواره**، مخ. خ.ع.ر.، ج 124.

وكذلك : A.D.M.A.P., n°1J., 189

عبد الله العروي : *Les origines, op. cit.,* pp. 528 - 567.

(162) حول الإصلاحات التي كانت إنجلترا تطالب المخزن القيام بها :

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, op. cit.,* T.III, pp. 192 - 197.

وكذلك : رسائل هاي من سنة 1846 إلى 1886 في FO. 174/133 - 174/149

خالد بن الصغير، **المغرب في الأرشيف البريطاني**، الشركة المغربية للنشر، ولادة، 1992.

(163) ولد هاري أوبري دوفيرماكلين Harry Aubey De vere Maclean في 15 يونيو سنة 1848 بإنجلترا وعمل في حامية إنجليزية بالكاندا، وجزر البرمود، وفي حامية جبل طارق. واستقال من الجيش الإنجليزي على إثر فضيحة بسبب علاقته بامرأة إسبانية. دخل المغرب في مارس 1877، وعمل مع المخزن بعقدة بصفة شخصية. وكان مسكنه في فاس في حديقة بين باب الحمراء وواد الزّيتون وإليه تنسب "عرصة الكروني "بقي يعيش في طنجة بعد عزل مولاي عبد العزيز توفي سنة 1920.

حول ماكلين : J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, op. cit.,* T.III, pp. 231-232

ماكلين، لايقل أهمية وخطورة عن دور إركمان، بل تعداه في القرن العشرين لأنه اكتسح المجال العسكري والسياسي والمالي وصار يلعب دورا أساسيا في الحياة السياسية المغربية بسبب المكانة التي احتلها داخل البلاط السّلطاني مساهما بذلك إلى حد بعيد في تشويه سمعة المخزن المركزي وتفاقم لاشعبية مولاي عبد العزيز.

وصعود نجم ماكلين هذا في سماء "الإمبراطورية السعيدة" كان مصدره ما تقدم به جون درمند هاي J. Drumond Hay[164] من "نصائح للسلطان"، في إطار المنافسات والتطاحنات الأوربية، لإفشال المخططات الفرنسية وعرقلة مهمّة بعثتها

---

وكذلك: A.M.G.V ,C 19, l'historique de la mission Anglaise .:

وكذلك: J. Erchman, *Une mission au Maroc, op. cit.*, p. 295

وكذلك : A.M.G., C.2, Rapport de la mission, *op. cit*

وكذلك : Dr F.Weisgerber, *op.* cit., p. 80

(164) ولد ج.د. هاي J.D. Hay في مدينة فالنسيين Valencienne في فرنسا سنة 1816 .صار والده قنصلاعاما في المغرب سنة 1840. عين ملحقا في السفارة الإنجليزية بقسطنطينة، ثم في الإسكندرية ثم عاد للقسطنطنية في نفس السنة. وفي 29 يوليوز 1844 أرسل للمغرب للمشاركة بجانب والده في المفاوضات التي تلت الاشتباكات بين الجيش المغربي والجيش الفرنسي على الحدود المغربية الجزائرية في مايو 1844، والتي على إثرها قامت معركة إسلي. وفي 25 مارس سنة 1845، عين قنصلا عاما لإنجلترا في طنجة بعد وفاة والده. وقد ساهم هاي منذ هذا التاريخ إلى 1886، وهي السنة التي انتهت فيها مهمته، وعوض بـ و.ك. كرين W.KGreen، في كل الأحداث المهمة فيهذه الفترة. فقد نجح في فرض المعاهدة التجارية لسنة 1856، التي فتحت الباب للمواد الأوربية، والحمايات، وجعلت حدا لتحكم المخزن في المبادلات التجارية. وشارك في المفاوضات المغربية الإسبانية قبل حرب تطوان، وأثناءها وبعدها، حيث قدمت إنجلترا للمغرب قرضا لتأدية قسم من الغرامة الحربية التي فرضتها إسبانيا لخروج جنودها من مدينة تطوان. وصارت إنجلترا بسبب هذ القرض، تتحكم في مداخل الديوانة التي رهنت مقابل الدين. كما لعب دورا كبيرا فى معاهدة مدريد، وفي سياسة "الإصلاحات" التي حاول المغرب القيام بها. وبقيت الحكومة الإنجليزية تستشيره في الشؤون المغربية، حتى بعد انتهاء مهمته في المغرب، وظل يلعب دورا بعد رجوعه للسكنى في طنجة بسبب علاقاته المغربية. وقد ترك معلومات ثمينة عن المغرب في مذكراته حول المغرب.

العسكرية، فبعدما أقنع المولى الحسن بضرورة اتخاذ إجراءات في هذا الشأن لسدّ الطريق أمام الفرنسيين، تخلى ماكلين، موقتا، عن نشاطه التجاري الذي زاوله بعد استقالته ومغادرته للحامية التي كان ينتمي إليها بجبل طارق، حيث كان يدرب الطابور 69 والتحق بالمخزن. وقد أسند له في بداية الأمر تدريب طابور الحرابة بطنجة، ولكنه مالبث أن دخل القصر لتدريب طابور من العبيد الحرابة الذي أصبح يشكل نخبة من العسكر الخاص بالسّلطان، وصار يلبس اللباس المغربي هو وزوجته وبناته وإخوته وأصبح عينا لانجلترا على ما يروج داخل المخزن ويوجّه سياسته في الطريقة التي تخدم المصالح الإنجليزية حتى إن هاي كان يقول إنه هو السفير الإنجليزي في المغرب. وفعلا فإن صفته "الغير الرسمية" جعلت مولاي الحسن وبعده الوزير الصّدر احماد بن موسى ثمّ مولاي عبد العزيز يولونه ثقة أكبر من الثقة التي كانوا يولونها للبعثات الأخرى،فقد كان باحماد يستشيره فى جميع اللأمور، وبحكم تبني إنجلترا للإصلاحات فقد أوكلت إليه تقريبا جميع الشؤون المتعلقة بالأسلحة، وشراء المكينات"[165] وفي عهد مولاي عبد العزيز اتسع نفوذه وأعطى له لقب جنرالسيم، وصار في عهد وزارة المنبّهي للحربية يعتبر تقريبا رئيسا عاما لأركان الحرب، وكان يختار معاونيه من الإنجليز، كأخويه والماجور أوجيلبيOgylby، وكانت الطوابير التي تقوم البعثة بتدريبها من الطوابير ذات الامتياز، فأجورها كانت تؤدى بانتظام[166] ولباسها الأحمر المطرز بالأبيض وهيئتها الإنجليزية كانت مخالفة تماما للباس وهيئة الطوابير الأخرى التي كانت ثيابها المؤلفة من سراويل زرقاء وبدلة حمراء أو زرقاء في أغلب الأحيان رثّة وممزّقة، وتمشي في غالب الأحيان بأقدام حافية أو بلغ[167] وبدأ المخزن يوكل له حتى المهمّات السياسية

---

حول هاي انظر :

J.L Miège, *Le Maroc et l'Europe, op. cit.*, T.IV, pp. 150.
A.M.G.V., C.6, Rapport de Juillet 1892.

وكذلك خالد بن الصغير، **س.ذ.**، ص. 52 - 54.

(165) خ.ح.، كناش 124، ج.، 1302.

(166) و.و.خ.، لندن، المجموعة 99، المجلد 433.

(167) تنص تقارير مختلفة، في أواخر القرن، علىهذه الحالة. وفسر هذا بأن المخزن لم يعد يجدد كسوة العسكر حتى لايبيعونها. A. Bernard, *op. cit.*, p. 225



القائد الأنجليزي ماكلين

والدبلوماسية، فمثلا في سنة 1902م، على إثر تزايد النشاط الاستعماري الفرنسي في المغرب وطرح مشكل الترتيب، أرسل ماكلين إلى انجلترا في مهمة حيث استقبله الملك إدوارد السابع و"نبّله"حيث صارت له مرتبة بارون baronnet ويحمل لقب "سور sir" وقد كان هذا ولا شكّ جزاء الخدمات التى قدّمها لبلاده فى المغرب وليس العكس[168].

وبالإضافة للضباط المشرفين على تدريب الجيش اعتمد التسرب الاستعماري أيضا على الأطباء الملحقين بالبعثات العسكرية، ويمكن اعتبار نجاح الدكتور الفرنسي ليناريس[169] Linares بمثابة نموذج في هذا المضمار.فقداختارته فرنسا "لأن له عينان تبصران جيّدا وقلما يسجل ويعلم وكلمة لبقة توجّه لما فيه المصالح التي

(168) في المحاكمة التي جرت في جبل طارق سنة 1899 والتي مثل فيها الماجور سالزبوري أمام العدالة الإنجليزية فى قضيّة السّفينة تورمالين سأل القاضي الماجور هل كان اتّصاله بماكلين بصفته القائد الأعلى للجيش المخزني، فكان جوابه أنّ اتصاله به كان بصفته إنجليزي يعمل لحساب وزارة الشّؤون الخارجية الإنجليزية داخل المخزن وأنّه كان يتقاضى مرتّبا مقابل هذه المهمّة". انظر :

B.C. A.F., Juin 1899, p. 192

(169) ولد الدكتور ف.ليناريس F.Linares في مدينة ليموي Limeuil بمنطقة الدوردوني Dordogne سنة 1858 وصار طبيبا معينا سنة 1873 وعين في مستشفيات وهران في 1875 وفي سنة 1877 عين في البعثة العسكرية الفرنسية عوض الدكتور واريون Warion الذي انسحب من البعثة في آخر لحظة. وفي سنة 1888 على إثر قرار من وزارة الخارجية والحرب وللقضاء على شكوك المخزن، صار مرتبطا مع المخزن بعقدة ومستشارا للسلطان وفي نفس الوقت جاسوسا للحكومة الفرنسية.

حين وفاة مولاي الحسن كان ليناريس غائبا عن المغرب فاستدعي على عجل من طرف وزارة خارجيته وأرسل لفاس حاملا رسالة من رئيس الحكومة كازيمير بريي Casimir Perier فكان بذلك أول أجنبي استقبل من طرف السلطان مولاي عبد العزيز، غادر المغرب سنة 1901 على إثر مرض في عينيه.

حول لينارس : J.L. Miège, *Une mission à Marrakech,* Aix en Provence, 1968

وكذلك : Ch. Daubige, « Le docteur Linares », *Le Figaro* 17/10/1894.



**الدكتور ليناريس : طبيب البعثة العسكرية الفرنسية**
**(1878م - 1901م)**

# LE DOCTEUR LINARÈS

On connaît la situation prépondérante conquise à la cour du Maroc par le docteur Linarès, qui fut l'ami et le médecin de Mouley-Hassan, le père de l'Empereur actuel. Personnalité très en faveur à la cour chérifienne, ayant remplacé, dans la confiance du souverain défunt, les empiriques qui l'exploitaient, le *tebib* français avait ses grandes et ses petites entrées au Marghzen. Notre compatriote paraît devoir bénéficier, auprès de Mouley-Abdel-Aziz, de l'estime que lui portait son père. Absent du Maroc au moment de la mort de Mouley-Hassan, le docteur Linarès vient de rentrer à Fez. C'est lui qui, solennellement reçu .. Marghzen, a remis au fils et successeur de Mouley-Hassan une lettre de M. Casimir-Perier, notifiant à l'Empereur du Maroc son élection à la présidence de la République.

Le docteur Fernand Linares est un homme de quarante-cinq ans environ, brun, de taille moyenne, portant toute la barbe. Ses allures sont pleines de franchise et d'affabilité. Doux de caractère et très gai, il inspire immédiatement la plus vive sympathie.

Le médecin de la mission militaire française au Maroc est né à Limeuil, joli bourg du Périgord, au confluent de la Vézère et de la Dordogne. C'est le quatrième enfant d'une vieille et honorable famille très aimée dans le pays. Son père, qui a exercé longtemps la médecine, est un républicain de vieille souche. Il a aujourd'hui quatre-vingts ans. Son frère Édouard, également docteur en médecine, est maire de Limeuil et conseiller d'arrondissement.

Ancien élève du lycée de Périgueux, le docteur Linarès a fait ses études médicales à Paris. Il est officier de la Légion d'honneur.

Plein de science, de patriotisme et de dévouement, notre compatriote a servi avec ardeur les intérêts français au Maroc, en usant, à leur profit, de la grande influence dont il jouissait auprès du sultan Mouley-Hassan. Quand on pense aux intrigues qui se nouent perpétuellement contre nous, il est permis d'envisager comme un indice heureux le fait signalé par le correspondant du *Figaro* à Fez, à savoir que le premier Européen reçu par le jeune Empereur, depuis son avènement au trône, a été un Français et que ce Français se nomme le docteur Linarès.

Charles Daubige.

مقال حول الدكتور ليناريس في صحيفة
الفيكَارو الفرنسية 17 أكتوبر 1894

نرمي إليها"(170) وقد أحرز ليناريس على ثقة السّلطان والشخصيات المخزنية وأعيان العواصم التقليدية. وبحكم متطلبات مهنته وخصائص الفحص والعلاج فقد استطاع أن يتوغل داخل الأسر ويدعم نفوذه. وفي رسالة له وجهها لوزارة الحربية بباريس نجده يقول : "إنّني أبذل كل ما بجهدي لكسب صداقة المغاربة واعترافهم بالجميل" ومن الأمثلة التي ذكرها في هذا الشأن " فقد كسبت مودة باشا الرّباط، السيد محمّد السويسي لأنني عالجت والده من التفويد حمى الأمعاء"(171) ولكي يقضي على كلّ الشكوك والحساسيات التي كانت تثيرها صفته العسكرية أقيل من وزارة الدفاع الفرنسية ووضع في "مهمة" لدى الوزير المفوض الفرنسي بطنجة، وقد بقي باستمرار داخل المخزن من سنة 1878م إلى سنة 1901م حيث أصابه مرض في عينيه واضطر للتخلي عن العمل، ولكن الحكومة الفرنسية بقيت تستشيره في الشؤون المغربية (172) وقد تكلمت عليه كثير من الكتب والمجلات بصفته "الفاتح الأول للمغرب"(173)، فشخصيات كهذه دخلت المغرب في إطار "الإصلاح العسكري" استطاعت التوغل داخل كل الأجهزة المخزنية وتمكّنت من أن تزوّد حكوماتها بمعلومات ثمينة حول المغرب.ومن الأمثلة علىذلك أنه على إثر وفاة مولاي الحسن أثناء رجوعه من حركة تادلة، علمت انجلترا وفرنسا بخبر وفاته قبل "الرعايا المغاربة" بفضل ماكلين وليناريس(174) ونعلم أن ليناريس بصفته طبيبا

---

(170) St. René Taillandier, *op cit.*, p.19.

(171) A.M.G.V., C.3.

(172) A.E.P., C.P.M. 40, n° 709.

(173) J.L..Miège, *le Maroc et l'Europe, op. cit.*, T.4, p. 241.

(174) Dr F.Weisgerber, *op. cit.*, p. 81.

مباشرة بعد وفاة السلطان أرسل ماكلين الذي صاحب السلطان في حركته، رقاصا يحمل رسالة لأخيه الذي كان قنصلا لإنجلترا في الدار البيضاء، والذي أرسل بدوره رقاصا قطع المسافة في 6 ساعات، وحملت الرسالة على ظهر سفينة كانت متوجهة لطنجة. ومن هناك قامت السفارة الإنجليزية بإرسال الخبر لوزارة الدفاع الإنجليزية بالتلغراف عن طريق جبل طارق.

بداخل القصر كان يرافق السّلطان في كلّ مكان، كما كان ماكلين وإيركمان يستشاران في المسائل الرئيسية ويصحبان المحلّة في تنقلاتها بصفتهما مدرّبين لفرقة الحرّابة بالنسبة لماكلين والمدفعية بالنسبة لإيركمان. ومن جهة أخرى ساهمت هذه البعثات بسبب تنافسها، ومكائد بعضها للبعض الآخر، في تدويل " المسألة المغربية واحتداد الأطماع الأجنبية حول البلاد"(175).

فالصراع والتسابق لاحتلال مواقع النفوذ وتوسيعها كانا مستمرين بين المدرّبين العسكريين الفرنسيين والإسبان والإيطاليين والإنجليز والألمان ضمن تحالفات وتطاحنات تعكس التحالفات والتطاحنات القائمة بين دولهم. وكل تساهل أو امتياز منح لفائدة "بعثة" مّا كان يذكي التنافس ويفتح باب المناورات والضغوط لكي يطبق على البعثات الأخرى ويصبح "حقا" ذا صبغة دولية. وهكذا كان دخول بعض أعضاء البعثة الفرنسية والإنجليزية للمحلة السّلطانية حافزا لإسبانيا وألمانيا فيما بعد للوصول لنفس الشيء ،كما نجد الدكتور الإسباني بيلاي كافاليس الذي كلفه مولاي الحسن بتكوين ممرضين عسكريين بطنجة يدخل المحلّة كطبيب للعسكر تنافسا مع ليناريس. ونجد الألمانيين يدخلونها كخبراء في المدافع تنافسا مع إركمان. وانتهى الأمر بدخول كل البعثات داخل الحركات السّلطانية بصفتهم مراقبين ثم إن دخول أفراد البعثة الإيطالية لفاس لبناء الماكينة وماكلين لمرّاكش لتدريب المدفعية والحرابة، فتح العواصم السّلطانية لباقي البعثات العسكرية الأخرى وللتجار الأجانب والقناصلة والبعثات الدينية التبشيرية الإنجليزية والإسبانية والأمريكية.

ولما شعر مولاي الحسن بعدم جدوى هذه البعثات من الناحية التقنية وبخطرها من الناحية السياسية وضع كثيرا من العراقيل في أوّل الأمر أمامها

---

في حين لم تعرف المدن المغربية كفاس ومرّاكش بوفاة السّلطان إلا بعد إرسال الحاجب رسالة تعلن النّبأ بعد أربعة أيامّ، وبقيت كثير من القبائل تجهل الخبر بعد مرور أكثر من شهر، و لم تعرف ذلك إلا بواسطة بعض القبائل الرّحل القادمة من تافيلالت.

انظر : رسالة ح.ع.ف.ج. إلى و.خ. ورئيس الحكومة الفرنسية بتاريخ 30 مايو 1894.

A E.P., C. P. M ,Vol. 14.

(175) حول هذه التنافسات : A.M.G., C.3, Rapport du 28/4/181

"كنسيان" قسم من البعثة الفرنسية في وجدة والرّباط دون أن يكلّفها بأي مهمة وترك البعثة الإسبانية في طنجة دون مهمّة ومطالبة الضباط المساهمين في المحلة بلباس الطربوش عوض القبعة الأروبية[176] وبعد مقتل الضابط سميت Smith سنة 886، بدأ السّلطان يطالب الّدول الأروبية باسترجاع بعثاتها وجدّد طلبه في 1889 بمناسبة إرسال بعثة مغربية للمعرض الدولي بباريس[177]، وبقي إلى وفاته يطالب بذلك فرنسا والبلدان الأخرى، وقبل شهر فقط من وفاته كتب إلى السّفير الإنجليزى بالمغرب بواسطة النّائب السّلطاني في طنجة يعلمه بعزمه على الاستغناء على البعثات ومّما جاء فيه :

"إنّ المخزن حسب مدخولات بيت المال مـن المراسى وغيرها فألفاها لا تقوم بالمال الواقع به الفصال فى نازلة مليلية وبمصاريفه وشؤونه وما هو متبوع بـه كمال الطرفايا ونحوه ،واقتضى الحال لأجل ذلك أن يخفّف من الصّائر ولا يترك إلا ما لابدّمنه إعانة على أداء المال المذكور ، ومن جملتها ما يصيّرعلى الحرّابة الذين هنا فى رواتبهم لكون العسكر الذين وردوا بقصد تعليمه حصل له التعلّم ،وأمرنى مولانا نصره اللّه بـإعلامك بذلك لنعلم به دولتك الفخيمة وتطلب على لسان حضرتـه الشّريفة أن تـأذن لحرابتها فى السّفر لبلادهم فى الوقت الذى يعيّنه لهم أعزّه اللّه ولغيرهم مـن حرّابة الفرنصيص والصبنيول الذين هنا ،فقد كتبنا لنائبهم بمثل هذا عن أمره الشّريف أعزّه اللّـه وختم في 15 شوال عام 1311".

---

(176) *Situation actuelle de la mission française au Maroc, op.cit.*

حول العراقيل التي وضعها مولاي الحسن أمام البعثة والصراع الخفي بينهما :

ثريا برادة، **الجيش المغربي والتخطيط الاستعمارى في القرن التاسع عشر**، الجامعة الصيفية، المحمدية، 1987، ص. 329.

A.M.G.V., C.2, Rapport du commandant Gauchemez , 20/08/1893 ».

(177) أمر مولاي الحسن عبد الكريم بريشة الذي ترأس الوفد المغربي للمعرض الدولي بباريس سنة 1889 أن يطلب من الحكومة الفرنسية سحب بعثتها العسكرية .ولكن باطنوطر Patenôtre و.م.ف. في طنجة، كتب مباشرة للسلطان، ليفهمه أن طلبه سيحدث وقعا سيئا لدى الحكومة الفرنسية خصوصا وأن "الوفد المغربي استقبل بجفاوة بالغة".

A.E.P, C.D.M. 59, 24/06/1889.

ولكنّ كل دولة كانت تشترط قبول سحب بعثتها بخروج البعثات الأخرى وهذا يعني أن المخزن بقي يؤدّي لضباط البعثات المفروضة عليه أجورهم من بيت المال[178] لتوطيد ورعاية مصالح دولتهم، وأن هذه البعثات وضعت المخزن تحت الحجر الدّولي قبل مؤتمر الخزيرات.

**ـ السيطرة على المؤسّسات ونسفها**

إنّ حركة التوغل السياسي التي بقيت محدودة وخفيّة في عهد مولاي الحسن وأثناء حجابة أحمد بن موسى مالبثت أن تسارعت وظهرت واضحة.في أوائل القرن العشرين، حيث صار نفوذ كل بعثة موازيا لنفوذ دولتها داخل المغرب حسب تأرجح المعطيات الدبلوماسية. الدولية. فمنذ وفاة السلطان مولاي الحسن في عام 1894م احتدّ الصراع بين مختلف البعثات العسكرية وخصوصا بين البعثة الفرنسية والإنجليزية.

وإذا ما كانت الظروف الدولية قد ساعدت الحاجب باأحماد على الاستمرار في شبه تحكّم في هذا الصراع حيث أمكنه أن يستعمله ـ كما كان يفعل مولاي الحسن ـ لإضعاف نفوذ كل منها، فإنّ تغيّر الظروف الخارجية والداخلية

---

(178) الرسالة جاء بها بن زيدان، **العزّ والصولة، س ذ.**، ج. 2، ص. 209.

وقد بقي المخزن يؤدّي أجور البعثات حتّى حينما تفاحشت الأزمة المالية. ففي 11 مايو 1907 كان المخزن مدينا للبعثة الفرنسية بأربع وستّين ألف ومائة وستّة وستّين وثلاث وستّين فرنكا فرنسيا (64166.63.ف.) وهو ما يساوى أجور إحدى عشر شهرا وقامت الوكالة الوطنية للقرض بتسبيق المبلغ للمفوّضية الفرنسية في طنجة بفائدة تبلغ ستة ونصف فى المائة وطالبت المفوّضية المخزن بأداء السّلف والفائدة، وفي يوليوز من نفس السّنة طلبت المفوّضية سلفا من بنك الدّولة ليسدّد المخزن ديون البعثة.. في حين أن الحكومة الإسبانية للبقاء على وجودها داخل الجهاز العسكري المغربي صارت تؤدّى رواتب بعثتها .

رسالة من و.م.ف.ط. إلى و.ح.ف. مايو1907

A.E.P., M.S.M. 466.

رسالة من و.ح.ف. إلى و.خ. ورئيس الحكومة 30 مايو 1894، **ن.م.س.**

منذ سنة 1900 فتح المجال لهذه البعثات لتلعب دورا نشطا وناسفا داخل القصر وخارجه، حيث اتسعت اختصاصاتها ودائرة نشاطها.

ويمكن تمييزمرحلتين بين عام 1900م وعام 1907م :

- فالمرحلة الأولى تمتدّ بين عام 1900م وعام 1904م، كانت مرحلة نفوذ البعثة الإنجليزية، وهذا راجع لعدة أسباب، منها سخط مولاي عبد العزيز على الفرنسيين وحذره منهم، خصوصا وأن عهده دشّن باحتلالهم لتوات(179)، وكذلك لمرض الدكتور ليناريس ثم انسحابه، مما ترك المجال فارغا لماكلين الذي كان قد اكتسب بمكوثة دون انقطاع داخل المخزن منذ عام 1877 خبرة بالوسط المخزني ونفوذا داخل القصر، وكذلك لانبهار مولاي عبد العزيز بالاختراعات التقنية الأوربية والكماليات التي كان ماكلين يجلبها(180)، وتأثير المنبهي الذي كان من مناصري "الإصلاح" بإعانة إنجلترا.

---

(179) منذ انهزام فرنسا في فاشودا وتوّقف زحفها نحو النّيل الأعلى ركّزت كلّ ضغطها على الصّحراء المغربية وكانت مهاجمة القبائل المغربية لبعثة جيولوجية يرأسها فلامان Flamand فرصة لتوغّل جيوشها داخل الأراضي المغربية فاحتلّت ابن صلاح عاصمة تدكّلت. وقد عمّ السخط جميع أنحاء البلاد وكتب علماء فاس وأعيانها للوزير باحماد يسألونه كيف أمكن للفرنسيين احتلال توات وفيها عامل للسّلطان رغم المعاهدات التى بين الدّولتين. وراجت انتقادات لاذعة للسّياسة الخارجية للمخزن منذ عهد مولاى عبد الرحمان حيث أهملت معاهدة لالّامغنية إحاطة توات باحتياطات كالتى تنصّ على مغربية فجيج وراجت إشاعات وتساؤلات حول وفاة الفقيه العربى المنيعى الذى أرسله المخزن إلى طنجة لتفسير وجهة نظر المخزن ولكنه وجد ميتا في حمام الفندق الذى كان ينزل فيه.وفى سنة 1901 كانت كلّ توات قد سقطت فى يدي الفرنسيين ولاتّقاء غضب المغاربة كان المخزن يشيع بأن الوزير احماد هو الذي باع توات قبل وفاته.

حول الموضوع :

G. Salmon, « Une opinion marocaine sur la conquête Touat », in *A.M.M*, T. I, 1904, pp. 416 - 423.

(180) حول مختلف هذه الآلات التى قام مولاي حفيظ بإحراقها بمجرّد دخوله لفاس في ساحة المشور بعد توليه العرش.

وقد عزّز ماكلين هذا النفوذ بالرفع من عدد الإنجليز داخل القصر بإحضار الماجور أوجيلفي Ogilvy ، والدكتور فردون Verdon والدكتور لانط Lenght زيادة على أخيه وبنته وزوجته، واحتكر الإنجليز كل الصفقات التي يعقدها المخزن من أسلحة وآلات من جميع الأشكال وصاروا يلعبون دور الوسطاء بين المخزن وكل أنواع الأوربيين الذين تهافتوا على المغرب في هذه الفترة العكرة، من رجال أعمال ومغامرين وفنّانين(181) كما أحضر الصّحافي هاريسHarris الذي كان يتكلّم العربية بطلاقة وأقنع السّلطان بمزايا تغيير النظام الجبائي الشّرعي وتعويضه بالترتيب وشارك في تحريره مع الإنجليزى سبيني Speenny والألماني Mohr.

وقد وصل نفوذ الضباط الإنجليز في بعض الأحيان إلى عدم احترام القرارات المخزنية. فقد رفض الماجور أوجيلفي Ogilvy مثلا في عام 1903 مغادرة فاس رغم

---

D. Trenga et A. de la Motte ,*Un correspondant de guerre*, Alger, 1936, p.16.

وقد انتشرت عيطات كانت تغنيها الشيخات "الكارطة تلهيكم، والمواكن تسلّيكم، حتى يدخلوا عليكم". رواية شفوية.

(181) من بين من كان يحضر جلسات مولاي عبد العزيز مع ماكلين، وفرلون، والمنبهي يهوديان مشعوذان، وكورطو Courteau، وهو مغامر من أصل سويدي ولد في مصر، وكان ضابطا في الجيش، ومهندسا في السكة الحديدية في السودان، وطرد من مصر بسبب سرقات متعددة.

ومن بين الفنانين : رسام أمريكي اعتبرته البعثة الفرنسية "أكثر نفوذا منها". كما تهافت على دار المخزن عدّة رجال أعمال من بينهم المهندس الفرنسي فير C. Veyre الذي كان يبيع كاميرات كوداك. وكانت الإشاعات حول ما يروج بالقصر، تثير سخط السكان الذين كانوا يقولون "إن السلطان يلهو بينما الفرنسيون يحتلون المغرب" كما كانت إشاعات أخرى حول أسر السلطان من طرف ماكلين.

وصار بعض النّاس في فاس يسمّون دار المخزن "بقصر المزاح".

A.E.P., C.D.M. 20, « Rapports de Buckhart Michaux-Bellaire », *R.M.M.*, T.V, p. 647

وكذلك :

Michaux-Bellaire, « La déchéance de Moulay Abdelaziz, et la reconnaissance de Moulay Hafid », *R.M.M.*,T.V, p. 424.

Sonia E Howe, *Lyautey du Tonkin au Maroc*, Société française d'édition, Paris, 1938, p. 66.

أوامر السّلطان للمدرّبين الأوربيين على إثر قيامه للحركة ضد بوحمارة وتخوفه من تعرّض الاوربيين لانتقام السّكان.

ويمكن القول إن البعثة العسكرية الانجليزية استطاعت أن تحقّق في وقت وجيز بالنفوذ الذي وصلت إليه في أوائل عهد مولاي عبد العزيز، ما لم يستطع هاى تحقيقه بسياسته الذؤوبة طوال عهد مولاي عبد الرحمن وسيدي محمّدومولاي الحسن، وما لم يستطع إفان سميث Sir Evan Smit الذي خلفه أن يحقّقه بسياسته العنيفة[182] إذ أن المخزن تبنّى كل الاقتراحات الانجليزية حول "الإصلاح" وهذا في الوقت الذي قلّ فيه اهتمام انجلترا بالمغرب، وهو ما تأكد نهائيا في عام1904 بتوقيع انجلترا على معاهدة الاتفاق الودي[183].

- المرحلة الثانية : وهي مرحلة صار فيها نفوذ البعثة الفرنسية يتأكد يوما بعد يوم، كعلامة على بداية انتهاء "الوضع القائم" المغربي وخلو المجال للسيطرة الفرنسية.

---

(182) سمي سميت في طنجة سنة 1891، وكانت تعاليم ساليزبوزي وزير خارجية بريطانيا العظمى له هي "فرض الإصلاحات" .وفى سفره في مهمة إلى فاس سنة 1892، قام مدة شهرين بوسائل ضغط عنيفة على مولاي الحسن لقبول خط تلغراف بين الصويرة وطنجة وسكة حديدية بين طنجة، وفاس، وبنك مخزني برأس مال إنجليزي. ولما جاءه جواب المخزن، قام بتمزيق الجواب علنيا.

حول هذه الوسائل :

J.L Miège, *op. cit.*, T.II, pp. 263-277.

P. Renouvin, *Histoire des relations intenationales*,T.VI, p.159.

(183) اعتبر بلفور وزير الخارجية الإنجليزى هذه المعاهدة "تبادلا لا يعطى فيه الذي يعطى إلا القليل في حين أنّ الذي يأخذ يتلقّى شيئا يكتسي بالنسبة له أهمّية قصوى" كما أنه اعتبر "أنّ ما يتخلّى عنه كلّ من الطرفين هو مضايقة الآخر" وأنّ هذه المعاهدة "ليست نهاية فترة سيّئة بل بداية سياسة جديدة".

حول الاتفاق الودي الذي وقعت فيه المقايضة بين فرنسا وإنجلترا حول المغرب ومصر :

S. Pacteau et F. Mougel, *Histoire des relations internationales*, 1815-1991, Presses universitaires de France, 1988, p. 50.

H. Moulin, « La question Marocaine d'après le livre jaune », Paris 1906, pp 56-59, *B.A.F.*, 6 novembre 1904.

The times 19 Aril 1904.

وهذا النفوذ سار بصفة موازية مع تأزّم الحالة الداخلية حيث اعطتهـا الاضطرابات التي اندلعت منذ عام 1902 الفرصة لتوسيع اختصاصاتهـا شيئا فشيئا والرفـع مـن عدد أفرادها وتوسيع الرقعة الجغرافية لنشاطها.

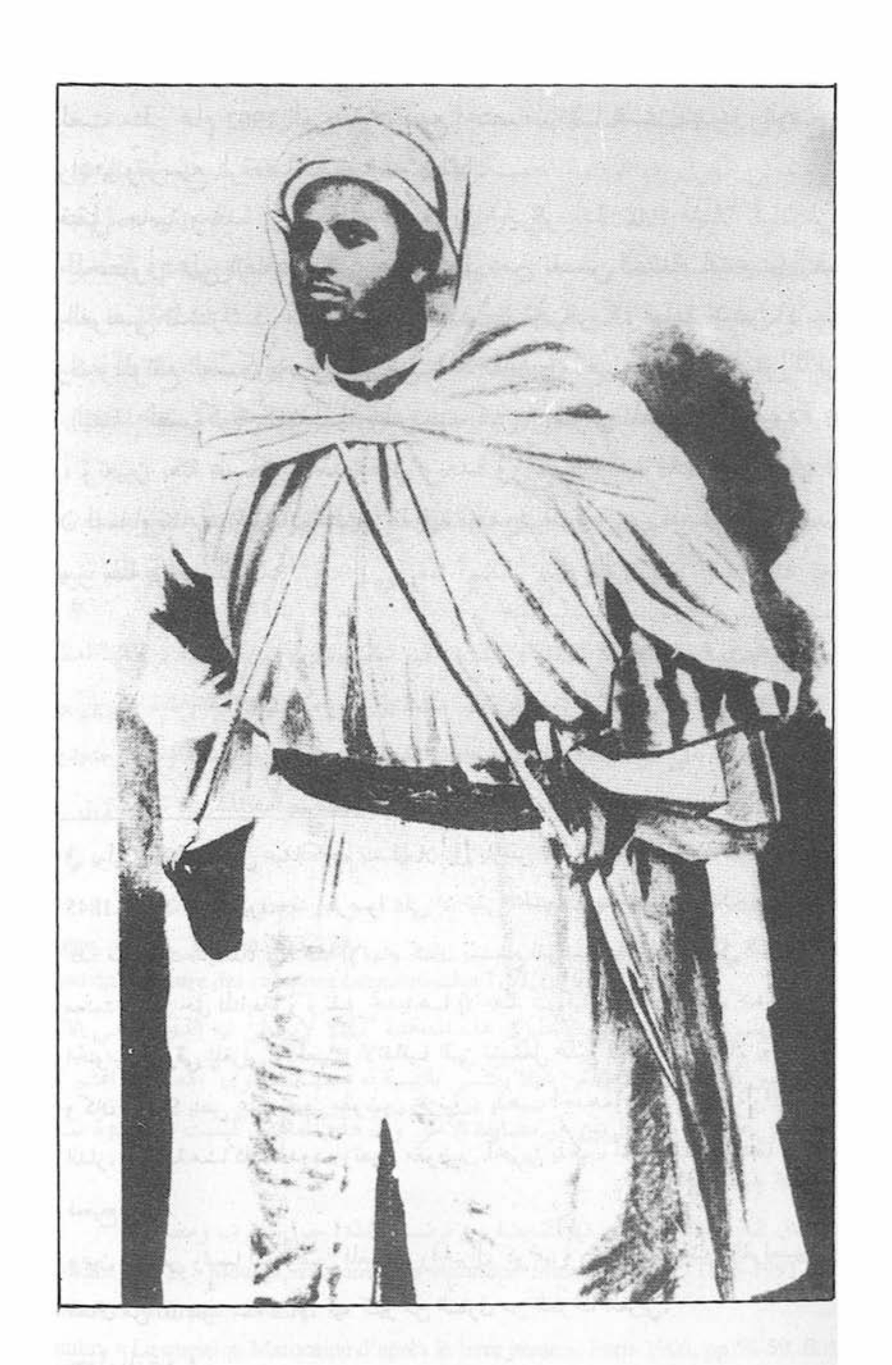
فنقل حامية وجدة إلى فكيك عن طريق الجزائر سنة 1902 مثـلا كـان فرصـة لفرنسا للحصول على اتفاقيتين في ماي وأبريل من نفـس السـنة لتدعيـم التعـاون المغربي الفرنسي المشترك في منطقة الحدود المغربية الجزائريـة، فيمـا يخص الأسـواق والجمارك والمواقع العسكرية، والرفع من عدد المدربين الفرنسيين في الجيش المغربـي وانفراد البعثة العسـكرية الفرنسـية بتدريـب كـل الجيـوش المغربيـة الموجـودة علـى الحدود، وتعيين بعثة عسكرية جديدة في وجدة ووقّع الاتّفاقية الجبّاص الـذي عيّنـه السّلطان للمفاوضات في شأن تطبيق اتفاقية الحدود الموقّعة بين المغـرب وفرنسـا في 20 يوليوز سنة 1901[184].

(184) في يوليوز 1901 أرسل عبدالكريم بنسليمان إلى باريس لتطبيق اتفاقيـة لالامغنيـة المنعقـدة سـنة 1845. وكان الفرنسيون قد حرصوا على أن تبقى الحدود مبهمة، رغم مطالبة مولاي الحسن عدة مرات بتحديدها، لأن هذا الإبهام كـان يسـمح لفرنسـا بـالتوغل داخـل الـتراب المغربـي معتمدة على حق المتابعة، و لم تقبل تحديدهـا إلا بعـد أن كـانت قـد احتلـت عـدة مواقـع فـي الجنوب الشرقي المغربي.ووقعـت الاتفاقيـة الـتي تشـتمل علـى 9 فصـول في 20 يوليـوز 1901. وكان البند 9 ينص على تعيين مفوضين مخزنيين، يذهب أحدهما إلى لالامغنيـة والآخـر لجنـان الدار، لدراسة مشاكل الحدود، وتعيين مفوضين آخرين يذهب أحدهمـا لوجـدة، والآخـر إلى فجيج.

وعين الجباص رئيسا للمفوضين المغاربة، والجنرال كوشميز، رئيسا للمفوضين الفرنسـيين.ووقـع اتفاق من 10 بنود سنة 1902 فيه كثير من التنازل من الطرف المغربي.

حول الموضوع :

A.E.P., D.D.M., T.XVI, 1905-1906.



العربي المنبهي وزير الحرب في عهد مولاي عبد العزيز

الحمد لله نسخة من ظهير شريف بالطابع الكبير المنيف

نص ما كتب بعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

كتابنا هذا أعلى الله قدره وجعل السعادة مقرونة به [illegible] يستقر بيد [illegible]

المتسبب [illegible] عسكرنا السعيد الكاتب المهدي [illegible]

المنبهي ويتعرف منه بحول الله وقوته [illegible] أنعمنا عليه [illegible]

[illegible] المخزن بمحروسة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] 1318 [illegible]

نسخة [illegible]

[illegible]

[illegible]

المنبهي ويتعرف منه [illegible] أنعمنا

عليه [illegible] المخزن [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] 1318

إنعامات مولاي عبد العزيز على المهدي المنبهي

كما أن تهديد الريسوني[185] لطنجة كان فرصة لتعيين ضابطين فرنسيين هما القبطان فورنيي Fournié والملازم عبد الرّحمان بنسيدرا لتسيير حامية طنجة معززين بأطر فرنسية وجزائرية.

---

(185) توفرت لحركة الشريف مولاي أحمد بن محمد بن الريسوني كل المعطيات التي كانت تتغذى منها الفوضى السياسية التي طبعت هذه الفترة، حيث كان رؤساء هذه الحركات يكسبون نفوذهم من الدعوة للجهاد، ومن االمخزن، ومن قطع الطرق، ومن النسب الشريف بدأت حركته بالتعرض للأجانب، وتضييق الخناق عليهم في الشمال الغربي، سواء في تطوان أو طنجة وأصيلا والقصر الكبير. استطاع عامل طنجة عبد الرحمن عبد الصادق أن يلقي عليه القبض عن طريق الحيلة في عهد مولاي الحسن وأن يرسل مكبلا إلى سجن الصويرة، ولكن مولاي عبد العزيز أطلق سراحه في بداية عهده، بشفاعة من الطريس. اختطف هاريس Harris سنة 1903 ثم مواطنا أمريكيا من أصل يوناني برديكاريس Perdicaris وصهره فارلي Varley في 18 مايو 1904. ورغم تدخل الرئيس الأمريكي روزفلت، وإرسال الولايات المتحدة لستة سفن حربية في عرض طنجة، والمحلات المتعددة التي أرسلها مولاي عبد العزيز ضده، فإنه لم يطلق سراح برديكارس Perdicaris إلا بعد تدخل شرفاء وزان الذين كانوا لسان الحكومة الفرنسية، ومقابل 70000 دولار، ووعد بقيادة الفحص، وبإطلاق سراح أنصاره الذين كانوا في سجون المخزن.وكان يسخر ممن كان يخيفه من المدافع البحرية الأمريكية بقوله : "متى كان القرش يخرج من البحر ليأكل الذئب في الجبال". وقد صار طوال مدة هذه المفاوضات محط اهتمام أمريكا وأوربا واحتل العناوين الأولى فى الصحف. وفي سنة 1907 ألقي القبض على ماكلين، الذي جاء في مهمة رسمية من طرف المخزن و لم يطلق سراحه إلا بعد ستة أشهر، مقابل ألف جنيه، كتسبيق من فدية قدرها 20000، ومقابل الحماية الإنجليزية التى رفضها في ما بعد. ورغم تهديم قصبته زينات في 1903 و1907، فإن نفوذه امتدعلى مجموع القبائل بين لوكوس وطنجة حتى لقب بسلطان الجبال.

بعد مبايعة مولاي حفيظ كسلطان للجهاد، وضع نفوذه عند رهن إشارة السلطان، وتعاهدا على القرءان على أن يتحدا لطرد الأجنبي. ولكن في غياب حركة شرعية للجهاد يقودها السلطان، بقي الريسولي يعتبر تارة قائدا، وأخرى فتانا من وجهة نظر المخزن، ولصا وقاطعا للطرق، من وجهة نظر الأجانب، ومجاهدا من وجهة نظر أتباعه المتعددين ومنذ 1911، حينما احتل الإسبان العرائش، صار يحاربهم مرة، ويحالفهم أخرى إلى أن ألقي عليه القبض محمد بن

وبارتفاع الاضطرابات في المنطقة الشرقية واحتياج المخزن لإعانة الجيش الفرنسي في الجزائر وضعت البعثة يدها شيئا فشيئا على الجيش في منطقة الحدود في انتظار " أن يقبل السّلطان والدول العظمى تعميم هذا الوضع على كل المغرب".

وقد تأكّد النفوذ الفرنسي في الجيش بتعيين الجباص كوزير للحرب بعد إعفاء المنبهي[186] فالمنبهي الذي صار وزير الحرب بعد وفاة الحاجب بّاحماد في

---

عبد الكريم الخطابي، في يناير 1925، ونقله إلى أجدير. وتوفي ثلاثة أشهر بعد اعتقاله في 10 أبريل من نفس السنة.

اشتهر مولاي أحمد الريسولي الذي ولد سنة 1870 بضخامة جسمه، وشجاعته، وتبحره في الفقه، وأصيب في آخر حياته بمرض الاستسقاء، وبورم في رجليه، مما كان يمنعه من المشي. ومع ذلك بقي يقود العمليات العسكرية، مرفوعا فوق محفّة على رؤوس أنصاره.

Ch.A. Julien, *op. cit.*, pp. 44-45.

D.Weisgerber, *op cit.*, pp. 133-135.

A. Laroui, *Les origines*, *op. cit.*, pp. 350-351.

W.Harris, *France, Spain and the rif*, London, Arnold, 1927, p. 155.

Hanser, *Du libéralisme à l'impérialisme*, Paris, 1956, p. 243.

Michaux-Bellaire, Al Raissuni, in R.M.M, V. 5, 1908, pp. 503-511.

(186) المهدي بن العربي المنبهي من قبيلة المنابهة بحوز مراكش كان عونا لدى مولاي عمر أخ السلطان مولاي الحسن في فاس بعد وفاة السلطان أسره الحاجب أحمد بن موسى لتحزبه لمولاي عمر، ثم أطلق سراحه، واستخدمه. بعد وفاة باحماد، صار وزيرا للحرب وسنه لا تتعدى 24 سنة. وفسرت هذه التسمية التي أحدثت "استياء في الأوساط المغربية" لأنه كان " بدويا أميا لاسيرة له في السياسة. بأن مولاي عبد العزيز، كان يريد فقط، استعمال المنبهي لاكتشاف الأموال التي كانت في حوزة باحماد، والتي قدرت ب 000 000 7 فرنك ذهب. وأنه سيتخلص منه بعد ذلك. ولكن مولاي عبد العزيز، ترك له زمام الأمور، حتى صار وحده "أمة في الدولة" فاستصفى أموال باحماد وإخوته، وكل من كان قريبا منه. وعزل أخاه المختار بن أحمد الذي صار وزيرا بعده، وعزل كل من كان مقربا لباحماد. كان يتعرّض لجبايات الرعية التي كان "يلغيها كأن لم تكن أصلا" وحصل "على أموال في مدة قليلة ما علمت أحدا حصلها في وقتنا ولا فيما قبله بكثير" فكان "بحرا لاساحل له في المال".

استطاع أن يكسب كثيرا من الأصدقاء بسبب "كرمه وتواضعه مع الناس".

وقت انتصار"فريق الإصلاح" الإنجليزي مالبث أن سقط تحت ضربات انهزاماته المتعدّدة أمام بوحمارة وضربات مؤيدي "الإصلاح" تحت الإشراف الفرنسي، كعبد الكريم بن سليمان ومحمّد الجبّاص[187] وقد دخل هذا الأخير الذي كان

---

كانت عداوته مع الملقب بأبي حمارة. من أهمّ الأسباب في اندلاع ثورة هذا الأخير كما كان انهزامه أمامه، من أهم الأسباب في قيام حملة ضده، خصوصا حينما تغيب في سفارة لإنجلترا وألمانيا في وقت الأزمة المغربية، حيث سمى مولاي عبد العزيز محلّه عبد السلام الزمراني. ولكن بعد عودته أرجعه السلطان لمنصبه. وفي سنة 1903 ذهب للحج، وفي توقفه في مصر قام بالاتصال باللورد كرومير المندوب السامي البريطاني في مصر للحصول على الحماية وبالفعل حصل من أرثور نكلسن الوزير المفوض الإنجليزي في طنجة، على الحماية الإنجليزية. وبعد دخوله للمغرب استقر في طنجة. وعوض بالسيد محمد الجباص السفياني الملقب بالفاسي.

حول الموضوع :

عبد الوهاب بن المنصور، **أعلام المغرب العربي**، ج. 2، ص. 2.

وكذلك :

المشرفي، **الحلل البهية**، س.ذ.، ص. 404 ـ 416.

بليماني بوعشرين، **س.ذ.**، ص. 62 ـ 67.

E. Michaux. Bellaire, « Au palais du sultan marocain », *R.M.M.*, T.V, pp. 647-649.

Guillen, *op. cit.*, pp. 360-490.

A.M.A.E., C.D.M. 20, Buckhart au A.M.A.E.

انظر الوثيقة التي يهب فيها السّلطان للمنبّهي أراض والوثيقة حول احتجاج المخزن على حماية إنجلترا للمنبهي التي جعلت أمواله في مأمن من تطبيق المخزن عليها القاعدة التي كانت معمولا بها على الخصوص في عهد مولاي عبد الرحمان، وانقطعت تقريبا في عهد مولاي الحسن ليعمل بها من جديد في عهد مولاي عبد العزيز، وهي أن يطلق المخزن أيدي المستخدمين من عمال، وحجاب، وقياد، في أموال الرعية ليسترجعها فيما بعد.

(187) اعتبر عبد الكريم بنسليمان وزير الخارجية، والجباص، الذي كان صهره وصار نائبا لوزير الحرب، ثم وزيرا للحرب من أنصار الإصلاح تحت إشراف فرنسا حول هذه النقطة يقول :

St. René Taillandier, *op. cit.*, p. 238.

في الجزائر حين تعيينه، وزيرا للحرب إلى طنجة على ظهر الباخرة الفرنسية لولينوا Lelinoisمصحوبا بالقبطان لاراس في دسمبر 1903. وقبل أن يتسلّم التعليمات حول مهامّه الجديدة من السّلطان بقي في طنجة ثلاثة أيام تذاكر خلالها مع الوزير المفوّض الفرنسي في المغرب[188].

## ب ـ الإصلاحات لتهيئ الاستعمار

ـ **نهاية التّردّدات** : وباتضاح المطامع الفرنسية في المغرب تركّز اهتمام فرنسا على "إصلاح" الجيش المغربي وضرورة إعادة النظر في تنظيمه لجعله من جهة "قادرا على حماية أمن الاوروبيين لأن الجهاز العسكري الموجود في المغرب يمكنه أن يشكل نواة جهاز أمني يضمن النظام في مجموع أطراف البلاد ولهذا فإننا لانحتاج للتأكيد على ضرورة إدخال تعديلات بمساعدة ضباط واطر أروبية أو على الأقل مكونة من طرف الأروبيين ومن جهة أخرى لتسهيل بسط السيطرة الفرنسية على المغرب"[189].

---

"إن ابن سليمان والجباص الذين يعرفان فرنسا، أذكى من أن لا يشعرا بضرورة الإصلاحات. كما أن إلتزامهما معنا يقتضي أن يرغبا في تقدم عملنا في المغرب. ولكن الشكوك التي أثيرت حولهما، تجعلهما متحفضين، كما أن جرائدنا التي وصفتهما بأنهما مناصرين لقضيتنا، تجمد إرادتهما الحسنة".
وكذلك :

St Aulair, *op. cit.*, p. 58 et p. 65.

إن ابن سليمان مناصر لقضتينا.

إن ابن سليمان أكيرمؤيد لسياستنا داخل الحاشية السلطانية.

حول الموضوع كذلك انظر : محمّد غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتّاب الزّمان**، المطبعة الجديدة فاس 1346ه، ص 94-109.

(188) St.René Taillandier, *op. cit.*, p. 158.

(189) Ch. René Leclerc, « L'armée marocaine », in *Bulletin de société de géographie*, Alger, 1905, p. 29.

وهكذا أصبحت مهمة البعثة الفرنسية منذ 1904 واضحة حيث كان عليها أن تبحث عن "كيف وبأيّ الوسائل يمكنها أن تجعل الجيش في المغرب قوة منظمة تساند وتضمن غاياتها"[190].

وهذا كان يقتضي "توسيع اختصاصات البعثة وأن يتكلّف بالتنظيم ضباط ذوو تكوين خصوصي محنّكين، وهذا التنظيم يتطلّب اللباقة والليونة وفي نفس الوقت الحزم حتى لانجد أمامنا في المغرب عدوّا مسلّحا[191].

وبالفعل فقد عرضت البعثة في 1905 مشروع قانون جديد "لإصلاح" الجيش يقتضي:

*الرفع من عدد المدربين الفرنسيين في الجيش بمعدّل ضابط وضابطى صف في كل طابور.

* ضباط فرنسيون تابعون للبعثة في حاميات المدن: أربعة ضباط في طنجة وأربعة في فاس يكونون باستمرار في صحبة السّلطان وضابطان في كل من تطوان والعرائش والدار البيضاء والجديدة والصويرة ووجدة وفجيج والقصر الكبير[192].

أي أن هذا المشروع رفع عدد أفراد البعثة الفرنسية إلى سبعين ضابطا وواحد وثمانين ضابطا للصّف، بعدما كان أفراد كل البعثات في سنة 1900 لايتعدّى خمسة عشر وقد كانت فرنسا تعرف مسبقا إنه "بتطبيق هذا النظام الجديد يبدأ حكمها في المغرب"[193].

وقد كان هذا المشروع من النقط الأساسية في المهمة التي كلّف بها الوزير المفوض الفرنسي في طنجة سان روني طاياندي ST René Taillandier حين قدومه لفاس والتي دامت تسعة اشهر[194] ولكن مولاي عبد العزيز بقى يحاول عرقلة

---

(190) ن.م.س.

(191) ن.م.س.

(192) مشروع هذا الإصلاح نشر في: *La nouvelle revue* n° 15 Mars 1905
موجود كذلك في كناش خ.ح رقم 777.

(193) St. René Taillandier, *op. cit.*, pp. 235-336 ; Ch. René Leclerc, *op. cit.*, p. 30.

(194) كانت الصحف الفرنسية تتساءل بسخرية " أين هو المولود".

St. René Taillandier, *op. cit.*, p. 24.

المشروع بشتى الوسائل كتعيين "مجلس أعيان" مكون من العلماء والشرفاء ورؤساء الزوايا وبعض أعضاء المخزن(195) للنظر في اقتراحات طاياندي Taillandier وإرسال الكباص على رأس محلّة للجنوب لاستخلاص الضرائب الشيء الذي اعتبره الفرنسيون مناورة لإبعاد شخصية مخزنية متقبلة للمشروع الذي تقدمت به البعثة الفرنسية لإصلاح الجيش المغربي(196) وكذلك إشاعة خبر وصول ثلاثة ضباط ألمانيين، وقراره الاستغناء عن المدربين الأجانب معللا ذلك بالأزمة المالية ورفضه قبول الضابط آريس Aris الذي حضر لتعويض الضابط فورنيي Fournié وقراره استدعاء مدرّبين أتراك من مصر(197) وللقضاء على هذه المقاومة وضعت فرنسا عدّة مخططات منها :

* سحب البعثة العسكرية، التي في وجدة والقيام بمناورات عسكرية على الحدود تضع المخزن في نفس المأزق الذي كان فيه سنة 1902 والذي على إثره طلب إعانة فرنسا(198).

* إقناع الدول الأوروبية الأخرى بأن هذا الإصلاح العسكري هو أساس كلّ إصلاح وعليه يرتكز أمن الموانيء والأجانب.

---

(195) من بين أعضاء مجلس الأعيان الذي كان يضم 40 شخص، 24 من علماء وقضاة وأعيان فاس، محمد بن جعفر الكتاني، والفقيه بن القرشي، والعباس التازي والمهدي الوزاني إدريس بن يعيش (قائد المشور).

علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، تطوان، بدون تاريخ، ص 94.

St. René Taillandier, *op. cit.*, p. 24.

كناش خ.ح.رقم 777، ص 24.

جريدة **السعادة** السبت 6 رجب 1325هـ - 17 غشت 1907م.

(196) St. René Taillandier, *op. cit.*, p. 211.

(197) H. Moulin, *La question marocaine* 1906 *d'après le livre jaune*, Paris, 1906 pp. 68-69.

(198) St. René Taillandier, *op. cit.*, p. 283.

وقد دفعت الاضطرابات الداخلية وعدم وضوح الخطاب الألماني أثناء زيارة الإمبراطور كيوم الثاني Guillaume II لطنجة في مارس 1905[199] المخزن إلى اتخاد موقف أكثر ليونة، فقبل المشروع الفرنسي مع بعض الشروط منها:

* النقص من عدد المدربين الأجانب،

*الحصول على ضمانات دولية بانسحاب المدربين الفرنسيين، كلما توفرت للمخزن فرقة من العسكر أو من قبائل الجيش مدرّبة وتتقاضى رواتبها بانتظام وقادرة على القيام بوظيفتها[200] .

وللحصول على هذه الضمانات طالب المخزن بعقد مؤتمر دولي مدفوعا بالأمل في الدعم الألماني، خصوصا وأن الدبلوماسية الألمانية كانت تظهر فرنسا "كناية" بالنسبة لألمانيا[201] ولكن المؤتمر الذي كان المغرب يأمل فىعقده في المغرب واستطاعت فرنسا أن تقنع الدول الأوروبية بعقده خارج المغرب بالخزيرات[202] معلّلة ذلك بانعدام الأمن ـ خصوصا وأن هجومات الريسوني

---

(199) حول زيارة كليوم الثاني إمبراطور ألمانيا لطنجة :

W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929, pp. 75-76.
Guillen, *op. cit.*, p. 87.
St. Aulair, *Confession d'un vieux diplomate*, Paris, 1953, pp 134-135.

(200) St. René Taillandier, *op. cit.*, p. 271.

(201) حينما وصل الكونت طاطنباش Tattenbach إلى فاس محاطا بـ 4 ضباط من بينهم الجنرال اسشنك Schenck، استدعى للعشاء من طرف القنصل الفرنسي. وحينما أظهر المخزن قلقه من هذا التقارب، فسر الكونت طاطنباش قبوله العشاء في القنصلية الفرنسية بأنه "مونة" تقدمها فرنسا لإنجلترا، على غرار المونة التي تقدمها قبائل النايبة لأعضاء المخزن الذين يمرون من أراضيها.

St. Aulaire, *Au Maroc avant et après Lyautey*, Flammarion, Paris, 1954, p. 100.

(202) شجعت الدولة الألمانية المخزن على طلب مؤتمر دولي لمواجهة الأطماع الفرنسية. وحاول المخزن معضدا بألمانيا، أن يجعل المؤتمر ينعقد بطنجة، ولكن فرنسا أقنعت الدول المشاركة بقلة الأمن بسبب حركة الريسوني، التي كانت في أوجها. واختيرت الخزيرات بصفتها أقرب مدينة للمغرب. مثل المغرب في المؤتمر الحاج الطريس، والأمين محمد المقري، والصفار، وعبد الرحمان بنيس. ترأس المؤتمر الدوق المودفار. ومثل الطرف الفرنسي روفوال ورينو وعن ألمانيا طاطنباش

كانت تصل لطنجة - أعطى لمشروع الإصلاح الفرنسي ركيزة شرعية دولية إذ أنّ قرارات المؤتمر جاءت موافقة للمشروع الفرنسي الذي قبل بحذافيره بالرغم من اعتراض ألمانيا التي اقترحت أن تتكلّف بالإصلاح أربع دول محايدة هي: سويسرا، بلجيكا، السويد، والبلاد المنخفضة. وكان التنازل الوحيد لفرنسا هو قبول إشراك إسبانيا في هذا الإصلاح تحت مراقبة سويسرية، فقد قرّر المجلس تأسيس طوابير شريفة في الموانيء لا يزيد عددها عن مائتين وخمسين وتكون مؤطّرة بأطر فرنسية وإسبانية موزّعة على الشكل التالي:

*حاميات الرّباط والجديدة وأسفي والصويرة تسيرها أطر فرنسية.

*حاميات العرائش وتطوان تسيرها أطر اسبانية.

*حاميات مزدوجة التسيير : طنجة والدار البيضاء والكلّ تحت إشراف ضابط سام سويسري يقيم في طنجة.

وقد كانت آخر مقاومة لمولاى عبد العزيز لمشروع الإصلاح العسكري، قبل أن تقضى معاهدة الخزيرات التي وقعت في 7 أبريل من سنة 1906 على ما تبقّى من شعبيته، هي قبول بعثة ألمانية مكوّنة من ضابط في الهندسة العسكرية وضابط في الفرسان يسمّى وولف Wolf :

ولكن ظهور مولاي حفيظ كسلطان للجهاد بعد احتلال الجيوش الفرنسية لوجدة في 19 مارس سنة 1907 وللدار البيضاء في1 غشت من نفس السنة(203) جعل مولاي عبد العزيز يتخلى عن كل مقاومة رغبة في الحصول على الدعم الفرنسي

---

Tattenbach. وعقد المؤتمر في فندق رينا كريستينا. وظهر الصراع الأوربي في المؤتمر، وكانت قراراته في صالح فرنسا. كان مؤتمر الخزيرات أول مؤتمر دولي شاركت فيه الولايات المتحدة، ولم يصوت مع ألمانيا إلا المغرب، والنامسا، في حين صوت الجميع لمقترحات فرنسا.

كانت روسيا هي التي اقترحت مشروع المدربين الإسبان والفرنسيين، وصار المندوب السويسري الذي استقر في طنجة يسمى بالأميرال.

(203) قام الفرنسيون باحتلال الدار البيضاء، متعللين بالاضطرابات التي قامت في الدارالبيضاء على إثر نتائج مؤتمر الخزيرات، وإظهار السكان استياءهم بالتعرض لوسائل التغلغل الأجنبي.

ففي يوم الثلاثاء 30 يوليو 1907، استفز المغاربة منظر الفرنسيين الذين استقروا في الميناء، لاستخلاص الدين الذى قدمته بنك باريس والبلدان المنخفضة للمغرب، والذي كان يمثل

60% من مدخول الديوانة لمدة 5 سنوات، وكذلك الأشغال التي شرعت فيها شركة فرنسية لتوسيع ميناء الدارالبيضاء وإقامة خط سكة حديدية (بابور البر) والذى كان يخترق مقبرة سيدى بليوط. فتعرضوا للقاطرة التي كانت تحمل معدات للبناء، وقلبوها، وقتل فى الحادث 9 من العمال الأوربيين، من بينهم إسبان، وإيطاليون، وفرنسيون، وألقوا جثتهم في البحر. وخرج الناس للشوارع وأعلنوا الجهاد في المساجد. ولما وصل الخبر لسانت أولير، عن طريق قبطان سفينة أميلي Amélie التي كانت في خدمة المخزن "لم يفاجئه الأمر"، - بل كان قد هيأ سيناريو مع رينو في حالة وقوع أحداث من هذا النوع، وكانت السفن الحربية الفرنسية بقيادة الكومندار كايلارد Caillard وتوشارد Touchard واقفة باستمرار على السواحل المغربية — أعطى أوامره لأوليفي Olivier قائد المقنبلة الفرنسية غليلي الواقفة بطنجة، بالذهاب للدارالبيضاء، والاتصال بالباخرة الحربية دي شانيلا Du Chayla، وحماية السكان الأجانب بكل الوسائل "ووصلت السفينة غليلي للدارالبيضاء في 1 غشت على الساعة الثامنة صباحا ونزلت منها فرقة عسكرية طالقة نيرانها على كل من وجدته في طريقها، حتى على العسكر الذي قدم لها التحية على باب القنصلية الفرنسية. وعززت هذه الفرقة بفرقة أخرى وصلت على ظهر دوشيلا يقودها الكومندار ماتجان. وفي نفس اليوم وصلت سفينة حربية إسبانية من جزر الكاناريـاس. وشاركت السفن الثلاثة في قنبلة المدينة، وقنبلة السور الجديد على الخصوص، حيث التجأ السكان - وفي اليوم التالي، وصلت فرقة من الفرسان يقودها الجنرال درود، وفرقة إسبانية. وقد عاثت الجيوش الفرنسية في مدينة الدارالبيضاء، وقتلت الرجال، والنساء، والأطفال، وحولت المساجد أروية لخيلها، وألواح صبيان المساجد حطبا لإشعال النار وأرغمت الناس على حفر قبورهم قبل أن تقبرهم أحياء.

وألقي القبض على العامل بوبكر بوزيد السلاوي وقيد على ظهر السفينة غليلي.

وقد قدم الفرنسيون هذا الاحتلال لمولاي عبد العزيز كشيء مؤقت، فكان جوابه "إن الأرض كذلك خلقها الله بصفة مؤقتة".

وبعد هذه الأحداث، قام الأجانب ومحميوهم بتقديم 3506 دعوة على الحكومة المغربية، من بين هذه الدعاوي 4 دعوات للدولة العثمانية. وحكم على المغرب بتعويضات 1306964257 فرنك. **الإتحاف**، س.ذ.، ج. 1، ص. 419-432.

St. Aulaire, *op. cit.*, pp. 135-146.

Le prince Aage de Danemark, *Mes souvenirs de la légion étrangère*, Payot, Paris,

ضدّ أخيه، فتخلى عن البعثة الفرنسية الألمانية وقبل كلّ "الإصلاحات" التي قدّمتها فرنسا في وقت كانت فيه الأمور قد أفلتت نهائيا من يده.

ـ مرحلة الإصلاح العسكرى لتهييء الحماية : وتمتدّ من1907 إلى 1912.

وجد المولى حفيظ منذ بداية عهده، نفسه أمام مشكل الجيش فانتصاره العسكري على أخيه كان بفضل المساندة العسكرية للقبائل الجنوبية التي ساندته كسلطان للجهاد وانتصاره السّياسي كذلك كان بفضل مبايعة السكان له على أساس الدفاع عن البلاد وطرد الأجانب وإلغاء معاهدة الخزيرات(204) ، لهذا كان

---

1936, p. 70.

Charles Andre Julien, *Le Maroc face aux imperialismes*, Paris, 1978, pp. 73-74.

جورج أوفيد، **اليسار الفرنسي والحركة الوطنية**، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، 1984، ص. 61.

A. Adam, *Histoire de Casablanca*, Paris, 1900, pp.103-135.

(204) كان أوّل من ساند مولاي حفيظ هو المدني الكلاوي وكان قائدا صغيرا لكلاوة في عهد مولاي الحسن ولكنّه وسّع نفوذه كغيره من قياد الجنوب بفضل سياسة القيادات الكبيرة لباحماد حيث صارت منطقة نفوذه تمتدّ من وادي نفيس إلى دمنات ومن أبواب مرّاكش إلى الأطلس. كما سانده قوّاد الرّحامنة وانضمّ لهم فيما بعد القائد الكنداني بسبب حلف كان يربطه بالرّحامنة على الرّغم من عداوته للكلاوي كما انضمّ لهم القائد عبد المالك المتوكّي الذي كان هو الآخر قد وسّع نفوذ قبيلة متوكة الموجودة جنوب الصويرة شرق حاحا، والقائد عيسى بن عمر العبدي الذي اكتسب قوّته منذ مشاركته في إخماد ثورة الرّحامنة التي قادها قائد مخزني سابق هو مبارك بن الطّاهر بن سليمان الرّحماني، وبلغت نواة جيش مولاي حفيظ الأولى تقريبا ألفا ومائتي فارس : خمس مائة فارس تابعة للكلاوي ومثلها من الرّحامنة ومائتان للكنداني. وقد طلب الكلاوي من أعيان مرّاكش مبايعة مولاي حفيظ، وحينما رفض القاضي مولاي عرفة هدّده الكلاوي بخنجره. وقد صار الكلاوي وزير حرب مولاي حفيظ، وعوّض فيما بعد بعيسى بن عمر العبدي. وأعطى مولاي حفيظ للمتوكي وزارة الشّكايات رغم أنّه كان أمّيا وذلك لملاءمة هذه الوزارة له لأنّه لم يكن يقدر على ركوب الخيل لجرح أصابه في إحدى الحركات في عهد مولاي عبد العزيز و لم يكن يركب إلّا بغلة بمساعدة أعوانه.حول الموضوع Weisgerber, *op cit, pp,161-163*

Michaux-Bellaire, Bnikat chikayat de moulay Hfid, in *R.M.M.*, V.5 , 1908, pp. 242-258.

مشروع الإصلاح العسكري الذي زكّاه مؤتمر الخزيرات متنافيا مع التزاماته الأساسية أمام الرّعية، ومتنافيا مع الطريقة العسكرية التي اختارها السّكان لمواجهة الاحتلال الفرنسي في الشاوية والأقاليم الجنوبية الشرقية وفي بعض المدن كفاس[205].

---

كانت البيعة التي حررها العالم أحمد بن عبد الواحد المواز في فاس تنص على شروط من بينها حذف المكس، وعدم التسليم بشروط الخزيرات، استرجاع وجدة والدارالبيضاء، حذف الحمايات، عدم استشارة الأجانب، التقرب من الإمبراطورية العثمانية، عدم إبرام أي معاهدة مع الأجانب قبل استشارة الأمة، نشر العلم، إصلاح الأحباس، جعل حد لاستبداد العمال وتدخلهم في الخطط العدلية، ومعاملة الرعية "بالإيثار، والعفو، والحلم، والرفق، والأناة" واختيار الناس الصالحين للمناصب.

وقد أسس بيت مال للجهاد، ساهم فيه السكان من البادية والمدن على السواء.

عبد الباقر الكتاني، س.ذ.، ص. 198 - 200.

(205) حول مقاومة القبائل للتوسع الفرنسي في توات :

G. Carrés, *Sur les traces d u père de Foucauld*, Arthaud, Grenoble et Paris, 1947, pp. 170-179.

كتب الأب فوكو يقول : "المغاربة يهاجموننا فقد أغار 3000 رجالا وأطفالا ونساءا على جيوشنا، وقتلوا من اللفيف الأجنبي 40".

Ch.A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956*, éditions J.A., 1978, p. 77.

كما التف الناس في عدة أنحاء البلاد حول أشخاص عبؤوهم للجهاد. ففي وجدة التف الناس حول أحد أفراد الزاوية القادرية، المختار بودشيش، الذي تلقب بالسلطان. وفي الدار البيضاء التف الناس حول البوعزاوي. وفي فاس كان الناس يخرجون للتدريب على الرماية في البساتين في باب فتوح مع محمد الكتاني، كما اتخذت الحومات أشياخ الربيع.

العروي، س.ذ.، ص. 369.

محمد الباقر، س.ذ.، ص. 191.

Dr V. Trenga et A. de la Motte, *Correspondant de révolution ou journal d'un Isrélite de Fès 1908-1910*.

ويمكن اعتبار السياسة العسكرية التي اتبعها مولاي حفيظ تلخيصا لكلّ التناقضات والترددات والعجز التي طبعت سياسته بصفة عامة منذ توليه العرش كسلطان للجهاد إلى حين توقيعه معاهدة الحماية.

فمباشرة بعد الإعلان عن بيعته في فاس[206] جدّدت فرنسا بعثتها العسكرية حيث عوّض الكومندار مانجان الكومندار فاريان Farian كرئيس للبعثة العسكرية الفرنسية. وبعد توقيع مولاي حفيظ معاهدة الخزيرات واعتراف الدول الأروبية به كسلطان للمغرب، دخلت البعثة إلى فاس في 3 يناير سنة 1909 حيث استقبلها السّلطان رسميا وعيّن مانجان Manjin رئيسا للمدرّبين، ولكنه في نوفمبر من نفس السنة، سلّم مخزن السلاح للضابط الإيطالي كامبيني جيوسيي Campini Giuseppi ولم يهدأ غضب فرنسا على إثر هذه التسمية إلا بعد أن طمأنتها روما بأنها لم تكن لها أي مصلحة في هذا التعيين، وبعد أن تراجع مولاي حفيظ عن قراره وأوكل خزائن السلاح ومؤونة الجيش وتأدية أجور الجنود لمانجان، وكلّفه ببناء مستشفي عسكري في فاس[207] .

وفي نفس السنة أرسل السّلطان وزير المالية المقري[208] إلى إسطنبول لطلب بعثة عسكرية تركية ووصلت هذه البعثة فعلا في نوفمبرمن سنة 1909وكانت مؤلّفة

---

(206) بويع لمولاي حفيظ بعد احتلال الدارالبيضاء أولا في مراكش في يوم الجمعة 6 رجب 1325هـ - 16 غشت سنة 1907م، بعد أخذ فتوى من العلماء في خلع مولاي عبد العزيز، ثم بويع له في الجديدة، وآسفي، ولكنهما تراجعتا بعد مدة عن البيعة. ولما خرج مولاي عبد العزيز من فاس للرباط قاصدا مراكش أعلن عن خلعه في فاس ومبايعة أخيه. بايعه بعد فاس، طنجة والعرائش وسلا والرباط، ثم الجديدة وأزموز، ثم الصويرة من جديد وقد استغرقت البيعات 36 يوما.

(207) A.M.G., C.8, R. Commandant Mangin, Fès 8/7/1909.

(208) الحاج محمد المقري من أصل جزائري دخل جده فاس بعد ثورة درقاوة في عهد مولاي سليمان، وكان يلقب بالخال، وترك ثلاثة أولاد، أحدهم كان عالما بالقرويين، ولقب "بالزمخشري" وعبد السلام، وكان أمينا لفندق الجلد مع الحاج محمد بنيس لفاس وهو أبو الحاج محمد المقري، وكان الحاج محمد المقري خليفة لوالده وكلف بالسهر على بناء ماكينة السلاح بفاس، ثم صار أبوه الحاج عبد السلام أمين المستفاد في عهد مولاي عبد العزيز بدار

من عدة ضباط أتراك وسوريين منهم من كان من أصل بوسني وألباني. وهذا الاستدعاء الذي لم يعطه المولى حفيظ صفة رسمية يمكن أن يعتبر في نفس الوقت نوعا من الضغط على الحكومة الفرنسية[209] ووسيلة لتهدئة تيار المعارضة الإصلاحي الذي كان يدعو منذ عهد مولاي عبد العزيز إلى إصلاح عسكري بإعانة الدول الإسلامية خصوصا وأن ثورة تركيا الفتاة كانت قد أذكت آمال المغاربة في استيقاظة العالم الإسلامي ودعمه للمغرب ضدّ الاحتلال الأجنبي[210].

كما أن حضور ضبّاط مسلمين كان من شأنه أن يقلّل من الاستياء الذي كان يثيره وجود ضباط "كفار" في المحلات المخزنية المرسلة للقضاء على ثورات

---

عديل، إلى أن عوض بالحاج عمر التازي. وصار الحاج محمد المقري أمين الشكارة في عهد مولاي عبد العزيز، وعين ممثلا للمغرب في مؤتمر الخزيرات، وبقي بدون انقطاع داخل المخزن. وتوفي عن سن تناهز مائة سنة في عهد الملك محمد الخامس.

Michaux-Bellaire, « Les musulmans d'Algerie », *A.M.*, T.XI, 1907, p. 90.

(209) اعتبر الفرنسيون استدعاء مولاي حفيظ للمدربين الأتراك كرد فعل على اعتراضهم لدخول السلاح الذي كانت فرنسا قد باعته للمغرب، وثقف في ميناء طنجة.

(210). وقد نزعّم هذه الحركة الشّيخ محمّد بن عبد الكبير الكتّاني الذي ترأس حركة الدّعوة للجهاد في فاس خصوصا بعد خلع مولاي عبد العزيز وبيعة مولاي حفيظ وصار قبل دخول هذا الأخير لفاس يدرّب أهل فاس على الرماية. وكان نسبه الإدريسي يجعل منه منافسا محتملا لمولاي حفيظ خصوصا بعد تدهور شعبية هذا الأخير حينما ظهر عجزه عن الوفاء بشروط البيعة، ويظهر أنّ الصراع بين الطّرفين هو الذي دفع بالشّيخ الكتّاني للخروج من فاس بعائلته للالتجاء إلى قبيلة بني مطير. ولما أعلم مولاي حفيظ من طرف الخليفة الملقّب بإدريس الإدريسي المعروف" ببوزرواطة"بخروج الكتّاني ليلا من فاس، أرسل لمطاردته فيلقا من الجيش ألقى عليه القبض في تراب بني مطير وكاد القتال أن ينشب بين الطّرفين لولا تدخل مولاي الكبير الذي أمر بأن تطاع أوامر السّلطان... وقد سجن الشّيخ الكتاني وامتحن وتوفّي من جراء العذاب مدّة وجيزة بعد إلقاء القبض عليه.

تفاصيل حول الموضوع في: الباقر الكتاني، **س.ذ.**، ص. 206.

وكذلك في مخطوط عن ذكريات القاضي عبد الرّحمان بلقرشي الذي كان على اتّصال بالكتّاني لأنّ مولاي حفيظ كان قد كلّفه بأن يدفع مرتّبا في كلّ شهر له وللمهدي الوزّاني.

القبائل التي احتدّت منذ توقيع مولاي عبد الحفيظ على قرارات معاهدة الخزيرات.فالمحلّة الأولى التي أرسلها لإخماد ثورة بني مطير كان يقود مدفعيتها الفرنسي بيزاني Pisani وكان بالدينغ Balding يقود خيّالتها والمحلة الثانية كان يوجد داخلها الضباط غانشو Ranchou وكيماز Guemaz وبيزانيPisani ولوكليLe Glay وبولدينك Bolding زيادة على المسلم الفرنسي عبد الرّحمان بنسيدرا[211] .

وكان ردّ فعل البعثة العسكرية الفرنسية على استدعاء المدربين الأتراك عنيفا، فقد استدعىمانجان Manjin كلّ المدربين الفرنسيين الذي كانوا داخل المحلة المرسلة لمحاربة القبائل المساندة لمولاي الكبير[212] كما عادت فرنسا لتذكّر مولاي حفيظ بالمشاكل التي بقيت معلقة كمعاقبة قتلة الدكتور موشان[213] Mauchamp

---

(211) Dr Weisgerber, *op. cit.*, p. 212. صارت قبائل بني مطير تسمّى الجيش المخزني أولاد البيزاني نسبة إلى بيزانيعلى غرار تسمية جيش مولاي عبد العزيز بولاد "الكرونير" نسبة إلى الكولونيل ماكلين.

(212) مولاي الكبير أخ مولاي حفيظ، واسمه مولاي عبد الرحمان. شارك في الحركات ضد بوحمارة في عهد مولاي عبد العزيز. سجن في بداية عهد مولاي حفيظ، وفر من السجن في ماي سنة 1908 والتحق بقبائل زيان. وقام في الأول بالدعوة إلى عودة مولاي عبد العزيز، ثم لنفسه. ارتحل من عندهم حينما اقترح مولاي حفيظ 000 200 فرنك على زموز ليسلّموه. بايعه غياثة بعد مقتل الروكي، واستقر في تازة. ثم بايعه البرانس، وتسول، واتخذ قصبة مصول مركزا له. سانده عبد المالك بن المجاهد عبد القادر. طلب الأمان بعد أن اشتد عليه الخناق، وحمله الفربسيون من وجدة إلى طنجة عبر وهران، ولكنه فرعند جبالة، إلى أن ألقي عليه القبض في سبتمبر 1910.

V. Trenga, *op. cit.*, pp.147-197.

(213) بتأكد الأطماع الاستعمارية، وبداية الاحتلال الفرنسي للمناطق الجنوبية الشرقية، والتوسع الإسباني في المناطق الشمالية، وعجز المخزن عن مواجهة الحالة، صار وجود الأوربيين واستفزازاتهم يثير المغاربة. وتسبب هذا في عدة حوادث عنف ضد الأجانب، ومحمييهم سواء في المدن، كفاس، وطنجة، والصويرة، أو في البوادي. ومقتل الدكتور موشان داخل فى هذا الإطار. فقد قامت فرنسا سنة 1905، بفتح مستوصف في مراكش، وكلفت به الدكتور

وأداء الديون المتأخرة وعمدت إلى تجميد خدمات البعثة العسكرية في 10 يناير 1915.

وقد كان لهذا الضغط أثره على موقف مولاي حفيظ من البعثة العسكرية التركية، خصوصا وأن المحلّة التي قادها ضباطها ضدّ حياينة رجعت منهزمة[214]، وأن ثورة مولاي الكبير أخذت حجما متزايدا صار يهدّد عرش مولاى حفيظ، فطالب الحكومة التركية باسترجاع بعثتها وأوكل لمانجان في أكتوبر1910 مهمّة

---

موشان، الذي سبق له العمل في مستوصفات في البرتغال، والبرازيل، وفلسطين.واشتهر بفعاليته في محاربة مرض التيفوس في القدس .وكان موشان على اتصال بلجنة المغرب، ولايتمتع بأي عطف من طرف السكان بسبب مزاجيته، ومناوراته.وجاء هجوم السكان على المستوصف في مارس 1907، بعد أسبوع من الشكوك كان يثيرها منظر موشان وهو يتجول مع المهندس الجيولوجي لويس جونتيل Louis Gentil الذي كان يحمل معه آلات، وحينما قام موشان بإقامة سلك تلغراف فوق المستوصف بعرصة موسى. ووقعت اضطرابات في مدينة مراكش استمرت طوال اليوم.واستغلت فرنسا هذا الحادث لاحتلال وجدة، مدعية أنه احتلال مؤقت ريثما يقبض على المتسببين في الحادث. واتهم العامل الحاج عبد السلام الورزازي وابنه محمد، وحوكم هذا الأخير في طنجة، وألقي القبض على 15 شخص، سجنوا في مراكش، ثم نقلوا لطنجة، ثم للصويرة ليحاكموا أمام القنصل الفرنسي هناك وظل الفرنسيون يلوحون بهذه القضية عند كل أزمة مع المخزن، أو مع ألمانيا، الذي اتهم طبيب لها في مراكش، بأنه كان المحرض على قتل موشان كما اتهمت شخصيات مخزنية كأحمد بوستة والمقدم بن الساهل بالمشاركة في الحادث.

Ch. A. Julien, *op. cit.*, pp. 70-71.

ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 1، ص. 415 ـ 419.

Brives, *Voyages au Maroc 1901-1907*, Alger, 1909, pp. 399-400.

ظهير مولاي عبد العزيز لعبد الرحمن بركاش عامل الصويرة في 5 يونيو 1910، حول الحادث، **الإتحاف**، ج. 1، ص. 420.

Pascon, *Le Haouz*, *op. cit.*, T.II, p. 150.

(214) D. Trenga, *op. cit.*, pp.194.

إعادة تنظيم الجيش[215] ومنذ هذا التاريخ دخل الجيش المغربي عمليّا تحت أوامر البعثة و لم يبق لمولاي حفيظ إلا سلطة صورية عليه. وبين عام 1910 وعام 1912 أدخلت عليه تغييرات هيكلية متعددة.

- "إصلاح" 1911

في 15 غشت 1911 نفّذ مانجان السياسة التي كان يطمح لها منذ توليه رئاسة البعثة وهي التخفيض من عدد الجنود والرفع من أجورهم لتقوية فعاليتهم على غرار الطريقة التي اتّبعها الفرنسيون في تأسيس الكوم في الشاوية. وهذه السياسة كانت مخالفة لنظرية مولاي حفيظ الذي كان يريد الرّفع من عدد الجنود والتّخفيض من الأجور[216] وهكذا حدّد عدد الجنود في 15 غشت 1911 في ستّة آلاف (6000) وقسّم الجيش والمدربون الفرنسيون على الشكل التالي :

| المدربون | الاختصاصات |
|---|---|
| 5 ضباط + 5 ضباط صف لكل طابور | 7طوابير من المشاة |
| 1 ضابط + 3 ضباط صف لكل طابور | طابوران من المدفعية |
| 2 ضباط + 6 ضباط صف لكل طابور | 4طوابيرمن الخيالة |
| 1 ضابط + 6 ضباط صف لكل طابور | طابورواحد من المهندسين |
| 26 ضابطا + 16 ضباط صف لكل طابور | للإدارة |

وقد كان الجيش مبدئيا تحت أوامر السّلطان ولكن وزارة الخارجية الفرنسية ووزارة الحرب هما اللتان كانتا تنسقان تسيير الجيش مع جيش الاحتلال الفرنسي في الشاوية[217] .

- "إصلاح" 1912

من 1 مارس إلى 17 ماي 1912 ـ في انتظار عقد الحماية ـ قرّرت وزارة الحرب الفرنسية بقرار 29 فبراير إعادة تنظيم الجيش المغربي على أساس عنصرين :

---

(215) Mangin, Rapport, *op. cit.*

(216) ن.م.س.

(217) ن.م.س.

الأوّل هو تدعيم التأطير الفرنسي.

والثاني وضع الجيش الشريف تحت أوامر الجنرال بـرولار Brulard والأوامر العليا للجنرال قائد جيوش الاحتلال.

وابتداء من 17 مايو 1912، وتنفيذا لاقتراحـات موانـي Moinier الـتي حـازت موافقة ليوطي Lyautey وقع إعفاء خمسة آلاف وخمســمائة (5500) جنـدي بقـوا في الجيش الشريف وأعطيت لهم إمكانية دخول تركيبات مغربية جديدة هي "القـوات المساعدة" التي نظّمت على شكل المشاة الإصباحية الجزائريين، وهذا التنظيـم كـان يعتبر كمرحلة أولى في انتظار تكوين قوات نظامية من المشاة لتدمج داخـل الجيـش الفرنسي[218].

أمـا المدفعيـة فـإن موانيـىMoinier وليوطـي Lyautey قـررا حذفهـا لأنهمـا اعتبراها خطيرة ولا محلّ فيها للمغاربة[219].

وهذه القوّات المساعدة جرى تأطيرها على الشكل التالي:

ثلاثة ضباط كبار وعشرة ضباط صـف + ستّة ضبـاط جزائريـين ثمانيـة وعشـرين قناصة Tirailleurs لكلّ مائة وستة وخمسين (156) مغربي.

وقد شرع في تكوين هذه القوات المساعدة من المتطوعين من الجيش المنحـل في انتظار انضمام متطوعين أخرين مـن الطوابـير الفرنسـية المغربيـة الـتي كـانت في الموانئ بعد حلّها و لم يتعدّ عدد المنخرطين في هذه القوات في 8 يولـيز 1912، ألفـين وخمسة وعشرون ( 2025 ) جندىبالرغم من الاغراءات الماديـة الـتي بذلـت لأفـراد الجيش المنحلّ، والقوانين الجديدة التي جعلت حدّا للكثير من التعسفات[220].

---

(218) ن.م.س.

(219) ن.م.س.

(220) A.M.G.V.,C.86, Principes d'organisation et de discipline militaire, Rapport Novembre, 1912.

قرر النظام الجديد الرفع من الأجور وتأديتها مسبقا كل أسبوع (انظر الوثيقة في الملحق) ومنـع أزغل.

وفي كلّ المراحل التي مرت والتي كانت فيها البعثة الفرنسية تبني فيها أسس الاستعمار الفرنسي داخل المغرب، كان أفرادها الذين استمر عددهم في الارتفاع يتقاضون تعويضاتهم من المخزن الشريف[221] .

وهكذا تكون الدول الأوربية قد وجدت في محاولة إصلاح الجيش المغربي وسيلة من وسائل التدخل السياسي والعسكري في المغرب، ويكون العسكر المغربي الذي أسس باسم الجهاد أوّل الأجهزة المغربية التي سقطت رسميا تحت الحماية الفرنسية.

## 3 ـ انعكاسات السياسة العسكرية على العلاقات الداخلية

إن الضغط الأجنبي لم يفشل المحاولات الإصلاحية فحسب، بل تسبّب أيضا في إبعادها عن مراميها الأصلية وتحريفها وتشويهها وهذا كان في مقدمة العوامل التي عقّدت العلاقات القائمة بين الحكم المخزني والرّعايا إلى حدّ التهديد بالانفساخ واتضح هذا في الوتيرة والطابع الجديد الذي اكتسته الانتفاضات القروية والحضرية وفي تمرّد الجيش نفسه في أبريل 1912.

لقد كان السّلطان سيدي محمّدبن عبد الرّحمان واعيا تمام الوعي بمدى أهمية الترابط والتماسك بين مختلف مكوّنات الدولة، كما يؤكد ذلك قوله "إنّ الرّعية لايستقيم أمرها إلاّ بجند ولا جند إلا بمال وهو لا يكون إلاّ من الرّعية"[222] .

إلاّ أنّ تطبيق نظرية مثل هذه أصبح أمرا عسيرا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب تفاحش الضغوط الأجنبية وتعدّد الثغرات ومواطن الضعف داخل الجهاز الحاكم. فعوضا عن أن تساهم السياسة العسكرية المخزنية، في استقرار البلاد، واستقامة أمور الرعية، أصبحت بالعكس، من ذلك تشكّل أهمّ العوامل التي ساهمت في الفوضى والاضطرابات.

فقد واجه المخزن منذ الشروع في تحديث الجيش ارتفاعا هائلا لمتطلبات بيت المال نتيجة، سياسة "الإصلاحات" وما كانت تستلزمه من إمكانات لتمويل الجهاز الإداري وتحديث الجيش من شراء الأسلحة وترميم وتحصين الثغور ودفع

---

(221) كانت البعثة قد كلفت المخزن إلى حدود 1897 ما يناهز 000 200 1 فرنك ذهبي.

(222) الناصري، س.ذ.، ج. 9، ص. 102.

رواتب المدرّبين والعسكر، وتحمّل الاختلاسات والتبذير وقد تزامن ارتفاع الحاجيات والنفقات العسكرية مع انهيار مداخيل الدولة، فالموارد الجمركية التي طالما ألحّ الممثّلون الأجانب على فتح البلاد وإلغاء القيود والاحتكارات لتنميتها[223] ارتفعت فعلا شيئا ما نتيجة تطور النشاط التجاري، غير أنّها كانت تسلّم مباشرة للإسبان والإنجليز لتسديد ماتبقّى من الغرامة الحربية والمبالغ المقترضة من لندن سنة 1860[224].

وتلافيا لكلّ مامن شأنه أن يتسبّب مرّة أخرى في مواجهة مباشرة مع الدول الغربية، كان المخزن يؤدي لممثّليها ومواطنيها المقيمين بالمغرب مبالغ هامة كتعويضا ت للاوربيين والمحميين عن كل ما كان يصيبهم من ضياع لأمتعتهم أو ما يتعرّضون له من جرح وقتل سواء كانت هذه المطالب قائمة على أساس أو مجرّد إدعاءات باطلة.

وقد ارتفع عدد الشكاوي وعدد التعويضات بارتفاع عدد الأروبيين ومحمييهم وبارتفاع الاضطرابات وضعف السلطة المركزية، خصوصا وأنّ سهولة انتزاع مثل هذه التعويضات بالرغم من العراقيل و"المماطلة" التي كان المخزن يلجأ إليها لتأخير أدائها كان يشجّع بعض الأجانب والمحميين على استعمال شتى الوسائل لابتزاز المخزن بافتعال نزاعات "حيث كانت البيضة تصبح ثورا"[225].

---

(223) كان هاي يشجّع المخزن على تحرير التجارة ويعطى كمثال الولايات المتحدة الأمريكية الحديثة بالاستقلال والموسكو "روسيا"وتركيا التي ارتفع إنتاجها من الذرة مائة مرة حينما سرحت تجارتها، ويردّ على تخوف المخزن من ارتفاع الأثمان إذا حرّرت التجارة بأن هذا غلط كبير لأنه إذا ارتفعت "الأثمان لابأس في ذلك حيث يكون المال بيد الرعية كثير والبلد الذي يكون به الرخا في الأكل والخدامة وغير ذلك هي بلد فقيرة" الرسالة جاء بها خالد بن الصغير، المغرب في الأرشيف البريطاني، ص. 131.

(224) في سنة 1882 كان مولاي الحسن قد أنهى تأدية الدين الإنجليزي والإسباني، واستعاد مداخيل الديوانة التي كانت مرهونة منذ 1861 مقابل هذا الدين الذي فرض على المغرب كغرامة لحرب تطوان - وفي 1894، أدى 90 مليون فرنك لإسبانيا.

(225) Ernest Fréville, « Une ambassade à Marrakech », 1898, *La nouvelle Revue* ,1er Avril 1912, p. 369.

ولم تكتف الدول الأجنبية بانتزاع تعويضات لفائدة مواطنيها ومحمييها بل تسارعت لاستغلال كل الفرص لفرض تعويضات لفائدتها المباشرة مستغلة كل الفرص والأسباب، كإهانة القنصل، أو العلم من طرف عامل أو قائد أوهجوم القبائل على الحدود بالنسبة لسبتة ومليلية والمناطق الشر قية الجنوبية.

فإسبانيا، مثلا، طالبت سنة 1894 إثر أحداث مليلية والاصطدام بين قبائل قلعية وجنودها بالأرض المسمّاة بسيدي ورياش بجوار المدينة المحتلة بتعويض ارتفع مبلغه الأصلي إلى ثمانية ملايين ريال ذهبي خفض إلى اربعة ملايين (أي ما يعادل تقريبا إيراد موسوقات الد ارالبيضاء لنفس الفترة) بعد أخد وردّ ومفاوضات تدخّلت فيها فرنسا وانجلترا.

وإذا كان مولاي الحسن قد استطاع أن يواجه هذه النفقات وأن يترك بيت المال مع ذلك مليئا[226] ، فإنّ الحالة تغيّرت منذ بداية القرن العشرين حيث تضاعفت الحاجيات المالية للمخزن لحاجته للزيادة في عدد العسكر للقضاء على الفتن ولتطبيق الإصلاح الجبائ الجديد "الترتيب" ومواجهة متطلبات تحديث الاقتصاد والإدارة والتبذير، ودخول المغرب عهد الاستهلاك قبل أن يدخل عهد الإنتاج، ودخلت البلاد مرة أخرى في سياسة القروض ورهن الديوانة.

تحت ضغط وتأثير كلّ هذه الاعتبارات ومخلّفاتها الاقتصادية والنقدية وبناء على الممارسات التقليدية المتمثّلة في اختيار "اخفّ الضررين"، اتخذ المخزن مبادرات

(226) حين وفاة مولاي الحسن كان بيت المال يحتوي على 60 مليون فرنك وهو ما كان يعادل ميزانية 4 سنوات من التسيير.

A. Ayache, *Le Maroc*, E. Sociales, Paris, 1956, p. 56.

في تقرير فرنسي : "المغرب ظاهرة خاصة فهو إمبراطورية بدون دين، وهو لايكتفي بميزانية متوازنة بل إنه يتوفرعلى مخزون ذهبي".

A.E.P., C.P.M. 238.

وقد كان مولاى الحسن إلى جانب صيانته لبيت المال وضبط مداخيله ومصارفه شديد الحرص والاقتصاد والتقشّف فى حياته العادية حتّى نعته البعض بالبخل فى حين يعزّى البعض الآخر هذا الحرص والتقشّف إلى الضّائقة المالية التي واجهها مولاي الحسن حينما اعتلى العرش حيث كانت مداخيل المغرب الجمركية مرهونة بسبب غرامة حرب تطوان.

حول الموضوع محمّد المختار اليوسى : حول مائدة الطعام، س.ذ.، ص. 32

وإجراءات جبائية جعلته يبتعد تدريجيا وبشكل خطير عن مبدإ "العدل والإنصاف" وهما ركيزتان من ركائز البيعة وشرطا ضمنيا لاتحاد الجيش النظامي في الفتاوي التي قدّمها العلماء.

وقد تسبّب ارتفاع الضغط الجبائي والعسكري في نفس الوقت الذي ظهر فيه عجز المخزن عن مواجهة الخطر الخارجي، في ارتفاع سخط الرعايا على الأوضاع القائمة في البلاد وبالتالي تعدّد الفتن والتمرّدات بين القبائل وسكّان المدن ممّا استوجب الإكثار من العسكر باستمرار وتنظيم عدد متزايد من الحركات "للنزول" على القبائل.

وبما أنّ الإمكانات العسكرية المحلّية أصبحت غير كافية لمواجهة الفتن خصوصا وأنّ القبائل أصبحت تتوفّر بفضل التهريب على أسلحة عصرية تضاهي أسلحة العسكر، فقد لجأ المخزن إلى الاستعانة بالخبرات الأجنبية ووصلت الوضعية إلى حدّ التعامل مع الجيش الفرنسي لإخماد نار الفتن في المناطق الشرقية ومع الجيش الإسباني لمواجهة الاضطرابات في شمال البلاد، الشيء الذي كان يذكي الاستياء والثورات، ممّا أدخل المخزن في أزمة خانقة أخذت شكل حلقة مفرغة، تعذّر عليه الخروج منها.

ذلك ما حصل بالذات حينما اندلعت ثورة "بوحمارة" واستنزف المخزن كلّ إمكاناته العسكرية والمالية في محاولاته شراء وساطة بعض الشرفاء والزوايا لكي تستغلّ نفوذها ولإقناع قبائل مثل بنى ورايـن والتسول والبرانس بإنهاء دعمها للفتان.

إلاّ أنّ ثورة بوحمارة بالرّغم من أنّها لم تكن ترتكز على دعوة دينية ولا على عصبيّة قبلية ولا على نداء صريح للجهاد قد تعدّى حجمها حجم الفتن العادية، فهي لم تنته كغيرها من الانتفاضات القبلية وحركات الروكيات، بتحرك المخزن بجيشه ووسطائه وشرفاءه أو على أكثر تقدير، بتدخّل عسكري سريع "توكل" فيه القبيلة أو يشعر فيه المخزن بضعفه فيحصل الاتفاق على قدر الضرائب والغرامة وعلى من يولّى كقائد، بل إنّ هذه الفتنة ساندتها كثير من القبائل المستاءة من ارتفاع الضغط الجبائي والعسكري، وانضمّ إليها عدد من العسكر الساخطين على وضعهم الاقتصادي والاجتماعي وساندتها سرّا بعض قبائل الجيش كأولاد جامع



الضابط الجزائري عبد الرحمان بن سيدرا وهو يعطي إيضاحات
لمولاي عبد العزيز عن كيفية استعمال المدفع

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى [illegible] السيد الحاج محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك
ورحمة الله [illegible] مولانا نصره الله وبعد وصل كتابك بأن باشدور القنصول
[illegible] التلغراف [illegible] من طرف كبير مليلية بأن الثائر [illegible]
[illegible] الكفرة والفرنسيس [illegible] ذلك
[illegible] رجال [illegible] دمرها الله [illegible]
تضمنه [illegible] التلغراف المذكور الذي وجهته [illegible] كلمت نائب [illegible]
في ذلك [illegible] الدولة والأمير [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] يعلم مولانا [illegible]
للدولة والأمير المذكور في ذلك [illegible] الكلام [illegible]
[illegible] والسلام في 7 محرم عام 1323 [illegible] عبد الكريم بن سليمان [illegible]

من رسائل وزير الخارجية عبد الكريم بن سليمان إلى النائب الحاج محمد الطريس المتعلقة بمعاونة الفرنسيين لأبي حمارة

(الأصل محفوظ بمديرية الوثائق الملكية)

وشراكة[227] وغذّتها الإشاعات عن السّلطان الذى صار يلقّب " بابن التركية" وصارت صورته بالبدلة العسكرية الأروبية تباع في الملاح[228] وزوّدتها فرنسا، وإسبانيا، بالمال والسلاح، والمرتزقة، خصوصا حينما استقر أبوحمارة بسلوان في الريف الشرقي على مقربة من حدود مليلية والجزائر بعد طرده من تازة، وأقام بها مخزنه حيث بايعته القبائل سلطانا تحت اسم مولاي محمّد.

وهذه المساندة الفرنسية "للروكي" لم تكن سرّا بالنسبة للمخزن كما يظهر من الرّسالة التالية التي وجهها مولاي عبد العزيز لوزير الشؤون البرانية عبد الكريم بن سليمان[229] وجاء فيها :

"وبعد فقد علمتم ما راج في شأن الفرنصويين الخائضين مع الفتان دمّره الله وما أجاب سفير الفرنصيص لخديمنا الحاج محمّد الطريس والأمين الحاج محمّد المقري حين كلّماه في الموضوع، وقد ورد الخبر الصحيح الذي لاشكّ فيه بأنّ عددا من الفرنسيين نزلوا هذه الأيام بمليلية وتوجّهوا عند الفتان ويقال إنهم أتوه بعدد له بال من الفرنك وأوقف لهم الفاسد صفوف الأوباش المتجمعين عنده على هيئة عسكر المخزن وازداد بذلك طيشا وضلالا وإغراءا للمغرورين. وقد تبين أن الفرنصويين المذكورين هم مجتهدون في تقوية الفاسد وإعانتهم إياه على إثارة نيران الفساد وأن هذه الإثارة مضادة لهذه الدولة المغربية ومخالفة لما أجابت به جارتها الدولة الجزائرية غير مامرة وأنه لايكون السكوت عن مثل هذا والتراخي في إعمال المتعين فيه وأصدرنا أمرنا لخديمنا النائب والأمين المقري بمباشرة الكلام بالمقتضى مع رئيس المؤتمر الصبنيولي في شأن تسريح حاكم مليلية للفرنصويين

---

(227) الحجوي، س.ذ، ص. 33.

قد يكون انضمام شراكة للثوّار راجعا لاستياء أبناء القائد العربي ولد بّامحمّد الشّركي باشا جيش شراكة من الإهانة التي تلقّوها من مولاي عبد العزيز إذ أنّ عبد الكريم الشّركي وأخواه الحسن ومحمّد قائد الرّحى في جيش شراكة أهدوا أختهم لمولاي عبد العزيز ولكنّه لم يهتم بها وتركها في دار أهلها. وقد صار عبد الكريم الشّركي قائد مشور مولاي حفيظ فيما بعد .

(228) D. Trenga, *op. cit.*, p. 16.

(229) الرسالة أوردها عبد الوهاب بن المنصور في أعلام المغرب العربي، الرباط، 1979، الجزء الأول، ص. 368.

المذكورين الخروج عند الفتان وما في ذلك من الخرق للشروط وفتح الذعائر وما يترتب عليه.
وكذلك من الرسالة الموجهة من وزير الخارجية عبد الكريم بن سليمان إلى الطريس بتاريخ 7 حجة 1323 - 2 فبراير 1906[230].

وقد كانت فرنسا ترمي من وراء إعانتها "السافرة" هذه للروكي، زيادة على رغبتها في زعزعة الأوضاع العامّة في البلاد، إلى دفع المخزن لتوسيع اختصاصات بعثتها العسكرية وتوريطه فى الاستعانة بجيوشها المرابطة في الجزائر على غرار الروكي نفسه.

- وبالفعل فقد بدأ المخزن يلجأ إلى السلطات العسكرية لمنطقة وهران والتخوم الجزائرية المغربية لنقل جيوشه عبر البحر وإنزالها بالموانئ المجاورة للحدود ونقلها لمدينة وجدة وقصبة العيون ثم لجبهات القتال ولم تكن هذه أول مرة يستعين فيها المخزن بالجيش الفرنسي لنقل عساكره، فبعد احتلال توات واتفاقية الحدود الجزائرية المغربية لعام 1901 قامت اللجنة المغربية الفرنسية التي كان يرأسها الجنرال كوشميز والجبّاص بالذهاب إلى فجيج لتبليغ السكان قرارات الاتفاقية ونقل 150 عسكريا من حامية وجدة إلى فجيج في القطار الفرنسي.

وقد كان لمظهر الوئام هذا بين المخزن والفرنسيين المحتلّين لتوات وقع سيّئ على القبائل حتى أن الجبّاص تعرّض للسبّ والتهديدات بالقتل من طرف قبائل قنادسة وبشّار حينما بدأ يفسر الاتفاقية، بالرغم من أنّه كان قد مهّد لحضوره بقراءة ظهير في مساجد فكيك، يحث السلطان فيه السكان على النظام ويفسّر أنه يريد جعل حدّ للقتل والنهب[231] وزيادة على عمليات نقل العساكر صار أفراد المخزن الذين يقودون الحركات يلتجئون إلى الاحتماء بالقوات الأجنبية في مليلية والجزائر حينما يرتفع عليهم ضغط الروكي : فمثلا في سنة 1902 التجأ مولاي المراني إلى مليلية بعد أن انقطع عنه الزاد[232] وكذلك مولاي عرفة الذي دخل

---

(230) **ن.م.س.**(انظر الرسالة ص 392)

(231) St René Taillandier, *op. cit.*, p. 69.

(232) عبد الوهاب بن المنصور، **أعلام المغرب العربي، س.ذ.**، ج. 1، ص. 378.
كانت محلة المراني تحتوي على 14 مدفع.

للجزائر فارا هو ومائتين (200) من العسكر[233] وكذلك عامل وجدة الـذي التجأ إلى لالّا مغنية[234] وبعد أن كان المخزن يلجأ إلى أفـراد البعثـة الفرنسـية "المسلمين" كعبـد الرّحمـان بـن سـيدرا الـذي قـاد المدفعيـة في حركـات المنبهـي ضـد الروكي،وكذلك ضد الريسوني بجانب الجباص، صار تحت ارتفاع ضغط بوحمـارة الذي بدأ بـدوره يستعمل مدفعين اغتنمهمـا مـن العسـكر المخزنـي، يلتجئ إلى الضباط الفرنسيين لقيادة المدفعية : فمانجان قاد المدفعية ضد شراردة وأولاد جـامع وبني مطير[235] وأمام ارتفاع الخطر صار المخزن يستعين بجنـود قسـم الحـدود ففـي حركة 29 يناير 1905 و19 أبريل من نفس السنة تدخّلت الجيوش الفرنسـية مباشـرة بجانب الجيش المغربي لمهاجمـة الروكـي حيـث جـاء لاراس بمدفعيـن لمسـاندة محلّـة الركينة[236] .

وقد أورد شاهد عيان، هو الحجوي عدة نماذج لتعامل المخزن مع السلطات الفرنسية في الجزائر[237] .

وإذا كان تعـاون بوحمـارة مـع الأجـانب وإعطـاؤهم امتيـازات منجميـة في الريف قد تسبّب في تخلي القبائل عنه وفي إضعاف قوّته العسكرية وانتهاء فتنته الـتي دامت سبع سنوات، فإن تورّط المخزن في الاسـتعانة بـالأوروبيين زاد الوضـع تأزّمـا واضطرابا وجعل المؤسّسات المغربية تبدو متنافرة ومتعادية بل متناقضـة، تـرى كـلّ واحدة منها مصلحتها في إضعاف الأخرى والقضـاء عليهـا معطيـة بذلـك الفرصـة للتدخل والتغلغل الأجنبي.

فقد انشغل المخزن بإقمـاع "فتن رعاياه" عن مواجهة الكولونيل فيلينو الـذي احتل وجدة سنة 1907 وجيوش الجنرال ليوطي الذي بسط نفوذه على كل حوض

---

(233) ن.م.س.

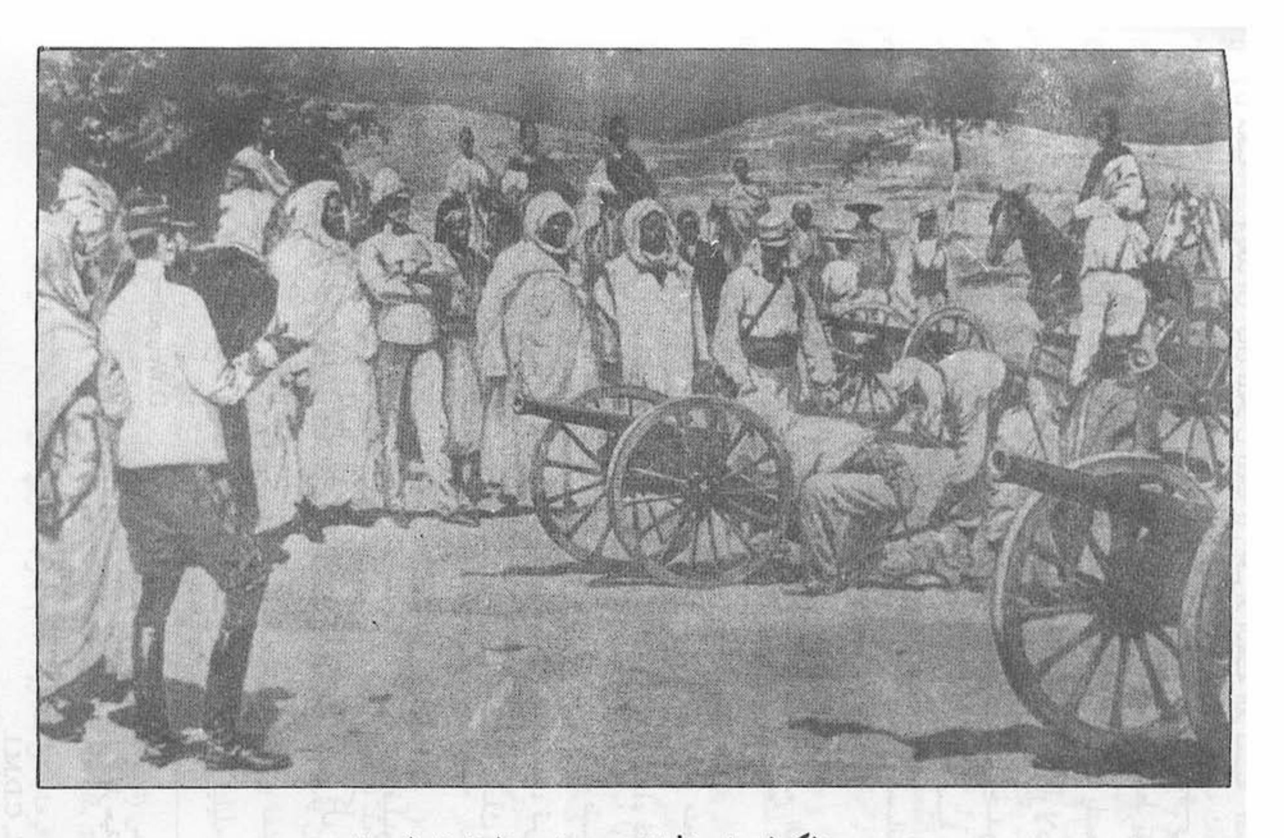
(234) ن.م.س.

(235) D.Weisgerber, *op. cit.*, p. 158.

(236) حينما تعرقلت المفاوضات بين طايلاندي والمخزن ، طلب دليلكاسي وزير الخارجية الفرنسي من طايلاندي أن يذكّر السلطان بالدور الذي لعبته فرنسا ضد بوحمارة :

A.M.A.E., C.D.M.1.

(237) الحجوي، س.ذ.، ص. 37.



الكولونيل مانجان وهو يقود المدفعية المغربية
في إحدى الحركات

ملوية كما انشغلت محلة مولاي الأمـين"بفسـاد الشـاوية"[238] عـن مواجهـة نـزول الجيوش الفرنسية في الدار البيضاء.

وبتزايد الضغط الأجنبي كـبرت الهـوة بـين المخـزن والرعايـا "وحـرّف دور الجيش المغربي نهائيا عن اتجاهه الأصلي الذي هو حماية "دار الإسلام" ضد "العـدو الكافر" وصـار يسـتعمل لحمايـة "الصديـق" الأجنـبي مـن "الفسـاد والأوبـاش"[239] فسفينة غليلي Galilée أنزلت ستّة وستّين من بحّارتها تحت حماية محلّة مولاي الأمين الذي استعمل جنوده لحراسة منازل القناصل والتجـار الأجـانب[240] تاركـا الجنـود الفرنسيين الذين نزلوا من سفن أخرى دوشايلة Du Chayla والفرو دوبـازان Alvaro de Bazan والنصر La Gloire لوكندي Le condé ولوكيـدون Le Guédon يتكلّفـون تحت حماية مدفعية مقنبلاتهم، بسحق ا لقبائل التي هجمت على المدينة لتحريرها.

و لم يلاق الجنرال درود Drude ولا الجـنرال دامـاد D'Amade أيّ أثـر لجيـش النظام في حين تعرّفا علـى كـلّ القبـائل المجـاورة للدارالبيضـاء والبعيـدة عنهـا مـن مديونة وولاد زيان وولاد حريز والشاوية وزيـايدة وولاد علـي ومداكـرة ومـزاب ومزمزة وولاد سعيد وولاد بوزيري وولاد سـيدي بـن داوود وزعـير وبـن كـيران وبني مسكين[241].

وقد عجّل احتلال الدار البيضاء بسقوط مولاي عبد العزيز وإعـلان مختلـف الجهات المغربية بعضها تلو الأخرى مبايعة مولاي حفيظ "كسلطان الجهاد"، ولكنّ هذا لم يغير من "الاتجاه" الذي أعطى للجيش المخزني، بل استعمله مـولاي حفيـظ بعد أن استتبّ لـه الأمـر ،لإخمـاد "فـتن الرعايـا" دون أن يحـاول استعماله لبلـورة الطاقات التي بايعته.

---

(238) ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 1، ص. 430.

(239) ن.م.س.

(240) Dr.Weisgerber, *op. cit.*, p. 159.

(241) انظر الهامش رقم 198.

وبقيت القبائل في بحثها عن من يعبئها للجهاد تشتت طاقاتهـا العسـكرية في مساندة كل من ادعـى الجهـاد ونـادى إليـه مـن بوحمـارة وبوعمامـة[242] وبونوالـة وبوحصيرة.

وإذا كان الجيش المغربي قد سقط تحت النفوذ الأروبي، كجهاز مخزني، و لم يقاوم التدخل الأروبي كقوة منظمة فإن أفراده بصفتهم مغاربة شـاركوا في حـدود إمكانياتهم في الانتفاضات التي عمّت كل البلاد فحامية وجدة مثلا التي نقلـت إلى فكيك تمردت على الرجراجي عامل وجدة سنة 1902[243].

(242) محمد بن العربي البوشيخي البكري المعروف ببوعمامة مـن قبيلـة ولاد سيدي الشـيخ ولـد في الحمام الفوقاني بواحات فجيج سنة 1840، قـاوم التدخـل الفرنسـي في هـذه المنـاطق. والتـف حوله السكان للجهاد. أعلن "الجهاد الأكبر" في أبريل 1881. وكاتب شـيوخ القبـائل المغربيـة والجزائرية لحمل السلاح ضد الفرنسـيين وكبـد الجيـوش الفرنسـية خسـائر كبـيرة في الأرواح والعتاد. طارده الفرنسيون فارتحل إلى كوارة في إقليم توات، وصار يغـير علـى قوافـل وقصـور القبائل المواليية للفرنسيين. وانضم إليه السكان الرحل، وكذلك محمد العربي العلوي المدغـري أحد المتصوفة المجاهدين، وكاتب مولاي الحسن لمده بالسلاح. بعد احتلال توات في آخر عهد مولاي الحسن، انتقل إلى فجيج، واسـتمر في الهجـوم علـى القوافـل، وقطـع الطـرق، مسـتغلا ضعف المخزن واستياء السكان من اتفاقية الحدود 1901 لتوطيد سلطته على المنطقة. واتصلـت حركته بثورة أبي حمارة. وفي مطاردته احتل الفرنسيون عين بني مطهر. وبقي يحـارب المخـزن في ناحية وجدة إلى أن توفي في أكتوبر 1905.

بوحصيرة عبد القادر العتيكي اليزناسي، بدأت حركته سنة 1902 دعى أنه مولاي عبد العزيز وأنه فر من أسر القايد ماكلين. انضمّ لحركة بوحمارة ثم التجـأ إلى مغنيـة، ودخـل في خدمـة الفرنسين.

وهذه الحركات زخرت بها المنطقة الشمالية الشرقية على الخصوص، في الفترة التي ارتفع فيهـا الضغط الأجنبي، وتلاشت السلطة المركزيـة وهـي حركـات اختلطـت فيهـا الدعـوة للجهـاد، والشعوذة واللصوصية والطموح للحكم. الحجوى، س.ذ.، ص. 28.

(243) St René Taillandier, *op. cit.*, p. 68.
A.E.P, C.D.M. 1.
A.G.P., Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*; Felix Alcan, Paris, 1923, pp. 213-214.

كما أنه لم يبق من العسكر الثلاثمائة (300) الذين تقرّر نقلهم من العرائش إلى الحدود سنة 1904 ليتدربوا ويعملوا بجانب الجيش الفرنسي على نشر "الأمن" في الحدود إلا مائة وثلاثين عسكريا(244) حيث فرّ الباقي حينما جاء الفرنسيون لنقلهم، وعسكر الدار البيضاء شارك مع القبائل في الهجوم علىالفرنسيين الذين استقروا في الديوانة لاستخلاص الدين الفرنسي للمخزن(245) كما أن حامية مرسى الدارالبيضاء رغم الأوامر التي أصدرت إليها بفتح أبواب المرسى للبحارة الفرنسيين قامت بإطلاق النار عليهم بتشجيع من أحد أفراد الحامية محمّد البياز المسفيوي(246). كما أن أحد الطبجية محمد وشت أطلق نيران مدفعية الدارالبيضاء على المقنبلة غليلي رغم أنه لم يتلق أي أوامر لذلك(247) .

وقد توجت كل هذه العمليات الفردية بانتفاضة العسكر في 17 أبريل 1912. وهذه الانتفاضة حاول بعض السياسيين الفرنسيين مثل فرانسوا رنيو François Regnault القنصل الفرنسي في فاس تفسيرها تفسيرا تقنيا، إذ يؤكد أن سببها هو رفض العسكر المغربي لحمل "الكيس العسكري لأنه يشبه (البردعة) وكذلك لرفض خصم قدر من أجورهم مقابل المؤونة اليومية "القطوع"(248).

ولكن حجم الانتفاضة وضروفها تجعل هذا التفسير غير مقبول منطقيا.

- فالاحداث وقعت في العاصمة فاس عدة أيام بعد توقيع عقد الحماية أي في مدينة يعمها الاستياء والغضب(249) وتحتلها الجيوش الفرنسية للجنرال برولار

(244) St René Taillandier, *op. cit.*, p. 69.

(245) ابن زيدان، **الإتحاف**، **س.ذ.**، ج. 1، ص. 388.

(246) St Aulaire, *op. cit.*, p. 141.

(247) ابن زيدان، **س.ذ.**، ج. 1، ص. 423.

(248) كانت أجرة العسكر لهذه الفترة 5 بليون يوميا أي ما يساوي فرنكا واحدا، وقرر الفرنسيون رفعها إلى 6 بليون شرط أن يخصموا منها النصف مقابل الغداء اليومي أو القطوع.

(249) يظهر هذا الجو العام الذي كان يسود فاس من خلال الاستقبال الذي خصصته المدينة للوفد الفرنسي المرافق لرونو الوزير المفوض الفرنسي بطنجة، الذي كلف بتوقيع معاهدة الحماية وكان الوفد حين خروجه من طنجة مؤلفا من 15 فردا، من بينهم 4 موظفين من القنصلية ونائب برلماني، وموظف من الحكومة العامة في الجزائر، وضابطان، و4 نساء، ومراسلون

Brulard التي كان عددها يتعـدى 1500 فـرد، منقسـمة إلى طـابورين مـن الرمـاة، وطابور من المدفعية، وفصيلـة مـن الرشاشـات، وفرقـة مـن الإصباحيـة وفرقـة مـن القناصة الإفريقيين، بينما كان الجيش المخزني الذي يبلغ 5000 فرد بما فيـه الحـرس الملكي، والمهندسين، متفرقا بـين قصبـة شـراردة، بقـرب بـاب السـاكمة، والـبرج الشمالي (برج النور) والبرج الجنوبي، وتكنة تامديغت بقرب باب فتوح.

وقد انطلقت الشرارة الأولى من قصبة شراردة حيث أطلق الطابور 4 للمشاة النار على الـدربين الفـرنسيين وانطـلق الجنـود من القصـبة ينـادون "لا إلاه إلا اللّه"

---

صحفيون : مراسل وكالة هفاس ولماتن ولَدِبش مروكان والتحق بالوفد الجنرال بيـو Baillond والجنرال مواني Moinier.

فعند وصول الوفد إلى فاس وجد في استقباله أعضاء المخزن، واليهود في باب السـاكمة الذيـن استقبلوه بفرق موسيقية منها من قامت بالموسيقى الوطنية الفرنسية. ولكن من باب الدكـاكين إلى بوجلود لقي الفرنسيون صمتا رهيبا، وطريقا خالية، مـاعدا مجموعـة مـن العـاهرات، جـاء بهن باشا فاس لإطلاق الزغاريد. ومن الدوح إلى قصر الجـلاوي الـذي كـان مخصصـا لإقامـة الوفد، كانت الطريق كذلك خالية.

وحينما وقّع عقـد الحمايـة في 30 مـارس، عـم الحـزن والحنـق جيمـع الأوسـاط مـن "العلمـاء والشرفاء إلى البقال". لأن "سلطان الجهـاد بـاع طرفـا مـن أرض الإسـلام إلى الكفـار" وسـاد "صمت رهيب كالذي يسبق العاصفة" ولم يعد الأوربيون يـرون "أي ابتسـامة في الشـوارع". وعاد الأطفال ينشدون عند مرورهم "النصارى في السنارة واليهود في السفود وشيخنا في الجنة واحنا عليه شهود".

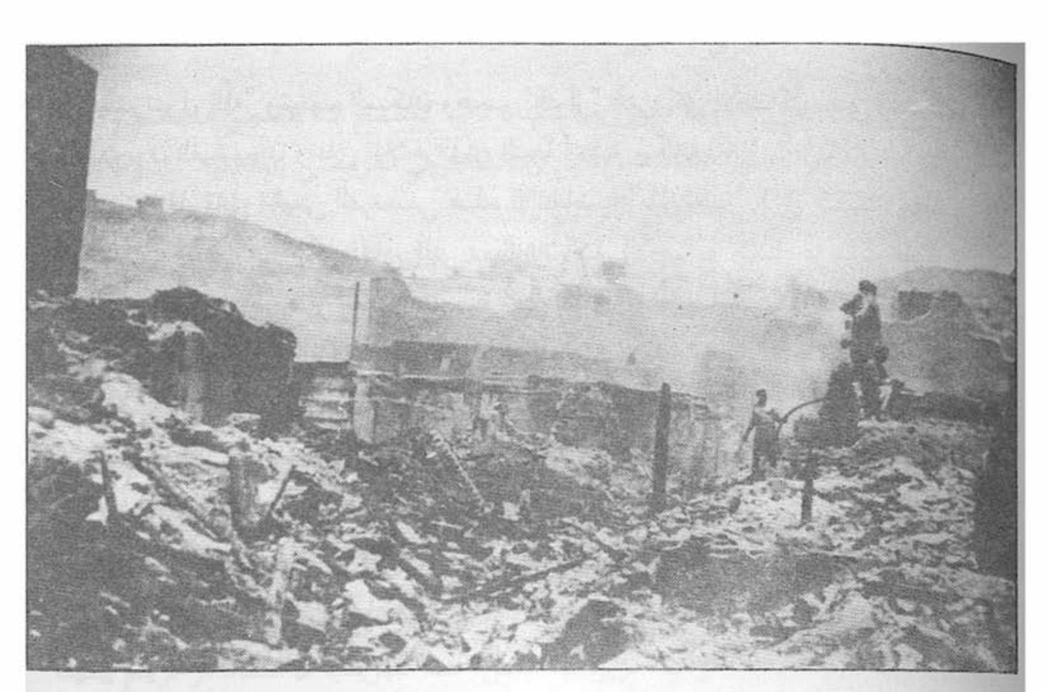
كما شاع الخبر بأنه سيقع هجوم على "الباشدور" لينتزعوا منه عقد البيع.

وقد كانت هناك مؤشّرات على السّخط قبل انتفاظة العسكر في أبريل منها قتل جنديّ مغربـي لضابط فرنسي أثناء التّدريب في 18 مارس.

حول الموضوع : A.M.G.V., n°1 k217. Rapport du 4-1912

Dr Weisgerber, *op. cit.*, pp. 264- 293.

E.Burke, *Prelude to Protecte in Morocco Precolonial Protest and Resistance, 1860-1912*, Chicago, 1976, pp.180-183.





صورتان لبعض أحياء فاس التي قصفها الفرنسيون بمدفعية دار المهراز
بعد انتفاضة العسكر المغربي سنة 1912

محمّدرسول اللّه" وتبعهم السكان وهجم "الثوار" على كل الأماكن التي يسكنها المدربون الفرنسيون وعلى الملاح الذي التجأ أغلبية سكانه لدار المخزن .

وقد قابل الجيش الفرنسي هذه الانتفاضة "بالمدفعية" التي كانت "بظهر المهراز" حيث رمى الكومندار فلبو Philipot كل الأحياء، كما خرجت طوابير الجيش الفرنسي من دار الدبيغ متجهة نحو الملاح ولكنها حوصرت من طرف العسكر المغربي وخيالة القبائل وقد دامت المعارك ثلاثة أيام، استنجد فيها الجيش الفرنسي الموجود في فاس بالجيش الموجود في مكناس تحت قيادة الكومندار دودو Doudous الذي جاء لنجدته بفرقة من المدفعية وفرقة من الفيلق الأجنبي والإصباحية ومع ذلك لم يستطع الجيش الفرنسي أن يجعل حدا لهذه الثورة إلا بإعانة طوابير مغربية كطابور المهندسين (الذي دربته البعثة الفرنسية) وطابور أبي جمعة بن مبارك المسفيوي[250] وبإعانة العلماء والشرفاء الذين صاروا يهدئون السكان وكذلك بحضور الجنرال مواني Moigner من تفلت ب 9 فيالق من المشاة، وفيلقين من الخيالة وفرقة من المدفعية وفرقة من الرشاشات.

وقد بلغ عدد القتلى الفرنسيين 9 من المدربين 19 ضابط وضباط الصف و35 من الرماة (من بينهم ضابطان) و70 جريح وكما جرح 70 من يهود الملاح.

---

(250) أبو جمعة بن مبارك المسفيوي، من قبيلة مسفيوة، عمل داخل الجيش المخزني، واشتهر على الخصوص في الحملات ضد بوحمارة ضمن محلة القائد إبراهيم بن عودة، انتقل مع ابن عودة إلى طنجة، ودخل طابور الحرابة الذي كان يدربه المدرب العسكري الفرنسي فاريو Fariau . في سنة 1906 شارك في محاربة الريسوني. ثم عين قائد حامية القصر الكبير، وشارك داخل جيش مولاي عبد العزيز في حركته ضد أخيه مولاي حفيظ. وبعدما تم الأمر لهذا الأخير، عاد كقائد لحامية القصر الكبير، ثم كقائد رحى على رأس طابور المشاة السادس بفاس، وشارك في الحركات ضد القبائل الثائرة ضد مولاى حفيظ. لعب دورا مهما في إخماد انتفاضة العسكر المغربي بفاس في 17 أبريل 1912. عمل في عهد الحماية كخليفة لابن عودة حينما سمّي هذا الأخير عاملا في تادلا، وفي سنة 1913 صار باشا في بني ملال وأضيفت له عمالة تادلة سنة 1920. شارك في حركة قمع القبائل الأطلسية المجاهدة ضد الفرنسين. توفي سنة 1942 ودفن في الزاوية الكتانية.

أما القتلى المغاربة فليس بين يدينا وثائق تسمح لنا بتقدير عددهم.ولكنّ صورا متعدّدة لبعض أحياء فاس التى رماها الجيش الفرنسى بالمدفعية تشهذ على درجة عنف ردّ فعل الجيش الفرنسى.

وقد ندد مولاي حفيظ يوم 20 أبريل بـ "القتل" و"النهب" الذي تعرض له الأروبيون وطلب من "عباد اللّه" أن يتقوا اللّه في أنفسهم.

وسواء كانت هذه الخطبة قد بددت أم لاشكوك الفرنسيين حول دور السّلطان في هذه "الأحداث" فإن فرنسا اغتنمت هذه الثورة لإعطاء الضربة القاضية للعسكر المغربي فقد جرّدته من سلاحه وسجنته في التكنات وأعلنت حالة الطوارئ في فاس وأعطت كل السلطات المدنية والعسكرية لحاكم عسكري هو الجنرال ليوطي و لم يبق عليها بعد أن أجهزت على كل القوى المنظمة في البلاد إلا أن تقابل القوى القبلية التي كانت تعرف خطورتها حينتما قررت خمس سنوات قبل إقامة الحماية في مؤتمر الخزيرات جعل حدا لتهريب الأسلحة وتحريم بيعها للسكان[251].

---

(251) في الباب الثاني من معاهدة الجزيرات تتعرض الفصول من 13 إلى 26 لمسألة السلاح مثلا الفصل 15 ينصّ على "تحريم تجارة واشتراء الأسلحة الحربية وكل ما يدخل فيها من عدّة وبارود وملح وFulmicoton وما يدخل في صناعة المفرقعات وهذا التحريم يعم جميع أنحاء الإمبراطورية الشريفة."

# الخـــاتمـــــة

خرج المخزن من القرن التاسع عشر، بعدما يزيد عن 50 سنة من المحاولات لإعادة هيكلة الجيش المغربي وتقويته، أضعف مما كان عليه قبل الشروع في هذه الهيكلة، إذ لم يستطع مواجهة الانتفاضات الداخلية، ولا مواجهة التدخل الأوربي الذي انتهى باحتلال عسكري لم ينحصر في مدينة واحدة كما كان عليه الأمر بعد حرب تطوان، بل شمل أطراف البلاد، جنوبا وشرقا وغربا، لتستقر الجيوش الأجنبية، رسميا في العاصمة، ثم شيئا فشيئا في باقي النواحي.

فتحديث قوة البلاد العسكرية بتأسيس جيش نظامي، وتسليحه تسليحا عصريا، احتلّت مكانة بارزة ضمن سياسة "الإصلاحات" التي نهجها المخزن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وانطلقت من إجماع عام بضرورة تقوية الجيش، للقدرة على مواجهة التحديات الجديدة. مما سمح بتعبئة طاقات بشرية ومادية هامة، فاقت الإمكانيات الداخلية.

ولكن الظروف الخارجية والداخلية التي واكبت هذا التحديث، لم تكتف بإفشاله، بل حرفته عن انطلاقته الأصلية، وجعلته يعطي نتائج عكسية للنتائج المتوخاة.

فنجاح "الإصلاح العسكري" بمعنى إحداث جيش قادر في نفس الوقت على فرض احترام سلطة الدولة الإدارية، والقضائية، والجبائية داخل البلاد، والتصدي للأطماع الخارجية، كان مقيدا من جهة، بالمبادرات الإصلاحية المتخذة في المجالات الداخلية الأخرى، سواء منها القطاعات الاقتصادية، أو الإدارية، أو الهياكل المخزنية المركزية منها والإقليمية، وبإعادة النظر في العلاقات السياسية بين الرعية وبين المخزن المركزي والإقليمي، ومن جهة أخرى بمدى حرية تصرف المخزن، وإفلاته من ضغوط القوى الاستعمارية .

فكل القطاعات الداخلية، كانت إلى حد ما متماسكة، وإعادة هيكلة أجهزة الدولة، بما في ذلك المؤسسات العسكرية، كانت تقتضي توفر الخزينة العمومية ـ بيت المال ـ على الإمكانات المالية اللازمة لدفع رواتب منتظمة للقواد، والأمناء، والجنود. والحصول على هذه الأموال، كان هو الآخر يستلزم تدابير متعددة منها رفع مستوى الإنتاج، وإيجاد صيغة لضمان دخل جبائي كافي، دون المس بالتعاليم الإسلامية، فيما يخص المقاييس، التي تحدد واجب الأعشار والزكاة، وفيما يخص مبدأ المساواة بين المسلمين، ومراعاة الإنصاف بمعناه الشرعي، وهذا كان يقتضي بدوره إعادة النظر، في الامتيازات التقليدية الممنوحة لبعض الشرفاء، والزوايا، والمرابطين، وقبائل الجيش. كما كان يقتضي إلغاء الامتيازات الهائلة التي حصل عليها بعض المغاربة، بفضل انتمائهم للمخزن، أو تعاملهم مع الأجنبي.

كل هذه المعطيات، تدل على أن إدخال إصلاحات كان لا يتطلب نهج سياسة منسجمة ومتكاملة العناصر والأبعاد فحسب، بل اتخاذ تدابير من شأنها أن تغير الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، رأسا على عقب. وهذا أمر كانت لاتسمح به الظروف الدولية، ولا المعطيات الداخلية. إذ أنّ المخزن نفسه كان غير قادر على إعادة النظر بكيفية جوهرية وجبرية، في مكوناته التقليدية، ونهج سياسة جديدة، والابتعاد عن التوازنات التقليدية ذلك هو أساس ترددات السلاطين، وعدم اقتناعهم أحيانا بجدوى "الإصلاح" وفعاليته .

وإلى جانب تردد الدوائر الرسمية، لم تظهر مختلف الفئات الاجتماعية المغربية الأخرى، أي استعداد لتشجيع هذا " الإصلاح"، ولتحمل أعباءه. خصوصا وأنه يمس بدورها التقليدي، ونوعية العلاقات التي تربطها بالمخزن.

فمثلا كبار التجار الذين كان بعضهم ينتمي سابقا لفئة تجار السلطان، وهم الفئة الأكثر وعيا بضرورة "الإصلاح" بحكم احتكاكهم بأوروبا والمشرق، لم يشجعوه بشكل إيجابي، رغم تقلد البعض منهم مهام سامية في المخزن لأنهم لم يكونوا مستعدين لتحمل أعباءه، وما ينتج من مس أرباحهم وتراكم ثرواتهم.

وبعض الزوايا كذلك، كالزاوية الوازنية، وزاوية تمصلوحت، تخلت عن دورها التقليدي في الجهاد، وتعبئة الطاقات الشعبية من أجله، وأصبحت تتعامل مع

الأجنبي، وتتآمر معه ضد السلطان، وتضع رهن إشارته نفوذها الروحي، وتظهر استعدادها لخدمة مصالحه السياسية والترابية.

والقبائل التي كانت بحكم بنية البلاد السياسية العسكرية، تتوفر على تقاليد عسكرية، وتساهم في المجهود الحربي ضد الأجنبي، وفي الحركات الداخلية، كان من الصعب عليها أن تستسلم، ولا تعارض محاولة المخزن الرامية إلى الانفراد بالقوة المسلحة، واحتكارها، في الوقت بالذات الذي ارتفعت فيه حاجاته المالية وضغوطه الجبائية.

وقد وجدت هذه القبائل في تجارة التهريب المزدهرة بسبب انحلال الهياكل المخزنية، وعدم قدرتها على مراقبة مجموع التراب الوطني، وسيلة للحصول على الأسلحة اللازمة لمواجهة عساكر المخزن.

وتعدد الانتفاضات، وانتشار الفوضى، وحاجة المخزن إلى العسكر، تطلب تنظيم محلات وحركات متعددة، مما أدى إلى تزايد تكاليف المخزن المالية، ووسع الهوة أكثر فأكثر بين الحكم والرعية.

وقد استغل الأجانب هذه الحالة للتغلغل أكثر فأكثر داخل البلاد.

فالضغوط الأجنبية التي كانت دافعا أساسيا للإصلاح العسكري، واكبت هذا الإصلاح في كل مراحله، وتداخلت معه إلى حد الارتباك، حتى صار كل منهما في نهاية الأمر يغذي الآخر، ويعتمد عليه. كما أن هذه الضغوط أدخلت المخزن في متناقضات استمرت طيلة الإصلاح، وارتفعت حدتها بتوسيع حدوده.

فعملية تحديث الجيش، أي تأسيس عسكر "النظام"، واقتناء العدة، كانت منطلقة من مبدأ "الجهاد"، ومن قوله تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم". ولكن ربط هذا التحديث "بالعدو الكافر"، في وقت ارتفعت فيه الأطماع الاستعمارية، وظهر فيه التفوق العسكري، والسياسي الأروبي، أعطى للأجانب الفرصة لتدعيم مصالحهم، وبسط نفوذهم، والتسرب داخل البلاد من خلال الجهاز العسكري المغربي الرسمي، وساهم في إضعاف الكيان المغربي.

وبالفعل، فالسياسة العسكرية التي سلكها المخزن للقدرة على مواجهة الأطماع الأوروبية، وتقوية السلطة المركزية، فشلت على الواجهة الخارجية والداخلية.

فعلى الواجهة الخارجية، تحولت هذه السياسة لصالح الأوروبيين سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي :

فعلى المستوى الاقتصادي وجد الأجانب في سياسة اقتناء العدة، فرصة للربح. إذ فتحت السوق المغربية أمام منتوجات شركات السلاح الرأسمالية الأجنبية، التي تسابقت لبيع المغرب الأسلحة الغربية، بجميع أنواعها، سواء منها المتجاوزة تقنيا وتجاريا، أوالحديثة التي تعجز الأطر المغربية عن استعمالها.

ومن الناحية السياسية : استطاعت الدول الأوروبية أن تستغل "إصلاح الجيش"، لتنفيذ خطتها الاستعمارية سواء على المدى القصير أو البعيد.

فعلى المدى القصير، أتاح اللجوء لمدربين وتقنيين أجانب، الفرصة للدول الأوروبية لوضع بعثاتها العسكرية داخل "المخزن المتحرك" لتقصيأخباره، وجس نبض البلاد، وكسب الأتباع الشيء الذي كانت تعجز عنه القنصليات المستقرة في السواحل.

وعلى المدى البعيد : ارتفعت تبعية المخزن العسكرية للدول الأجنبية. وبعدما كان اللجوء للأسلحة والأطر الأوروبية، يظهر اختياريا في البداية، صار يكتسي صبغة إجبارية وحتمية مع مرور الوقت. فالبعثات الأجنبية التي لم يقبلها السلطان مولاي الحسن، إلا بكثير من الاحتراس، وحاول فيما بعد، وبدون جدوى، عزلها والاستغناء عنها، صار المخزن بعد وفاته، وتحت ضغط الأحداث الداخلية والخارجية، يستعين بخبرتها العسكرية في حركاته ضد القبائل. وارتفع عدد أفرادها، واتسعت اختصاصاتها، وصارت كل محاولة من المخزن للتخلص منها، تنتهي بالفشل لارتفاع احتياجه إليها. خصوصا وأن استعمال الأسلحة الحديثة، وخصوصا المدافع، بقي من اختصاصها. وانهماك المخزن في سياسته العسكرية الجديدة، وصرف كل جهوده وأمواله في تأسيس جيش نظامي احترافي، جعلته يبتعد أكثر فأكثر، عن فكرة تقوية القبائل، وتعبئتها للجهاد. مما أفقد هذه القوى العسكرية والسياسية المغربية التقليدية المبلور، وجعلها تقاوم التدخل الأوروبي

متشتتة وفي فترات مختلفة. وهذا سهل مأمورية القوات العسكرية الأوربية التي لم تجد أمامها قوة موحدة، لافي الزمان، ولا في المكان.

وعلى الواجهة الداخلية، فإن الظروف السياسية الداخلية والخارجية، وضعف إمكانيات المخزن الاقتصادية والإدارية، وعجزه عن إعادة النظر في العلاقات السياسية التقليدية بينه وبين الرعية، حالت دون جعل العسكر النظامي مؤسسة وطنية، تصل طور النضج العسكري والسياسي، بعد أكثر من نصف قرن من الجهود.

إذ لم يكن الجيش في آخر المطاف قادرا أن يتحمل وحده المسؤولية العسكرية لا في إقرار الأمن والنظام، ولا للحفاظ على الاستمرارية.

وإذا كان السلطان مولاي الحسن، قد استطاع بفضل سياسته العسكرية أن يعيد للدولة مظهر الهيبة والقوة، فإن هذا المظهر مالبث أن تلاشى بعد وفاته.

فتدعيمه الجهاز المخزني التقليدي بعسكر نظامي حديث، أضاف في عهده الفعالية العسكرية للهيبة المخزنية، دون أن يمس بمظهر الانسجام بين مختلف العناصر المكونة لجيشه في حركاته التسع عشر. لأن عرش مولاي الحسن،كان فوق حصانه. ولكن هذا الانسجام، اضمحل حينما صار مولاي عبد العزيز وبعده مولاي حفيظ يوجهان المحلات من داخل القصر، تحت قيادات لم يبق لها أي وزن سياسي أو عسكري. مماجعل الخلافات التي كانت بين مختلف العناصر المكونة للمخزن، والفوضى السائدة داخل الجهاز الحاكم، تنعكس على الجهاز العسكري، وتظهر الجيش المغربي بمظهر الفوضى، وتسبّب له انهزامات متتالية، أفقدته ومعه المخزن، الهيبة والشعبية.

كما أن تأسيس قوة عسكرية من مختلف القبائل والمدن، نخر القاعدة السياسية والعسكرية التقليدية للمخزن التي هي قبائل الجيش، دون أن يعوّضها بقوّة حقيقية أخرى، يعتمد عليها. إذ لم يستطع العسكر الذي همّش قبائل الجيش، ولا طبقةً التجار التي بدأت تنافسهم في المناصب المخزنية، أن يعطي مولاي عبد العزيز، ولا مولاي حفيظ، ركيزة عسكرية وسياسية، يعتمدان عليها وتقيهما من السقوط تحت التبعية الأجنبية.

# المصادر والمراجع

## الوثـائق

### الوثائق المغربية

- وثائق الخزانة الحسنية  الرباط :

- كنانيش، الجيش من عهد مولاي سليمان إلى عهد مولاي عبد العزيز.
- مستفاد مرسى الدار البيضاء، كناش 178.
- مداخيل بيت المال من المكس لمدن مختلفة، كناش 11.
- كناش بين الحكومتين البلجيكية والإنجليزية من جهة والحكومة المغربية من جهة لشراء الأسلحة، رقم 117.
- كناش الطابع الشريف، 1695.
- مساجين فاس بالدكاكين والزبالة، كناش 214.
- مراسلات سلطانية، الكناش 429.

- وثائق الخزانة العامة الرباط :

- كناش بليمني، فيلم رقم 4.
- كناش البوكيلي.
- سجل الترتيب العزيزي، 1901، ميكروفيلم 824.
- رسائل سلطانية إلى المحتسب مولاي عبد ا لله البوكيل، D3410 .
- مراسلات سلطانية، D3083‒3144D--D3074

### الوثائق الأجنبية

- وثائق وزارة الحربية الفرنسية، فانسين باريسChateau de Vincennes :

- السّلسلة 3H من 3H1 إلى 3H 91
- السّلسلة K1 من 1K74إلى 1K343.
- السّلسلة C من 1 إلى 24.

- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية كي دورسي باريس Quai d'Orsay .
  - مراسلات سياسية، المغرب.C.P.M
  - مراسلات دبلوماسية .C.D.M
  - مراسلات سياسية وتجارية .C.P.C.M
  - سلسلة جديدة Nouvelle série من 1 إلى 282.
- وثائق ما وراء البحار، إكس أن بروفانس:

Archives d'Outre-Mer, Aix en Provence سلسلة Kg 1 من 115 إلى 189.

- وثائق وزارة الخارجية البريطانية، لندن Foreign Office السلسلة.

F.O. 99, F.O. 174, F.O. 880, F.O.881.

## المخطوطات


أبو حامد محمّد بن العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي:

- **الأبصار بذوي المعرفة والاستبصار**، خ.ع. 579.
- **الحسام المشرفي لقطع لسان العجرفي النّاطق بخرافات الجعسوس سيّء الظنّ أكنسوس**، خ.ع.، ك 2276.

أبو قاسم الزياني :

- **البستان الظريف في دولة مولاي الشريف**، خ.ع.، فيلم 1435، مخ. د 1577 .
- **لترجمانة الكبري**، خ.ع.، رقم ك 3252.
- **عقد الجمان في شمائل السلطان مولانا عبد الرحمن**، خ.ع.، ج. 40.

أحمد البوقوي المدعو الحاج عنقود، **الباز في علم المدفع والمهراز**، خ.ع.، رقم د3368.

أحمد السلمي، مقتطفات من كتاب **الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن**، ح.ع.، ميكروفيلم 590، ك 594.

إبراهيم بن أحمد غانم بن محمد بن زكريا الأندلسي، **كتاب العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، خ.ع.، رقم ج. 87، فيلم 548.

ابن عزّوز، **رسالة العبد الضعيف إلى السّلطان الأعظم الشّريف**، خ.ح.، د 1623.

الحسن بن محمد الحسني الإدريسي المنوني، **المنزع اللطيف**، خ.ع.، ج. 595.

الدرقاوي، **منشور يدعو إلى الحرب**، خ.ع.، D 3353 .

السملالي، **مطابع الحسن وأتباع السنين بطلوع راية مولانا الحسن**، خ.ع.، رقم 81.

عبد السلام القادري بن عبد الله بن الخياط، **التحفة القادرية في التعريف بشرفاء وزان**، خ.ع.، ك2321. (جزءان).

عبد الله بن محمد بوجندار الرباطي، **الاعتباط في تراجم أعلام الرباط**، خ.ع.، د 1287، الفيلم 1825.

عبد النبي بن العباس الصنهاجي الرباطي، **نزهة المجالس في علم أحكام المدافع والمهاريس**، خ.ح.، 1043، من ص. 1 إلى ص. 67.

عبد الودود بن محمد التازي الأندلسي، **نزهة الأخبار في مناقب الدّلائيين**، خ.ع.، د2581.

العبدري الحاحي، **رحلة العبدري**، خ.ع.، ج. 81.

العربي المشرفي، **الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية**، خ.ع.، رقم د1463

العربي بن أحمد بردلة (القاضي)، **رسالة إلى مولاي إسماعيل**، خ.ع.، د 163.

محمّد العياشي، **زهرة البستان في أخبار مولانا زيدان**، خ.ح.، رقم 3274.

علي بن محمّد السّوسي، **غاية الاستعانة في حكم التوظيف والمعونة**، خ.ع.، د480.

علي التسولي، **الجواب على سؤال الأمير عبد القادر**، خ.ع.،D 1198.

القادري، **نشر الثاني**، خ.ع.، د 2809 ود 2487.

القرشي عبد الرحمن، **مذكرات**، خ. خاصة.

لسان الدين الخطيب، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر**، خ.ع.، رقم ك 2253.

مجهول، **جني الأزهار ونور الأبصار من روض الدواوين المعطار**، خ.ح.، رقم 11860، عدد الصفحات 78.

محمد أكنسوس، **الجيش العرمرم**، خ.ع.، رقم د 965.

محمّد السباعي، **البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن**، خ.ع.، رقم1346 D ، فيلم 1823.

محمد الحجوي :
- **اختصار الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمن بن هشام**، خ.ع.، رقم ج. 114.
- **الرّحلة الوجدية**، خ.ع.، رقم 128.
محمد الخوجة التونسي، **كتاب القوانين الداخلية**، خ.ع.، رقم ك 2733.
محمد بوجندار، **الاعتباط بتراجم أعلام الرباط**، D 1287 .
محمّد بن محمّد سباطة الأندلسي الرّباطي، **تذكرة المجالس في علم المدافيع والمهاريس**، خ.ح.، 1043.
محمّد الحسني الإدريس الجائي، **قمع الكفرة بالسّنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام**، خ.ح.، 1035.
المكي بن قصابة بن محمد الرباطي، **تذكرة المجالس في علم المدافع والمهاريس**، خ.ح. 1043، من ص. 67 إلى ص. 112.
الناصري محمد المكي بن موسى، **الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية**، خ.ع.، د 1864

## المراجع بالعربية

أبوالقاسم الزياني، **الخبرعن أوّل دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف بن علي**، المطبعة الحجرية الجمهورية، باريس، 1886.
أحمد التوفيق، اينولتان، **المجتمع المغربي في القرن 19**، مطبوعات كلية الآداب، الرباط، 1983.
أحمد المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، وذكر وزيرها ابن الخطيب، طبعة الجزائر، 1862.
أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدارالبيضاء، 1954.
أحمد بن محمد التلمساني الفقري، **زهرة الأخبار في تعريف أنساب البيت المختار**، طبعة بدون تاريخ.

أحمد مختار العبـادي، **في تـاريخ المغـرب والأندلـس**، دار النهضـة العربيـة للطباعـة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.
أحمد بن محمّد الكردودي :
- **التّحفة السّنية للحضرة الحسنية**،المطبعة الملكية، الرّباط، بدون تاريخ.
- **كشف الغمة لبيان حزب النظام حقّ على هـذه الأمـة**، مطبعـة حجريـة، خ.ع.
ابن عذاري، **البيان المعرب**، تطوان، 1983.
ثريا برّادة :
- **الجيش المغربي والتّخطيط الاستعماري في القرن التّاسـع عشـر**، الجامعـة الصّيفية المحمّدية، الدّار البيضاء 1987، ج. 1، ص. 323 - 335.
- **نسف المؤسّسـات المغربيـة وتمهيـد الاسـتعمار الفرنسـي**، نـدوة المقاومـة المغربية ضدّ الاستعمار،كلية الآداب أكادير، 1991، ص.91-108.
- **الـمسـألة العسكرية في المغرب في القـرن التّاسـع عشـر بـين الـرّؤيا الاستعمارية والرّؤيا المغربية**، ندوة ثلاثون سنة من البحث الجامعي في المغـرب، الرّباط، 1986.
جورج أوفيد، **اليسار الفرنسي والحركة الوطنية**، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، 1984.
محمّد المختار السّوسي :
- **المعسول**، الدارالبيضاء، 1960م.
- **حول مائدةالعشاء**، الرّباط، بدون تاريخ.
- **إلّيغ قديما وحديثا**، المطبعة الملكية، الرّباط، 1966 .
خالد بن الصغير :
- **المغرب في الأرشيف البريطاني**، ولادة، الدّار البيضاء، 1992 .
- **المغرب وبريطانيا العظمى**، ولادة، الدّار البيضاء، 1990.
دييكو دي طوريس، **تاريخ الشرفاء**، ترجمة محمد حجي والأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1988.

الشيخ محمد بيرم التونسي، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، مطبعة حجرية، بدون تاريخ.

الضعيف، **تاريخ الدولة السعدية**، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط، 1986.

عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968.

عبد الرحمن بن زيدان :

- **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، المطبعة الملكية، 1962. جزءان.
- **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، مطابع إديال، الدّار البيضاء، 1990.
- **العلائق السياسية للدّولة العلوية**، مطبعة حجرية، بدون تاريخ.
- **المنزع اللطيف في مفاخرالمولى إسماعيل بن الشريف**، مطبعة إديال، الدار البيضاء، 1993.

عبد الرحمن المودن، **البوادي المغربية قبل الاستعمار**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1995.

عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا**، المطبعة المهدية، تطوان، 1964.

عبد العزيز القبّاج، **وصايا دينية من ملوك الدّولة العلوية إلى الأمّة المغربية**، المطبعة الوطنية، الرّباط، 1934.

عبد الهادي التازي، **الأسطول المغربي عبر التاريخ**، مجلة البحث العلمي، عدد 33 نوفمبر 1982، ص. 15 - 47.

عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، طبعة سعيد العريان، القاهرة، 1956.

عبد الوهاب بن المنصور، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية، الرباط، 1979.

علال الفاسي :

- **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، تطوان، بدون تاريخ.
- **رسالة من الإمام إدريس الأوّل إلى البربر**، الوثائق، مجموعة 1، ص. 30.

علي بن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينية العبدالحقية**، دار المنصور للطباعة، الرّباط، 1972.

لسان الدّين بن الخطيب، **أعمال الأعلام بمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام**، المطبعة الجديدة، الرّباط، 1934.

محمد الأمين البزاز، **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992 .

محمد الباقر الكتاني، **ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد**، مطبعة الفجر، 1962.

محمّد جعفر الكتاني، **نصيحة أهل الإسلام**، الرباط، مطبعة حجرية، 1908.

محمد داوود، **تاريخ تطوان**، مطبعة كريماديس تطوان، الطبعة الثانية.

محمّد الفاسي، **ظهائر من مولاي إسماعيل للعالم محمّد بن عبد القادر الفاسي**، مجلّة تطوان، عدد خاصّ بمولاي إسماعيل 1962.

محمّد القبلي، **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار التوبقال للنشر، 1987.

محمّد غريط، **فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتّاب الزّمان**، المطبعة الجديدة فاس 1346.

محمّدالمنوني، **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، مطبعة الأمنية، الرّباط، 1973.

اليمني بوعشري، **التنبيه المغرب لما آل إليه الآن حال المغرب**، دار النّشر والمعرفة، الرّباط، 1994.

# المراجع بالأجنبية

Adam, André, Casablanca : *Essai de transformation de la société marocaine au contact de l'Occident.* Aix en Provence, Ed. C.N.R.S., 1969. 2 vol.

Afif, Mohammed, Les Harkas Hassaniennes d'après l'oeuvre d'Abderrahman ibn Zaïdane, *Hespéris Tamuda,* 1980. Vol. 19. pp. 153-168.

Alarcon, Perdo Antonio, *Diario de un testigo de la guerra de Africa,* Madrid, 1859.

Arce, Gaspar Numez de, *Recuerdos de la campana de Africa,* Madrid, 1860.

Arnaud, Louis, *Au temps des Méhallas ou le Maroc de 1860 à 1912,* Casablanca, 1952.

Aubin, Eugène, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904.

Augustin, Bernard :

- *L'Algérie*, Paris, F. Alcan, 1921.
- *Le Maroc,* Paris, F. Alcan, 1915.

Ayache, Albert, *Le Maroc, bilan d'une colonisation*, Paris, Ed. sociales, 1956.

Ayache, Germain, Beliounech et le destin de Ceuta entre le Maroc et l'Espagne, *Hespéris Tamuda*, T13, 1972, pp. 5-36.

Bardin, Pierre, Débuts (les) difficiles du protectorat tunisien, Mai 1881-Avril 1882, *Revue histoire diplomatique*, janvier-mars 1971, pp. 17-64.

Bazin, René, *Charles de Foucauld,* Paris, Plon, 1921.

Berbrugger, A., Biographie de El Haj Moussa, *Revue Africaine,* 1956 - 1957, pp. 41-60.

Berque, Jacques :

- *Le Maghreb entre les deux guerres,* Paris, Ed. du Seuil, 1962.
- Qu'est ce qu'une tribu nord Africaine? *Maghreb, histoire et société,* Alger, S.N.E.D., 1974, pp. 22-34.
- *L'intérieur du Maghreb 15ieme -19ieme siècle*, Paris, Gallimard, 1978.

Berrada, Touria :

- Certains aspects de la mission militaire française au Maroc, *Hespéris Tamuda,* Vol. XXV, 1987, pp. 107-125.

- Aspects de la réforme militaire au 19 siècle, *Maroc Europe*, n°7, 1994, pp. 293-311.

Bertrand, Louis, *Devant l'Islam*, Paris, Plon, 1926.

Boissière, Gustave, L'Algèrie Française, Paris, Librairie Hachette, 1883.

Boujeau, F., *Au Maroc en roulotte, choses, vues, aventures vécues*, Paris, Hachette, 1950.

Braudel, Fernand, *La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*, Paris, A. Collin, 1949

Brives, A., *Voyages au Maroc (1901-1907)*, Alger, Adolphe Jourdan, 1909.

Buffa, John, *Travel through the empire of Morocco*, London, Stokdale, 1810.

Buqeja, Marie, *Le feu du Maroc*, Tanger, Ed. Internationales, 1937.

Burke, Edmund, *Prelude to Protectorate in Morocco. Precolonial Protest Resistance 1860-1912*, Chicago, 1976.

Butin, F., Les poignards et les sabres marocains, *Hespéris*, T. XXVI, 1939, pp. 1-47.

Caillé, Jacques :

- Au lendemain de la bataille d'Isly. Correspondance inédite, *Hespéris*, T. XXXV, 1947, pp. 383-401.

- La véritable histoire de l'ingénieur Abderrahmane Desaulty, *Hespéris*, T. XXXVI, 3 ème et 4 ème trimestres, 1949, pp. 459-406.

- *La mission du capitaine Burel au Maroc en 1808*, Paris, 1953.

- Les Marocains à l'école du Génie de Montpellier (1885-1888), *Hespéris*, T. XLI, 1er et 2 ème trimestres, 1954, pp.131-145.

- Quelques renseignements sur le capitaine Erkman, *Hespéris*, T. XLI, 3ème et 4 ème trimestre, 1954, pp. 468-474.

- *La petite histoire du Maroc*, T.I et II. Rabat, Céré, 1950.

- *Jagerschmidt Charles chargé d'affaires de France au Maroc (1820-1894)*, Paris, Larose, 1951.

Calault de Villalin, P., Description de la Mamora, *Sources Inédites* de *l'histoire du Maroc*, T.II, France Maroc, pp. 578-585.

Capperon, Louis, *Au secours de Fez*, Paris, 1912.

Carcopino, Jérôme, *Le Maroc antique*, Montrouge, Imprimerie moderne, 1944.
Chénier, Louis, *Recherches historiques sur les Maures et histoire du Maroc*, Paris, 1885.
Cigar, Norman, Une lettre inédite de Moulay Ismail aux gens de Fès. *Hespéris Tamuda*, Vol. XV, 1974, pp. 105 - 119.
Clausewitz, Carl Von, *De la guerre*, Paris, 1955.
Colin, G., Origines arabes des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen Atlas, *Hespéris*, 1938, pp. 265-268.
Cossé-Brissac, Philippe de, Les rapports entre la France et le Maroc avant la conquête de l'Algérie (1830-1847), *Hespéris*, T. XIII, Fascicule 1 et 2, 1931, pp. 35-115 et pp. 133-225.
Cour, Auguste :

- Al Hassan, *Encyclopédie de L'Islam*, T. II, p. 245.
- L'occupation marocaine de Tlemsane, Septembre 1830 - Janvier 1836, *Revue Africaine*, 1908, pp. 30-61.
- Djaish, *Encyclopédie de L'Islam*, nouvelle édition, T.II, pp. 522-524.

De Cenival, Pierre, et De la Chapelle, François, Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique Santa-Cruz de Mar Pequéna et Ifni, *Hespéris*, T. XXI, fasc. 1-11, Trimestre 1-11, 1935, pp. 19-77.
De Segonzac, *Voyage au Maroc (1899-1901)*, Paris, 1903.
Destailleur, Chanteraine, *L'Europe et l'Islam au XIX ème siècle*, Paris, J.B Janin, 1947.
Daye, Pierre, *Le Maroc s'éveille*, Paris, 1924.
De Amicis, Edmondo, *Le Maroc*, Paris, Hachette, 1882, traduction d'Henri Belle.
Defontin-Maxange, *Le grand Ismail, empereur du Maroc*, Paris, Marpon, 1929.
Delafosse, Maurice, Les débuts des troupes noires au Maroc, *Hespéris*, T.III, 1923, pp. 1-11.
Doutté, Edmond :

- *Les moyens de développer l'influence française au Maroc*, Paris, 1900.
- *Mission au Maroc. En tribus*, Paris, Paul Geuthner, 1914.
- *Marrakech*, Publié par le comité du Maroc, 1905.

Dugard, Henry, *Le Maroc au lendemain de la guerre*, Paris, Payot, 1920.

Dumas, Pierre, *Le Maroc*, Grenoble, Ed. J Rey B Arthaud, 1928.

Dziubinski, Abdrez, L'armée et la flotte marocaine à l'époque des sultans de la dynastie saadienne, *Hespéris*, vol 13, fasc. unique, 1927, pp. 61-93.

El Fassi, Mohammed, Lettres inédites de Moulay Ismail. Etudes, textes et photocopies des lettres, *Hespéris Tamuda*, n° spécial, 1962, pp. 31-86.

El Moudden, Abderrahmane, Etat et société rurale à travers la harka au Maroc du XIX ème siècle, *Maghreb Review*, VI 8, n°5-6, septembre - décembre 1983, pp. 141-145.

Erckman, Jules, *Le Maroc moderne*, Paris, 1885.

Ferry, E., (Commandant), *La réorganisation marocaine*, Paris, Publication du Comité du Maroc, 1905.

Feraud, Charles, Les chorfas du Maroc, *Revue Africaine*, 1877, pp. 298- 310.

Foch, Ferdinand (Général), *Principes de la guerre*, Paris, 1903 .

Gautier, Emile, *Le passé de l'Afrique du Nord*, Paris, Payot, 1937.

De Ganniers, Arthur, *Le Maroc d'aujourd'hui d'hier et de demain*, Paris, Libraiaie Furne, 1870.

Georg, HØst, *L'histoire de l'empereur du Maroc Mohamed ben Abdellah*, Copenhague, Imprimerie de la Cour royale, 1791, traduction française de U.K. Damgaard (inédite, s.d.)

Georges, Gilbert, Etude sur Clauzwitz, *La Nouvelle Revue*, 1er et 15 Août, 1887, pp. 82-107.

Goulven, Joséph, *Les mellahs de Rabat-Salé*, Paris, Paul Geuthner, 1927.

Gouraud, (Général), *Au Maroc (1911-1914), Souvenirs d'un Africain*, Paris, Plon, 1949.

Goujat, Louis, *Eléments de la guerre*, Paris, 1891.

Guillen, Pierre, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, Presses Universitaires de France, 1967.

Guy, De Carmoy, *Fortune de L'Europe*, Paris, Domat, 1953.

Hardy, Georges, et Amrés, Paul, *Les grandes étapes de l'histoire du Maroc*, Paris, Larose, 1931.

Harris, Walter, *Le Maroc disparu*, Paris, Plon, 1921.

Hildebert, Ismar :

- *Le Maghreb*, Paris, Presses Universitaires de France, 1966.

- *Initiation au Maroc*, Paris, Ed. d'Art et d'Histoire, 1932.

Holmström, Maths, U*n pays de gel et de soleil*, Ed. Berger-Levrault, Paris, 1930.

Joly, M :

- Tetouan, *Archives Marocaines*, T. 7, pp. 379-391.

- Négociations marocaines avec L'Espagne à la veille de la guerre, 1859-1860, *Archives Marocaines*, T. 8, pp. 406-451.

Julien, Charles André :

- *L'histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, Payot, 1968.

- *L'Afrique du Nord en marche*, Paris, R. Julliard, 1952.

- *Le Maroc face aux impérialismes*, 1415-1956, Paris, Ed. J.A, 1978.

Kabli, Mohammed :

- *Variations islamistes et identité du Maroc Médiéval*, Paris, Maisonneuve et Larose, 1989.

- *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen Age*, Paris, Maisonneuve et Larose, 1986.

Kenbib, Mohammed :

- *Les protégés*. Contribution à l'histoire contemporaine du Maroc, *F.L.S.H.*, Rabat, 1996.

- *Juifs et Musulmans 1859-1948*, *F.L.S.H.*, Rabat, 1994.

Lahbabi, Mohammed, *Le gouvernement marocain à l'aube du XX ème siècle*, Rabat, 1958.

Laroui, Abdellah :

- *L'histoire du Maghreb*, Paris, 1975.

- *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912)*, Paris, Maspéro, 1977.

Lazarev, Grigori :

- Les concessions foncières au Maroc, contribution à l'étude des domaines personnels dans les campagnes marocaines. *B.E.S.M.*, n° spécial, Rabat, 1971.

- Aspects du capitalisme agraire au Maroc avant le protectorat, *Annuaire de l'Afrique du Nord*, C.N.R.S., Paris.

Le Coz, Jean :

- *Le Gharb, Fellahs et colons*, Rabat, 1964.

- Les tribus Guich au Maroc, *Revue de Géographie du Maroc*, 1965, pp. 52-70.

Le Tourneau, Roger, *Fès avant le Protectorat*, Rabat, Ed. La Porte, 1949.

Lebel, Roland, *Le Maroc chez les auteurs anglais du XVI au XIX ème siècle*, Paris, Larose, 1939.

Leclerc, Charles-René, *L'armée marocaine*, Alger, 1905.

Lepp, Ignace, *Midi sonne au Maroc*, Paris, Ed. Montaigne, 1954.

Linares, Fernand, Voyage au Tafilalet avec S.M. le sultan Moulay Hassan en 1893, *Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc, juillet - septembre*, pp. 93-116.

Marmol de Cajavol, *Description générale de l'Afrique*, vol. 3, Paris, 1867, traduction de P. Alancourt.

Martin, A.G.P., *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris, F. Alcan, 1923.

Marty, Paul, *Le Maroc de demain*, Paris, Publication du Comité de l'Afrique Française, 1925.

Mauro,A., *L'expansion européenne (1660-1870)*, Paris, 1950.

Maunier, René, *Sociologie coloniale*, Paris, Ed. Domat-Montchrestien, 1932.

Mazade, Charles, La guerre du Maroc, *R. D. M.*, 1860.

Michaux -Bellaire, Edouard :

- L'impôt de la naiba et la loi musulmane au Maroc, *R. D. M.*, T. VII et VIII, 1910.

- Des musulmans d'Algérie, *Archives Marocaines*, T. XI, 1907, pp. 1-115.

- Au palais du sultan marocain, *R.D.M*, T.V, pp. 647-665.

- La déchéance de Moulay Abdelaziz et la reconnaissance de Moulay Hfid, *R.D.M.*, T.V , 1908, pp. 424-450.

- Un rouage du gouvernement marocain, bnikat chikayat de Moulay Hfid, *R.D.M.*, V.5, 1908, pp. 242 - 258.

Miège, Jean Louis :

- *Le Maroc et l'Europe (1830-1894)*, Vol. 4, Paris, Presses Universitaires de France, 1961.

- *La Pacification du Maroc (1907-1934)*, Publication du Comité de l'Afrique Française, 1936.

- Hassan 1er (1836 -1894) et la crise marocaine, *Les Africains*, Ed. J.A. Paris, 1977.

- Le Rharb, *Revue du Monde Musulman*, T. XVI, 1911, pp. 377-416.

Montagne, Robert, *Les berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris, 1930.

Morsy, Magali :

- Moulay Ismail et l'armée de métier, *R.H.M.C.*, T.XIV, Avril-juin 1967, pp. 97-122.

- *La relation de Thomas Pellow, une lecture du Maroc au 18ème siècle*, Paris, 1983.

Moulieras, Auguste, *Le Maroc inconnu*, Oran, Imprimerie Fouque, 1925.

Nancy, G., *Maroc rouge*, Paris, Librairie des Lettres, 1922.

Nathon, Moïse, *Notes d'un colon du Gharb (1920-1924)*, Casablanca, Les Imprimeries Réunies, 1925.

Nordman, Daniel :

- Les expéditions de Moulay Hassan, *Hespéris Tamuda*, Vol. XIX, 1980-81, pp. 101-126.

- La mémoire d'un captif, *Annales E.S.C.*, pp. 1397-1418.

Odinot, Paul, *Le monde marocain*, Paris, Rivière, 1926.

Ossendowski, Antoni F., *Le Maroc enflammé*, Paris, Flammarion, 1956.

Parteau, S., et Mongel, F., *Histoire des relations internationales (1815-1991)*, Presses Universitaires de France, 1988.

Pascon, Paul, *Le Haouz de Marrakech*, T. I et II, Rabat, 1977.

Penz, Charles :

- La mission du capitaine Burel, envoyé de Napoléon auprès du sultan Moulay Soliman (1808-1810), *Hespéris*, T. XXXVII, 3ème et 4ème trimestres, 1949, pp. 457-458.

- *Les émerveillements parisiens d'un ambassadeur de Moulay Ismail,* Paris, Ed. Siboney, 1949.

Piquet, Victor, *Le peuple marocain, le bloc berbère*, Paris, Emile Larose, 1925.

Postal, Raymond, *Présence de Lyautey,* Paris, Ed. Alsatia, 1938.

Raymond, Aron, *Penser la guerre*, Paris, Gallimard, 1976.

Renouvin, Pierre, *Histoire des relations internationales,* Vol.V, Paris, 1954.

Rey, André, Le Maroc et la question d'Alger, R.D.M., T. XXVIV, Décembre 1840, pp. 617-662.

Reynaud, Robert, *En marge du Livre Jaune, le Maroc*, Paris, Plon, 1923.

Richard, Robert, Le Maroc au XVI ème siècle d'après la Joconda de Africa de feronimo de Mondaça, *Hespéris Tamuda*, Vol. XL IV, 1957.

Roches, Léon, *Trente deux ans à travers l'Islam (1832-1864),* Paris, 1885.

Rohls, Gehrard, *Adventures in Morocco and journey through the oasis of Draa and Tafilalet*, London, 1874.

Rollman, Wilfrid J., *The New Order in a pre-colonial muslim socitey military reform in Morocco (1844-1904),* University of Michigan, 1983, Ph.D. inédit.

Rouard de Card, E., *Les traités entre la France et le Maroc, étude historique et juridique*, Paris, A. Pedone, 1898.

Roux, Arsène, Quelques documents manuscrits sur les campagnes de Moulay El Hassan, *Hespéris*, T. XXII, fascicule 1, 1936.

Russo, P., *La terre marocaine, Société de géographie du Maroc*, 1921.

Saint-René Taillandier, Georges, *Les origines du Maroc français, Récit d'une mission (1901-1906)*, Paris, Plon, 1930.

Salmon, Georges, La quasbah de Tanger, *Archives Marocaines*, T. 1, pp. 126-135.

Shroeter, Daniel, *Merchants of Essaouira, Urban Society and Imperialism in south Western Morocco (1844-1886),* Cambridge University Press, 1988.

Spillman, Georges:

- *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, Paris, Champion, 1931.
- *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du haut Draa,* Rabat, Imprimerie nouvelle, 1936.

Terrasse, Henri, *Histoire du Maroc*, Casablanca, Ed. Atlantides, 1950.

Tharaud, Jérôme et Jean :

- *Rabat ou les heures marocaines*, Paris, Emile-Paul frères éditeurs, 1919.
- *La nuit de Fès,* Paris, Ernest Flammarion, 1932.
- *Fez, ou les bourgeois de l'Islam,* Paris, Emile-Paul, 1930.

Tranchant, de Lunnel, *Au pays du paradoxe*, Paris, 1924.

Trenga, D., et de la Motte Capperon, A., *Un correspondant de révolution, ou journal d'un Israélite de Fès (1908-1910),* Alger, 1936.

Urquhart, D., *The Pillars of Hercules, or a Narrative of travel in Spain and Morocco in 1848,* London, 1950.

Voinot, Louis, L'imbroglio marocain et l'entrevue du général Osmont avec le sultan à Oujda (1874-1876), *Afrique Française*, n° 64, 1923, pp. 221-273.

Wallgram, *Le Maroc, ce qu'il faut en connaître*, Paris, 1956.

Weiner, Jérôme B, Anglo- Morrocan relations in the first decade of the occupation of Tanger (1662-1672), *Hespéris Tamuda* ,Vol. XVIII, 1978-79, pp. 63-76.

Weisgerber, Franz, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, Ed. la Porte, 1947.

Weygand, (Général), *Histoire de l'armée française*, Paris, Flammarion, 1953.

Weyre, Gabriel, *Au Maroc dans l'intimité du sultan*, Paris, 1905.

# مَلَاحِقُ

# فهرس الملحق

- ظهير مولاي عبد الرّحمان للدّوائر بعد مبايعة أهل تلمسان يحثّهم فيها على الاتحاد لمواجهة "العدوّ الكافر": A.E.P., M.P. V.4
- رسالة من مولاي عبد الرّحمان لـ : و.م.ف. في طنجة حول شرعية بيعة أهل تلمسان. ن.م.س.
- رسالة من مولاي عبد الرّحمان لـ: و. م .ف .حول علاقته بعبد القادر بعد خروج الجيش المغربي من تلمسان.ن.م.س.
- رسالة من عبد القادر ل: و.م.ف.في المغرب حول عدم احترام فرنسا للمعاهدة التي عقدتها معه.ن.م.س.
- رسالة من الوزير أحمد بن موسى لجون درمند هاي حول مكاحيل بلجيكية وجدها المخزن "مرقّعة" F.O.174/89
- ظهير سلطاني لبركاش حول أثمان أسلحة مستوردة : وثائق بركاش، خ.ع. ميكروفيلم رقم F 2171.
- نموذج لحاجيات العسكر والجيش : ن.م.س.
- نموذج لأثمان البدلات العسكرية : ن.م.س.
- نموذج لما كان المخزن يستورده من العدّة : ن.م.س.
- أجور البعثة الفرنسية لسنتي 1897 - 1899: A.M.G.V., C.3
- أجور البعثة الفرنسية سنة 1904 : ن.م.س.
- نموذج لتقارير البعثة العسكرية الفرنسية : ن.م.س.
- مقتطفات من مؤلّف حول المدافع في العهد السّعدي : مخ، خ.ع.، ج.87.
- مقتطفات من مؤلّف حول المدفع وكيفية "الشارة" في عهد سيدي محمّد بن عبد الرّحمان:مخ، خ.ح. رقم 1043.
- صور لبعض الآلات المستعملة في دار السّلاح بفاس : خ.ح.، كناش،124
- نموذج للدّروس التي كان الطلبة المغاربة يتلقّونها في مدرسة الهندسة العسكرية في مونبوليي: J. Caillé, H.T.,TXL1, 1954,p. 145

- نمـوذج لسـجلات أجـور العسـكر : ابـن زيـدان، الإتحـاف، س.ذ.، ج.5، ص. 533.
- جواب مخزني إلى وزير الخارجية الإنجليزية حول سبب تثقيف ممتلكات المنبهـي: F.O
- نصّ إصلاح 1912 : A.M.G., V.3H86

[illegible] du 10 Janvier 1831 [illegible]

(Copie arabe de la lettre écrite par l'Empereur de Maroc pour soulever les tribus des environs d'Oran et leurs chefs, contre les Français



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه (طابع) كافة الزوابر خصوصا [illegible]
مصطفى بن اسماعيل [illegible] الحاج بن [illegible] وابن اخيهما المزاري وجميع اعيانهم ومن انتسب اليهم
ومنتمى [illegible] سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد [illegible] حضرتنا العلية بالله اعيان
اهل تلمسان [illegible]
الكون [illegible] الترك [illegible]
[illegible] دار الاسلام [illegible] الى ملة الكفر [illegible]
[illegible]
ورعيتهم وجمع كلمتهم مع المسلمين غيرة على الاسلام واهله وحفظا للدماء والحرم
والاموال [illegible] مولاي [illegible]
[illegible] هذا الامر [illegible] اولى من قام به [illegible]
كافة المسلمين [illegible]
العدو الكافر [illegible]
[illegible] للمسلمين [illegible]
كلمتكم مع اخوانكم [illegible] المومنين اخوة [illegible] المومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد
بعضه بعضا وقال تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم والله معكم والسلام [illegible]

## Traduction libre

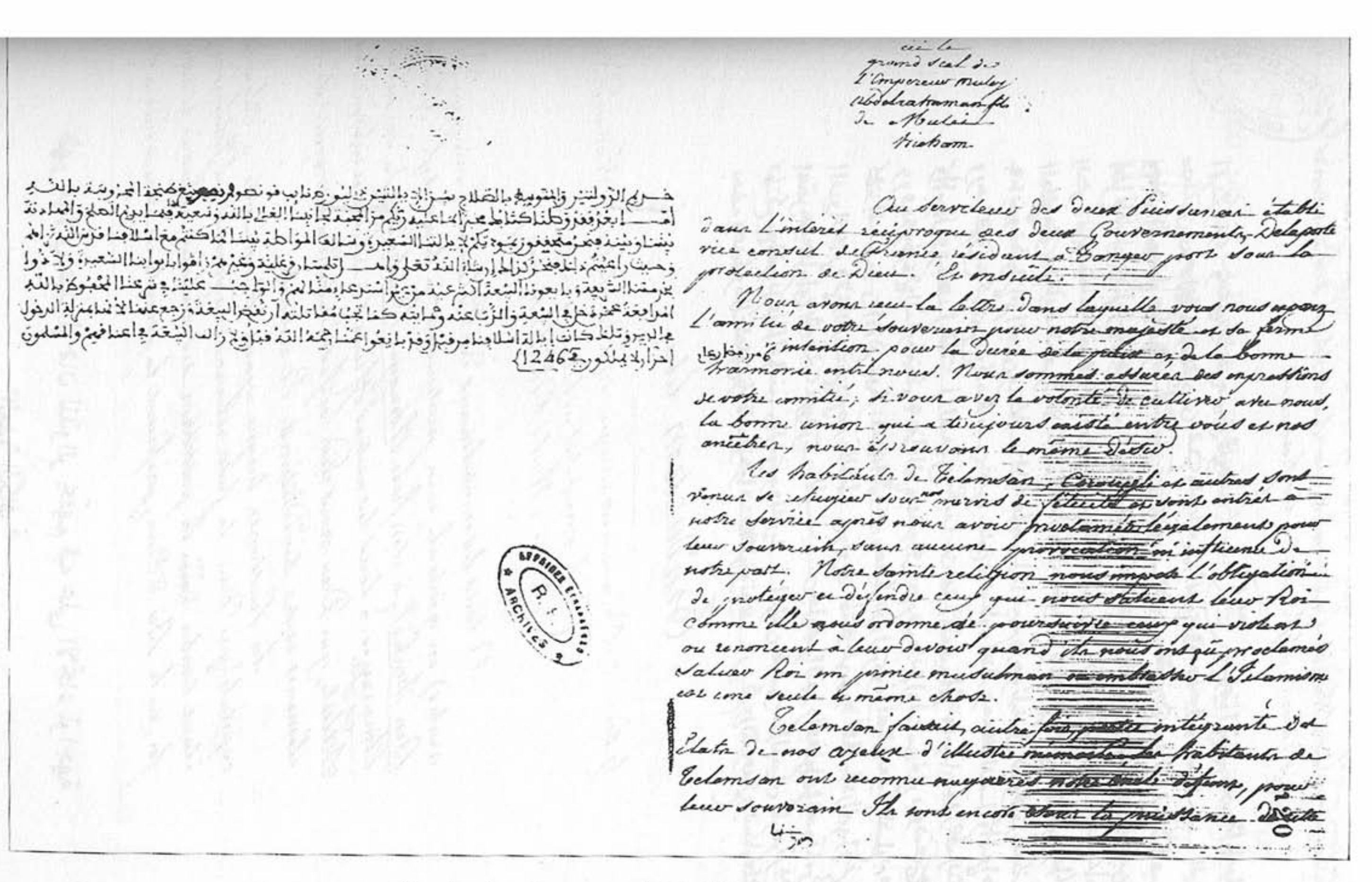
Gloire à Dieu seul et unique. Bénédiction et salut à Mahomet [illegible]

(Ici le grand sceau de l'Empereur de Maroc Mulei Abderrahman)

A tous les musulmans des Eldouars (campements arabes) en général, et en particulier à leurs chefs Mostapha Ben Ismaïl, à son frère Elhaggi Benkadir, à son neveu Elmazari, à tous les autres officiers et ceux qui relèvent d'eux; Salut, que Dieu vous aide et fasse descendre sur vous sa clémence et ses bénédictions. Et ensuite:

La Puissance turque ayant été anéantie à Alger, cette capitale (que Dieu la fasse retourner au pouvoir de l'Islamisme) étant tombée en la possession des mécréants ennemis de notre foi, et le Bei d'Oran, préférant la jouissance de ce monde à sa

ظهير مولاي عبد الرّحمان للدّوائر يحثّهم فيه على الاتحاد لمواجهة "العدوّ الكافر"



ici le
grand sceau de
l'Empereur Muley
Abderrahman fils
de Mulei
Hicham.

Au serviteur des deux Puissances établi dans l'intérêt réciproque des deux Gouvernements, Delaporte vice consul de France résidant à Tanger port sous la protection de Dieu. Et ensuite.

Nous avons reçu la lettre dans laquelle vous nous exposez l'amitié de votre souverain pour notre majesté et sa ferme intention pour la durée de la paix et de la bonne harmonie entre nous. Nous sommes assurés des expressions de votre amitié ; si vous avez la volonté de cultiver avec nous la bonne union qui a toujours existé entre vous et nos ancêtres, nous éprouvons le même désir.

Les habitants de Tlemsan, Coulougli et autres sont venus se réfugier sous nos marques de fidélité et sont entrés à notre service après nous avoir proclamé légalement pour leur souverain, sans aucune provocation ni influence de notre part. Notre sainte religion nous impose l'obligation de protéger et défendre ceux qui nous saluent leur Roi comme elle nous ordonne de poursuivre ceux qui violent ou renoncent à leur devoir quand ils nous ont proclamé et salué Roi un prince musulman et attaché l'Islamisme est une seule et même chose.

Tlemsan faisait autrefois partie intégrante des États de nos aïeux d'illustre mémoire. Les habitants de Tlemsan ont reconnu nos pères notre seule défense, pour leur souverain. Ils sont encore sous la puissance de cette

{1246}

رسالة من مولاي عبد الرّحمان لـ : و.م.ف. في طنجة

حول شرعية بيعة أهل تلمسان

الحمد لله وحده                                        وسبحان الله عما يصفون






الخديم النافع ميشر فورنص جنسير الفرنصيص اما بعد فقد ورد اما حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا ما فيه وما ذكرت
من ان اهل الوهران بايعونا وبيعتهم عندهم مجهولة كذلك ويجب علينا شرعا ان نقبلها منهم ونفعل معهم ما هو الواجب ولما
كتب لنا عظيم جنسكم انهم ايالته وان جيشه الذي بوهران والجزائر حصل لهم ضرر من عاملنا الي الطاهري والشيخ ... بمليانة
وجيشات كنا سبيلهم ورفعنا عاملنا وجيشنا من تلك الناحية ولم نترك احرار فبلنا منالك عملا بمقتضى الشروط
المتفق عليها الصلح والمهادنة والمسالمة مع ان ذلك الوطن ليس هو من حكم الجزائر ووهران بل كان الفهم فيه
ولم يكن لنا الا نناسب على المسلمين على انه يقوم بتمييزه ذلك الوطن وتشرح الشك وبامر النظر والوارد وما طلب منا
الا الهيابة ذلك الوطن بعد وليس ذلك كذلك بل لا بد من المشقة في قتال القبايل الى ان يدخلوا اليه ويدينوا بالطاعة
وذلك بعد صيف ونحو وانقضاء النائبة الى التسلم فانا لا نشتغل من ناحية حتى يظهر العمل بالاخرى ومن امور ان المغرب
وقد تضررت تجارنا بفساد تلك الناحية وانقطع سعيهم بها وتعطلت التجارة والحج وصار لهم ما من ...
ان التلوف ... منا على ان نكتب لعظيم جنسكم بذلك ليقوم بامر ذلك الوطن او يتركه لمن يقوم به ان كان لا ينبغي بقاؤه
على تلك الحالة ويرفع الضرر من الجانبين ... بايعنا ودخل في سلكنا كما ...
... وتلك بلاده ما بلا الكلام لنا معهما والسلام في واسط المحرم الحرام عام 1248

رسالة من مولاي عبد الرّحمان لـ : و.م.ف.في طنجة عن علاقته بعبد القادر

بعد خروج الجيش المغربي من تلمسان

Copie de la lettre que le Cheïk Abd-El-Kader a envoyée à Monsieur Méchain Consul Général de France au Maroc 19

الحمد لله وحده صلى الله على من لا نبي بعده

امن الله قنص الفرنصيص والسلام عليك ورحمة الله من عند سيدي الحاج عبد القادر وبعد هاذا
الكبير الذي في وهران وهو كبير المحلة هذه مدة من شهرين والرقاص ماشي بيني وبينهم ليدخل
مسلك الصلح بيني وبين الراي الداي الذي هو في بارز وما اعطاني صح الخبر ولا اظهر لي خبر تتركة
ويعثت لك الرقاص ببراة لتجيب لي الخبر انت من عند الراي كان الراي احب يصلح مع هذا
الصلح يخل لي من صلين حتى الى باب اتلمسان ويخوي لي اتلمسان ويخوي لي وهران ويخوي لي
مستغانم ونعطيه النص الذي كانوا يعطوه الدزاير للفرنصيص ازمان نعطوا النص متاع
ذلك والبلاد الذي تحب فيها في وهران وغيرها اشتريها بدراهمك واربحها ولا نقلعها لك
والحاجة التي بينك وبين السلطان انجل الى عنه انجل الى عنده وكنا نحسب ان
الترك امشاوا التي كانت بينكم وبينهم العداوة واما انا عيرك عربي واخر التي عملت
معكم الصلح عامين انتم اغدرتموني واما انا كامل حبست في يدي غدرة واليوم نحب من الله
تجاوبني على هذه البطاقة كان اتوصل هذا الخبر لا ان يجلس الرقاص شهرا او شهرين
وانا انت لم توصل هذا الخبر للراي ايلاتي الرقاص عزما ما سمعه حد جزاك الله عنا خيرا

Traduction.

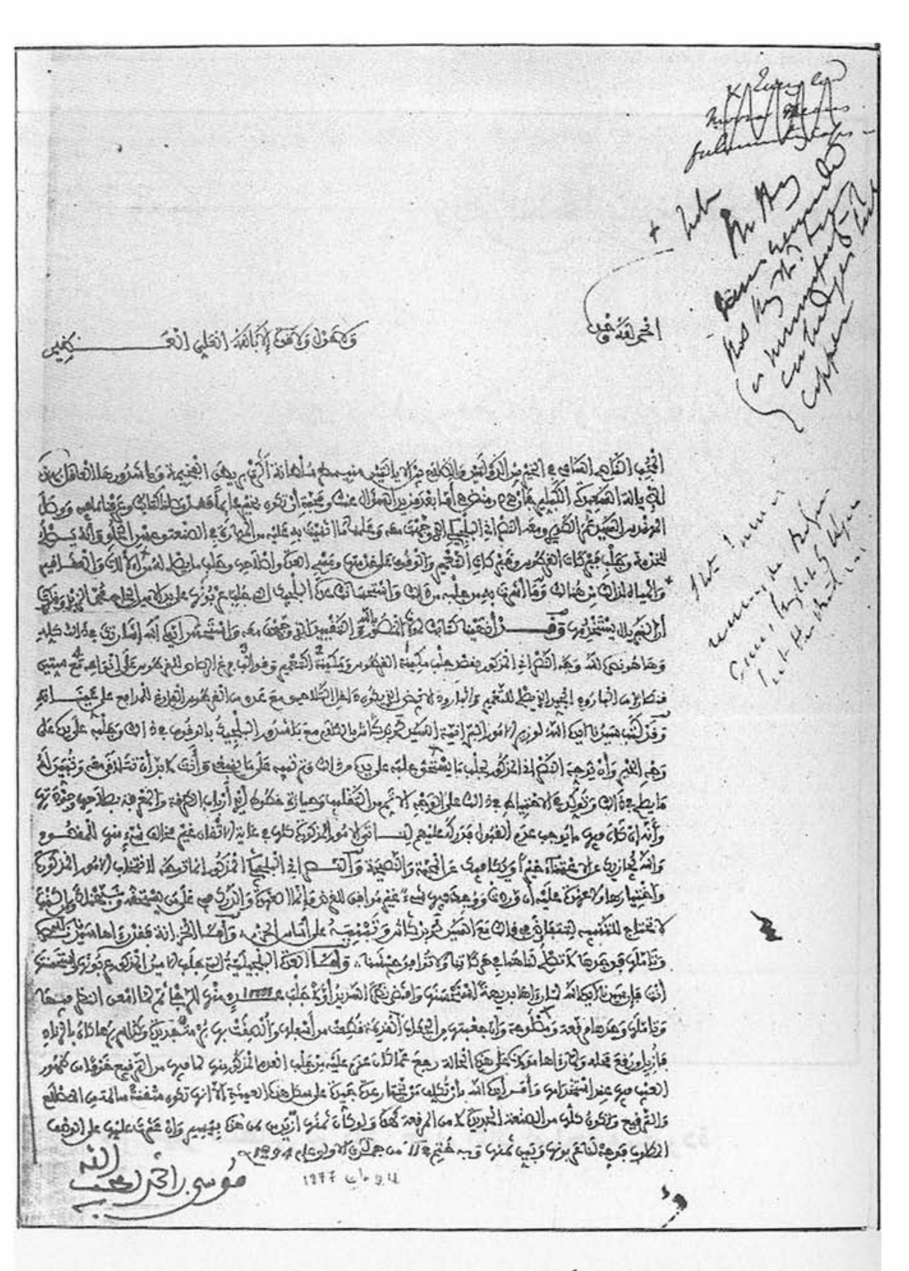


Gloire à Dieu qui est unique ! Que Dieu soit propice à celui après le quel il n'y a plus eu de Prophète !

A Monsieur le Consul de France, que Dieu le maintienne en bonne santé, Salut, que Dieu lui fasse miséricorde. De la part de Seid hadgi Abd-El-Kader. Voici plus de deux mois que les courriers vont et viennent entre moi, le Gouverneur d'Oran et le Général de l'Armée pour entrer en accommodement afin d'établir la paix entre moi et le Roi qui est à Paris ; comme ils ne m'ont pas donné de réponse définitive et que je n'entrevois aucun avis de suspension d'arme, je vous ai envoyé un courrier avec cette lettre pour que vous —

رسالة من الأمير عبد القادر لـ : و.م.ف. في المغرب

حول عدم احترام فرنسا لمعاهدة الصّلح


الحمد لله وحده

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

رسالة من أحمد بن موسى لجون درمند هاي

حول مكاحل بلجيكية "مرقّعة"

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته وبعد فيصلك من قبل أمنائنا بسبع خمسة آلاف ريال
من العشرة المفترقة عندهم من قبلك ثمن المدافع فخذه وعمل الباشدور الانجليزي
والخمسة الأخرى ترد عليك إثره وقد عجل بها قبل التحلام مثلا استعجل
الباشدور الانجليزي والسلام في 11 محرم عام 1297



**ظهير سلطاني لبركاش حول أثمان أسلحة مستوردة**

الحمد لله وحده          وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خدامنا الأبرار [illegible] أمناء [illegible] وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد

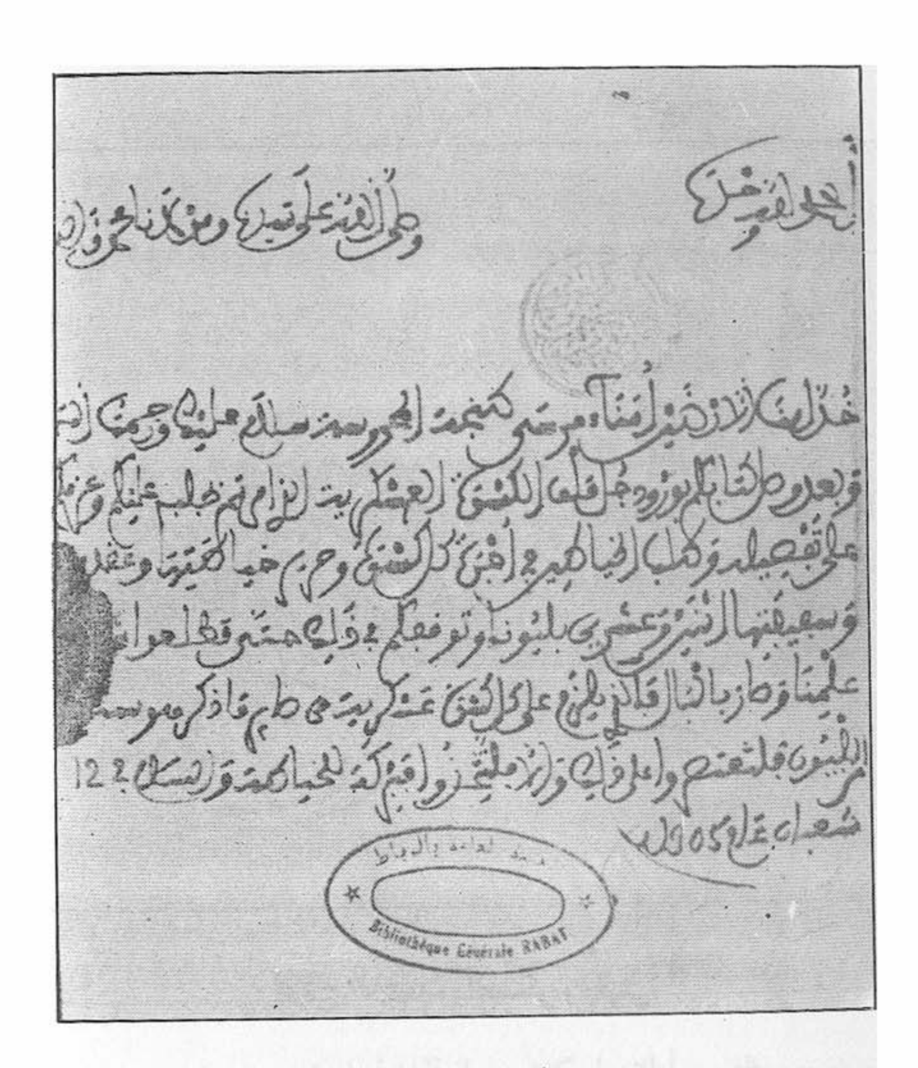
وصل جوابكم عن [illegible] العسكر والجيش [illegible] أمناء [illegible]

بأنكم [illegible]

[illegible] والسلام في 25 رجب الحرام عام 1304



نموذج لحاجيات العسكر والجيش




نموذج لأثمان البذلات العسكرية

الحمد لله وحده                وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى الطالب محمد بن التاجر وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد

فبوصول كتابنا هذا اليك تجعل بالكتب على جلب مليون وخمسمائة حبة الكبسول

عدة المكاحل ونبه على وصولها فالصدرة للمرسى بالحاح وكلف بجلبها من يحضر

من الأمناء والرماة والسلام في 6 جمادى الآخرة عام [illegible]



نموذج لما كان يستورده المخزن من العدّة

| Dates des écritures | | Détail des opérations | Capitaux |
|---|---|---|---|
| 1897 Octobre | 1 | Solde d'accord avec M. C^t Schlumberger | 287 |
| Décem. | 13 | Au docteur Linarès la solde Août Octobre 1897 | 2500 |
| | 22 | Bon numéro 1 ordre Mougel | 189 |
| 1898 Janvier | 21 | Au docteur Linarès sa solde Nov. et décembre 1897 | 1666 |
| " | 22 | Bon 2 ordre Mougel | 189 |
| " | 24 | " 3 Robic 21f.60 + 3f.45 | 24 15 |
| Février | 22 | " 4 Mougel | 189 |
| Mars | 28 | " 5 " | 189 |
| " | 29 | " 6 Granara | 2750 |
| Avril | 4 | " 7 Hazan | 2000 |
| " | 22 | " sans numéro Mougel | 189 |
| " | 29 | " 9 Brudo | 65 55 |
| Mai | 12 | " 10 Robic P. 147.75 | 92 35 |
| " | 15 | " 11 Brudo 566.25 | 349 55 |
| " | 22 | " 13 Tabarès | 189 |
| " | " | " 12 Braunschweig P 500 | 357 15 |
| " | 23 | " 14 Brudo | 200 |
| Juin | 6 | " sans numéro " | 1000 |
| " | 9 | " 16 Cercos P 500 | 344 85 |
| " | 13 | " sans numéro " P 500 | 335 |
| " | 22 | " 18 Brudo | 350 |
| " | " | " 19 Mougel | 189 |
| " | 26 | " 20 Robic fr 16.35 + P 95.45 | 77 95 |
| Juillet | 17 | " 21 Brudo | 500 |
| " | 22 | " 22 Mougel | 189 |
| Août | 11 | " 23 Brudo | 1000 |
| Avril | 4 | Au docteur Linarès sa solde Janvier Mars 1898 | 2500 |
| Août | 22 | Bon numéro 24 Brudo | 300 |
| " | " | 25 Mougel | 189 |
| " | " | Au docteur Linarès sa solde Avril-Juin 1898 | 2500 |
| Sept. | 12 | Bon numéro 1 Brudo | 1000 |
| " | 22 | " 2 Mougel | 189 |
| " | 28 | " sans numéro Brudo | 200 50 |
| | | | 22290 15 |

أجور البعثة العسكرية الفرنسية لسنتي 1897 - 1899

| Dates des écritures | | Détail des opérations | Capitaux | |
|---|---|---|---|---|
| 1897 | | | | |
| Octo. | 22 | Encaissement de la douane | 2116 | 65 |
| Nov. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Déc. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| 98 | | | | |
| Janv. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Févr. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Mars | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Avril | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Mai | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Juin | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Juil. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Juin | 26 | Transfert de Rabat | 1000 | |
| Août | 22 | Encaissement de la douane | 2116 | 65 |
| Sept. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Oct. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Nov. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Déc. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| 99 | | | | |
| Janv. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Févr. | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Mars | 22 | " " | 2116 | 65 |
| Avril | 22 | " " | 3266 | 65 |
| Mai | 22 | " " | 3266 | 65 |
| Juin | 22 | " " | 3266 | 65 |
| | | | 48899 | 65 |

| Dates des écritures | | Détail des opérations | Capitaux | |
|---|---|---|---|---|
| 1898 | | Report | 22290 | 65 |
| Oct. | 5 | Paiement au Capitaine Rostaing | 2141 | 25 |
| " | 22 | Bon numéro 4 à Mougel | 189 | |
| " | 16 | Versement au Cᵗ Capitaine Bougaud | 500 | |
| " | 28 | — " — — " — — " | 1000 | |
| " | " | — " — — " — — " | 421 | 60 |
| Nov. | 16 | — " — — " — — " | 1000 | |
| " | " | Paiement au Lieutenant Belkhevocki | 349 | 85 |
| | 22 | Bon numéro 5 à Robin | 189 | |
| " | " | Au docteur Linarès sa solde Juillet Septembre 1898 | 2500 | |
| " | 23 | Bon Nº 6 à Brudo | 452 | 70 |
| Déc. | 19 | — " — — 1 — — " | 1000 | |
| " | " | — " — — 2 — — " | 535 | |
| " | 22 | — " — Sans Nº à Mougel | 189 | |
| " | 30 | — " — — 4 — à Cavallone | 417 | |
| " | 31 | — " — — 5 — à Brudo | 195 | |
| 1899 " | " | — " — — 6 — — " | 600 | |
| Janv. | 8 | — " — — 7 — — " | 100 | |
| " | 31 | Abonnement au Réveil au 31 Janv. Fʳˢ 15 | 11 | 55 |
| " | 21 | Bon Nº 8 à Brudo | 418 | 65 |
| " | 22 | " Sans Nº à Mougel | 189 | |
| " | 28 | " Nº 10 à Brudo | 1000 | |
| " | 30 | " 11 Sᵒ Lieutᵗ Missoum | 196 | 70 |
| Févr. | | Au docteur Linarès sa solde Oct. Déc. 1898 | 2500 | |
| " | 22 | Bon Nº 12 à Mougel | 189 | |
| " | " | — " — 13 Brudo | 1150 | |
| " | 26 | — " — 14 Robin | 91 | 80 |
| " | 28 | — " — 18 — " | 32 | 60 |
| Mars | 16 | Paiement au docteur Fumbiehl | 300 | |
| " | 21 | Bon Nº 15 Brudo | 200 | |
| " | 22 | — " — 16 Mougel | 200 | |
| " | 1 | — " — 17 Mougel | 400 | |
| " | 31 | — " — 19 Brudo | 100 | |
| | | | 41048 | 75 |

| Dates des écritures | Détail des opérations | Capitaux | |
|---|---|---|---|
| | Report | 48899 | 65 |
| | | 48899 | 65 |

| Dates des écritures | | Détail des opérations | Capitaux | |
|---|---|---|---|---|
| 1899 | | Report | 41 048 | 75 |
| Mai | 18 | Bon n° 20 o/ Brudo | 2500 | |
| Juin | 15 | — 21 — | 2500 | |
| Oct. 97 | 10 | " à Robi (oublié 10 sept. 97) | 120 | |
| avril 99 | 2 | Passage Capitaine Sarras | 26 | 95 |
| Mai 99 | 18 | Envoi espèces | 3500 | |
| avril 99 | | Au docteur Cucurés sa solde Janv. Mars 1899 | 2500 | |
| Juin 99 | | Frêt à 3500 | 14 | 05 |
| | | Solde pour balance | 4689 | 90 |
| | | | 56899 | 65 |

| Dates des écritures | | Détail des opérations | Capitaux | |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| | | (erreur existant sur l'original) Report | 46899 | 65 |
| Octobre | 98 | Du compte de Rabat | 1000 | |
| " | " | " " " | 1000 | |
| Nov. | " | " " " | 1000 | |
| Déc. | " | " " " | 1000 | |
| Mars | 49 | " " " | 1000 | |
| Avril | " | " " " | 1000 | |
| Mai | " | " " " | 1000 | |
| Juin | " | " " " | 1000 | |
| | | | 56899 | 65 |
| | | Solde à nouveau | 4689 | 90 |



Pour copie conforme
Le chef d'escadron
[signature]

MISSION MILITAIRE FRANÇAISE
AU MAROC.

---

Note annexe à la lettre 1764 du 7 Octobre 1904.

---

Répartition de l'indemnité chérifienne

---

Le taux des allocations afférentes à chaque fonction sera réglé comme il suit à partir du 1er Novembre 1904.

A la Portion centrale (Fez)

Officier, Chef de Mission....................12.000f
Capitaine français.......................... 9.000
Lieutenant français......................... 7.000
Officier indigène........................... 3.600
Sous-Officier indigène...................... 3.000
Le Médecin suivant son assimilation (actuelt).9.000

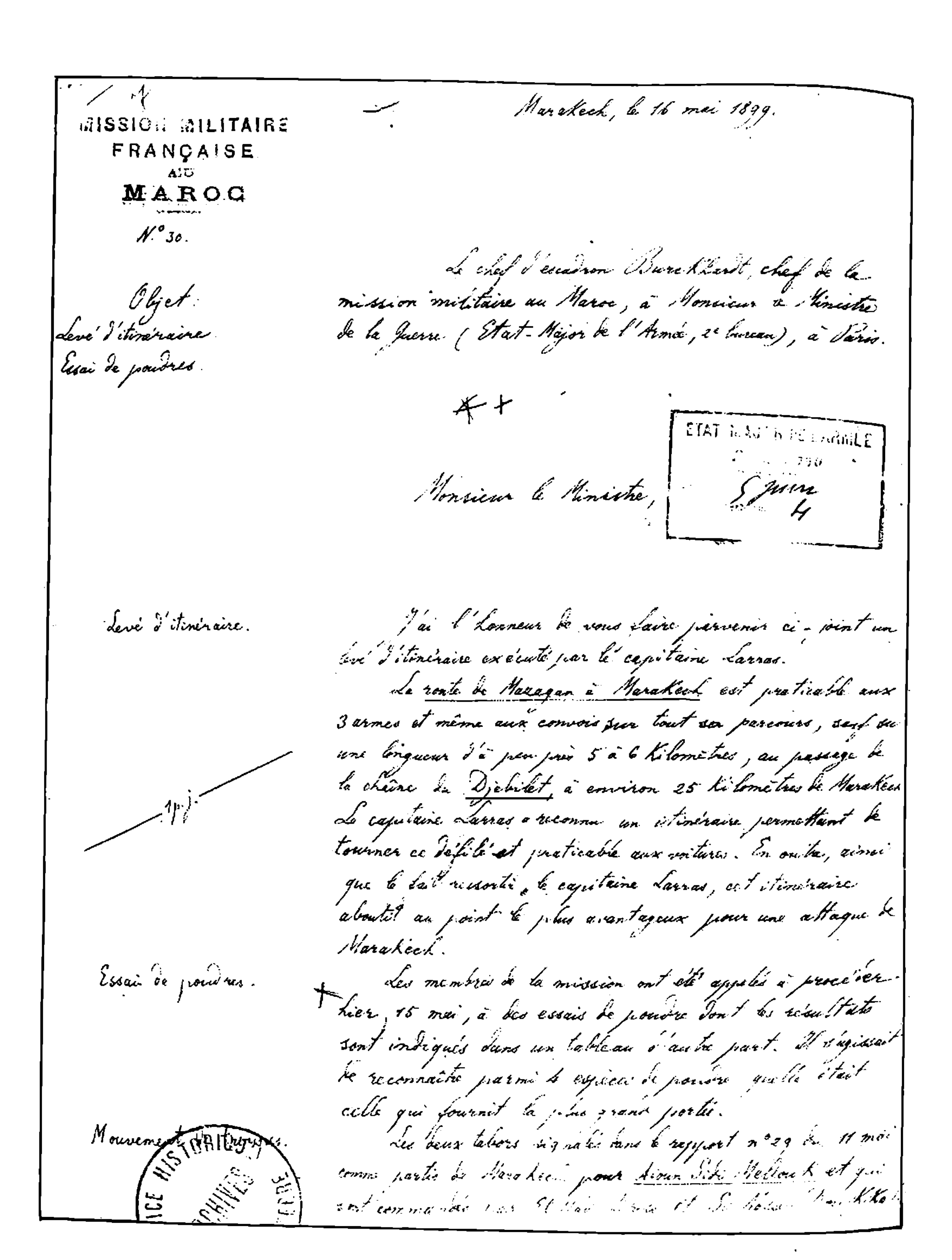
Rabat Casablanca et d'une façon générale à la Côte (sauf Tanger)

Officier (Chef de Section)....................7.000
Officier français.............................6.000
Officier indigène.............................3.000
Sous-Officier indigène........................1.800

Oudjda.

Officier (Chef de Section)....................3.600
Officier français.............................3.000
Officier indigène.............................2.000
Sous-Officier indigène........................1.080
S Off français ———— 1260f Tanger......

أجور البعثة العسكرية الفرنسية سنة 1904



MISSION MILITAIRE
FRANÇAISE
AU
MAROC

N° 30.

Marakech, le 16 mai 1899.

Objet:
Levé d'itinéraire
Essai de poudres.

Le chef d'escadron Burckhardt, chef de la mission militaire au Maroc, à Monsieur le Ministre de la Guerre (Etat-Major de l'Armée, 2e bureau), à Paris.



Monsieur le Ministre,

*Levé d'itinéraire.*

J'ai l'honneur de vous faire parvenir ci-joint un levé d'itinéraire exécuté par le capitaine Larras.

La route de Mazagan à Marakech est praticable aux 3 armes et même aux convois sur tout son parcours, sauf sur une longueur d'à peu près 5 à 6 kilomètres, au passage de la chaîne des Djebilet, à environ 25 kilomètres de Marakech. Le capitaine Larras a reconnu un itinéraire permettant de tourner ce défilé et praticable aux voitures. En outre, ainsi que le fait ressortir le capitaine Larras, cet itinéraire aboutit au point le plus avantageux pour une attaque de Marakech.

*Essai de poudres.*

Les membres de la mission ont été appelés à procéder hier, 15 mai, à des essais de poudre dont les résultats sont indiqués dans un tableau d'autre part. Il s'agissait de reconnaître parmi les espèces de poudre quelle était celle qui fournit la plus grande portée.

*Mouvement des troupes.*

Les deux tabors signalés dans le rapport n° 29 du 11 mai comme partis de Marakech pour Aioun Sidi Mellouk et qui sont commandés par [illegible]



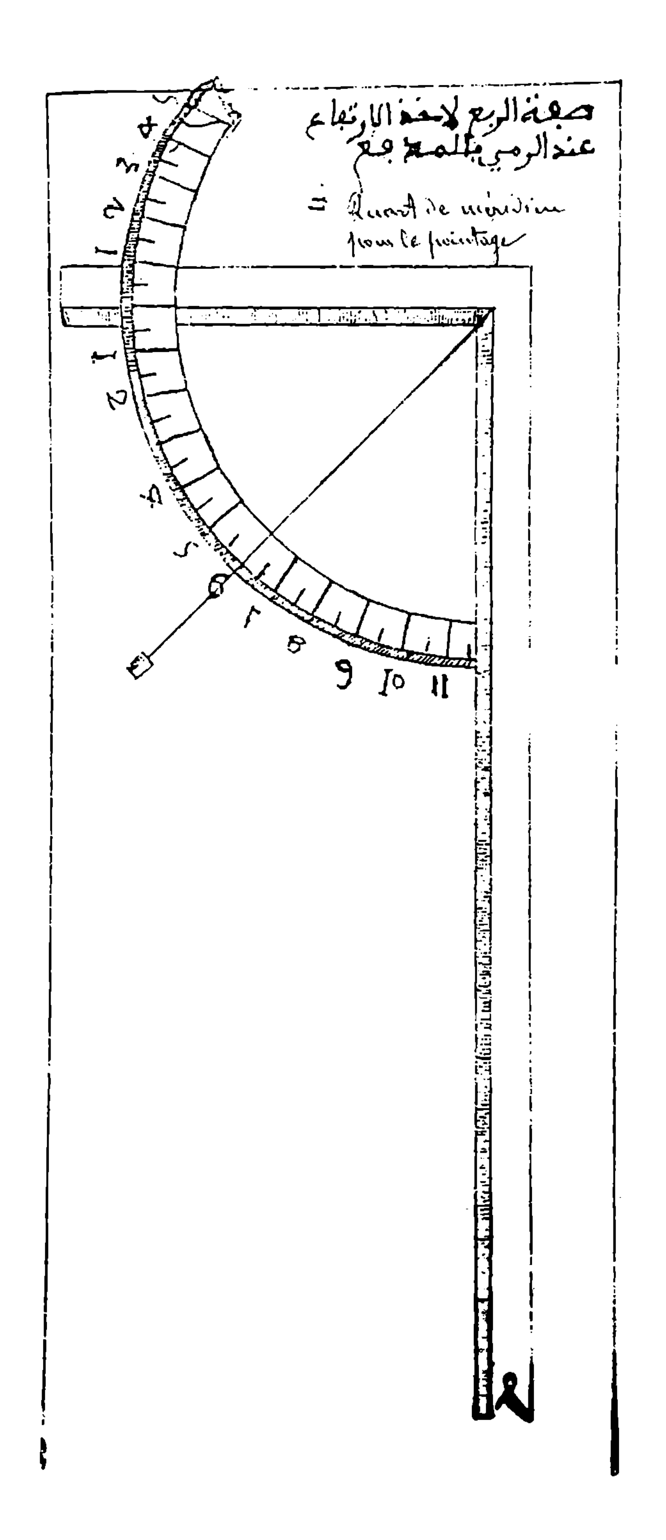
نموذج لتقارير البعثة العسكرية الفرنسية

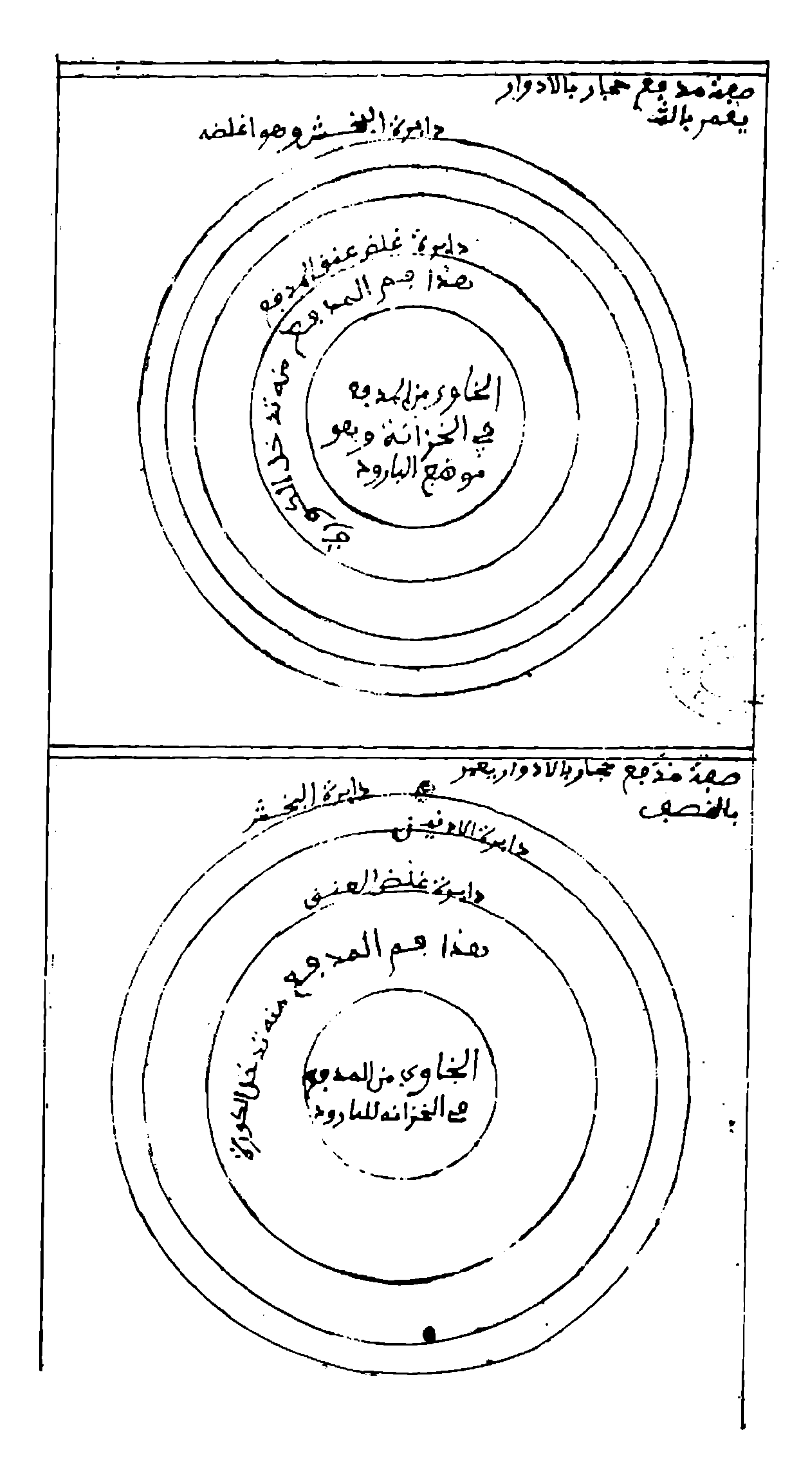
صورة مغروبة للفلبرينة من اربعة ابوام والذي زادوا في طولها
اسفلوه من الجنبين بالقوا الذي يكون لها وترفع من البارود
قدر الذي هي من
ثلثة ابوام
ونصف
وتصنع هكذا
للزينة

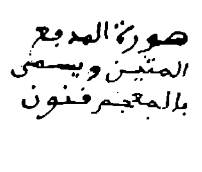
60

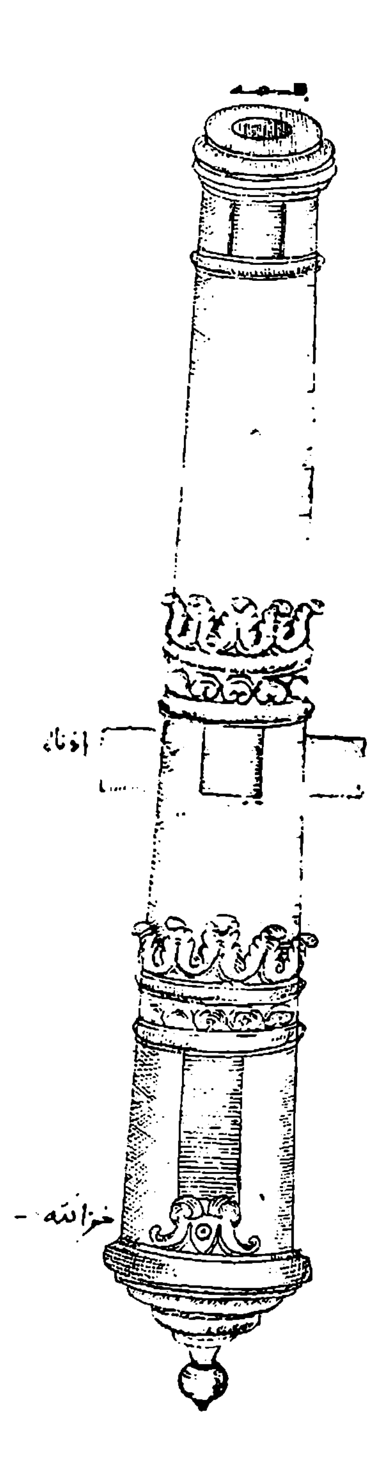
X K I L V M N O C H G F S T E C D A b

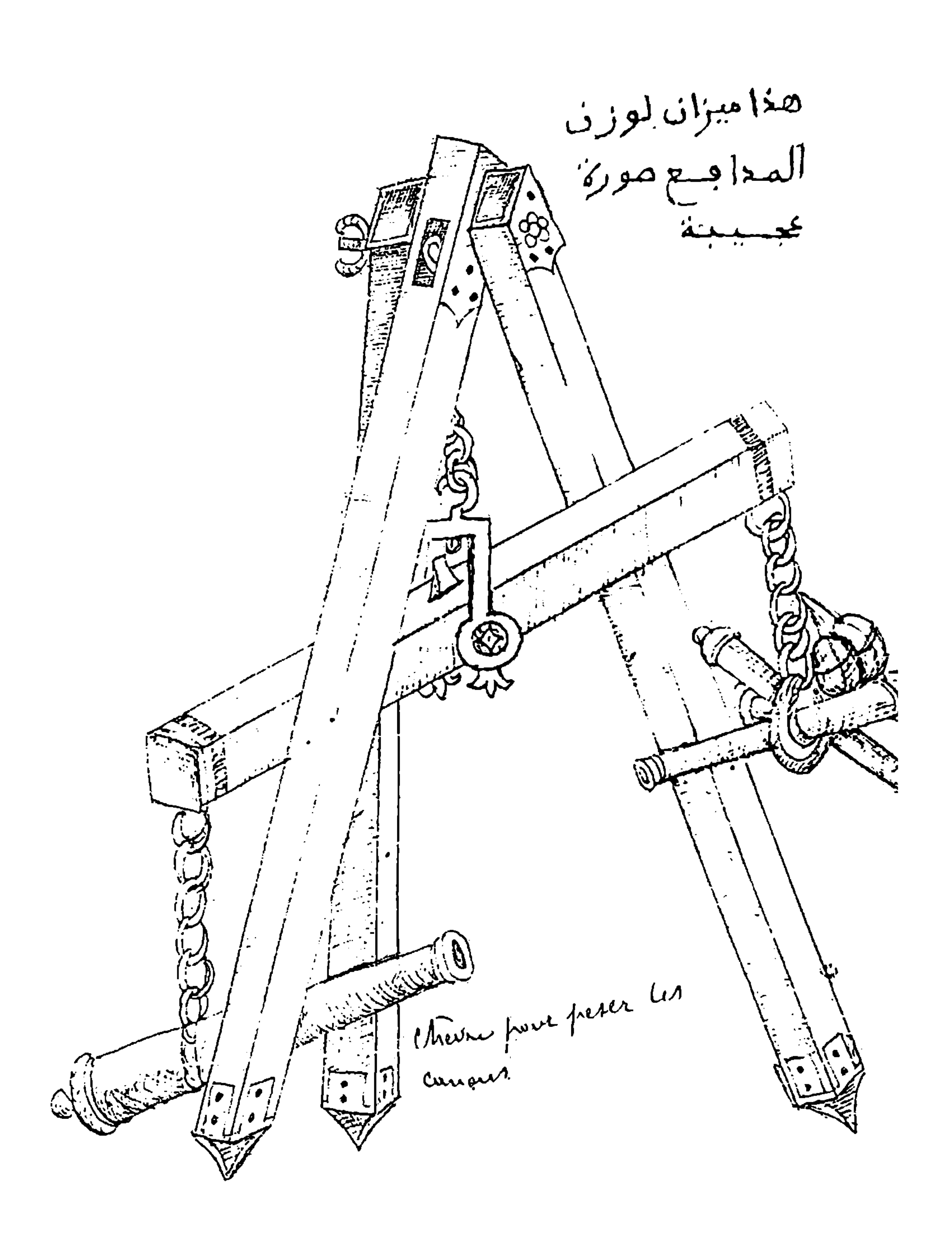
مقتطفات من مؤلّف حول المدافع في العهد السّعدي

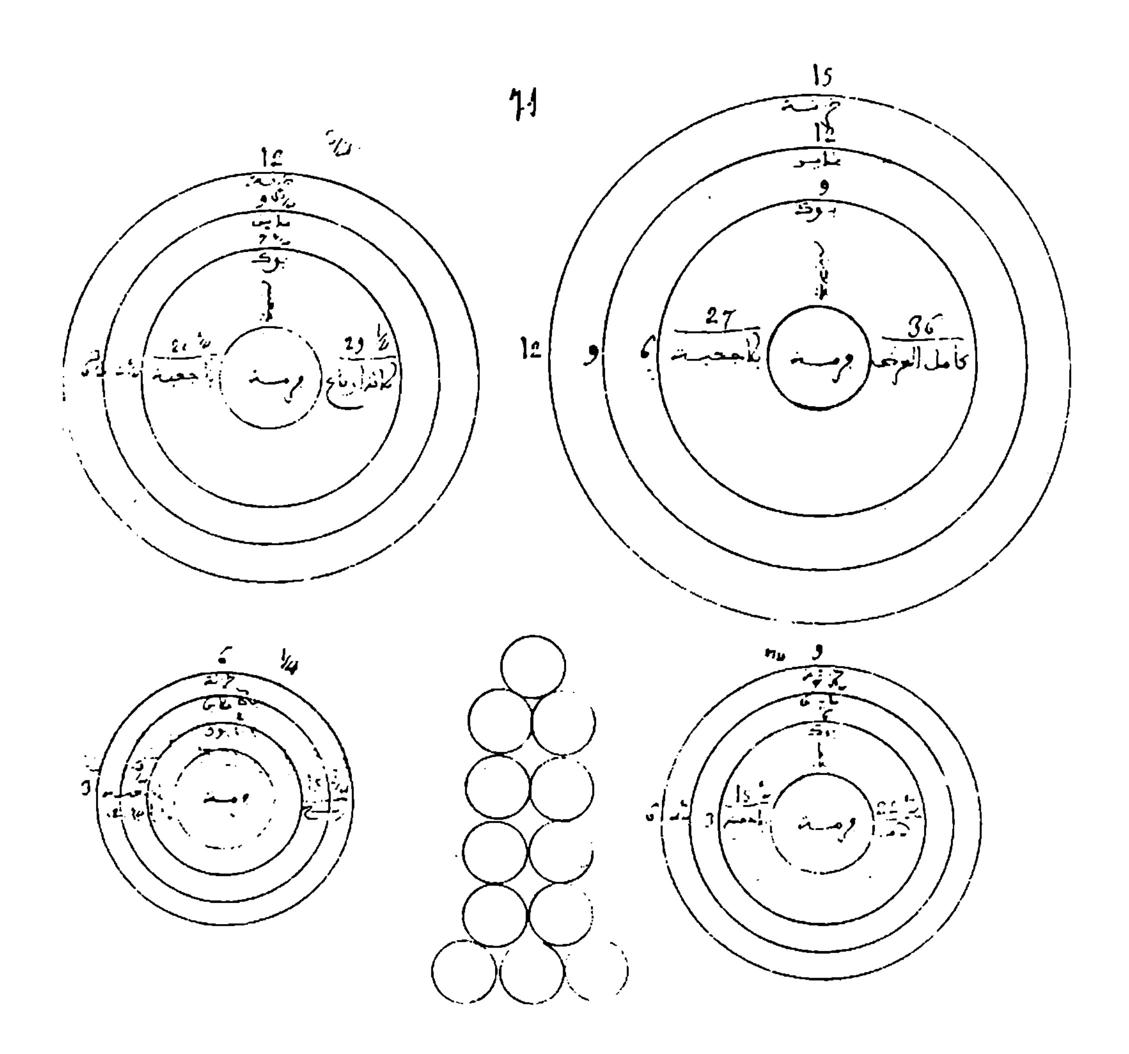

صفة الربع لأخذ الارتفاع
عند الرمي بالمدفع
Quart de méridien
pour le pointage


صفة مدفع حمار بالادوار
دايرة الخشب وهو اغلظه
دايرة غلظ عنق المدفع
هذا جسم المدفع
الخاوي من المدفع
في الخزانة وهو
موضع البارود
صفة مدفع حمار بالادوار يعمر
بالقصب
دايرة الخشب
دايرة غلظ العنق
هذا جسم المدفع منه تدخل الكورة
الخاوي من المدفع
في الخزانة للبارود


صورة المدفع
المتين ويسمى
بالعجم فنون

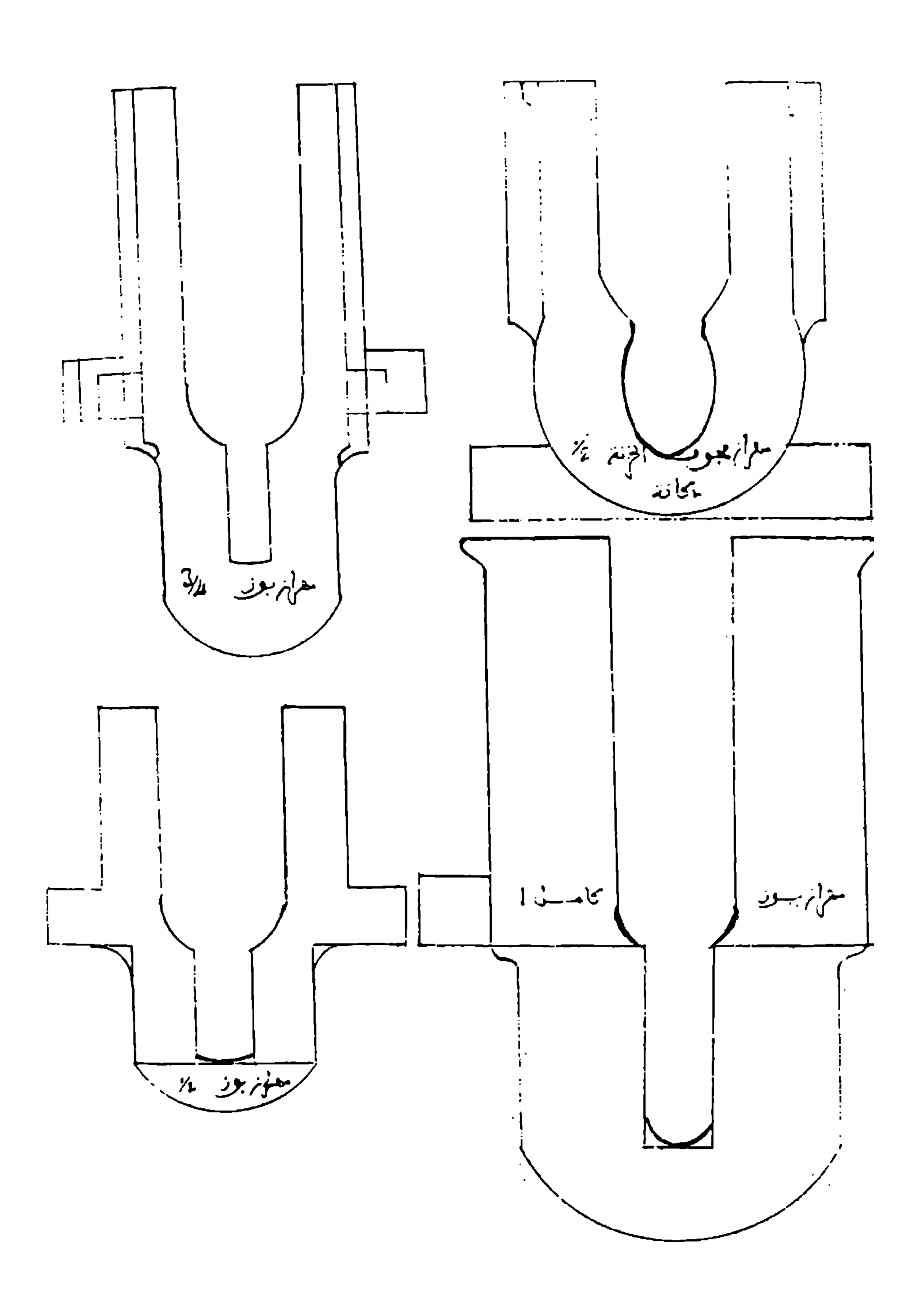

بمه
اذنان
خزانه


هذا ميزان لوزن
المدافع صورة
عجيبة
Chèvre pour peser les
canons

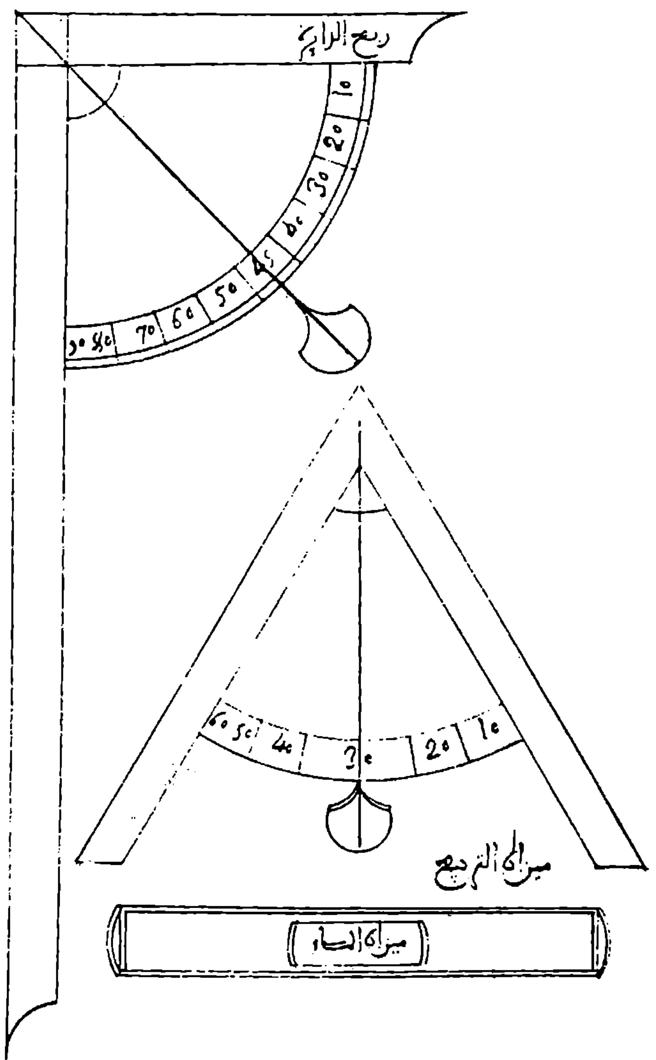


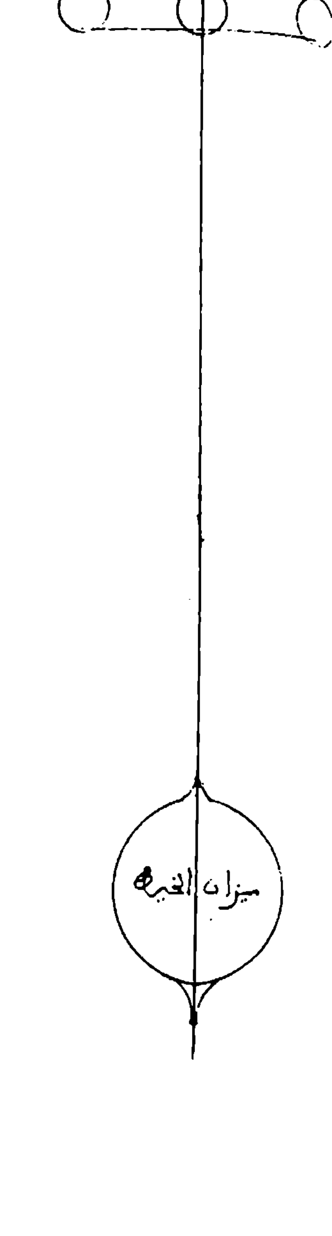

**مقتطفات من مؤلّف حول المدافع وكيفية "الشّارة"**

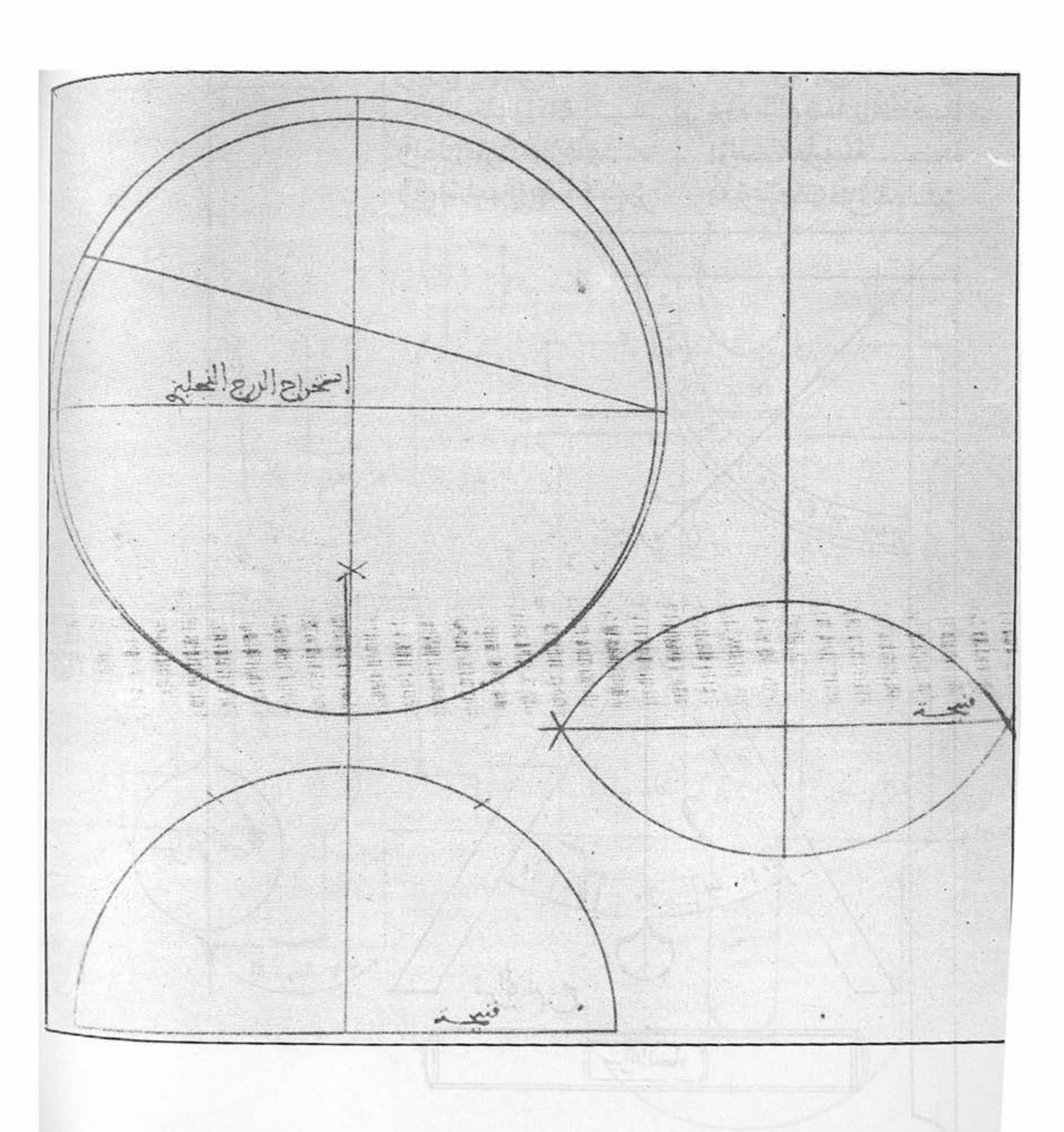
**في عهد سيدي محمّد بن عبد الرّحمان**


مغراز بوز 3/4
مغراز مجوف الخزنة 1/2
بحاله
مغراز بوز
مغراز بوز 1/2

وَبِالرُّبْعِ الْمِهْرَاسِ عِنْدَنَا اقْتَضَى    كَمَا اقْتَضَى مَنْجَنِيقٌ بِمَا مَضَى
وَغَايَةُ ارْتِفَاعِهِ إِذَا عَلَا    عَدَدُ تِسْعِينَ كَذَا رَوَاهُ الْعُقَلَا
وَاعْلَمْ إِذَا زِدْتَ فِي ارْتِفَاعِهِ    أَوْ نَقَصْتَ يَنْقَلِبُ بُعْدُهُ
وَفِي اذْرَاعِهِ تَرَى عِلْمًا كَبِيرْ    يَنْقُصُ مَا نَقَصْتَ فَلَا تَكُ غَرِيرْ





استخراج الربع المجيب
فتحة
فتحه

## باب في استخراج العمارة وكيفية التناول
## بالزمامة من ربع الخامس والسدس بالحروف

فإن تشأ عمارة المداريع ... من تناول الفصال والمواقيع
فخذ فعلها الذي قد بدا ... واضرب بدء في نقطه حرفيته سرمدا
واقسم ما على الذي جملة العدد ... على نقطه كاف[20] يبرك الفراغ
وما تبقى من القسمة يا فاضل ... هو العمارة بجمع الشطار
وإن تشأ قلت في أسماء الكور ... هو العمارة على المشهور
لتدفع ذاته خمسا أو ضعاف ... والعم تسميه ضعيفا لأغلاف

## كيفية أخرى

فإن تشأ عمارة المطلع ... فانظر ما في عقبه بلا نزاع
في جمع أفعالات الخمسة ... وانسب كل فعل منهم بالموفية
واضرب ما أتى في عدد اسمه ... والخارج نقطه يؤخذ فسميه
وهذه تلك العدد بالتصحيح ... للعمارة به مشتهر التلويح

## كيفية أخرى

وإن تشأها وبعد من الصغرى ... أضرب في الاسم وجمعه يعني
واجمع لك[22] أقسمه بالكسر ... واطرح تلك العدد بالجبر
وثلثه عليه فقد علا ... وربنا الفضل قد لا سفلا

## باب كيفية التناول بالزمامة في المواقيع

وإن أردت أن يرمى بها قد قع ... على النسق وإن تشاء تعي
لا يكون عليه من الضرورة ... أو صل بالرود أو صد بالبحورة

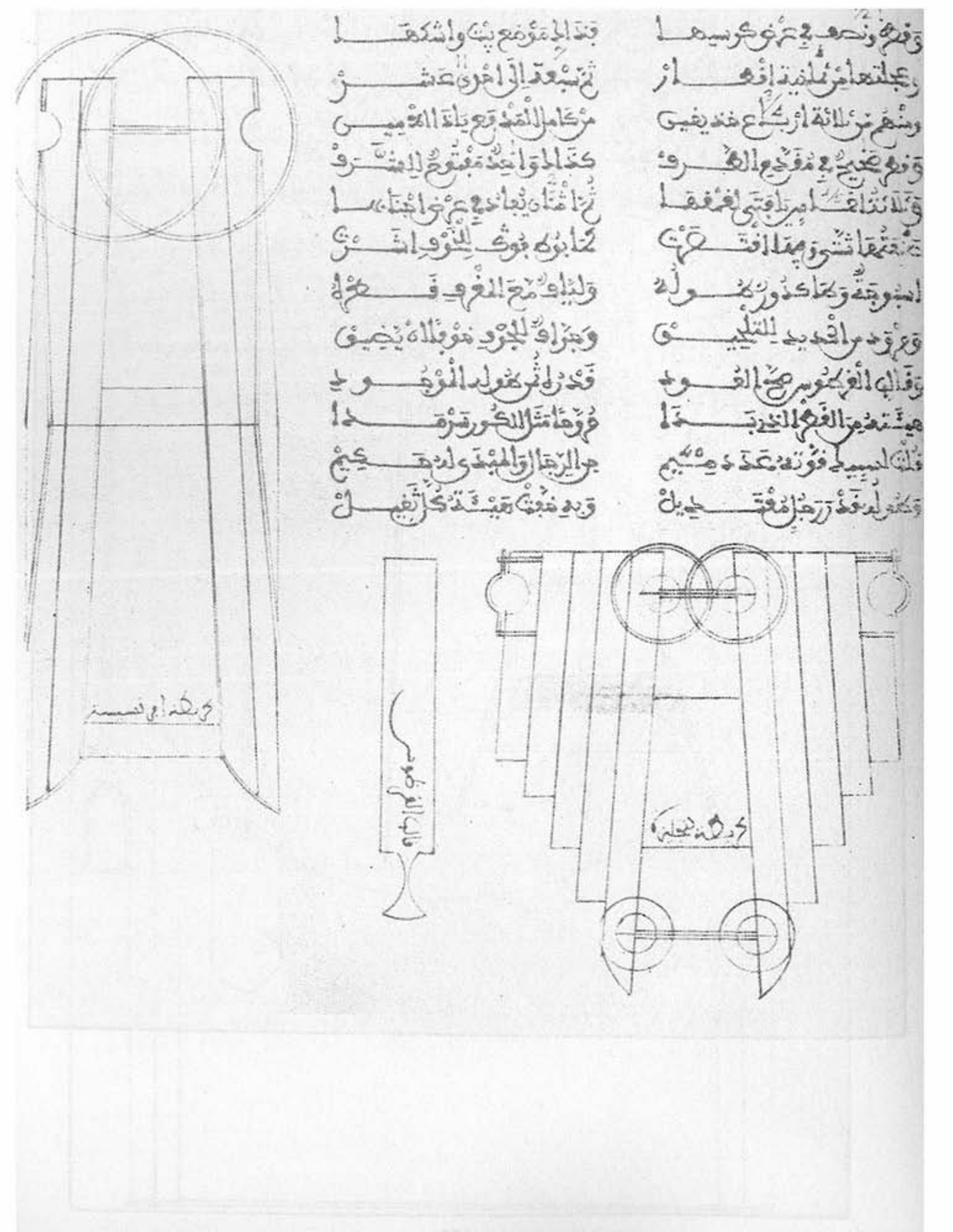
واضرب عليه ثلاثا وشد سدا		في فم التعمير لا تعمر ضربه جدا
وسقوا التعمير بمرود الحديد		والكوية فينا لا تنسى شهود
وفي البارود للبارود		الى البارود الذي تدفع الثقيلة
ثم من واحد غدر له بعينه		ثم من واحد شعر به فقتله
واعلم انه لا شيء من البارود		الا الانفجار وتعلو العقود
ولا ترى لنا منه اعتذار		الا على حرف مما فدا نخبر

باب كيفية الرمي بمدفع النحاس والتقدير

وهو مدفع النحاس اذا زدته		للرمي او من الحديد عكسه
فخذ ثلثا للبارود الذي له		والباقي منه كاف[40] افهمه
واجعل من الكل صوت يا فتى		الى ان تحمل الكاف[20] فذاتي
وللحديد كان الحكم عكسه		فارفع منه الى ان تبقى ثلثه
واما انا بالقسم يا خليل تجوز		وفي فينا الغير التعبير تفوز
وقصبة التلقيم فيه زرعت		بقدر النار والرمي صنعت
لان مدفع النحاس يحرق		ومعدن الحديد بحر نار تخرق
ولا تعجل يا اخي وكن بها بشرا		من لعب نار اجوف هائرا

باب في صنعة الكرة والآلات المركبة للمهراس والمدفع
وكيفية رمي ما على مكنتها والكيل والعقاريب

كرة من حديد لها رقبة		قسمتها من شكلها ثلاثة[3]
بنا من رايح فساه من فرانة		وواحدة الصدر كذا مصنوعة
وفي لخي الصدد في اولها		وواحدة مغلد يفتخ مدفعها



وفوقها ونصف في عرض كرسيها ... فيه الموضع بيت واشكالها

وعجلتها من ثمانية أذرعار ... ثم تبعد إلى أخرى عشر

ومنهم من ثلاثة أربع خذ يقيني ... من كامل القد مع باية الاخميمي

وفيه مجرى في مفرج الحرف ... كذا القواعد مفتوح للشرف

وثلاثة اغضا من باقتي لعمقها ... ثم اثنان يتباعد في عرض اجنابها

ففيهما شيء ومعا افتحها ... كما بركة بوك للخوف اشر

اسبوعه وكان كذور تحوله ... ولباف مع العود فسطره

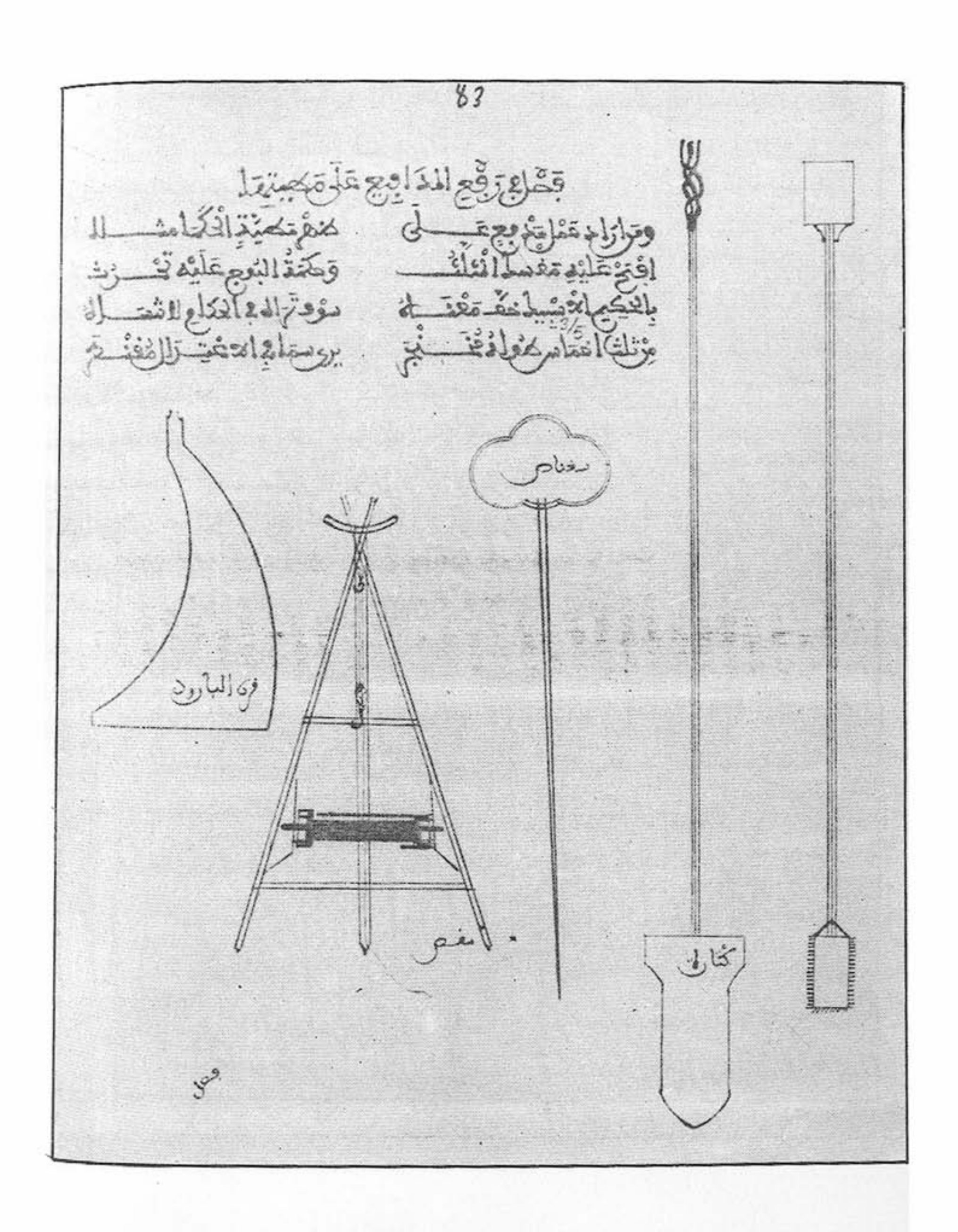
وعن قدر اقديد للتليين ... وبراف للجرد من فلاه يضيق

وقال العكوس صح العمود ... قد رأيتم هول الموجود

هيئة تعمير العمل النجوية ... فوقها مثل الكور ترهدا

فله السيلي فوته معدد هشيم ... من الرجال والمبدى له حكيم

وكثير لمعد زحل مفتحديل ... وبه ضفته حبيتة كل ثقيل


83
قرن البارود

## فصل في كيفية الكيل

يا ايها الباغية كيل البارود ... فهاك عمله لذا احكام محدود

فخذ من اقطار للفم قسيم ... والطول واحد اذا اجعلته حكيم

من فم الخمسة خذ بيان ... والفم خمسة هو الميزان

وان تشأ عرضه من اربعة ... فاجعل الطول من فم الستة

وان تشأ فكلهم في المثل ... فاجعل له فم ثلاث ارطال

بمعناه ان تبغ للعلي انتسم ... والطول واحد منها في الخبر

وان اردت الرطل ميزان العقفي ... فخذ من اربعة في الفم تنقص

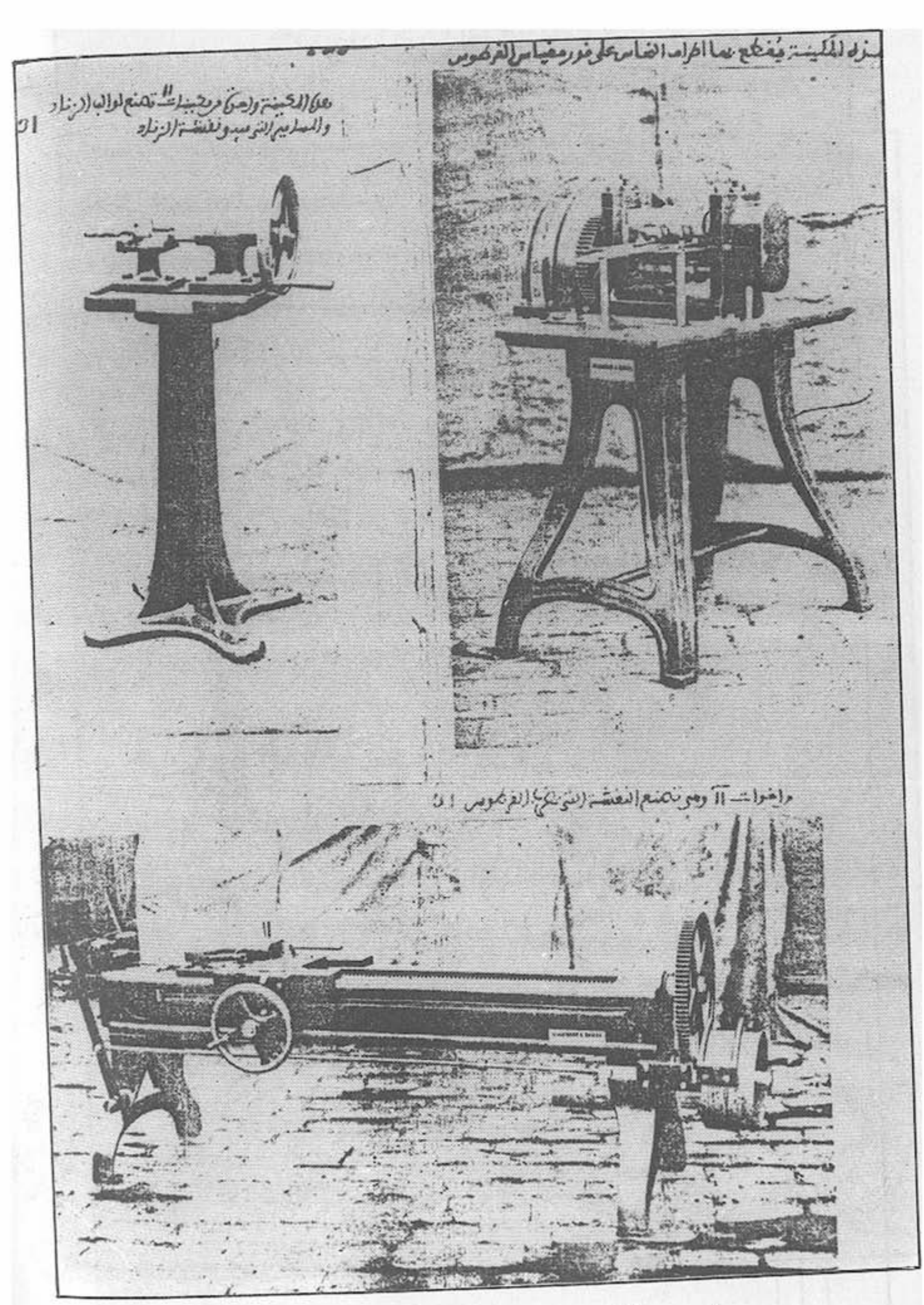
والطول واحد من فم الخمسة ... فيه وجدت تحقيق البشارة

واصنع بمثل ما ذكرنا بالقياس ... في صحيح ورقة تكون من النحاس

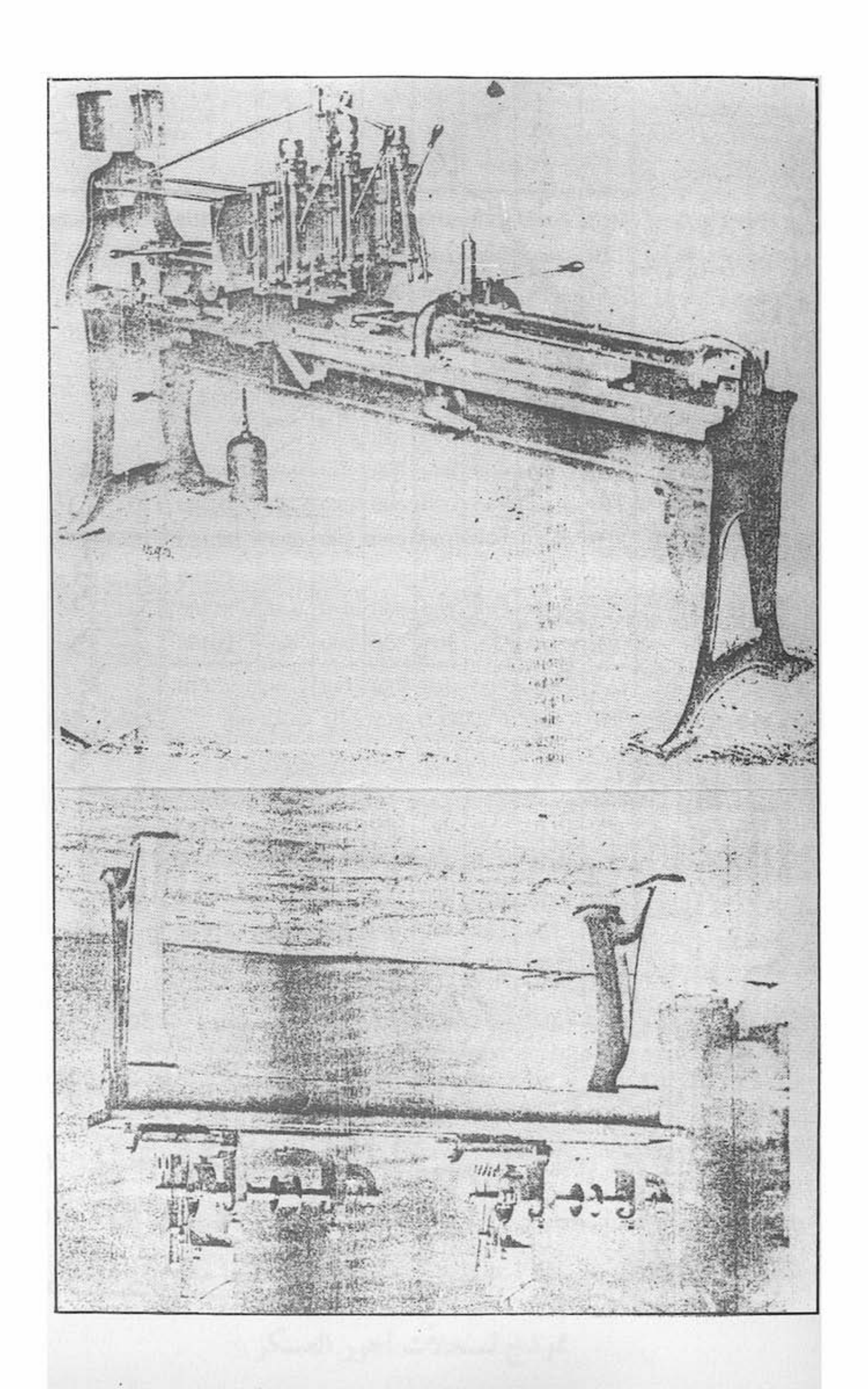
سواه ان تطبع الزايد هكذا ... صاحب الشافي بالتصحيح رسم

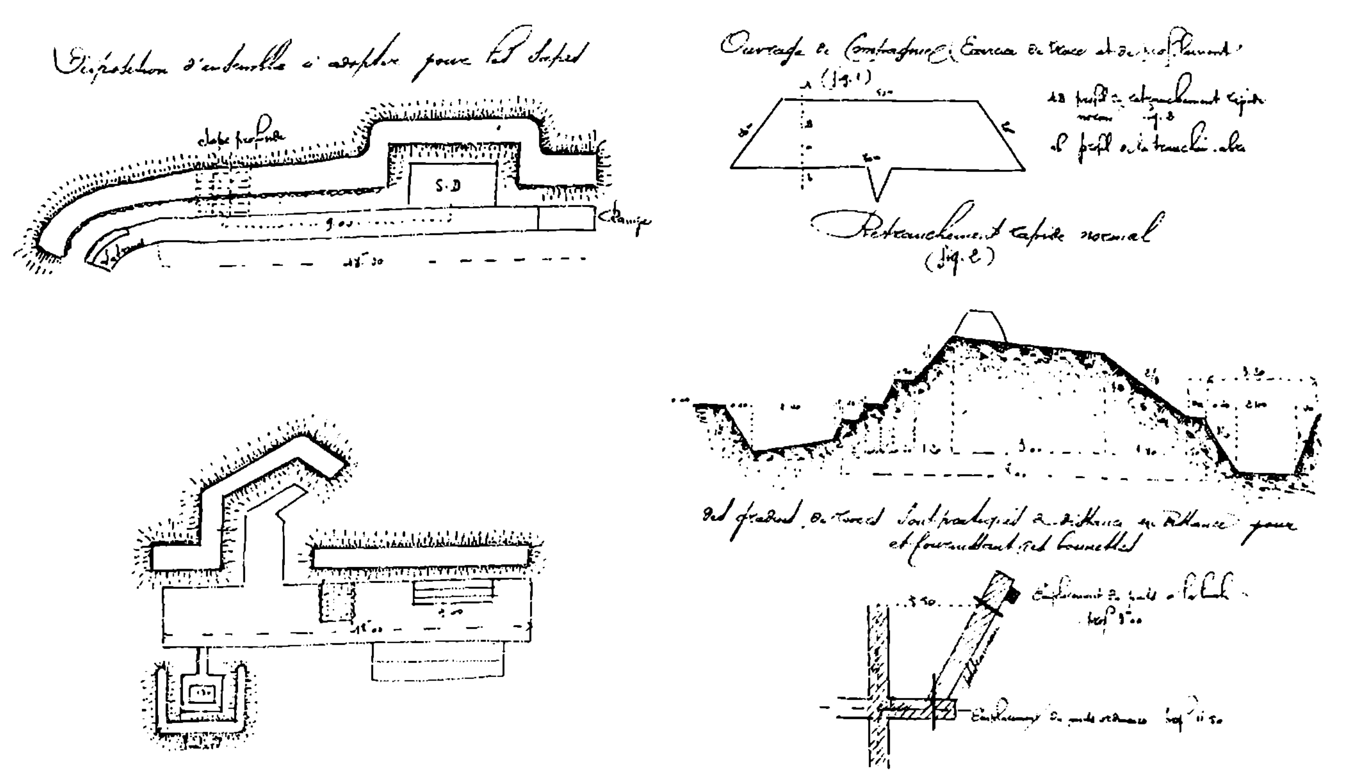
وزد اولى بالة التدوير ... تجده رسما صاحب التعبير

كيل البارود



صور لبعض الآلات المستعملة في دار السّلاح في فاس






Croquis accompagnant le « Programme d'Instruction », établi en 1887 pour les Marocains de l'école du génie de Montpellier.

نموذج للدّروس التي كانت تلقّن للطّلبة المغاربة في مدرسة الهندسة العسكرية في مونبولييي

| القايد مبارك | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | ريال | [illegible] |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| مدوب بلال | 010 | 0665 | 004 | 001 | 001 | 001 | 005 | 00107 | 0000 | 000 |
| حبش المنافرة | 043 | 0000 | 002 | 001 | 000 | 000 | 000 | 00264 | | |
| [illegible] | 013 | 0000 | 002 | 001 | 000 | 000 | 000 | 00084 | | |
| [illegible] | 009 | 0000 | 002 | 001 | 003 | 000 | 000 | 00060 | | |
| [illegible] | 010 | 0000 | 002 | 001 | 000 | 000 | 000 | 00066 | | |
| دايم | 010 | 0000 | 002 | 001 | 000 | 000 | 000 | 00066 | | |
| دوبلال | 003 | 0006 | 001 | 000 | 000 | 000 | 000 | 00019 :/ | | |
| صالح اليموري | 010 | 0000 | 001 | 000 | 000 | 000 | 000 | 00061 : | | |
| احمد اليموري | 014 | 0000 | 001 | 000 | 000 | 000 | 000 | 00085 :/ | | |
| ابن التار العبدي | 022 | 0000 | 002 | 001 | 000 | 000 | 000 | 00138 | | |
| ابن عمر العبدي | 043 | 0000 | 002 | 001 | 000 | 000 | 000 | 00264 | | |
| الجمري | 022 | 0000 | 002 | 001 | 000 | 000 | 000 | 00138 | ✓ | |
| الجاطي | 016 | 0000 | 002 | 001 | 000 | 000 | 000 | 00102 | | |
| | 225 | 0665 | 025 | 010 | 001 | 001 | [illegible] | 01455 : | | |

1455 عن مدة شهر تاريخ اعلاه 43665 يجب ريال بحسب 80   0545   065

العسكر :

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ج احمد المومني | 020 | 0110 | 024 | 006 | 002 | 001 | 012 | 00776 |
| ج محمد الزروالي | 023 | 0160 | 024 | 006 | 002 | 001 | 015 | 00970 |
| ابن القايدة | 023 | 0140 | 020 | 006 | 002 | 001 | 012 | 00787 |
| الطبجية | 005 | 0045 | 002 | 001 | 001 | 000 | 005 | 00227 |
| | 075 | 0425 | 070 | 019 | 007 | 003 | 044 | 2760 |

2760 عن مدة شهر تاريخ اعلاه يجب 82800 يجب ريال بحسب 80   1035   000

الجميع دراهم هذا [illegible] 126465 يجب ريال هذا [illegible] 1530   065

والريال قد يكون بحسب ٨٠ كما هنا وقد يكون بحسب ٩٠
ومجموع الريال قد ينحط في الشهر كله الى ١٣٧٧ وقد يصل الى ١٥٨٤
فاذا تمت ستة اشهر جمع ما تحصل فيها على حدة وقد اجتمع من الريال في

نموذج لسجلات أجور العسكر

94

الحمد لله وحده

إلى المحب الأعز الأنجم العاقل اللبيب المحترم وزير الأمور الخارجية لدى دولة الكريت ابريطانيا العظمى وحامل راية مفاخر خارجيتها المنظمة المشهور بإصابة الآراء ودقة الأنظار وتعلم السياسة والتدابير في سائر الأقطار جناب المحترم مسيستم لورد لانسداون وبعد فكان السؤال عن أحوالكم المحفوظة بالسلامة ومحبة أن تكونوا بخير وعافية مستدامة فبمقتضى ما سوغ لدى حضرة سلطان المملكة البريطانية الفخيمة ورجال دولته الفخيمة العظيمة من عطاء المحبة وجميل الاعتقاد الذي للحضرة الشريفة في ذلك الجناب وتمام ما يحفظه على روابط صداقته التي لا يغيرها عارض من العوارض ولا سبب من الأسباب أمر تنفي الحضرة الشريفة أعزها الله أن أكتب لجنابكم المحترم في شأن المهري المنبهي الذي لا شك أنه يكون بلغكم خبر ما كشف عنه الغيب من أمره وما راج من المكاتبة في ذلك بين المخزن الشريف وبين نائب دولتكم الفخيمة والمقصود بهذا الكتاب زيادة الإيضاح للواقع لتكونوا على بال وذلك أن هذا الشخص لا يخفى على جنابكم أنه وفصيلته من الجيوش المقصورة على الخدمة المخزنية من عبيد أسلاف الحضرة الشريفة ولا زال الولاة الكرام وكانوا من الخدمة المخزنية البعض الذين يستخدمهم الفقيه أحمد بن موسى واستخدمه هو بالخصوص في جبايات القبائل ليحيث المال لما كان يظنه به من النصح له في السيرة التي كان عليها ولما توفي الفقيه أحمد بن موسى كلف به الجناب الشريف يعامل ذلك بمقتضى عمله في قبض مال الجبايات من الرعية على يده ومن يد أشخاص معه وفي غير ما مرة من ذخائر المخزن زيادة على ما كان محوزا بسبب المال عند الفقيه أحمد بن موسى المذكور من المال وغيره واستبد بذلك واستولى عليه بحكم أمره في المصالح المخزنية الخاصة توجه في سفارته لعاصمة لوندرة وحضرته عليه الخفيا نفع في أمور من المال الذي كان على يده وفي السياسة الداخلية وتعيين حينئذ للمباشرة أخيرا في أمور الرياسة العسكرية التي بها كان تم له الاستبداد بالمرام والاستيلاء على أموال المخزن وخابر لقرارها هذا مع ما احتوى من حقوق الدولة والرعية وتحصيل ما على ما كان عليه من الولاية والتكاليف الخارجة عن الرياسة العسكرية ولما رجع من السفارة المذكورة صار يتطاول على الأعتاب الشريفة معتمدا بغاية جهده وبتمويهه في ذلك وبأن جميع ما بيده من جانب المخزن ويطلب الأبعاد عليه وعدم مؤاخذته بما عذر منه فرق لدى الجناب الشريف وتحققه الشفقة عليه خصوصا لأجل ما عانته حرمة الدولة التي كان سعيه أعظمها ومن قدم الاقتبال الذي اقتبلته به ولاعتقاد مدى تمويهه بعد حصول تبينه من الجناب الشريف في رياسته على شيء أنه إن تحقق عليه شيء بما كان في المستقبل يصادف خلع جميع الصادر منه في الماضي واللاحق ولما استقر في رياسته صار يخبرهم بالنصيحة أبدا على منوال حرس ويظهر الخيانة والخدع والمكايد التي يتوصل بها للتخريب في عاصم المملكة وأذى أمر الدولة بحيث لا يعلم فيها حتى لا يترك فيها ما يغفل الأخبار بعبال ومن ذلك أنه هو الموقد لنيران الفتنة في قبائل البربر التي كان خرج لها الجناب الشريف بالحركة وهو السبب في عدم الحصول على كامل منها مع ضياع الأموال والرجال ومن ذلك أنه هو في توريط المحلة الموجهة لناحية تازا وتبذير أموالها ورجالها حتى كاد الأمر أن يصل إلى ما هو أعظم من ذلك في الوثب على أحد خدمتها عنوانا أنه من الأمر المتحقق بذلك تأييد العقلاء من حيانته وحيث تحقق عليه هذا كله بعد ما لم يكن المحترم كان جانب المخزن منتظرا وروده ليحاسبه ما تقدم عليه من أموال الدولة وذخائرها وأموال الرعية ويجري عليه الحكم بما يستحقه بعهم منه أنه انقطع بالحجة وحينئذ أصدر الجناب الشريف أوامره بعقل ما لديه كما هو أمر اعتقده التي ببلاد الإيالة الشريفة وقربها تحصيلا عن التعويض والتبذير لما ثقل عند المخادع والعامة أن جميع ما ينسبه لنفسه من المتاع هو لجانب المخزن الحار به والحالة هذه وأن جميع ذلك إنما اكتسبه من ذخائر الدولة وجبايات الرعية التي استهلكها وأن جميع ما عند من المخزن بتحصيله مما هو كاف لا في بعض العشر مما هو متبوع به ولا زال الحال مخفيا عنكم ونشاوره علينا كان فإن أشغالكم الفخيمة باستمالتهم في سبب تنقيف ما ذكر والتصريح بجناية هذا الشخص بمجرد أفكار الدولة الشريفة من ذلك السر حيث لم تتصوروا فعلا وجه ذلك ولا وجود أساس الذي يمكن بناء عليه والاجتماع بالواقع وكلفنا منه على لسان المحترم الشريفة برجع ذلك الجواب بعين تعليم جنابكم المحترم بما حاصل ما ذكر عليه هذا الشخص من السيرة السيئة هو السبب الذي أدى أمر الدولة الشريفة إلى الحالة التي لا تخفى على أحد وكيف يمكن لأي دولة السكوت على من كانت تعلق به النصيحة وتحقق عليه البعض من هذه الخيانات وإن لا تجد أنكم من هذا ما ستطلع الآن أنكم تنتقدون حال هذا الشخص وتميلكم باعث محبة الجناب الشريف على الاهتمام بحقوقه وحقوق دولته ورعيته ومراعاته ونشكركم العناية التي عن التمحض عنه بأنواع من سعي هذه المساعي العظيمة والمقصود الأهم عندكم بالتعلق بالدولة الإنجليزية الفخيمة جوابه يكون من أداء الحقوق التي يعلم أنه لابد من إصلاح الواقع فيها وأنه ملزوم بالمطالبة بها وقت الكلام جانب المخزن عليها ولم يزل أن خاطب الدولة المحترمة لا ترضى بذلك ولا تعين تركيبه على حال ومال الجناب الشريف يجب أن يكون جوابكم بما يعرف معه المعروف من نصائحكم للقوي والضعيف بما كان الأحباء الذين لهم جميل الاعتقاد فيكم [illegible] جمادى الثانية عام 1322

جواب مخزني إلى وزير الخارجية الإنجليزية

حول أسباب تثقيف ممتلكات العربي المنبهي

الحمد لله وحده

كيفية التنظيم والتهذيب الذين يعتمد عليهما استقبالا فى الجند الشريفى نصره الله .

---

ان جلالة الحضرة الشريفة أيد الله سلطانها تامر بتنفيذ مايلى تحت من الاوامر حينا وبتمكين أيدى كل مستخدميها من هذه الاوامر ليمعنوا نظرهم فيها ويختاروا اما البقاء حسبما يذكر اوالذهاب فى حال سبيلهم

## كيفية التجنيد

ان القياد وأصحاب الدرجات والعساكر المعترف لهم بسلامة ذاتهم بواسطة الطبيب يمكنهم الدخول فى الجند الشريفى لمدة أربعة أعوام بعدما يحلفون للجلالة الشريفة بعدم الخيانة ويمكنون وقتئذ بموجب يسمى موجب التجنيد وهذا الموجب يبقى عندهم
ومن هرب منهم اوفعل فعلا يخالف قواعد التجنيد يعاقب المقابات الاتى بيانها اما الذين يفوزون منهم بخدمتهم فانهم يجازون بما ياتى بعد من الجوائز

المئون — فى المستقبل تفرق المئون على النمط الاتى

| | بفاس | بالمحلة |
|---|---|---|
| الخليفة الكبير | ٢٠ بليونا | ٣٠ بليونا |
| الخليفة الصغير | ١٠ | ١٥ |
| قائد المائة | ٨ | ١٠ |
| الملازم | ٥ | ٦ |
| المقدم | ٤ | ٥ |
| المعاون | ٣ وربع | ٤ وربع |
| العسكرى | ٣ بليون | ٤ بليون |
| الافراس والبغال | ٣ | ٤ |

أما الطنابرجية وأصحاب الابواق فانهم يسلكون حسب نصحهم فى خدمتهم اما كالعساكر اوكالمعاونين وامناء الطبقة الاولى ياخذون مونة الخليفة الكبير

نصّ إصلاح سنة 1912

وامناء الطبقة الثانية ياخذون مونة الخليفة الصغير.

وأمناء الطبقة الثالثة ياخذون مونة قائد المائة

وقياد الاراحى يكونون على طبقتين فاهل الطبقة الاولى ياخذون خمسة دوريه فى كل يوم سواء فى فاس وفى المحلة واهل الطبقة الثانية ياخذون بفاس ريالا واحداً ونصف ريال وبالمحلة ريالين ونصف ريال والمخزن الشريف هو الذى يعين قياداً راحى هاتين الطبقتين اما بقيتهم فانهم يسلكون على الكيفية الاتية فالذين لهم أقل من مائة وخمسين نفراً واكثر من مائة ياخذون مونة الخليفة الكبير والذين لهم اقل من مائة جندى واكثر من خمسين ياخذون مونة قائد المائة

ويمنع منعاً كلياً فى حق كل قائد او كبير على الاطلاق ان يلزم من هو اقل منه درجة بدفع شئ ما

وفى المستقبل تدفع المئون فى كل اسبوع وعلى سبعة ايام غير ان اللباس والسلاح وجميع التجهيزات تبقى ملكا للمخزن ولايجوز لاحد ان يبيعها اصالة

﴿ التهذيب ﴾ على كل قائد أوصاحب درجة أوعسكرى ان يعتبر بشدة قواعد التهذيب الاتية

| الجرائم العظمى ضد التهذيب | | ٨ جزاؤها |
|---|---|---|
| ١ | العصيان باليد المسلحة والقيام على المخزن | الموت |
| ٢ | الهروب بالاسلحة والاثاث المخزنية | الموت |
| ٣ | النهب بالسلاح أوالقتل | الموت |
| ٤ | تخلية المركز امام العدو أوالخديعة قدامه | الموت |
| ٥ | تعرية وقتل الجرحى | الموت |
| ٦ | الهروب بدون اسلحة واثاث المخزن | عامان سجنا |
| ٧ | بيع أوسرقة اثاث واسلحة المخزن | من عامين الى اربعة سجنا ومغرم يساوى ماسرق |
| ٨ | اشتراء او اخفاء اثاث المخزن | كذلك |
| ٩ | اعتياد اتلاف اثاث المخزن | كذلك |

| | | |
|---|---|---|
| ١٠ | اتلاف ١٠. اهم المخزن فى جميع مايرجع الى الجند | من عام الى اربعة سجنا ومغرم حسب ماسرق من ماله الخاص لا من المونة |

ويمنع على من هو فى الجنـد ان يتجر أو يخـدم اى خدمة كانت سوى خدمة الجنـد وقياد الاراحى الذين لا يمتثلون لما فى هذا الفصل بان يتجروا أو يرتكبوا ما يخالف القاعدة الجندية يعاقبون بخمسة اعوام سجنا واصحاب الدرجات والامناء تختلف معاقبتهم من عام الى اربعة سجنا حسب الجريمة المرتكبة والعساكر والمعاونون بستة اشهر سجنا

وجميع الجرائم المزبورة اعلاه تقدم الى جناب الحضرة الشريفة وهى التى تقضي بها وحدها وتعاقب مرتكبيها

ومما يعتبر من الجرائم لكنها ثنوية ماسيحصى

(١) من الكبير

كل شئ يوهم ضعفاه أو تعديا فى الحكم او مخالفة لواجباته

(٢) ومن العسكرى

١ ترك العمل اللازم بدون اذن

٢ الحضور مؤخراً او التخلف كليا عند الحاجة فى التمرينات أو فى كل ما يطلب منه

٣ الدخول مؤخراً المركز المسكر أو للخيمة بعد الساعة المعلومة

٤ الوسخ والتهاون فى القيام باللباس والسلاح والتجهيز

٥ مخالفة الاوامر أو عدم تنفيذها بعد سماعها فى كل مايرجع الى الخدمة الجندية

٦ السكر

٧ اللدد والتشاجر مع العساكر أو مع الغير

٨ سيرة المخالفة أو الغير الادبية مع كبير

٩ التهديد الغير الباهظ

١٠ اخبار الاكابر بغير الحقيقة فى كل مايعود الى الخدمة أو الى التهذيب

١١ عدم تعيين اسمه وطابوره حين يطلبان منه

١٢ انقطاع عقوبة التهذيب المحكوم عليه بها

١٣ التداخل الممنوع مع المسجونين

١٤ شتم أصحاب الدرجات

١٥ النعاس فى وقت العسة

١٦ التهاون الذى يمكن بسببه هروب المسجونين

١٧ الاضرار التى تقع فى املاك الناس * نهب مافيها وسرقته بدون سلاح

والحكم على هذه الجرائم الاخيرة مفوض لقائد الرحا لكن لا يحكم الا على أهل طابوره ويتبع فى الحكم المعاقبات الاتية

١ نقصان ربع أو ثلث المونة

٢ اعطاء ازفل بدون ان يجاوز خمسة وعشرين ضربة فى اليوم

٣ السجن بدون فوات خمسة عشر يوما

ولا ينفذ اى عقوبة كانت قبل موافقة العلاف والحراب المكلف من قبل الكومندان عليها وقبل تدقيق البحث فيها ويجب ان تكتب العقوبات فى السجل المعين لها الذى يقدم كل يوم الى نظر العلاف والحرابة ومن لم يمتثل لهذا من قياد الاراحى يعاقب عقابا شديداً

وللعلاف الحق فى الزيادة على ماذكر من العقاب عندما يتحقق النفع فى ذلك

---

والعساكر المسجونون يجبرون على القيام بنفع عام كتشطيب وتنظيف الازقة ونواحى البلدة او المراكز او البناءات إلى غير ذلك من المنافع العامة ويأكلون ماداموا فى السجن لكنهم لا يقبضون مؤونتهم

﴿ الجوائز ﴾ فمن حسنت سيرته من العساكر وفاق اقرانه شجاعة وقوة فى القلب يجازى اما بتعلية رتبته واما باخذ مكافاة نقديه أو النياشين الشريفه

وليس لقياد الاراحى عزل الخلفاء وقياد المائة وكل من له درجة كيفما كانت ان ذلك للمخزن وحده ولا يسقط العسكرى المعين لدرجة عند ما يرتكب جريمة عظيمة او يتحقق بعد انه غير قادر على القيام بواجبات الدرجة التى هو فيها الا المخزن الشريف فقط

ويلزم أيضاً الامتثال إلى القواعد التى اتخذها المخزن الشريف فى التحديدات الحربيه

فالكومندان والحرابة يدلون على الاوامر الشريفة المذكورة فى هذا التحديد ويواضبون على اتباعها واعتبارها ويخبرون الحضرة الشريفة بجميع قياد الاراحي والامناء وأصحاب الدرجات الغير القادرين على القيام بوظائفهم أو التاركين من كل جهدهم فى خدمتهم

هذا وان الجلالة الشريفة تركت لنفسها الحق فى قلب معاقبات الموت الى سجن حسب مايظهر لها او الاعفاء مطلقاً حين تريده


فَهَارِسُ عَامَّةٌ

# فهرس الأعلام

- م -

# فهرس أسماء الأماكن

## أولا : الدول(*)



(*) أسقطنا من هذا الفهرس اسم المغرب (المغاربة).

## ثانيا ـ المدن والمناطق

- ج -



- ح -

## ثالثا - القبائل

## رابعا ـ الزوايا

## خامسا ـ الأبراج والحصون والحاميات والقصبات

# فهرس الأسر الحاكمة في المغرب وبعض الأحداث التاريخية وأنواع الجيوش والطوابير

## أولا - الأسر الحاكمة في المغرب



## ثانيا - أحداث تاريخية : معارك وحركات..

## ثالثا - الجيوش والطوابير والفرق

# فهرس الصور والرسوم والجداول والوثائق

## أولا ـ الصور والرسوم التوضيحية



## ثانيا ـ الخرائط والتصاميم والرسوم البيانية

## ثالثا - فهرس الجداول



## رابعا - الظهائر السلطانية والوثائق التاريخية

### - الظهـائـر :

- الوثائق :

## المصادر :

- الظهائر التي تتعلّق بقبائل الكيش مأخوذة من :

P. Pascon, Le Haouz de Marrakech, T.I

- ظهائر مولاي إسماعيل في شأن العبيد : محمّد الفاسي، مجلّة ك.آ.ر.، عدد خاص بمولاي إسماعيل.

- ظهائر ورسائل مولاي عبد الرّحمان المتعلقة بتلمسان :.A.E.P., M.D.V.4

- رسالة عبد القادر للقنصل الفرنسي بطنجة : ن.م.س.

- ظهائر مولاي الحسن لبركاش : وثائق بركاش، س.ذ.

- صورة مانجان وبنسيدرا والمنبّهي : أعلام المغرب العربي، ج.I.

- صورة ليناريس :.J.L. Miège, Le Maroc et l'Europe, T.4, p. 240 .

- صورتا أحياء فاس التي قنبلها الفرنسيون بعد ثورة العسكر سنة 1912.خ.خاصّة.

- صور المدافع في العهد السّعدي :مخ.خ.ع، رقم ج87، ميكروفيلم 648.

- مؤلّف حول المدفع في عهد سيدي محمّد بن عبد الرّحمان، مخ.خ.ح، رقم 1043.

- المدافع المستعملة من طرف الفرنسيين في حرب إسلي : Wagram,op. cit.,p. 284

- أحور البعثة الفرنسية : A.M.G.V.C.3

- نموذج لسجلات رواتب العسكر : ابن زيدان، الإتحاف، س.ذ.، ج5، ص 533.

- خرائط حرب تطوان : Joly, Tetouan, A.M., T.8, p. 380-382

- الجداول والرسوم البيانية موضوعة حسب معلومات مأخوذة من مصادر مختلفة.

# فهرس المحتويات

القسم الثاني

## تقويم الجيش المغربي في مطلع القرن التاسع عشر



القسم الثالث

## الجيش المغربي والتحديات الجديدة والمحاولات الإصلاحية

القسم الرابع

## نتـــائج الإصلاحـــات

**فهارس**

# منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية
# الرباط

## سلسلة رسائل وأطروحات جامعية

## Thèses et Mémoires

- ☐ نعيمة هراج التوزاني : الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1290 — 1873/1311 — 1894) مساهمة في دراسة النظام المالي بالمغرب، يناير 1979.
- ☐ سعيد بنسعيد : دولة الخلافة، دراسة في التفكير السياسي عند الماوردي، 1980.
- ☐ سالم يفوت : مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، 1981.
- ☐ عبد اللطيف الشاذلي : الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر، 1982.
- ☐ أحمد التوفيق : المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إنولتان 1912/1850)، طبعة جديدة، جزءان في مجلد واحد، 1983.
- ☐ محمد مزين : فاس وباديتها (1549 — 1637م)، جزءان 1986.
- ☐ مبارك ربيع : مخاوف الأطفال وعلاقتها بالوسط الاجتماعي، 1991.
- ☐ محمد الأمين البزاز : تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، 1991.
- ☐ أحمد أبو زيد : التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، 1992.
- ☐ فاطمة طحطح : الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، 1993.
- ☐ محمد الروكي : نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، 1994.
- ☐ عبد الرحمن المودن : البوادي المغربية قبل الإستعمار، 1994.

- مصطفى الشابي : النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، 1995.
- إدريس بلمليح : المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام، 1995.
- الحسين أفا : ديوان الحسن البونعماني، 1996.
- نفيسة الذهبي : (محققة) اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر. فهرس أبي سالم العياشي، 11هـ — 17م، 1996.
- أحمد بوشارب : مغاربة في البرتغال خلال القرن السادس عشر : قراءة في الثقافة والذهنيات بالمغرب من خلال محاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية، 1996.
- خالد بن الصغير : المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر، 1997.
- زهراء النظام (محققة) : الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس المنسوب لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط، 1997.


مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء






استمدّ الجيش المغربي قوّته عبر التّاريخ من التكامل بين القوات القبلية ونواة عسكرية مركزية، واستطاع المغرب بفضل هذا النظام العسكري المزدوج الذي يبلور كلّ الطاقات في وقت الخطر، أن يواجه التّحدّيات حتّى بعد أن ضعفت قوّته العسكرية وتغيّرت موازين القوى العالمية. ولكنّ النّزعة المركزية وارتفاع الضّغط الأجنبي على المغرب في القرن التّاسع عشر، خصوصا منذ هزيمة معركة إسلي، كسّرا الثقة بالنّظام العسكري التّقليدي ودفعا المخزن إلى محاولة تغييره بإقامة جهاز يستجيب «لمتطلّبات العصر»، وهذا في وقت لم تكن له لا الوسائل المادّية ولا البشرية ولا حرية التّصرّف لإنجاز مشاريعه، ممّا قلّل حظوظ نجاح تجربة الإصلاح وأثّر سلبيا على العلاقات السّياسية الدّاخلية.